مَنْظُومَةُ ابْنِ طَاهِرٍ المَقْدِسِيِّ[1] فِي العَقِيدَةِ

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَى رَسُولِ اللهِ مُحَمَّدٍ.

أَمَّا بَعْدُ:

فِي هَذَا اليَوْمِ؛ يَوْمِ السَّبْتِ، الثَّامِنَ عَشَرَ مِنْ شَهْرِ رَجَبٍ، لِلْعَامِّ الثَّلَاثِينَ بَعْدَ المِائَةِ الرَّابِعَةِ بَعْدَ الأَلْفِ مِنَ الهِجْرَةِ النَّبَوِيَّةِ -عَلَى صَاحِبِهَا أَتَمُّ الصَّلَاةِ وَالتَّسْلِيمِ، وَفِي هَذَا الجَامِعِ المُبَارَكِ -جَامِعِ شَيْخِ الإِسْلَامِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى[2] نَتَدَارَسُ سَوِيًّا مَتْنًا مِنْ مُتُونِ الاعْتِقَادِ، وَهَذَا المَتْنُ وَاحِدٌ مِنْ مُتُونٍ كَثِيرَةٍ نَظَمَهَا وَصَنَّفَهَا أَهْلُ العِلْمِ تَوْثِيقًا وَتَقْرِيبًا لِلْعِلْمِ.

وَقَبْلَ هَذَا يُقَالُ: إِنَّ مِثْلَ هَذِهِ الدَّوْرَاتِ العِلْمِيَّةِ تُذَكِّرُنَا بِرِحْلَةِ طُلَّابِ العِلْمِ فِي الطَّلَبِ، وَبِالتَّغَرُّبِ عَنِ الأَوْطَانِ، وَالهِجْرَةِ فِي طَلَبِ التَّحْصِيلِ العِلْمِيِّ، وَلَا شَكَّ أَنَّ هَذَا مِنَ البَشَائِرِ.

وَهَذَا الأَمْرُ -أَعْنِي الرِّحْلَةَ فِي طَلَبِ العِلْمِ- كَانَ مِنْ مَنْهَجِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمْ بَلْ كَانَ مِنْ مَنْهَجِ الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وَكُلُّكُمْ يَعْلَمُ مَا قَصَّهُ القُرْآنُ عَلَيْنَا مِنْ ذَهَابِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى الخَضِرِ -عَلَيْهِ السَّلَامُ.

---

(١) هو: محمد بن طاهر بن علي بن أحمد الإمام الحافظ، الجوال الرحال، ذو التصانيف، أبو الفضل ابن أبي الحسين بن القيسراني، المقدسي الأثري، الظاهري الصوفي. ولد ببيت المقدس في شوال سنة ثمان وأربعين وأربع مئة. سمع بالقدس ومصر، والحرمين والشام، والجزيرة والعراق، وأصبهان والجبال، وفارس وخراسان، وكتب ما لا يوصف كثرة بخطه السريع، القوي الرفيع، وصنف وجمع، وبرع في هذا الشأن، وعُني به أتم عناية، وغيره أكثر إتقانا وتحريا منه. مات عند قدومه من الحج في يوم الجمعة لليلتين بقيتا من شهر ربيع الأول، سنة سبع وخمس مئة. انظر: سير أعلام النبلاء (١٩/ ٣٦١ ترجمة ٢١٣)، ووفيات الأعيان (٤/ ٢٨٧ ترجمة ٦١٩).

(٢) هو: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن الخضر بن محمد بن تيميّة الحرّاني، ثم الدمشقي، الحنبلي، الإمام الفقيه، المجتهد المحدث، الحافظ المفسر، الأصولي الزاهد. برع في العلوم الإسلامية والآلية، وقمع الله به أهل الضلال، ونصر به أهل السنة. ولد سنة إحدى وستين وست مئة، وتوفي سنة ثمان وعشرين وسبع مئة. وله من المؤلفات: الواسطية، ومنهاج السنة. انظر الذيل على طبقات الحنابلة (٤/ ٤٩١ ترجمة ٥٣١)، والوافي بالوفيات (٧/ ١٠ ترجمة ٦١٩).

وَأَمَّا فِي وَقْتِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمْ فَمَا أَخْرَجَهُ البُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَغَيْرُهُمَا فِي حَدِيثِ مَالِكِ بْنِ الحُوَيْرِثِ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ[٣] لَمَّا قَالَ: قَدِمْنَا وَنَحْنُ شَبَبَةٌ مُتَقَارِبُونَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَقَمْنَا عِنْدَهُ نَحْوًا مِنْ عِشْرِينَ يَوْمًا، وَجَاءَ فِي الرِّوَايَةِ، فَلَمَّا رَأَى أَنَّا قَدِ اشْتَقْنَا إِلَى أَهْلِينَا، قَالَ: «**ارْجِعُوا إِلَى أَهْلِيكُمْ، فَعَلِّمُوهُمْ وَمُرُوهُمْ، وَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ فَلْيُؤَذِّنْ لَكُمْ أَحَدُكُمْ، وَلْيَؤُمَّكُمْ أَكْبَرُكُمْ**»[٤]. أَوْ كَمَا قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ .

وَقَدْ صَنَّفَ الحَافِظُ الخَطِيبُ البَغْدَادِيُّ[٥] كِتَابًا مَوْسُومًا بِـ «الرِّحْلَةُ فِي طَلَبِ الحَدِيثِ»، وَذَكَرَ فِيهِ بَعْضُ أَخْبَارِ أَهْلِ العِلْمِ فِي شَدِّ رِحَالِهِمْ طَلَبًا لِلتَّزَوُّدِ العِلْمِيِّ، فَهَذِهِ السُّنَّةُ -وَالحَمْدُ للهِ- لَمْ تَمُتْ، وَاللهَ نَسْأَلُ أَنْ يَزِيدَنَا وَإِيَّاكُمْ حِرْصًا عَلَى طَلَبِ العِلْمِ.

إِلَّا أَنَّ هَذِهِ الدَّوْرَاتِ العِلْمِيَّةَ عَلَى رَغْمِ كَثْرَةِ الحُضُورِ فِيهَا، إِلَّا أَنَّ كَثِيرًا مِمَّنْ يَحْضُرُهَا يَتَفَلَّتُ عِلْمُهُ بَعْدَ وَقْتٍ يَسِيرٍ؛ ذَلِكَ لِأَنَّ حُضُورَ دَرْسِ العِلْمِ يَحْتَاجُ إِلَى سَابِقٍ وَلَاحِقٍ:

فَالسَّابِقُ: قِرَاءَةُ الدَّرْسِ، وَالعِنَايَةُ بِمُحَاوَلَةِ التَّفَهُّمِ لِمَا سَيَسْمَعُ أَوْ سَيُشْرَحُ، وَفِي أَثْنَاءِ الدَّرْسِ: مُحَاوَلَةُ تَقْيِيدِ مَا يَسْمَعُ، وَعَدَمِ الاشْتِغَالِ بِمَا يُلْهِيهِ، وَأَنْ يَتَأَدَّبَ بِأَدَبِ طَالِبِ العِلْمِ فِي حَلْقَةِ العِلْمِ.

---

(٣) هو: الصحابي مالك بن الحويرث بن أشيم بن زبالة بن خشيش بن عبد ياليل بن ناشب بن غيرة بن سعد بن ليث، أبو سليمان الليثي، ويقال له: ابن الحويرثة. مات بالبصرة سنة أربع وسبعين، وقيل: سنة أربع وتسعين. والأول أصح. انظر: الاستيعاب (ص: ٦٥٩ ترجمة ٢٣٠٣)، والإصابة (٥/ ٧١٩ ترجمة ٧٦٢٣).

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الأذان- باب الأذان للمسافر إذا كانوا جماعة (٦٣١)، ومسلم في كتاب المساجد- باب من أحق بالإمامة (٦٧٤)، من حديث مالك بن الحويرث رضي الله عنه.

(٥) هو: الإمام الأوحد، العلامة المفتي، الحافظ الناقد، محدث الوقت أبو بكر، أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي البغدادي، صاحب التصانيف، وخاتمة الحفاظ. ولد يوم الخميس لست بقين من جمادى الآخر سنة اثنتين وتسعين وثلاث مئة. سمع وهو ابن إحدى عشرة سنة، وارتحل إلى البصرة وهو ابن عشرين سنة، وإلى نيسابور وهو ابن ثلاث وعشرين سنة، وإلى الشام وهو كهل، وإلى مكة، وغير ذلك. وكتب الكثير، وتقدم في هذا الشأن، وبذّ الاقران، وجمع وصنف وصحح، وعلل وجرح، وعدل وأرخ وأوضح، وصار أحفظ أهل عصره على الإطلاق. وكان من كبار الشافعية، تفقه على أبي الحسن بن المحاملي، والقاضي أبي الطيب الطبري. وكان مهيبا وقورا، ثقة متحريا، حجة، حسن الخط، كثير الضبط، فصيحا، ختم به الحفاظ. توفي في السابع من ذي الحجة سنة ثلاث وستين وأربع مئة ببغداد، ودفن بباب حرب إلى جانب بشر بن الحارث. انظر: سير أعلام النبلاء (١٨/ ٢٧٠ ترجمة ١٣٧)، وطبقات الشافعية الكبرى (٤/ ٢٩ ترجمة ٢٥٩).

وَاللَّاحِقُ: أَنْ يُرَاجِعَ مَا قَرَأَ، وَأَنْ يَتَذَاكَرَ مَعَ إِخْوَانِهِ مَا سَمِعَ؛ لِأَنَّهُ -بَعْدَ تَوْفِيقِ اللهِ- بِالتَحْضِيرِ السَّابِقِ، وَبِالأَدَبِ وَالإِنْصَاتِ، وَبِاسْتِجْمَاعِ الذِّهْنِ فِي أَثْنَاءِ الدَّرْسِ، ثُمَّ بِالْمُذَاكَرَةِ بَعْدَ الدَّرْسِ، وَبِمُصَاحِبَةِ العِلْمِ لِلْعَمَلِ وَنَشْرِ الخَيْرِ.. بِذَا وَذَاكَ يَحْصُلُ طَالِبُ العِلْمِ عَلَى خَيْرٍ كَثِيرٍ.

وَقَبْلَ الكَلَامِ عَنِ المَنْظُومَةِ أُحِبُّ أَنْ أَتَكَلَّمَ عَنْ جُهُودِ أَهْلِ العِلْمِ فِي التَّصْنِيفِ العَقَدِيِّ، فَأَهْلُ العِلْمِ عَلَيْهِمْ رَحْمَةُ اللهِ تَرَكُوا لَنَا مِيرَاثًا عَظِيمًا وَاسِعًا فِي كُلِّ فَنٍّ، وَبِمَا أَنَّ الحَدِيثَ هُنَا عَنْ عِلْمِ الاعْتِقَادِ، فَيُقَالُ: إِنَّ طُرُقَ التَّصْنِيفِ عِنْدَ أَهْلِ العِلْمِ فِي عِلْمِ الاعْتِقَادِ مُتَنَوِّعَةً؛ فَمِنْ مَنَاهِجِ التَّصْنِيفِ: إِفْرَادُ كُتُبٍ مُوَسَّعَةٍ تَجْمَعُ أَبْوَابَ الاعْتِقَادِ جَمِيعًا، وَمِنْ ذَلِكَ كِتَابُ «شَرْحُ أُصُولِ اعْتِقَادِ أَهْلِ السُّنَّةِ» لِلَّالِكَائِيِّ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى[٦]، وَ«الإِبَانَةِ» لِابْنِ بَطَّةَ[٧]، وَ«الشَّرِيعَةُ» لِلْآجُرِّيِّ[٨]. فَهَذِهِ مَجَامِيعُ تَضُمُّ فِي صَفَحَاتِهَا عَشَرَاتٍ بَلْ مِئَاتِ الأَحَادِيثِ وَالآثَارِ فِي أَبْوَابِ الاعْتِقَادِ.

وَمِنْ مَنَاهِجِ التَّصْنِيفِ: أَنْ يُفْرِدَ مُصَنِّفًا فِي أَصْلٍ وَاحِدٍ مِنْ أُصُولِ الاعْتِقَادِ، مِثْلُ: «كِتَابُ التَّوْحِيدِ» لِلْإِمَامِ ابْنِ خُزَيْمَةَ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى[٩]، وَهُوَ فِي تَوْحِيدِ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ. وَمِمَّا يَزِيدُ هَذِهِ الكُتُبَ قِيمَةً وَعُلُوًّا أَنَّ أَصْحَابَهَا يَرْوُونَ الرِّوَايَاتِ بِالأَسَانِيدِ، وَمِمَّا صُنِّفَ أَيْضًا فِي أَصْلٍ وَاحِدٍ كِتَابُ «العُلُوِّ» لِلْإِمَامِ الذَّهَبِيِّ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى[١٠].

---

(٦) هو: الإمام الحافظ المجود، المفتي أبو القاسم، هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي، الشافعي اللالكائي، مفيد بغداد في وقته. كان يفهم ويحفظ. وتفقه بالشيخ أبي حامد، وبرع في المذهب. صنف كتابا في السنن، وكتابا في معرفة أسماء من في الصحيحين، وكتابا في شرح السنة. مات في شهر رمضان سنة ثمان عشرة وأربع مئة. انظر: السير (١٧/ ٤١٩ ترجمة ٢٧٤)، وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (١/ ١٩٧ ترجمة ١٥٧).

(٧) هو: الإمام القدوة، العابد الفقيه المحدث، شيخ العراق عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان أبو عبد الله العكبري الحنبلي، ابن بطة. إمام لكنه ذو أوهام. لحق البغوي، وابن صاعد. كان أمّارا بالمعروف، ولم يبلغه خبر منكر؛ إلا غيره. من تصانيفه: «الإبانة الكبرى»، و«الإبانة الصغرى»، مات سنة سبع وثمانين وثلاث مئة. انظر: سير أعلام النبلاء (١٦/ ٥٢٩ ترجمة ٣٨٩)، وميزان الاعتدال (٣/ ١٥ ترجمة ٥٣٩٤).

(٨) هو: محمد بن الحسين بن عبد الله، أبو بكر البغدادي الآجري. الإمام المحدث القدوة، شيخ الحرم الشريف، صاحب التصانيف الحسان؛ منها: «الشريعة»، و«الأربعين». توفي سنة ستين وثلاث مئة. انظر: سير أعلام النبلاء (١٦/ ١٣٣ ترجمة ٩٢)، والوافي بالوفيات (٢/ ٢٦٧ ترجمة ٨٤٧).

(٩) هو: الحافظ الحجة الفقيه، شيخ الإسلام، إمام الأئمة، محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر. أبو بكر السلمي النيسابوري الشافعي، صاحب التصانيف. ولد سنة ثلاث وعشرين ومئتين، وعني في حداثته بالحديث والفقه، حتى صار يضرب به المثل في سعة العلم والإتقان. توفي في ثاني ذي القعدة سنة إحدى عشرة وثلاث مئة، عن تسع وثمانين سنة. انظر: السير (١٤/ ٣٦٥ ترجمة ٢١٤)، وطبقات الشيرازي (ص: ١٠٥).

وَمِنْ مَنَاهِجِ التَّصْنِيفِ أَيْضًا فِي كُتُبِ الاعْتِقَادِ: أَنْ يُضَمِّنَ الْمُصَنِّفُ مُصَنَّفَهُ أَبْوَابًا مُسْتَقِلَّةً فِي الاعْتِقَادِ، فَيَكُونُ الْمُصَنَّفُ شَامِلًا لِلْعِبَادَاتِ وَالْمُعَامَلَاتِ وَالآدَابِ، لَكِنَّهُ يَخُصُّ أَبْوَابًا مِنْهَا أَوْ كُتُبًا فِي مَبَاحِثِ الْمُعْتَقَدِ، وَمِثَالُ ذَلِكَ: «صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ» رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى؛ حَيْثُ أَفْرَدَ كِتَابًا مُسْتَقِلًّا فِي التَّوْحِيدِ، وَأَفْرَدَ كِتَابًا آخَرَ فِي الْقَدَرِ، وَكَذَا الإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ»، فَقَدْ أَفْرَدَ كِتَابًا مُسْتقلًّا عَنِ الإِيمَانِ.

وَمِنْ مَنَاهِجِ التَّصْنِيفِ أَيْضًا فِي الاعْتِقَادِ: الرَّدُّ عَلَى أَهْلِ الْمِلَلِ، وَبَيَانُ بَاطِلِهِمْ، وَمِنْ ذَلِكَ كِتَابُ شَيْخِ الإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: «الْجَوَابُ الصَّحِيحُ لِمَنْ بَدَّلَ دِينَ الْمَسِيحِ»، وَكَذَا كِتَابُ ابْنِ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى[11]: «هِدَايَةُ الْحَيَارَى فِي أَجْوِبَةِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى».

وَمِنْ مَنَاهِجِ التَّصْنِيفِ أَيْضًا فِي مَبَاحِثِ الاعْتِقَادِ: الرَّدُّ عَلَى بِدْعَةٍ مُعَيَّنَةٍ، أَوْ عَلَى قَوْلٍ مُبْتَدَعٍ مُخَالِفٍ لِمَنْهَجِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، وَمِنْ ذَلِكَ كِتَابُ أَبِي نَصْرٍ السِّجْزِيِّ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى[12] «رِسَالَةُ أَهْلِ زُبَيْدٍ» الْمُسَمَّاةُ: «الرَّدُّ عَلَى مَنْ أَنْكَرَ الْحَرْفَ وَالصَّوْتَ لله تَعَالَى».

وَمِنْ مَنَاهِجِ التَّصْنِيفِ أَيْضًا فِي الاعْتِقَادِ: الرَّدُّ عَلَى مُبْتَدِعٍ بِعَيْنِهِ اشْتَهَرَ أَمْرُهُ، وَظَهَرَتْ بِدْعَتُهُ، وَمِنْ ذَلِكَ كِتَابُ الإِمَامِ عُثْمَانَ بْنِ سَعِيدٍ الدَّارِمِيِّ[13] وَهُوَ غَيْرُ صَاحِبِ السُّنَنِ: عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ بَهْرَامَ[14]، فَقَدْ رَدَّ الدَّارِمِيُّ عَلَى بِشْرٍ الْمَرِيسِيِّ[15] الْعَنِيدِ.

---

(١٠) هو: محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز، شمس الدين أبو عبد الله الذهبي. الإمام، المحدث، مؤرخ الإسلام، صاحب العبارة الرشيقة، والجملة الأنيقة. من شيوخه: ابن دقيق العيد، وابن تيمية. مولده في سنة ثلاث وسبعين وست مئة، ووفاته سنة ثمان وأربعين وسبع مئة. له من مؤلفات حسان جياد؛ منها: «سير أعلام النبلاء»، و«معرفة القراء الكبار». انظر: طبقات الشافعية الكبرى (٩/ ١٠٠ ترجمة ١٣٠٦)، وانظر مقدمة الدكتور/ بشار للجزء الأول من كتابه السير.

(١١) هو: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حريز، شمس الدين أبو عبد الله، الزرعي، ثم الدمشقي. الفقيه الأصولي، المفسر النحوي، العارف. ابن قيم الجوزية. تفقه في المذهب الحنبلي، وبرع وأفتى، ولازم شيخ الإسلام ابن تيميَّة. وكان ذا عبادة وتهجد، وطول صلاة، ولهج بالذكر. له تواليف حسان؛ منها: «زاد المعاد»، و«بدائع الفوائد». ولد سنة إحدى وتسعين وست مئة، وتوفي سنة إحدة وخمسين وسبع مئة. انظر: البداية والنهاية (١٨/ ٥٢٣ – دار هجر)، والذيل على طبقات الحنابلة (٥/ ١٧٠ ترجمة ٦٠٠).

(١٢) هو: الإمام العالم الحافظ المجود شيخ السنة، أبو نصر، عبيد الله بن سعيد بن حاتم بن أحمد، الوائلي البكري السجستاني، شيخ الحرم، ومصنف «الإبانة الكبرى» في أن القرآن غير مخلوق، وهو مجلد كبير دال على سعة علم الرجل بفن الأثر. توفي بمكة، في المحرم سنة أربع وأربعين وأربع مئة. انظر: السير (١٧/ ٦٥٤ ترجمة ٤٤٥)، وطبقات الحفاظ (ص: ٤٢٩).

وَمِنْ مَنَاهِجِ التَّصْنِيفِ أَيْضًا فِي الاعْتِقَادِ: أَنْ يُفْرَدَ مُصَنَّفٌ فِي الاعْتِقَادِ مُجَرَّدٌ مِنَ الأَدِلَّةِ، أَيْ: يُفْرَدُ مُصَنَّفٌ فِي ذِكْرِ الاعْتِقَادِ مَأْخُوذٌ مِنْ دِلَالَاتِ الآيَاتِ وَالنُّصُوصِ؛ وَذَلِكَ مِثْلُ «مَتْنُ الطَّحَاوِيَّةِ» لِلْإِمَامِ الطَّحَاوِيِّ[١٦]، وَلَمَّا شَرَحَهُ ابْنُ أَبِي العِزِّ[١٧] ذَكَرَ الأَدِلَّةِ.

(١٣) هو: أبو سعيد عثمان بن سعيد بن خالد السجستاني، الحافظ الإمام الحجة، صاحب التصانيف. ولد قبل المئتين بيسير. أكثر من الترحال والتطواف في طلب الحديث. أخذ علم الحديث وعلله على علي بن المديني، ويحيى بن معين، وأحمد بن حنبل، وفاق أهل زمانه، وكان لهجًا بالسنة، بصيرًا بالمناظرة، جذعًا في أعين المبتدعة. توفي -رحمه الله- سنة ثمانين ومئتين. له مصنفات؛ منها: «السنن»، و«الرد على المريسي»، وكتاب «الرد على الجهمية». انظر: السير (١٣/ ٣١٩ ترجمة ١٤٨)، وتذكرة الحفاظ (٢/ ٦٢١ ترجمة ٦٤٨).

(١٤) هو: الإمام الحافظ شيخ الإسلام بسمرقند أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام بن عبد الصمد التميمي الدارمي السمرقندى. صاحب المسند العالي. ولد عام إحدى وثمانين ومئة. كان أحد الحفاظ والرحالين، موصوفا بالثقة والورع والزهد. قال ابن حجر في التقريب: ثقة فاضل متقن. مات يوم التروية سنة خمس وخمسين ومئتين. انظر: تهذيب الكمال (١٥/ ٢١٠ ترجمة ٣٣٨٤)، وسير أعلام النبلاء (١٢/ ٢٢٤ ترجمة ٧٨).

(١٥) هو: المتكلم المناظر البارع بشر بن غياث بن أبي كريمة، أبو عبد الرحمن مولى زيد بن الخطاب؛ هو بشر المريسي. كان من أعيان أصحاب الرأي، أخذ عن أبي يوسف، وبرع في الفقه، ونظر في الفلسفة، وجرد القول بخلق القرآن، وناظر عليه، ودعا إليه. وكان رأس الجهمية، كان أبوه يهوديا قصارا. توفي سنة ثمان عشرة ومئتين. انظر: سير أعلام النبلاء (١٠/ ١٩٩ ترجمة ٤٥)، وميزان الاعتدال (١/ ٣٢٢ ترجمة ١٢١٤).

(١٦) هو: الإمام العلامة الحافظ الكبير، محدث الديار المصرية وفقيهها، أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن سلمة بن عبد الملك، الأزدي الحجري المصري الطحاوي الحنفي، صاحب التصانيف، من أهل قرية طحا من أعمال مصر. مولده في سنة تسع وثلاثين ومئتين. بدأ حياته شافعيًا ثم تحول إلى الحنفية وانتهت إليه رئاسة أصحاب أبي حنيفة بمصر. برز في علم الحديث وفي الفقه، وتفقه بالقاضي أحمد بن أبي عمران الحنفي، وجمع وصنف. قال ابن يونس: كان ثقة ثبتا فقهيا عارفا لم يخلق مثله. له مؤلفات جياد؛ منها: «شرح مشكل الآثار»، و«شرح معاني الآثار». مات سنة إحدى وعشرين وثلاث مئة. انظر: سير أعلام النبلاء (١٥/ ٢٧ ترجمة ١٥)، والجواهر المضية (١/ ٢٧١ ترجمة ٢٠٤) ط: دار هجر.

(١٧) هو: الإمام العلامة صدر الدين، أبو الحسن علي بن علاء الدين علي بن محمد بن محمد ابن أبي العز الحنفي، الأذرعي، الدمشقي، الصالحي. ولد في الثاني والعشرين من ذي الحجة سنة إحدى وثلاثين وسبع مئة. ينتمي غلى أسرة كان لها نباهة ذكر، وعلو شأن، تتزعم المذهب الحنفي بدمشق. نشأ في ظلها، وارتوى من معين علمها. طل العلم على شيوخ بلده، حتى برع، وولي التدريس وعمره لم يتجاوز سبعة عشر عاما. ناله من الأذى ما نال شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، وغيرهما ممن كان ينحو منحى التجديد والأصالة، ورد الأمة إلى منهجها السوي. من مؤلفاته: «شرح العقيدة الطحاوية»، و«الاتباع». توفي في ذي القعدة من سنة اثنتين وتسعين وسبع مئة. انظر: إنباء الغمر (١/ ٤٠٨ ترجمة ٢٤) ط: المجلس الأعلى، ووجيز الكلام (١/ ٢٩٥ ترجمة ٦٤٩) ط: مؤسسة الرسالة.

وَمِنْ مَنَاهِجِ التَّصْنِيفِ: أَنْ يَكُونَ الْمُصَنِّفُ مَشْحُونًا بِالأَدِلَّةِ؛ فَيُوَرِدُ الاعْتِقَادَ، ثُمَّ يُورِدُ الأَدِلَّةَ مِنَ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَمِنْ ذَلِكَ كِتَابُ «العَقِيدَةِ الوَاسِطِيَّةِ» لِشَيْخِ الإِسْلَامِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ، حَيْثُ مَلَأَهَا بِالأَدِلَّةِ القُرْآنِيَّةِ وَالنَّبَوِيَّةِ، عَلَى صِغَرِ حَجْمِهَا.

وَمِنَ التَّصْنِيفِ أَيْضًا فِي بَابِ الاعْتِقَادِ: أَنَّ ابْنَ خُزَيْمَةَ أَفْرَدَ كِتَابًا عَنْ تَوْحِيدِ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ. وَأَفْرَدَ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الوَهَّابِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى[١٨] كِتَابًا فِي تَوْحِيدِ العِبَادَةِ (تَوْحِيدِ الأُلُوهِيَّةِ، أَوْ تَوْحِيدِ القَصْدِ وَالطَّلَبِ وَالإِرَادَةِ)، وَهُوَ «كِتَابُ التَّوْحِيدِ».

وَمِمَّا يُذْكَرُ أَيْضًا: أَنَّ تِلْكَ المُصَنَّفَاتِ تَارَةً تَكُونُ مَنْثُورَةً، وَتَارَةً تَكُونُ مَنْظُومَةً، فَالمُصَنَّفَاتُ السَّابِقَةُ كُلُّهَا مِنْ بَابِ النَّثْرِ، وَسَيَأْتِي الكَلَامُ عَنِ النَّظْمِ عِنْدَ الكَلَامِ عَنِ المَنْظُومَةِ المَعْنِيَّةِ فِي هَذَا المَقَامِ.

بَعْدَ هَذَا نَنْتَقِلُ إِلَى التَّعْرِيفِ بِمُصَنِّفِ المَنْظُومَةِ، وَهُوَ الإِمَامُ ابْنُ طَاهِرٍ، فَنَقُولُ: هَلْ يُقَالُ: المُصَنِّفُ أَمِ المُؤَلِّفُ؟ وَهَلْ هُنَاكَ فَرْقٌ بَيْنَ هَذَيْنِ المُصْطَلَحَيْنِ: المُؤَلِّفُ وَالمُصَنِّفُ؟

يَذْكُرُ بَعْضُ أَهْلِ اللُّغَةِ فَرْقًا بَيْنَ المُصْطَلَحَيْنِ، فَيَقُولُ: المُؤَلِّفُ هُوَ الَّذِي يَقُومُ بِجَمْعِ المَادَّةِ العِلْمِيَّةِ. فَعَمَلُهُ مُجَرَّدُ الجَمْعِ؛ لِأَنَّ التَّأْلِيفَ هُوَ الجَمْعُ، وَفِي القُرْآنِ **{وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ}**[١٩]. أَيْ: لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مَا جَمَعْتَ قُلُوبَ العِبَادِ، أَيْ: قُلُوبُ مَنِ اجْتَمَعُوا حَوْلَكَ، وَلَكِنَّ اللهَ جَمَعَهُمْ. وَجَاءَ فِي «صَحِيحِ البُخَارِيِّ»: بَابُ تَأْلِيفِ القُرْآنِ. يَعْنِي: جَمْعُ القُرْآنِ، فَقَالُوا: المُؤَلِّفُ هُوَ الجَامِعُ الَّذِي يَجْمَعُ وَيُرَتِّبُ.

وَأَمَّا المُصَنِّفُ: فَهُوَ الَّذِي يُكْتَبُ وَيَنْحَتُ مِنْ ذِهْنِهِ. وَهُنَا يَظْهَرُ الفَرْقُ، وَبِالمِثَالِ يَتَّضِحُ المَقَالُ: فَإِذَا قِيلَ بِأَنَّ المُؤَلِّفَ هُوَ الجَامِعُ، وَبِأَنَّ المُصَنِّفَ هُوَ الَّذِي يُكْتَبُ وَيَنْحَتُ مِنْ ذِهْنِهِ، وَيُسْتَنْبَطُ مِنَ النُّصُوصِ. فَإِذَا قِيلَ: كِتَابُ

(١٨) هو: الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن على بن محمد بن أحمد بن راشد التميمي الحنبلي النجدي المصلح الكبير. ولد ونشأ وتعلم في بلدة العيينة، ورحل في طلب العلم إلى نواحي نجد ومكة، حتى صار عالما. أنكر المنكر، وقمع الله به البدع. اتحد مع آل سعود في توحيد الجزيرة العربية، وتوحيد الرب -تعالى- حتى أيدهما الله. له «كتاب التوحيد»، و«الأصول الثلاثة» وغيرهما كثير. ولد سنة خمس عشرة بعد المئة والألف، وتوفي سنة ست ومئتين بعد الألف. انظر: إسلامية لا وهابية للدكتور/ ناصر بن عبد الكريم العقل (ص: ٢٣)، والأعلام للزركلي (٦/ ٢٥٧).

(١٩) سورة الأنفال: ٦٣.

«الأَرْبَعُونَ النَّوَوِيَّةُ»، هَلْ هُوَ مِنْ تَأْلِيفِ النَّوَوِيِّ[٢٠] أَمْ مِنْ تَصْنِيفِهِ؟ يُقَالُ: مِنْ تَأْلِيفِهِ؛ لِأَنَّهُ جَمَعَهُ. كِتَابُ «رِيَاضُ الصَّالِحِينَ» لِلْإِمَامِ النَّوَوِيِّ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى، هَلْ هُوَ مِنْ تَأْلِيفِهِ أَمْ مِنْ تَصْنِيفِهِ؟ مِنْ تَأْلِيفِهِ.

لَكِنْ كِتَابُ: «رَوْضَةُ الطَّالِبِينَ» لِلْإِمَامِ النَّوَوِيِّ، مِنْ تَصْنِيفِهِ، وَكَذَلِكَ كِتَابُ «تَهْذِيبُ الأَسْمَاءِ وَاللُّغَاتِ» لِلْإِمَامِ النَّوَوِيِّ، مِنْ تَصْنِيفِهِ، وَكَذَلِكَ كِتَابُ «زَادُ المَعَادِ» لِلْإِمَامِ ابْنِ القَيِّمِ، مِنْ تَصْنِيفِهِ... وَهَكَذَا.

وَالإِمَامُ ابْنُ طَاهِرٍ اسْمُهُ الكَامِلُ: مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي الحُسَيْنِ طَاهِرِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَحْمَدَ المَقْدِسِيُّ. وَخَالَفَ بَعْضُهُمْ فِي هَذَا الاسْمِ فَقَدَّمَ وَأَخَّرَ، فَقَالَ: اسْمُهُ: عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ طَاهِرٍ. وَالصَّوَابُ أَنَّهُ: مُحَمَّدُ بْنُ طَاهِرِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَحْمَدَ المَقْدِسِيُّ.

وَيُقَالُ فِي نِسْبَتِهِ: المَقْدِسِيُّ. وَتَارَةً يُقَالُ: القَيْصَرَانِيُّ. وَتَارَةً يُقَالُ: الشَّيْبَانِيُّ. وَتَارَةً يُقَالُ: الظَّاهِرِيُّ. وَتَارَةً يُقَالُ: الصُّوفِيُّ. وَتَارَةً يُقَالُ: الأَثَرِيُّ. وَهَذَا مُعْتَبَرٌ وَمَعْرُوفٌ فِي كُتُبِ التَّرَاجِمِ، فَتَارَةً يُنْسَبُ الإِمَامُ إِلَى قَبِيلَتِهِ، وَتَارَةً يُنْسَبُ إِلَى مَدِينَتِهِ، وَتَارَةً يُنْسَبُ إِلَى مَذْهَبِهِ الفِقْهِيِّ، وَتَارَةً إِلَى مَذْهَبِهِ العَقَدِيِّ، وَقَدْ تَجْتَمِعُ تِلْكَ الأُمُورُ. فَمَثَلًا: أَبُو عَوَانَةَ[٢١] -وَهُوَ مِنْ رِجَالِ الصَّحِيحَيْنِ- وَهُوَ شَيْخُ البُخَارِيِّ، الوَضَّاحُ بْنُ عَبْدِ اللهِ اليَشْكُرِيُّ الوَاسِطِيُّ، مِنْ بَنِي يَشْكُرَ. وَالوَاسِطِيُّ: نِسْبَةً إِلَى مَدِينَةِ وَاسِطَ.

وَفِي هَذَا المَقَامِ اجْتَمَعَتْ هَذِهِ الأَلْقَابُ السِّتَّةُ فِي حَقِّ ابْنِ طَاهِرٍ، فَقَالُوا: المَقْدِسِيُّ؛ لِأَنَّهُ وُلِدَ فِي بَيْتِ المَقْدِسِ. وَالشَّيْبَانِيُّ: نِسْبَةً إِلَى قَبِيلَتِهِ. وَالقَيْصَرَانِيُّ: نِسْبَةً إِلَى مَدِينَةٍ عَلَى السَّاحِلِ، إِمَّا أَنَّهُ سَكَنَ هُنَاكَ أَوْ سَكَنَ هُنَاكَ أَحَدُ آبَائِهِ وَأَجْدَادِهِ. وَالظَّاهِرِيُّ: نِسْبَةً إِلَى مَذْهَبِهِ. وَالصُّوفِيُّ: لِأَنَّ بَعْضَ أَهْلِ العِلْمِ يَرَى أَنَّ عِنْدَهُ آرَاءَ التَّصَوُّفِ. وَالأَثَرِيُّ: نِسْبَةً إِلَى اتِّبَاعِ الأَثَرِ. هَكَذَا قِيلَ فِي نِسْبَتِهِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى.

---

(٢٠) هو: يحيى بن شرف بن مُرِّي بن حسن ين حسين، أبو زكريا الحزامي النووي الشافعي الدمشقي، الحافظ الزاهد، أحد أعلام الشافعية. ولد في المحرم سنة إحدى وثلاثين وست مئة. صرف أوقاته في العلم والعمل به، وتبحر في الحديث والفقه واللغة. كان في لحيته شعرات بيض، وكان عليه سكينة ووقار في البحث مع الفقهاء. له مؤلفات جياد أثنى عليها الموافق والمخالف؛ منها: «المجموع»، و«روضة الطالبين». توفي ليلة الأربعاء الرابع والعشرين من رجب سنة ست وسبعين وست مئة. انظر: «تحفة الطالبين في ترجمة الإمام محيي الدين» لابن العطار.

(٢١) هو: الإمام الحافظ، الثبت، محدث البصرة، الوضاح بن عبد الله، مولى يزيد بن عطاء اليشكري، الواسطي، البزاز. كان من سبي جرجان. مولده سنة نيف وتسعين. رأى الحسن، ومحمد بن سيرين. وكان من أركان الحديث. مات في ربيع الأول سنة ست وسبعين ومئة بالبصرة. قال ابن حجر في التقريب: ثقة ثبت. انظر: تهذيب الكمال (٣٠/ ٤٤١ ترجمة ٦٦٨٨)، وسير أعلام النبلاء (٨/ ٢١٧ ترجمة ٣٩).

وَأَمَّا كُنْيَتُهُ: فَهُوَ أَبُو الفَضْلِ، وَقَدْ كَنَّى بِذَلِكَ نَفْسَهُ، وَعِنْدَ هَذَا يُقَالُ: قَطَعَتْ جُهَيْزَةُ قَوْلَ كُلِّ خَطِيبٍ. لِأَنَّ أَبَا زُرْعَةَ العِرَاقِيَّ[٢٢] قَدْ ذَكَرَ بِأَنَّهُ يُكَنَّى بِأَبِي عَبْدِ اللهِ، وَلَكِنَّ قَوْلَ صَاحِبِ الاسْمِ فَصْلٌ وَحَكَمٌ، فَكُنْيَتُهُ أَبُو الفَضْلِ.

وَيُطْلَقُ عَلَيْهِ -كَمَا يُطْلَقُ عَلَى كَثِيرٍ مِنْ أَهْلِ العِلْمِ- الأَسْمَاءُ المُرَكَّبَةُ، فَأُطْلِقَ عَلَيْهِ: شَمْسُ الحُفَّاظِ، هَكَذَا جَاءَ عَلَى المَخْطُوطَيْنِ، وَلَقَّبَهُ حَاجِّي خَلِيفَةُ[٢٣] صَاحِبُ «كَشْفُ الظُّنُونِ» بِشَمْسِ الدِّينِ.

وَهَذِهِ الأَلْقَابُ تُطْلَقُ عَلَى كَثِيرٍ مِنْ أَهْلِ العِلْمِ، وَبَعْضُهُمْ لَا يَرْضَى بِهَا، وَبَعْضُهُمْ تُطْلَقُ عَلَيْهِ بَعْدَ مَوْتِهِ، وَبَعْضُهُمْ يَرْتَضِيهَا مِنْ بَابِ التَّمَيُّزِ عَنْ غَيْرِهِ، وَبَعْضُهُمْ لَا يَرْتَضِيهَا؛ كَالإِمَامِ النَّوَوِيِّ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى فَقَدْ قَالَ: لَا أَجْعَلُ أَحَدًا فِي حِلٍّ لَقَّبَنِي بِمُحْيِي الدِّينِ. وَالغَالِبُ أَنَّ شُيُوعَ هَذِهِ الأَلْفَاظِ بِاعْتِبَارِ العَصْرِ. وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ العَادَةَ غَلَّابَةٌ، وَأَنَّ الطَّبْعَ يَتَحَكَّمُ، فَتَشِيعُ فِي عَصْرٍ أَلْقَابٌ أَوْ عَادَاتٌ لَا يَسْلَمُ مِنْهَا -فِي الغَالِبِ- أَهْلُ العِلْمِ، إِمَّا مِنْ بَابِ التَّرَخُّصِ، أَوْ مِنْ بَابِ أَنَّ ذَلِكَ اشْتُهِرَ وَعُرِفُوا بِهِ، فَاسْتَقَرَّ الأَمْرُ عَلَى ذَلِكَ. فَجَاءَ عَلَى المَخْطُوطَيْنِ أَنَّ هَذَا الإِمَامَ يُلَقَّبُ بِشَمْسِ الحُفَّاظِ، وَلَقَّبَهُ وَسَمَّاهُ صَاحِبُ «كَشْفُ الظُّنُونِ»: شَمْسُ الدِّينِ.

وُلِدَ هَذَا الإِمَامُ فِي السَّادِسِ مِنْ شَهْرِ شَوَّالٍ عَامَ أَرْبَعِمِائَةٍ وَثَمَانِيَةٍ وَأَرْبَعِينَ- كَمَا قَالَ عَنْ نَفْسِهِ، وَدَائِمًا قَوْلُ الإِمَامِ، أَوْ قَوْلُ أَحَدِ أَهْلِ بَيْتِهِ، أَوْ قَوْلُ أَحَدِ طُلَّابِهِ يَفْصِلُ النِّزَاعَ فِي المَسْأَلَةِ. وَقَالَ مَرَّةً: وُلِدْتُ فِي عَامِ مِيلَادِ المُقْتَدِي[٢٤] (الخَلِيفَةِ العَبَّاسِيِّ)، وَالمُقْتَدِي وُلِدَ عَامَ أَرْبَعِمِائَةٍ وَثَمَانِيَةٍ وَأَرْبَعِينَ لِلْهِجْرَةِ النَّبَوِيَّةِ.

---

(٢٢) هو: ولي الدين أبو زرعة أحمد بن عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن أبي بكر بن إبراهيم، الكردي الأصل، القاهري، الشافعي. ولد في سحر يوم الاثنين، الثالث من ذي الحجة، سنة اثنتين وستين وسبع مئة، بالقاهرة. استجاز له والده خلقا من أهل العلم، وصحبه في أسفاره لطلب العلم، وحفظ القرآن وعددا من المختصرات. كان له حافظة قوية ونبوغ مبكر، وذكاء حاد. حت كان أوحد الفقهاء، وعليه المعتد في الفتيا. من مؤلفاته: «أخبار المدلسين»، و«تحفة التحصيل». مات مبطونا يوم الخميس السابع والعشرين من شهر شعبان سنة ست وعشرين وثمان مئة. انظر: إنباء الغمر (٣/ ٣١١ ترجمة ٣)، والضوء اللامع (١/ ٣٣٦).

(٢٣) هو: المؤرخ البحاثة مصطفى بن عبد الله القسطنطيني المولد والمنشأ، الحنفي المذهب، الشهير بحاجي خليفة. ولد في ذي القعدة سنة سبع عشرة وألف للهجرة. قرأ في صباه القرآن الكريم، والمقدمة الجزرية، وشروط الصلاة. تولى أعمالا كتابية في الجيش العثماني، وذهب مع أبيه -وكان من رجال الجند- إلى بغداد، فمات أبوه بالموصل، فرحل إلى ديار بكر ثم عاد إلى الأستانة، ورحل إلى الشام، وصحب والي حلب إلى مكة، فحج، وزار خزائن الكتب الكبرى، وعاد إلى الأستانة. من كتبه «كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون»، وهو أنفع وأجمع ما كتب. توفي سنة سبع وستين وألف. انظر: كشف الظنون (١/ ٧)، وأعلام الزركلي (٧/ ٢٣٦).

(٢٤) هو: الخليفة المقتدي بأمر الله، أبو القاسم، عبيد الله بن ذخيرة الدين محمد ابن القائم بأمر الله عبد الله بن القادر بالله أحمد بن إسحاق بن المقتدر العباسي. تسلم الخلافة بعهد من جده يوم ثالث عشر شعبان سنة سبع وستين وأربع مئة، وهو ابن عشرين سنة، سوى أشهر، وأمه

وَجَاءَ فِي «سِيَرُ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ» أَنَّهُ وُلِدَ عَامَ أَرْبَعِمِائَةٍ وَثَمَانِيَةٍ. وَالغَالِبُ أَنَّ هَذَا خَطَأٌ مِنَ الطَّابِعِ أَوْ مِنَ النَّاسِخِ، أَوْ سَبْقُ قَلَمٍ مِنَ الإِمَامِ الذَّهَبِيِّ عَلَيْهِ رَحْمَةُ اللهِ تَعَالَى. فَالمِيلَادُ الصَّحِيحُ -كَمَا قَالَ عَنْ نَفْسِهِ- أَنَّهُ وُلِدَ فِي عَامِ أَرْبَعِمِائَةٍ وَثَمَانِيَةٍ وَأَرْبَعِينَ لِلْهِجْرَةِ النَّبَوِيَّةِ.

حَيَاةُ الإِمَامِ ابْنِ طَاهِرٍ:

هَذَا الإِمَامُ عَظِيمٌ فِي حَيَاتِهِ، وَحَيَاتُهُ تُزَكِّي الهِمَّةَ فِي طَالِبِ العِلْمِ، وَمَنْ قَرَأَ سِيرَتَهُ وَعَظِيمَ جُهْدِهِ فِي التَّحْصِيلِ تَذَكَّرَ أَنَّ صَاحِبَ الهِمَّةِ -بَعْدَ تَوْفِيقِ اللهِ- لَا يَسْتَصْعِبُ شَيْئًا، فَهَذَا الإِمَامُ بَدَأَ فِي الطَّلَبِ وَالسَّمَاعِ وَهُوَ فِي الثَّانِيَةِ عَشْرَةَ مِنْ عُمْرِهِ، وَحَسْبُكَ بِهَذِهِ الهِمَّةِ، فَهُوَ يَطْلُبُ العِلْمَ مُنْذُ الثَّانِيَةِ عَشْرَةَ مِنْ عُمْرِهِ، أَيْ: قَبْلَ البُلُوغِ وَهُوَ يَحْرِصُ عَلَى سَمَاعِ الحَدِيثِ.

فَكُنْ رَجُلًا رِجْلُهُ فِي الثَّرَى *** وَهَامَةً هِمَّتُهُ فِي الثُّرَيَّا

وَإِذَا كَانَتِ النُّفُوسُ كِبَارًا *** تَعِبَتْ فِي مُرَادِهَا الأَجْسَامُ

وَهَذَا الإِمَامُ وَصَفَهُ بَعْضُ المُتَرْجِمِينَ بِالرِّحْلَةِ؛ لِكَثْرَةِ رِحْلَاتِهِ وَتَنَقُّلَاتِهِ فِي البُلْدَانِ؛ طَلَبًا لِلْأَسَانِيدِ، وَطَلَبًا لِلُقْيَا الشُّيُوخِ، حَتَّى إِنَّ الإِمَامَ الذَّهَبِيَّ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى ذَكَرَ أَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعِينَ مَدِينَةً رَحَلَ إِلَيْهَا هَذَا الإِمَامُ، وَقَابَلَ فِيهَا مَشَايِخَ العِلْمِ، وَرَوَى عَنْهُمْ.

وَقَدْ تَتَبَّعْتُ بِنَفْسِي سِيرَةَ هَذَا الإِمَامِ، فَوَجَدْتُ أَنَّهُ دَخَلَ سِتًّا وَخَمْسِينَ مَدِينَةً، وَفِي بَعْضِ المُدُنِ يُصَرِّحُ وَيَقُولُ: دَخَلْتُ مَدِينَةَ كَذَا، وَلَمْ أَجِدْ أَحَدًا يُرْوَى عَنْهُ. وَهَذَا يُدَلُّكَ عَلَى عَظِيمِ هِمَّتِهِ وَعَلَى عُلُوِّ عَزِيمَتِهِ.

وَكَانَ مِنْ جَلَدِهِ أَنَّهُ قَالَ: لَقَدْ بَلَّتِ الدَّمُ مَرَّتَيْنِ. مَرَّةً فِي طَرِيقِهِ إِلَى مَكَّةَ، وَمُرَّةً فِي طَرِيقِهِ إِلَى بَغْدَادَ. وَكَانَ يَمْشِي فِي الهَوَاجِرِ، وَقَالَ مَرَّةً: مَشَيْتُ فِي لَيْلَةٍ ثَلَاثَةَ فَرَاسِخَ. وَهَذَا يُدَلُّكَ عَلَى عَظِيمِ الهِمَّةِ؛ لِأَنَّ لَذَّةَ العِلْمِ -بَعْدَ تَوْفِيقِ اللهِ- تُعِينُ صَاحِبَهَا عَلَى اسْتِسْهَالِ صِعَابِ الأُمُورِ.

أرجوان أم ولد، بقيت بعده دهرا، رأت ابن ابن ابنها المسترشد خليفة. وكان حسن السيرة، وافر الحرمة. أمر بنفي الخواطئ والقينات، وأن لا يدخل أحد الحمام إلا بمئزر، وأخرب أبراج الحمام، وفيه ديانة ونجابة وقوة وعلو همة. توفي سنة سبع وثمانين وأربع مئة. انظر: سير أعلام النبلاء (١٨/ ٣١٨ ترجمة ١٤٧)، وتاريخ الخلفاء (ص: ٤٢٣).

وَقَالَ رَحِمَهُ اللهُ: كُنْتُ أَحْمِلُ كُتُبِي عَلَى ظَهْرِي، وَلَمْ أَطْلُبْ مِنْ أَحَدٍ شَيْئًا. فَهَذِهِ عِزَّةُ نَفْسٍ، وَقَدْ قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**شَرَفُ الْمُؤْمِنِ قِيَامُهُ بِاللَّيْلِ، وَعِزُّهُ اسْتِغْنَاؤُهُ عَنِ النَّاسِ**»[٢٥]. بَلْ قَالَ: كُنْتُ أَكْتُبُ وَآخُذُ أَجْرًا. وَكَانَ رَحِمَهُ اللهُ سَرِيعُ الكِتَابَةِ، فَقَدْ أَعْطَاهُ اللهُ تَعَالَى سُرْعَةً فِي الكِتَابَةِ، فَقَدْ كَتَبَ «صَحِيحَ البُخَارِيِّ»، وَ «سُنَنَ أَبِي دَاوُدَ» سَبْعَ مَرَّاتٍ، وَكَتَبَ «سُنَنَ ابْنِ مَاجَهْ» عَشْرَ مَرَّاتٍ، وَكَتَبَ أَجْزَاءً كَثِيرَةً. وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى عَظِيمِ هِمَّتِهِ، وَعُلُوِّ عَزِيمَتِهِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى.

وَكَانَ رَحِمَهُ اللهُ حَرِيصًا عَلَى الالْتِقَاءِ بِمَشَايِخِ العِلْمِ، وَقَدْ وَجَدْتُ أَنَّهُ رَوَى عَنْ مِئَتَيْنِ وَاثْنَيْنِ وَثَمَانِينَ شَيْخًا فِي كُتُبِهِ بِأَسَانِيدِهِ. وَأَمَّا تَلَامِيذُهُ، فَقُرَابَةُ الثَّلَاثِينَ -حَسَبَ مَا وَقَفْتُ عَلَيْهِ، وَلَعَلَّ قِلَّةَ تَلَامِيذِهِ تَعُودُ إِلَى أَمْرَيْنِ:

الأَمْرُ الأَوَّلُ: كَثْرَةُ رِحْلَاتِهِ طَلَبًا لِلُقْيَا المَشَايِخِ.

الأَمْرُ الثَّانِي: اشْتِغَالُهُ بِالتَّصْنِيفِ. فَقَدْ ذَكَرُوا لَهُ قَرَابَةَ اثْنَيْنِ وَثَمَانِينَ مُصَنَّفًا، فَاشْتِغَالُهُ بِالتَّصْنِيفِ وَكَثْرَةُ رِحْلَاتِهِ مِنْ أَسْبَابِ قِلَّةِ تَلَامِيذِهِ.

وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ بَعْضَ أَهْلِ العِلْمِ يَرَى أَنَّ التَّصْنِيفَ أَنْفَعُ مِنَ التَّعْلِيمِ، وَيَقُولُ: إِنَّ التَّصْنِيفَ يَبْقَى ذُخْرُهُ وَأَثَرُهُ بَعْدَ المَوْتِ إِلَى دُهُورٍ كَثِيرَةٍ، أَمَّا التَّعْلِيمُ فَيَنْتَهِي بِانْتِهَاءِ وَقْتِهِ. وَهَذَا القَوْلُ لَيْسَ عَلَى إِطْلَاقِهِ، بَلْ قَدْ يَكُونُ التَّعْلِيمُ أَنْفَعَ لِلنَّاسِ، وَأَيْسَرَ فِي إِيصَالِ العِلْمِ إِلَى أَذْهَانِ النَّاسِ، وَمَنْ جَمَعَ بَيْنَ الأَمْرَيْنِ فَنُورٌ عَلَى نُورٍ.

مُصَنَّفَاتُهُ:

سَبَقَ أَنَّ مُصَنَّفَاتِهِ بَلَغَتْ اثْنَيْنِ وَثَمَانِينَ. وَقِيلَ: بَلَغَتْ أَرْبَعًا وَثَمَانِينَ مُصَنَّفًا، حَسَبَ البَحْثِ وَالاِسْتِقْرَاءِ.

وَقَدْ عَاشَ هَذَا الإِمَامُ حَيَاةً مَلِيئَةً بِالعِلْمِ وَالرِّحْلَةِ وَالتَّقْيِيدِ وَالكِتَابَةِ، وَتُوُفِّيَ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى فِي السَّنَةِ السَّابِعَةِ بَعْدَ المِائَةِ الخَامِسَةِ، فَإِذَا كَانَ مَوْلِدُهُ سَنَةَ أَرْبَعِمِائَةٍ وَثَمَانٍ وَأَرْبَعِينَ، وَوَفَاتُهُ سَنَةَ خَمْسِمِائَةٍ وَسَبْعٍ، فَيَكُونُ عُمُرُهُ تِسْعًا وَخَمْسِينَ سَنَةً وَعِدَّةَ أَشْهُرٍ، وَقَدْ مَلَأَ عُمُرَهُ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى بِالتَّحْصِيلِ وَالرِّحْلَةِ وَالتَّقْيِيدِ.

التَّعْرِيفُ بِالمُصَنَّفِ:

هَذِهِ المَنْظُومَةُ مَنْظُومَةٌ رَائِيَّةٌ قَافِيَتُهَا حَرْفُ الرَّاءِ، وَهِيَ فِي عِلْمِ الاعْتِقَادِ، وَقَدْ تَقَدَّمَ آنِفًا أَنَّ تَقْيِيدَ المَتْنِ تَارَةً يَكُونُ مَنْثُورًا، وَتَارَةً يَكُونُ مَنْظُومًا.

---

(٢٥) أخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٤/ ٣٠٦/ ٤٢٧٨)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٧/ ٣٤٩)، الحاكم في «المستدرك» (٤/ ٣٦٠/ ٧٩٢١)، من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه، وحسنه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٨٣١).

وَكَثِيرٌ مِنْ طُلَّابِ العِلْمِ يَهُونُ عَلَيْهِمْ حِفظُ المَنْظُومِ أَكْثَرَ مِنَ المَنْثُورِ؛ لِأَنَّ أَلْفَاظَ النَّظْمِ مُتَوَالِيَةً، أَوْ بِمَعْنَى آخَرَ: يَسْهُلُ رُسُوخُها فِي الذِّهْنِ، وَبِخَاصَّةٍ إِذَا كَانَتِ القَافِيَةُ وَاحِدَةً، وَالنَّظْمُ مُتْقَنًا.

وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ لَا يَخْلُو فَنٌّ مِنْ فُنُونِ العِلْمِ إِلَّا وَفِيهِ مَنْظُومَةٌ، بَدْءًا بِالتَّفْسِيرِ وَالاعْتِقَادِ، حَتَّى الآدَابِ. فَهُنَاكَ مَنْظُومَاتٌ فِي القِرَاءَاتِ، وَهُنَاكَ مَنْظُومَاتٌ فِي الاعْتِقَادِ -سَيَأْتِي بَيَانُهَا، وَهُنَاكَ مَنْظُومَاتٌ فِي المُصْطَلَحِ، مِثْلُ: «أَلْفِيَّةُ الحَدِيثِ» لِلسُّيُوطِيِّ[٢٦] وَالعِرَاقِيِّ[٢٧]، وَهُنَاكَ مَنْظُومَاتٌ فِي الفِقْهِ وَفِي أُصُولِ الفِقْهِ، وَهُنَاكَ مَنْظُومَاتٌ فِي الآدَابِ؛ ذَلِكَ لِأَنَّ النَّظْمَ قَدْ يَكُونُ أَسْهَلَ فِي حِفْظِهِ وَتَوْثِيقِ العِلْمِ بِهِ.

وَأَمَّا جُهُودُ أَهْلِ العِلْمِ فِي المَنْظُومَاتِ العَقَدِيَّةِ فَكَثِيرَةٌ جِدًّا، فَتَارَةً يَنْظِمُ المُؤَلِّفُ بِنَفْسِهِ كَإِمَامِنَا ابْنِ طَاهِرٍ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى، وَتَارَةً يَنْظِمُ بَعْضُ أَهْلِ العِلْمِ مُصَنَّفَاتٍ عَقَدِيَّةً لِغَيْرِهِمْ.

فَمِنَ القِسْمِ الأَوَّلِ -أَيْ أَنَّ المُؤَلِّفَ يَنْظِمُ بِنَفْسِهِ: هَذِهِ المَنْظُومَةُ لِابْنِ طَاهِرٍ، وَمِنْ ذَلِكَ مَنْظُومَةٌ نَظَمَهَا الإِمَامُ العَلَمُ ابْنُ المُبَارَكِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى[٢٨] فِي الرَّدِّ عَلَى عِمْرَانَ بْنِ حِطَّانَ[٢٩] الَّذِي مَدَحَ قَاتِلَ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى

---

(٢٦) هو: عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن عمر بن خليل بن نصر بن الخضر بن الهمام، أبو الفضل جلال الدين السيوطي. ولد مستهل رجب سنة تسع وأربعين وثمان مئة. أصله من أسيوط، ونشأ بالقاهرة. كان عالما شافعيا مؤرخا أديبا، وكان أعلم أهل زمانه بعلم الحديث وفنونه والفقه واللغة. ومؤلفاته بلغت المئات؛ منها: همع الهوامع، الأشباه والنظائر في فروع الشافعية، والإتقان في علوم القرآن، وتدريب الراوي. مات سنة إحدى عشرة وتسع مئة. انظر: حسن المحاضرة له (١/ ٣٣٥ ترجمة ٧٧)، والبدر الطالع (ص: ٣٦٧ ترجمة ٢٢٩) ط: دار ابن كثير، وتحقيق/ محمد صبحي حلاق.

(٢٧) هو: الحافظ الكبير المتقن محدث الديار المصرية عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم الكردي الرازناني زين الدين أبو الفضل العراقي ثم المصري الشافعي. ولد سنة خمس وعشرين وسبع مئة. تولى قضاء طيبة ودرس في دار الحديث الكاملية والظاهرية وغير ذلك. كان وقورا، نزر الكلام، طارحا للتكلف، لطيف المزاح، سليم الصدر. وكان مع ذلك قويا في الحق، صادعا به، لا يخاف في الله لومة لائم. من مؤلفاته: «الألفية» في المصطلح، و«طرح التثريب». توفي ليلة الأربعاء ثامن شعبان سنة ست وثمان مئة، وله إحدى وثمانون سنة. انظر: إنباء الغمر (٢/ ٢٧٥ ترجمة ١٩)، والضوء اللامع (٤/ ١٧١ ترجمة ٤٥٢).

(٢٨) هو: عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي التميمي مولاهم، أبو عبد الرحمن المروزي. أحد الأئمة الأعلام وحفاظ الإسلام، أمير المؤمنين في الحديث. له تواليف؛ منها «الزهد». قال ابن حجر في التقريب: ثقة ثبت فقيه عالم جواد. ولد سنة ثمان عشرة ومئة، وتوفي سنة إحدى وثمانين ومئة. انظر: تهذيب الكمال (١٦/ ٥ ترجمة ٣٥٢٠)، وسير أعلام النبلاء (٨/ ٣٧٨ ترجمة ١١٢).

(٢٩) هو: عمران بن حطان بن ظبيان، السدوسي البصري، من أعيان العلماء، لكنه من رؤوس الخوارج. حدث عن عائشة، وأبي موسى الأشعري، وابن عباس. روى عنه: ابن سيرين، وقتادة، ويحيى بن أبي كثير. قال أبو داود: ليس في أهل الأهواء أصح حديثا من الخوارج. توفي

عَنْهُ. وَهُنَاكَ «المَنْظُومَةُ الحَائِيَّةُ» لِابْنِ أَبِي دَاوُدَ[٣٠]. وَهُنَاكَ «مَنْظُومَةُ الإِمَامِ الزَّنْجَانِيِّ[٣١]»، وَهُوَ مِنْ شُيُوخِ الإِمَامِ ابْنِ طَاهِرٍ -عَلَيْهِمَا رَحْمَةُ الله، وَهِيَ رَائِيَّةٌ قَافِيَتُهَا الرَّاءُ كَهَذِهِ.

وَهُنَاكَ مَنْظُومَةٌ فِي الاعْتِقَادِ لِأَبِي الحُسَيْنِ الكَرْخِيِّ الشَّافِعِيِّ. وَقُلْ مِثْلَ هَذَا فِي مَنْظُومَتِي شَيْخِ الإِسْلَامِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ: «التَّائِيَّةُ» فِي القَدَرِ، وَ«اللَّامِيَّةُ». وَهُنَاكَ مَنْظُومَةٌ لِأَبِي طَاهِرٍ السِّلَفِيِّ[٣٢]. وَمَنْظُومَةُ ابْنِ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى لَا تَخْفَى عَلَى أَحَدٍ، وَهِيَ المَنْظُومَةُ المَشْهُورَةُ المُسَمَّاةُ بِـ«النُّونِيَّةِ» أَوِ «الكَافِيَةِ الشَّافِيَةِ»، وَكَذَا مَنْظُومَتُهُ «المِيمِيَّةُ».

وَمِنَ المُتَأَخِّرِينَ بَعْدَ هَؤُلَاءِ: الإِمَامُ السَّفَارِينِيُّ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى[٣٣] فِي مَنْظُومَتِهِ «الدُّرَّةُ المُضِيَّةُ فِي عَقِيدَةِ الفِرْقَةِ المَرْضِيَّةِ». وَكَذَا الشَّيْخُ حَافِظُ الحَكَمِيُّ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى[٣٤] فِي مَنْظُومَتَيْنِ:

سنة أربع وثمانين. قال ابن حجر في التقريب: صدوق، إلا أنه كان على مذهب الخوارج، ويقال: رجع عن ذلك. انظر: تهذيب الكمال (٢٢/ ٣٢٢ ترجمة ٤٤٨٧)، وسير أعلام النبلاء (٤/ ٢١٤ ترجمة ٨٦).

(٣٠) هو: عبد الله بن سليمان بن الأشعث. الإمام العلامة الحافظ، شيخ بغداد، أبو بكر السجستاني، صاحب التصانيف. ولد بسجستان في سنة ثلاثين ومئتين. وسافر به أبوه وهو صبي، فكان يقول: رأيت جنازة إسحاق بن راهويه. كان من بحور العلم، بحيث إن بعضهم فضله على أبيه. من تصانيفه: «المصاحف» و«الناسخ والمنسوخ». توفي سنة ست عشرة وثلاث مئة. انظر: سير أعلام النبلاء (٣/ ٢٢١ ترجمة ١١٨)، وطبقات الحنابلة (٣/ ٩٦ ترجمة ٥٩٥).

(٣١) هو: الإمام، العلامة، الحافظ، القدوة، العابد، شيخ الحرم، أبو القاسم، سعد بن علي بن محمد بن علي بن الحسين، الزنجاني، الصوفي. ولد سنة ثمانين وثلاث مئة تقريبا. كان إمام كبيرا عارفا بالسنة. توفي سنة إحدى وسبعين وأربع مئة وله تسعون عاما. انظر: سير أعلام النبلاء (١٨/ ٣٨٥ ترجمة ١٨٩)، والنجوم الزاهرة (٥/ ١٠٨).

(٣٢) هو: الإمام العلامة المحدث المفتي، شيخ الإسلام شرف المعمرين، أبو طاهر أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم الأصبهاني الجرواني. ولد سنة خمس وسبعين، أو قبلها بسنة. جالس في الفقه إلكيا الهراسي، ويوسف بن علي الزنجاني، وأبا بكر الشاشي. وأخذ الأدب عن أبي زكريا يحيى بن علي التبريزي. ولم يتفق له لقي أبي حامد الغزالي؛ فإنه كان قد فارق بغداد. وحج وقدم الشام ثم ارتحل منها إلى خراسان. وكان مكبا على الكتابة والاشتغال والرواية، لا راحة له غالبا إلا في ذلك. وله تصانيف كثيرة، وكان يستحسن الشعر، وينظمه، ويثيب من يمدحه. وكان أوحد زمانه في علم الحديث وأعرفهم بقوانين الرواية والتحديث، جمع بين علو الإسناد وغلو الانتقاد، وبذلك كان ينفرد عن أبناء جنسه. اختلف في سنة وفاته على أقوال؛ انظرها في: سير أعلام النبلاء (٢١/ ٥ ترجمة ١)، وطبقات الشافعية الكبرى (٦/ ٣٢ ترجمة ٥٨٣).

(٣٣) هو: العلامة الشيخ محمد بن أحمد بن سالم السفاريني النابلسي الحنبلي. أبو العون، شمس الدين، محدث وفقيه أصولي، وُلِد بسفارين من قرى نابلس بفلسطين سنة أربع عشرة ومئة وألف، ونشأ بها، ثم رحل إلى دمشق. مات سنة ثمان وثمانين ومئة وألف. انظر: صفحات في ترجمة الإمام السفاريني للعجمي.

الأُولَى: «الجَوْهَرَةُ الفَرِيدَةُ فِي تَحْقِيقِ العَقِيدَةِ».

الثَّانِيَةُ: «سُلَّمُ الوُصُولِ إِلَى عِلْمِ الأُصُولِ فِي تَوْحِيدِ اللهِ وَاتِّبَاعِ الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ».

القِسْمُ الثَّانِي: أَيْ أَنَّ المُؤَلِّفَ يَنْظِمُ مُصَنَّفَاتٍ عَقَدِيَّةً لِغَيْرِهِ: فَهُمْ أُنَاسٌ نَظَمُوا مُتُونًا عَقَدِيَّةً لسَّابِقِينَ لَهُمْ. مِنْ هَؤُلَاءِ ابْنُ مُشْرِفٍ عَلَيْهِ رَحْمَةُ اللهِ[٣٥]، فَقَدْ نَظَمَ عَقِيدَةَ ابْنِ أَبِي زَيْدٍ القَيْرَوَانِيِّ[٣٦]. وَكَذَلِكَ ابْنُ عُدْوَانَ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى، فَقَدْ نَظَمَ «العَقِيدَةَ الوَاسِطِيَّةَ» لِشَيْخِ الإِسْلَامِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى وَكَذَلِكَ أَيْضًا: التُّرْكِسْتَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى[٣٧] فِي «نَظْمِ العَقِيدَةِ الطَّحَاوِيَّةِ».

---

(٣٤) هو: الشيخ العلامة حافظ بن أحمد بن علي الحكمي. ولد لأربع وعشرين ليلة خلت من شهر رمضان سنة اثنتين وأربعين وثلاث مئة وألف جنوب شرقي جازان. نشأ في كنف والديه نشأة صالحة. طلب العلم على يد الشيخ عبد الله القرعاوي. صنف منظومته «سلم الوصول» وهو دون العشرين، ولاقت استحسان شيخه والعلماء المعاصرين. كان عميق الفهم، سريع الحفظ. أجاد قول الشعر والنثر معا. وألف العديد من المؤلفات في شتى العلوم الإسلامية. توفي بعد أدائه الحج ببضعة أيام في السبت الثامن عشر من ذي الحجة سنة سبع وسبعين وثلاث مئة وألف، بمكة المكرمة، وهو في ريعان شبابه؛ إذ لم يتجاوز سنه السادسة والثلاثين. انظر: ترجمته بقلم ابنه الدكتور/ أحمد الحكمي، في مقدمة «معارج القبول» ط: دار ابن الجوزي.

(٣٥) هو: أحمد بن علي بن حسين بن مشرف الوهيبي التميمي. فقيه مالكي، كثير النظم، سلفي العقيدة، من أهل الأحساء بنجد. تعلم ودرس وتوفي بها. وتولى قضاءها مدة. له منظومات في التوحيد والرد على المعطلة، ومدائح، جمعت في مجلد باسم «ديوان ابن مشرف». توفي سنة خمس وثمانين ومئتين وألف. انظر: أعلام الزركلي (١/ ١٨٢).

(٣٦) هو: الإمام العلامة القدوة الفقيه، عالم أهل المغرب، أبو محمد، عبد الله بن أبي زيد، القيرواني المالكي، ويقال له: مالك الصغير. كان أحد من برز في العلم والعمل. قال القاضي عياض: حاز رئاسة الدين والدنيا، ورحل إليه من الأقطار ونجب أصحابه، وكثر الآخذون عنه، وهو الذي لخص المذهب، وملأ البلاد من تواليفه. تفقه بفقهاء القيروان. كان -رحمه الله- على طريقة السلف في الأصول، لا يدري الكلام، ولا يتأول. توفي سنة ست وثمانين وثلاث مئة. من أهم مصنفاته: «النوادر والزيادات». انظر: السير (١٧/ ١٠ ترجمة ٤)، والديباج المذهب (١/ ٤٢٧ ترجمة ١١).

(٣٧) هو: الشيخ محمود بن السيد نذير الطرازي التركستاني، المتوفى سنة إحدى عشرة وأربع مئة وألف. وسمى نظمه «النظم الحاوي لعقيدة الإمام الطحاوي» طبعته المؤسسة العربية للطباعة في جدة الطبعة الثانية سنة أربع وثمانين وثلاث مئة وألف، في واحد وثلاثين وسبع مئة بيت. انظر: الدليل إلى المتون العلمية للشيخ العلامة عبد العزيز القاسم، القاضي بالمحكمة الكبرى بالرياض.

وَكُتُبُ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بنِ عَبْدِ الوَهَّابِ أَيْضًا قَدْ حَظِيَتْ بِالنَّظْمِ؛ فَالمَدَنِيُّ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى[٣٨] نَظَمَ كِتَابَ «الأُصُولُ الثَّلَاثَةُ»، وَالأَنْصَارِيُّ[٣٩] نَظَمَ كِتَابَ «كَشْفُ الشُّبُهَاتِ».

وَبِكُلِّ حَالٍ، فَالنَّظْمُ كَثِيرٌ -كَمَا قُلْتُ لَكُمْ- فِي جَمِيعِ الفُنُونِ، وَلَا يَخْلُو فَنٌّ مِنَ الفُنُونِ إِلَّا وَلِلنَّظْمِ قَدَمٌ رَاسِخَةٌ فِي هَذَا العِلْمِ.

وَمَنْظُومَةُ ابْنِ طَاهِرٍ المَقْدِسِيِّ مَنْظُومَةٌ رَائِيَّةٌ عَلَى قَافِيَةِ الرَّاءِ، وَهِيَ فِي اعْتِقَادِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ، وَقَدْ وَقَفْتُ لَهَا عَلَى مَخْطُوطَيْنِ:

الأَوَّلُ: فِي الظَّاهِرِيَّةِ بِدِمَشْقَ.

الثَّانِي: فِي جَامِعَةِ الإِمَامِ.

وَهَذِهِ المَنْظُومَةُ شَرَحَهَا مُؤَلِّفُهَا الإِمَامُ ابْنُ طَاهِرٍ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى، وَإِذَا كَانَ الشَّارِحُ هُوَ النَّاظِمُ؛ فَإِنَّ هَذَا مِمَّا يَزِيدُ المَتْنَ قِيمَةً عِلْمِيَّةً؛ لِأَنَّ الشَّارِحَ أَدْرَى بِنَظْمِهِ وَبِقَصْدِهِ وَبِمُصْطَلَحَاتِهِ وَبِأَلْفَاظِهِ. فَالإِمَامُ ابْنُ طَاهِرٍ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى قَدَّمَ لَنَا خَيْرَيْنِ: النَّظْمَ، وَالشَّرْحَ. وَمِمَّا يَزِيدُ الشَّرْحَ قِيمَةً عِلْمِيَّةً أَنَّهُ يُرْوَى بِالإِسْنَادِ، وَهَذَا تَمَيُّزٌ فِي الكِتَابِ العِلْمِيِّ.

وَيَبْلُغُ عَدَدُ أَبْيَاتِ المَنْظُومَةِ فِي نُسْخَةِ دِمَشْقَ الظَّاهِرِيَّةِ وَاحِدًا وَتِسْعِينَ بَيْتًا، بَيْنَمَا فِي نُسْخَةِ جَامِعَةِ الإِمَامِ يَبْلُغُ أَرْبَعَةً وَثَمَانِينَ، فَالفَرْقُ بَيْنَ النُّسْخَتَيْنِ سَبْعَةُ أَبْيَاتٍ.

---

(٣٨) هو: العلامة الفقيه الأديب الشاعر الشيخ عمر بن إبراهيم بن عبد القادر ابن العلامة مفتي المدينة النبوية. ولد في المدينة النبوية عام تسعة وثلاث مئة وألف. تلقى العلم على كبار علماء المدينة منهم الشيخ حمدان الونيسي، والشيخ ملا سفر. كان سلفي العقيدة وكان يتمذهب بمذهب الإمام أبي حنيفة -رحمه الله-. من تلاميذه: الشيخ عمر فلاتة المدرس بالمسجد النبوي. من مؤلفاته: «سيف الحق على من لا يرى الحق»، و«تسهيل الحفظ والوصول نظم الثلاثة الأصول». توفي في العاشر من شوال عام ثمانية وسبعين وثلاث مئة وألف، عن تسعة وستين عاما، ودفن في البقيع. انظر: مقدمة مجد بن أحمد مكي على كتاب تسهيل الوصول إلى الثلاثة الأصول، ط: دار البشائر الإسلامية.

(٣٩) هو: الشيخ محمد الطيب بن إسحاق بن الزبير بن محمد الأنصاري الخزرجي المدني، مدرس، مالكي المذهب، سلفي العقيدة، يقال له: (التنبكتي)؛ نسبة إلى البلدة التي ولد فيها سنة ست وتسعين ومئتين وألف. نشأ يتيما فكفله خاله، وجماعة من أقاربه. ارتحل في طلب العلم إلى العديد من الأقاليم. وانتقل إلى المدينة سنة خمس وعشرين وثلاث مئة وألف، فدرس في المسجد النبوي إلى آخر حياته سنة ثلاث وستين وثلاث مئة وألف. انظر: أعلام الزركلي (٦/ ١٧٨).

وَالإِمَامُ ابْنُ طَاهِرٍ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى لَمْ يُسَمِّ هَذِهِ المَنْظُومَةَ -حَسَبَ مَا وَقَفْتُ عَلَيْهِ- وَلَمْ يُسَمِّ الشَّرْحَ، لَكِنَّ المُصَنِّفِينَ وَأَهْلَ التَّرَاجِمِ سَمَّوا هَذِهِ المَنْظُومَةَ مَعَ شَرْحِهَا: «الحُجَّةُ عَلَى تَارِكِ المَحَجَّةِ»، وَهَكَذَا جَاءَ عَلَى نُسْخَةِ جَامِعَةِ الإِمَامِ.

وَفِي النُّسْخَةِ الظَّاهِرِيَّةِ جَاءَتْ بِاسْمِ «شَرْحُ عَقِيدَةِ الإِمَامِ الحَافِظِ مُحَمَّدٍ المَقْدِسِيِّ»، وَالأَمْرُ يَسِيرٌ، لَكِنْ أُحِبُّ أَنْ أُنَبِّهَ إِلَى أَمْرَيْنِ فِي تَسْمِيَةِ الكُتُبِ:

الأَمْرُ الأَوَّلُ: أَنَّ هُنَاكَ مَنَ الكُتُبِ الاعْتِقَادِيَّةِ مَا يُقَارِبُ بَلْ يُطَابِقُ هَذَا الاسْمَ: «الحُجَّةُ عَلَى تَارِكِ المَحَجَّةِ»، فَيُوجَدُ كِتَابٌ فِي الاعْتِقَادِ بِهَذَا الاسْمِ لِلْإِمَامِ نَصْرِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ المَقْدِسِيِّ[٤٠]، وَنَصْرُ هَذَا شَيْخُ الإِمَامِ ابْنِ طَاهِرٍ عَلَيْهِمَا رَحْمَةُ اللهِ.

وَهُنَاكَ كِتَابٌ آخَرُ يُسَمَّى «الحُجَّةُ فِي بَيَانِ المَحَجَّةِ»، لِلْإِمَامِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الفَضْلِ التَّيْمِيِّ[٤١]، المَشْهُورِ بِقِوَامِ السُّنَّةِ، وَجَاءَ فِي بَعْضِ كُتُبِ التَّرَاجِمِ: التَّمِيمِيُّ، وَالصَّوَابُ أَنَّهُ: التَّيْمِيُّ الطَّلْحِيُّ القُرَشِيُّ.

الأَمْرُ الثَّانِي: أَنَّ تَسْمِيَةَ المُصَنَّفِ قَدْ تَكُونُ مِنَ الإِمَامِ نَفْسِهِ، فَيَنُصُّ عَلَى التَّسْمِيَةِ، وَقَدْ تَكُونُ مِنْ صَنِيعِ تَلَامِيذِهِ، وَقَدْ تَكُونُ مِمَّنْ جَاءَ بَعْدَهُ، وَأَحْيَانًا يُسَمِّي الإِمَامُ كِتَابَهُ بِاسْمَيْنِ، وَقَدْ يُسَمِّيهِ طَلَابُهُ أَوْ بَعْضُهُمْ بِأَسْمَاءٍ تَخْتَلِفُ عَنْ تَسْمِيَةِ إِمَامِهِمْ؛ وَيَتَّضِحُ هَذَا فِي كُتُبِ شَيْخِ الإِسْلَامِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى، فَتَجِدُ -مَثَلًا- فِي كِتَابِهِ: «شَرْحُ حَدِيثِ النُّزُولِ»، أَنَّ كَثِيرًا مِمَّنْ يَنْقُلُ عَنْهُ يُسَمُّونَ الكِتَابَ بِأَسْمَاءٍ مُخْتَلِفَةٍ، لَكِنَّهَا فِي المُؤَدَّى وَاحِدٌ، حَتَّى فِي بَعْضِ الكُتُبِ الَّتِي تَرْجَمَتْ لَهُ رَحِمَهُ اللهُ، يُذْكَرُ هَذَا الكِتَابُ بِأَكْثَرَ مِنَ اسْمٍ.

---

(٤٠) هو: الشيخ الإمام العلامة القدوة المحدث، مفيد الشام، شيخ الإسلام، أبو الفتح نصر بن إبراهيم بن نصر بن إبراهيم بن داود النابلسي المقدسي الفقيه الشافعي، صاحب التصانيف والأمالي. ولد قبل سنة عشر وأربع مئة، وارتحل إلى دمشق قبل الثلاثين. برع في المذهب. تفقه على الدارمي، وعلى الفقيه سليم وغيرهما، واستوطن بيت المقدس مدة طويلة، ثم تحول في أواخر عمره، وسكن دمشق عشر سنين، وتخرج به الأصحاب. لحقه أبو حامد الغزالي، وتفقه به، وناظره. من مؤلفاته: «الحجة على تارك المحجة». توفي في المحرم سنة تسعين وأربع مئة. انظر: سير أعلام النبلاء (١٩/ ١٣٦ ترجمة ٧٢)، وطبقات الشافعية الكبرى (٥/ ٣٥١ ترجمة ٥٥٣).

(٤١) هو: الإمام العلامة الحافظ، شيخ الإسلام، أبو القاسم، إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي بن أحمد بن طاهر القرشي التيمي، ثم الطلحي الأصبهاني الملقب بقوام السنة. مولده في سنة سبع وخمسين وأربع مئة. سمع بمكة، وجاور سنة، وأملى وصنف، وجرح وعدل، وكان من أئمة العربية أيضا، وفي تواليفه الأشياء الموضوعة كغيره من الحفاظ. من تواليفه: «الحجة في بيان المحجة». توفي سنة خمس وثلاثين وخمس مئة. انظر: سير أعلام النبلاء (٢٠/ ٨٠ ترجمة ٤٩)، والنجوم الزاهرة (٥/ ٢٦٧).

وَقَدْ يَنُصُّ الإِمَامُ نَفْسُهُ عَلَى اسْمَيْنِ؛ كَمَا فَعَلَ شَيْخُ الإِسْلَامِ فِي كِتَابِهِ فِي الرَّدِّ عَلَى الرَّازِيِّ[٤٢] «نَقْضُ التَّأْسِيسِ»، حَيْثُ سَمَّاهُ مَرَّةً بِاسْمٍ، وَمَرَّةً بِآخَرَ.

وَيَقُولُ الشَّيْخُ مُحِبُّ الدِّينِ الخَطِيبُ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى[٤٣] فِي كَلَامٍ سَدِيدٍ، أَظُنُّهُ فِي تَعْلِيقِهِ عَلَى كِتَابِ «المُنْتَقَى اخْتِصَارُ مِنْهَاجِ السُّنَّةِ» لِلذَّهَبِيِّ، يَقُولُ: إِنَّ شَيْخَ الإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى إِذَا كَتَبَ الجَوَابَ أَوْ كَتَبَ الرِّسَالَةَ أَخَذَهَا الطُّلَّابُ وَتَنَاقَلُوهَا، وَكُلٌّ يَنْسَخُهَا لِنَفْسِهِ، وَيُسَمِّيهَا بِاسْمٍ يَتَوَافَقَ مَعَ مَضْمُونِ الكِتَابِ.

وَمِنْ هُنَا نَشَأَ غَلَطٌ، وَهُوَ أَنَّ بَعْضَ النَّاسِ يَظُنُّ أَنَّ اخْتِلَافَ الاسْمِ يَدُلُّ عَلَى اخْتِلَافِ المُصَنَّفِ، فَقَدْ تَجِدُ أَحْيَانًا قَرَابَةَ عَشْرَةِ أَسْمَاءٍ لِمُصَنَّفٍ وَاحِدٍ، وَالسَّبَبُ -كَمَا قُلْتُ آنِفًا- اخْتِلَافُ الطُّلَّابُ أَوِ النُّسَّاخُ فِي تَسْمِيَةِ الكِتَابِ.

وَهَذِهِ المَنْظُومَةُ شَرَحَهَا مُؤَلِّفُهَا وَنَاظِمُهَا رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى، وَجَاءَ فِي المَخْطُوطِ تَقْسِيمُ الشَّرْحِ إِلَى سِتَّةِ أَجْزَاءٍ، وَالشَّرْحُ مُخْتَصَرٌ فِي أَلْفَاظِهِ لَكِنَّهُ عَظِيمٌ فِي مَعْنَاهُ، وَقَدْ جَمَعَ فِيهِ النُّصُوصَ القُرْآنِيَّةَ، أَوْ جَمَعَ نُصُوصًا قُرْآنِيَّةً وَأُخْرَى نَبَوِيَّةً سَاقَهَا بِأَسَانِيدِهَا، وَتَضَمَّنَ كَلَامُ المُؤَلِّفِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى تَقْرِيرًا لِمُعْتَقَدِ أَهْلِ السُّنَّةِ، وَتَأْكِيدًا لِمَا قَرَّرَهُ أَهْلُ العِلْمِ مِنْ خِلَالِ النُّصُوصِ، وَجَاءَ فِي كَلَامِهِ الرَّدُّ وَالنَّقْضُ لِلْمُخَالِفِينَ. وَتَضَمَّنَ كَلَامُهُ الدِّفَاعُ عَنِ المُعْتَقَدِ، وَعَنْ أَئِمَّةِ أَهْلِ السُّنَّةِ رَحِمَهُمُ اللهُ تَعَالَى.

---

(٤٢) هو: محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين، فخر الدين أبو عبد الله الرازي القرشي البكري، الأصولي المفسر كبير الأذكياء والحكماء والمصنفين. ولد سنة أربع وأربعين وخمس مئة. اشتغل على أبيه الإمام ضياء الدين خطيب الري، وانتشرت تواليفه في البلاد شرقا وغربا، وكان يتوقد ذكاء. من أهم مصنفاته: «مفاتيح الغيب»، و«المحصول». مات بهراة يوم عيد الفطر سنة ست وست مئة، وله بضع وستون سنة. انظر: سير أعلام النبلاء (٢١/ ٥٠٠ ترجمة ٢٦١)، وطبقات الشافعية الكبرى (٨/ ٨١ ترجمة ١٠٨٩).

(٤٣) هو: محب الدين ابن أبي الفتح محمد بن عبد القادر بن صالح الخطيب. يتصل نسبه بعبد القادر الجيلاني الحسني. من كبار الكتاب الإسلاميين. ولد في دمشق سنة ثلاث وثلاث مئة وألف، وتعلم بها والأستانة، وشارك في إنشاء جمعية بدمشق سميت «النهضة العربية»، ورحل إلى صنعاء فترجم عن التركية وعمل في بعض مدارسها. ولما أعلن الدستور العثماني؛ عاد إلى دمشق. ثم زار الأستانة، ومنها قصد القاهرة، فعمل في تحرير المؤيد. ولما جلا العثمانيون عن دمشق؛ عاد إليها، وتولى إدارة جريدة العاصمة. وفر بعد دخول الفرنسيين، فاستقر في القاهرة وعمل محررا في الأهرام، وأصدر مجلتيه «الزهراء» و«الفتح»، وكان من أوائل مؤسسي «جمعية الشبان المسلمين». وأنشأ المطبعة السلفية ومكتبتها، فأشرف على نشر عدد كبير من كتب التراث وغيرها. وضمت خزانة كتبه نحو عشرين ألف مجلد مطبوع، تغلب فيها النوادر. توفي سنة تسع وثمانين وثلاث مئة وألف. انظر: أعلام الزركلي (٥/ ٢٨٢)، ومقالة بعنوان «نفح الطيب في سيرة العلامة السلفي محب الدين الخطيب» لسليم الهلالي.

وَهَذَا الإِمَامُ عَلَيْهِ رَحْمَةُ الله أَخَذَ عَلَيْهِ بَعْضُ أَهْلِ العِلْمِ مَآخِذَ، وَقَلَّمَا يَسْلَمُ أَحَدٌ مِنَ المَآخِذِ، إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللهُ. وَمِنْ أَشْهَرِ هَذِهِ المَآخِذِ: مَسْأَلَةُ سَمَاعِ الصُّوفِيَّةِ، وَقَدْ رَدَّ عَلَيْهِ أَهْلُ العِلْمِ، وَبَعْضُهُمْ اعْتَذَرَ عَنْهُ، وَبَيَّنَ أَنَّ مُرَادَهُ لَيْسَ السَّمَاعَ المُنْكَرَ كَسَمَاعِ الصُّوفِيَّةِ. وَلَكِنَّهُ تَوَسَّعَ فِي الكَلَامِ عَنْ مَسْأَلَةِ السَّمَاعِ، حَتَّى قَارَبَ قَوْلَهُمْ، وَقَدْ رَدَّ عَلَيْهِ ابْنُ الجَوْزِيِّ[٤٤] فِي كِتَابِهِ «تَلْبِيسُ إِبْلِيسَ»، رَدًّا فِيهِ نَوْعٌ مِنَ الغِلْظَةِ -كَمَا يَقُولُ بَعْضُ أَهْلِ العِلْمِ.

وَكِتَابُ ابْنِ طَاهِرٍ «السَّمَاعُ» مَطْبُوعٌ فِي مُجَلَّدٍ، وَرُدَّ عَلَيْهِ أَيْضًا، وَذَكَرَهُ شَيْخُ الإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى فِي «مَجْمُوعِ الفَتَاوَى»، وَبَيَّنَ أَقْسَامَ السَّمَاعِ، وَمِنْهُ السَّمَاعُ المَحْمُودُ مِثْلُ: سَمَاعِ القُرْآنِ الكَرِيمِ، وَسَمَاعِ التِّلَاوَةِ، وَسَمَاعِ الأَحَادِيثِ. وَبَيَّنَ أَنَّ مِنَ السَّمَاعِ: القَصَائِدَ وَالنَّظْمَ الَّذِي كَانَ يَقُولُهُ الصَّحَابَةُ فِي مَحْضَرِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَكَذَلِكَ القَصَائِدُ الَّتِي قِيلَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ . وَبَيَّنَ أَنَّ مِنَ السَّمَاعِ مَا هُوَ مُنْكَرٌ، وَمِنْهُ: الوَجْدُ وَالرَّقْصُ وَالتَّمَايُلُ.

وَمِمَّا أُخِذَ عَلَيْهِ أَيْضًا: أَنَّهُ مِنَ المَلَامَتِيَّةِ، أَوِ المُلَامِيَّةِ (مِنَ اللَّوْمِ)، وَابْنُ طَاهِرٍ بَرِيءٌ مِنْ هَذِهِ الفِرْقَةِ كَبَرَاءَةِ الذِّئْبِ مِنْ دَمِ يُوسُفَ، وَالعَجِيبُ أَنَّهُ رَحِمَهُ اللهُ عَقَدَ فَصْلًا مُسْتَقِلًّا فِي كِتَابِهِ «صَفْوَةُ التَّصَوُّفِ» فِي الرَّدِّ وَإِبْطَالِ مُعْتَقَدِ هَذِهِ الفِرْقَةِ. فَهَذِهِ الفِرْقَةُ تَقُومُ بِأَعْمَالٍ مُنْكَرَةٌ فِي الظَّاهِرِ؛ فَيَأْتُونَ المُحَرَّمَاتِ... وَهُمْ يَفْعَلُونَ هَذَا مِنْ بَابِ التَّدَيُّنِ! وَيَقُولُونَ: نَحْنُ فِي بَوَاطِنِنَا لَا نُرِيدُ أَنْ يَطَّلِعَ النَّاسُ عَلَى صِدْقِنَا، وَعَلَى يَقِينِنَا، وَعَلَى صَفَاءِ نِيَّاتِنَا؛ فَنَعْمَلُ هَذِهِ الأَعْمَالَ مِنَ ارْتِكَابِ المَعَاصِي، وَالإِيغَالِ فِي أَوْحَالِهَا، مِنْ بَابِ أَنْ يَلُومَنَا النَّاسُ، فَلَوْمُ النَّاسِ لَنَا إِبْعَادٌ لَهُمْ عَنْ صَفَاءِ نِيَّتِنَا! وَهَذَا مِنْ تَزْيِينِ الشَّيْطَانِ لَهُمْ، قَالَ تَعَالَى: **{أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا}**[٤٥].

وَذَكَرَ ابْنُ طَاهِرٍ سِتَّةَ أَوْجُهٍ فِي إِبْطَالِ هَذَا الأَمْرِ، وَبَعْدَهُ شَيْخُ الإِسْلَامِ، وَذَكَرَ أَنَّ النَّبِيَّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كَانَ يُحَذِّرُ أَصْحَابَهُ مِنْ صَغَائِرِ الذُّنُوبِ، وَكَانَ الصَّحَابَةُ يَتَّقُونَهَا، وَيُنْكِرُونَ عَلَى فَاعِلِهَا، وَذَكَرَ ابْنُ طَاهِرٍ

(٤٤) هو: عبد الرحمن بن علي بن محمد. جمال الدين أبو الفرج ابن الجوزي الشيخ الإمام العلامة، الحافظ المفسر، شيخ الإسلام، مفخرة العراق، التيمي البكري البغدادي، الحنبلي، الواعظ، صاحب التصانيف. له مؤلفات جياد؛ منها: زاد المسير، وفنون الأفنان. ولد سنة تسع -أو عشر- وخمس مئة، وتوفي سنة سبع وتسعين وخمس مئة. انظر: سير أعلام النبلاء (٢١/ ٣٦٥ ترجمة ١٩٢)، والذيل على طبقات الحنابلة (٢/ ٤٥٨ ترجمة ٢٢٧).

(٤٥) سورة فاطر: ٨.

أَيْضًا حَدِيثَ: «**إِنَّ الحَلَالَ بَيِّنٌ، وَإِنَّ الحَرَامَ بَيِّنٌ**»(٤٦). وَالشَّارِعُ الحَكِيمُ لَمْ يُبَيِّنْ ذَا وَذَاكَ إِلَّا لِيُبْتَغَى هَذَا وَيُتَّقَى ذَاكَ. أَمَّا التَّلَوُّثُ بِأَوْحَالِ المَعَاصِي وَالرَّذِيلَةِ مِنْ بَابِ الزُّهْدِ أَوْ إِظْهَارِ الزُّهْدِ، فَهَذَا هُوَ الزُّهْدُ البِدْعِيُّ.

وَأُنَبِّهُ فِي هَذَا المَقَامِ وَعِنْدَ هَذِهِ النُّقْطَةِ، أَلَّا نَغْتَرَّ بِمَا نَقْرَأُ فِي كُتُبِ التَّرَاجِمِ، وَبِمَا يَنْقُلُهُ بَعْضُ الوُعَّاظِ وَالقُصَّاصِ، سِوَاءً فِي مَوَاعِظِهِمْ أَوْ فِيمَا نَقْرَأُ مِنَ الكُتُبِ الوَعْظِيَّةِ، مِنْ حِكَايَاتٍ لِحَالِ بَعْضِ النَّاسِ تَظْهَرُ فِي صُورَةِ التَّعَبُّدِ وَالزُّهْدِ، وَهِيَ بَاطِلَةٌ فِي أَصْلِهَا.

وَمِمَّنْ حَذَّرَ مِنْ ذَلِكَ وَأَبْطَلَهُ وَرَهَّبَ مِنْهُ نَبِيُّنَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالقَاعِدَةُ فِي هَذَا: أَنَّ الزُّهْدَ لَا يَكُونُ زُهْدًا شَرْعِيًّا إِلَّا إِذَا كَانَ مُوَافِقًا لِلْأَدِلَّةِ الشَّرْعِيَّةِ. وَالعُمْدَةُ فِي هَذَا حَدِيثُ النَّفَرِ الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ جَاؤُوا لِيَسْأَلُوا عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُمْ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمْ- مُجْتَهِدُونَ يُرِيدُونَ التَّعَبُّدَ، فَلَمَّا سَأَلُوا عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا، فَقَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَّا أَنَا فَأَصُومُ وَلَا أُفْطِرُ. وَقَالَ الآخَرُ: وَأَمَّا أَنَا فَأَقُومُ وَلَا أَنَامُ. وَقَالَ الآخَرُ: وَأَمَّا أَنَا فَلَا أَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ. وَقَالَ الآخَرُ -فِي لَفْظٍ آخَرَ: وَأَمَّا أَنَا فَلَا آكُلُ اللَّحْمَ.

فَلَمَّا بَلَغَ النَّبِيَّ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- خَبَرُهُمْ غَضِبَ، ثُمَّ تَكَلَّمَ وَأَكَّدَ كَلَامَهُ بِمُؤَكِّدَاتٍ، وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ النَّبِيَّ -عَلَيْهِ السَّلَامُ- إِذَا جَمَعَ النَّاسَ فَإِنَّهُ يَجْمَعُهُمْ لِأَمْرٍ مُهِمٍّ، وَالعَرَبُ إِذَا أَرَادَتْ أَنْ تُؤَكِّدَ أَوْ تُبَيِّنَ أَهَمِّيَّةَ الكَلَامِ أَوِ الشَّيْءِ فَإِنَّهَا تُؤَكِّدُ فِي كَلَامِهَا؛ وَلِهَذَا جَمَعَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- النَّاسَ، ثُمَّ قَالَ: «**أَمَا إِنِّي قَدْ بَلَغَنِي خَبَرُ النَّفَرِ الثَّلَاثَةِ، أَمَا وَاللهِ إِنِّي أَخْشَاكُمْ للهِ، وَإِنِّي أَتْقَاكُمْ**» -وَفِي لَفْظٍ: «**وَإِنِّي أَعْلَمُكُمْ- وَإِنِّي أَخْوَفُكُمْ للهِ ، أَمَا وَاللهِ إِنِّي لَأَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأَقُومُ وَأَنَامُ، وَآكُلُ اللَّحْمَ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ**». فَأَقْسَمَ النَّبِيُّ بِاللهِ، وَ«**إِنَّ**» لِلتَّأْكِيدِ، وَ«**أَخْشَاكُمْ**» أَفْعَلُ تَفْضِيلٍ. ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كَلِمَةً قَالَ عَنْهَا الشَّاطِبِيُّ(٤٧) فِي «الاعْتِصَامِ»: لَيْسَ هُنَاكَ فِي الزَّجْرِ أَبْلَغَ مِنْهَا. وَهِيَ: «**فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي**»(٤٨).

---

(٤٦) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان- باب فضل من استبرأ لدينه (٥٢)، ومسلم في كتاب المساقاة- باب أخذ الحلال وترك الشبهات (١٥٩٩)، من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما.

(٤٧) هو: أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي. الإمام الأصولي، اللغوي، النحوي البارع. ألف «الاعتصام»، و«الموافقات»، و«المقاصد الشافية». توفي سنة تسعين وسبع مئة. انظر: الأعلام للزركلي (١/ ٧٥) ط: دار العلم للملايين، ومقدمة الدكتور/ محمد أبو الأجفان لكتاب «الإفادات والإنشادات».

(٤٨) أخرجه البخاري في كتاب النكاح- باب الترغيب في النكاح (٥٠٦٣)، ومسلم في كتاب النكاح- باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه (١٤٠١)، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

إِذَنْ مَسْأَلَةُ الزُّهْدِ البِدْعِيِّ -كَمَا نَقْرَأُ فِي بَعْضِ كُتُبِ الوَعْظِ- بِأَنَّ فُلَانًا رَأَى امْرَأَةً وَوَقَعَتْ فِي نَفْسِهِ، أَوْ رَآهَا وَأَتْبَعَهَا نَظَرَهُ، ثُمَّ لَمَّا رَجَعَ إِلَى بَيْتِهِ نَدِمَ، وَعَضَّ أَصَابِعَ النَّدَمِ، وَأَخَذَ يَلُومُ نَفْسَهُ، حَتَّى فَقَأَ عَيْنَهُ وَأَخْرَجَهَا، وَقَالَ: الآنَ طَابَتْ نَفْسِي!

وَأَحْيَانًا تَسْمَعُ بَعْضَ النَّاسِ إِذَا قَرَأَ الخَبَرَ، قَالَ: مَا شَاءَ اللهُ! أَيْنَ نَحْنُ مِنْ هَؤُلَاءِ؟! أَقُولُ: احْمَدِ اللهَ أَنَّهُ عَفَاكَ مِنْ فِعْلِ هَؤُلَاءِ، فَأَنْتَ عَلَى خَيْرٍ وَهُمْ عَلَى شَرٍّ فِي فِعْلِهِمْ هَذَا.

فَالتَّوْبَةُ الشَّرْعِيَّةُ أَنْ تَسْتَغْفِرَ اللهَ، وَأَنْ تُقْلِعَ عَمَّا أَنْتَ عَلَيْهِ، وَأَنْ تَنْدَمَ عَلَى مَا فَعَلْتَ، وَأَنْ تَعْزِمَ عَلَى عَدَمِ العَوْدَةِ، وَإِنْ كَانَ لِلْآخَرِينَ حَقٌّ رَدَدْتَهُ لَهُمْ.

وَإِذَا قَرَأْتَ فِي كِتَابٍ أَنْ رَجُلًا أَخَذَ مَالَ يَتِيمٍ، ثُمَّ نَدِمَ وَأَرْجَعَهُ، مَاذَا فَعَلَ هَذَا؟ مَعَ أَنَّهُ تَابَ، وَأَقْلَعَ وَنَدِمَ، وَعَزَمَ عَلَى عَدَمِ العَوْدَةِ، وَصَاحَبَهُ بِالبُكَاءِ، وَرَدَّ المَالَ إِلَى أَصْحَابِهِ، إِلَّا أَنَّهُ وَضَعَ أَصَابِعَهُ فِي النَّارِ حَتَّى تَحَرَّقَتْ، وَقَالَ: الآنَ تُبْتُ تَوْبَةً نَصُوحًا! فَهَذَا مِسْكِينٌ مَخْذُولٌ، وَلَوْ عَلِمَ هَدْيَ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لَحَذِرَ وَحَذَّرَ مِنْ هَذَا.

إِذَنْ هَذِهِ التَّوْبَةُ، أَوْ هَذَا الزُّهْدُ البِدْعِيُّ مُخَالِفٌ لِهَدْيِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَلْ مُصَادِمٌ وَمُضَادٌّ لِهَدْيِهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

أَيْضًا مِمَّا ذُكِرَ فِي تَرْجَمَتِهِ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: مَسْأَلَةُ النَّظَرِ إِلَى المُرْدِ. هَكَذَا قِيلَ، وَقِيلَ: إِنَّهُ صَنَّفَ كِتَابًا. وَلَمْ أَقِفْ -حَسَبَ عِلْمِي- عَلَى هَذَا الكِتَابِ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنْ كَانَ قَالَ ذَلِكَ فَقَدْ أَخْطَأَ، أَوْ قَدْ كَانَ يَرَى هَذَا، ثُمَّ رَجَعَ وَاسْتَغْفَرَ وَأَنَابَ. وَهَذَا الظَّنُّ إِنْ كَانَ ذَلِكَ، خِلَافًا لِمُعْتَقَدِ المُتَصَوِّفَةِ الَّذِينَ يَرَوْنَ أَنَّ النَّظَرَ إِلَى المُرْدِ قُرْبَةٌ، وَأَنَّ النَّظَرَ إِلَى الصُّوَرِ الجَمِيلَةِ قُرْبَةٌ، بَلْ إِنَّ بَعْضَهُمْ -عِيَاذًا بِاللهِ- وَصَلَ بِهِ الحَالُ وَالضَّلَالُ وَالإِلْحَادُ إِلَى أَنْ قَالَ: إِنَّ اللهَ حَلَّ فِي أُولَئِكَ! تَعَالَى اللهُ عَمَّا يَقُولُ الظَّالِمُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا.

وَمِمَّا ذُكِرَ أَيْضًا عَنْهُ: كَثْرَةُ الخَطَأِ فِي مُصَنَّفَاتِهِ. وَكَمَا يَقُولُ أَهْلُ العِلْمِ: مَنْ كَثُرَ تَصْنِيفُهُ، فَإِنَّ كَثْرَةَ أَخْطَائِهِ وَارِدَةٌ فِي الغَالِبِ، لَكِنْ يُنْظَرُ إِلَى كَمْ صَنَّفَ؟ وَلِهَذَا قِيلَ لِأَحَدِ أَهْلِ العِلْمِ -لَا أَدْرِي هَلْ هُوَ أَبُو عُبَيْدٍ القَاسِمُ[٤٩] أَوْ

(٤٩) هو: أبو عبيد، القاسم بن سلام بن عبد الله. الإمام الحافظ المجتهد، الفقيه القاضي الأديب المشهور صاحب التصانيف المشهورة والعلوم المذكورة. ولد سنة سبع وخمسين ومئة. قال ابن حجر في التقريب: ثقة فاضل مصنف. ومات سنة أربع وعشرين ومئتين. له تواليف حسان؛ منها: «الإيمان»، و«الأمثال»، و«الأموال». انظر: تهذيب الكمال (٢٣/ ٣٥٤ ترجمة ٤٧٩٢)، والسير (١٠/ ٤٩٠ ترجمة ١٦٤).

غَيْرُهُ؟- لَمَّا قِيلَ لَهُ: إِنَّ فُلَانًا فِي كُتُبِهِ مِائَةُ خَطَأٍ. قَالَ: سُبْحَانَ الله! وَمَعْنَى كَلَامِهِ: أَنَّهُ أَلَّفَ عَشْرَةَ آلَافِ وَرَقَةٍ، فَلَوْ أَخْطَأَ فِي مِائَةٍ فَهِيَ قَلِيلَةٌ جِدًّا بِالتَّنَاسُبِ.

وَكَانَ هَذَا الإِمَامُ -عَلَيْهِ رَحْمَةُ الله- فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ يَطْلُبُ النُّصْحَ مِمَّنْ وَقَفَ عَلَى خَطَأٍ لَهُ، بَلْ إِنَّهُ كَانَ يَتَوَقَّفُ كَمَا هُوَ نَهْجُ عُلَمَاءِ السَّلَفِ -عَلَيْهِمْ رَحْمَةُ الله، فَإِنَّهُمْ كَانُوا يَتَوَرَّعُونَ عَنِ القَوْلِ بِلَا عِلْمٍ، بَلْ أَحْيَانًا يَطْلُبُونَ مِنَ السَّائِلِ إِنْ وَقَفَ عَلَى شَيْءٍ أَنْ يُفِيدَهُمْ، وَهَذَا فِي حَيَاتِهِمْ طَبْعًا.

وَهَذَا المَنْهَجُ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ دَيْدَنَ طُلَّابِ العِلْمِ، وَهُوَ عَدَمُ القَوْلِ بِلَا عِلْمٍ، وَوُجُوبُ التَّوَقُّفِ دِيَانَةً فِيمَا لَا نَعْلَمُ، وَأَنَا أَنْصَحُ نَفْسِي وَإِيَّاكُمْ جَمِيعًا أَنْ يَكُونَ هَذَا المَنْهَجُ دَائِمًا مُلَازِمًا لَنَا؛ لِأَنَّ بَعْضَ النَّاسِ قَدْ يُسْأَلُ أَمَامَ أَهْلِهِ أَوْ أَمَامَ عَشِيرَتِهِ، فَيَعِزُّ عَلَيْهِ أَنْ يَقُولَ: لَا أَدْرِي. وَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ قَوْلَهُ: لَا أَدْرِي، دِيَانَةً وَعِبَادَةً يُتَقَرَّبُ بِهَا إِلَى رَبِّهِ -عَزَّ وَجَلَّ.

فَهَذِهِ مَنْقَبَةٌ لِابْنِ طَاهِرٍ -رَحِمَهُ الله- كَسَائِرِ العُلَمَاءِ الَّذِينَ يَقِفُونَ عِنْدَمَا يُشْكَلُ عَلَيْهِمْ أَمْرٌ؛ لِأَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ خُطُورَةَ القَوْلِ بِلَا عِلْمٍ، حَتَّى قَالَ ابْنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ الله تَعَالَى فِي «إِعْلَامِ المُوَقِّعِينَ»: إِنَّ أَعْظَمَ الذُّنُوبِ القَوْلُ عَلَى الله بِلَا عِلْمٍ. وَقَالَ: وَالشِّرْكُ مُتَفَرِّعٌ عَنِ القَوْلِ عَلَى الله بِلَا عِلْمٍ؛ لِأَنَّ المُشْرِكَ فِي شِرْكِهِ قَالَ عَلَى الله بِلَا عِلْمٍ، وَفَعَلَ بِلَا عِلْمٍ؛ وَلِهَذَا قَالَ الله تَعَالَى: **{قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالبَغْيَ بِغَيْرِ الحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِالله مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى الله مَا لَا تَعْلَمُونَ}**[٥٠].

وَالنَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَتْقَى النَّاسِ لِرَبِّهِ، يَقُولُ البُخَارِيُّ فِي «الصَّحِيحِ»: بَابَ كَانَ لَا يَأْخُذُ بِرَأْيٍ وَلَا بِقِيَاسٍ إِذَا لَمْ يَعْلَمْ. وَلَمَّا سُئِلَ عَنِ الرُّوحِ سَكَتَ، فَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: لَمَّا سَأَلَتِ اليَهُودُ النَّبِيَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنِ الرُّوحِ سَكَتَ، حَتَّى أَنْزَلَ الله: **{وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ العِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا}**[٥١].

وَالصِّدِّيقُ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ وَعَلِيٌّ، وَالصَّحَابَةُ جَمِيعًا إِذَا قَرَأْتَ فِي تَرَاجِمِهِمْ تَجِدُ العَجَبَ. بَلْ إِنَّ المُصَنِّفِينَ فِي كُتُبِ طَلَبِ العِلْمِ عَقَدُوا فُصُولًا مُسْتَقِلَّةً عَنْ عَدَمِ القَوْلِ عَنِ الله تَعَالَى بِلَا عِلْمٍ، وَأَنَّ هَذَا مِنْ أَعْظَمِ المُوبِقَاتِ؛ لِأَنَّ القَوْلَ عَلَى النَّاسِ فِي دُنْيَاهُمْ بِلَا عِلْمٍ فِيهِ إِثْمٌ، فَتَتْلَفُ أَمْوَالُهُمْ، وَتُفْسِدُ عَلَيْهِمْ مَسَاكِنَهُمْ وَأَرْزَاقَهُمْ، فَكَيْفَ بِالإِفْسَادِ عَلَيْهِمْ فِي دِينِهِمْ وَعَقَائِدِهِمْ؟! لَا شَكَّ أَنَّ الأَمْرَ أَعْظَمُ، وَأَنَّ الأَمْرَ أَخْطَرُ.

---

(٥٠) سورة الأعراف: ٣٣.

(٥١) سورة الإسراء: ٨٥.

قَالُوا أَيْضًا عَنِ ابْنِ طَاهِرٍ رَحِمَهُ اللهُ: إِنَّهُ يَلْحَنُ فِي كَلَامِهِ. وَهَذَا أَمْرٌ لَا يَسْلَمُ مِنْهُ أَحَدٌ. وَقَدْ قَرَأْتُ فِي كِتَابِ: «تَثْقِيفُ اللِّسَانِ وتَلْقِيحُ الجِنَانِ»، لِابْنِ مَكِّي الصِّقِلِّيِّ[٥٢] -فِيمَا أَذْكُرُ- أَنَّهُ قَالَ: قَلَّمَا يَسْلَمُ أَحَدٌ مِنَ اللحْنِ، وَلَكِنَّ النَّاسَ يَتَمَايَزُونَ فِي الكِتَابَةِ.

فَقَلَّمَا يَسْلَمُ أَحَدٌ مِنَ اللحْنِ، لَكِنْ يَتَفَاوَتُ اللحْنُ، فَالإِنْسَانُ الْمُتَمَكِّنُ فِي النَّحْوِ قَلَّمَا يَلْحَنُ، وَيُعَدُّ لَحْنُهُ عَلَى الأَصَابِعِ، لَكِنْ مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ قِرَاءَةٌ، وَتَعْلِيمٌ لِلنَّحْوِ، يَكُونُ خَطَؤُهُ أَكْثَرَ. لَكِنِ اللَّحْنُ فِي حَقِّ الإِمَامِ الكَبِيرِ أَكْثَرُ مُؤَاخَذَةً، لَكِنْ لَا يَعِيبُ دِينَهُ، وَلَا يَقْدَحُ فِي عَدَالَتِهِ.

فَاللَّحْنُ يَقَعُ مِنَ الجَمِيعِ، فَأَنْتَ تَسْمَعُ الخَطِيبَ يَلْحَنُ عَلَى مِنْبَرِهِ، وَالإِمَامُ يَلْحَنُ فِي مِحْرَابِهِ فِي أَثْنَاءِ كَلَامِهِ مَعَ النَّاسِ، وَلَا يَسْلَمُ أَحَدٌ إِلَّا مَنْ رَّحِمَ اللهُ. وَهَذَا الأَمْرُ لَا يُعَابُ، وَلَا يَقْدَحُ فِي دِينِ الشَّخْصِ، وَلَكِنْ يُقَالُ: الأَوْلَى بِطُلَّابِ العِلْمِ أَنْ يُقِيمُوا أَلْسِنَتَهُمْ.

وَلَكِنِ الأَدْهَى أَنَّ بَعْضَ طُلَّابِ العِلْمِ يُضَمِّنُ كَلَامَهُ أَلْفَاظًا دَخِيلَةً أَعْجَمِيَّةً لَا دَاعِيَ لَهَا فِي الكَلَامِ. يَقُولُ الجَاحِظُ: مَا تَعَلَّمَ إِنْسَانٌ لُغَتَيْنِ إِلَّا أَدْخَلَتْ إِحْدَاهُمَا الضَّيْمَ عَلَى الأُخْرَى. هَذَا لِغَيْرِ الحَاجَةِ، وَلَكِنَّكَ تَسْمَعُ فِي بَعْضِ كَلَامِ طُلَّابِ العِلْمِ عِبَارَاتٍ أَعْجَمِيَّةً، أَوْ عِبَارَاتٍ مُوَلَّدَةً أَوْ دَخِيلَةً، وَلَوْ أَنَّهُ أَقَامَ لِسَانَهُ وَانْتَقَى أَلْفَاظَهُ لَكَانَ قُدْوَةً لِمَنْ يَسْمَعُهُ، وَتَأَثَّرَ بِهِ سَامِعُوهُ، وَهَذَا مُشَاهَدٌ.

وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَى رَسُولِ اللهِ، وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَنْ وَالَاهُ، وَالحَمْدُ للهِ الَّذِي بِنِعْمَتِهِ تَتِمُّ الصَّالِحَاتُ.

(٥٢) هو: عمر بن خلف بن مكي الصقلي الإمام اللغوي المحدث. من تصانيفه «تثقيف اللسان»، وهو دال على غزارة علمه، وكثرة حفظه. ولي قضاء تونس وخطابتها، فكان يخطب الخطبة البديعة من إنشائه. توفي سنة إحدى وخمس مئة. انظر: بغية الوعاة (٢/ ١٢١ ترجمة ١٨٣٤)، وأعلام الزركلي (٥/ ٤٦).

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَى رَسُولِ اللهِ.

أَمَّا بَعْدُ:

تَقَدَّمَ الكَلَامُ عَنْ عِلْمِ الاعْتِقَادِ وَالتَّصْنِيفِ وَمَنَاهِجِ المُؤَلِّفِينَ فِي تَصْنِيفِهِ، وَتَقَدَّمَ أَيْضًا شَيْءٌ عَنِ المُصَنِّفِ وَعَنِ المُصَنَّفِ، أَيْ عَنْ صَاحِبِ القَصِيدَةِ المَنْظُومَةِ الَّتِي بَيْنَ أَيْدِينَا جَمِيعًا، وَعَنِ المُؤَلِّفِ نَاظِمِهَا الإِمَامِ ابْنِ طَاهِرٍ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى.

وَنَبْدَأُ الآنَ سَوِيًّا فِي سَمَاعِ بَعْضِ أَبْيَاتِ المَنْظُومَةِ، وَالتَّعْلِيقِ بِمَا يُيَسِّرُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ وَيَفْتَحُ.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِشَيْخِنَا وَلَنَا وَلِوَالِدِينَا وَلِلمُسْلِمِينَ.

دَائِمًا قَبْلَ البَدْءِ فِي قِرَاءَةِ المُتُونِ يُسْتَحْسَنُ التَّرَحُّمُ عَلَى المُؤَلِّفِينَ وَالمُصَنِّفِينَ؛ لِأَنَّ هَذَا مِنْ رَدِّ الجَمِيلِ، أَوْ مِنْ رَدِّ بَعْضِ الجَمِيلِ لَهُمْ، فَهُمْ قَدَّمُوا لَنَا خَيْرًا كَثِيرًا، وَأَفْنَوا أَعْمَارَهُمْ وَأَوقَاتَهُمْ، وَسَهَرُوا اللَيَالِيَ فِي سَبِيلِ تَدْوِينِ العِلْمِ وَتَوْثِيقِهِ، فَجَزَاؤُهُمْ أَنْ نَدْعُوَ اللهَ لَهُمْ، وَأَنْ نَتَرَحَّمَ عَلَيْهِمْ، وَهَذَا مِنْ بَابِ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ صَنَعَ لَكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِئُوهُ، فَادْعُوا لَهُ حَتَّى تَرَوا أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ**»(٥٣).

وَقَدْ ذَكَرَ بَعْضُ أَهْلِ العِلْمِ أَنَّ بَعْضَ الشُّرَّاحِ كَانَ يَتَرَحَّمُ عَلَى جَمِيعِ رِجَالِ الإِسْنَادِ، فَإِذَا قَرَأَ الإِسْنَادَ تَرَحَّمَ عَلَيْهِمْ وَاحِدًا وَاحِدًا، وَهَذَا فِيهِ مَشَقَّةٌ، لَكِنِ الشَّاهِدُ الحِرْصُ عَلَى الدُّعَاءِ لَهُمْ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ مِنْ بَعْضِ حَقِّهِمْ فِي رَدِّ جَمِيلِهِمْ.

قَالَ الحَافِظُ مُحَمَّدُ بْنُ طَاهِرٍ رَحِمَهُ اللهُ فِي مَنْظُومَتِهِ المُسَمَّاةِ بِـ «الحُجَّةِ عَلَى تَارِكِ المَحَجَّةِ»:

(بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

(أَقُولُ مَقَالًا يَرْتَضِيهِ ذَوُو البَصَرْ * وَأَنْصُرُهُ بِالآيِ حَسْبُ وَبِالأَثَرْ)**

يَقُولُ هَنَا: (**أَقُولُ مَقَالًا**). فِي هَذَا البَيْتِ مَسَائِلُ كَثِيرَةٌ، مِنْهَا: أَنَّ المَقَالَاتِ تَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ قَائِلِهَا وَبِاخْتِلَافِ الحَاكِمِ عَلَيْهَا وَبِاخْتِلَافِ مَضْمُونِهَا، وَهُوَ هُنَا رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى قَيَّدَ قَوْلَهُ بِأَمْرَيْنِ اثْنَيْنِ:

الأَوَّلُ: أَنَّ قَوْلَهُ الَّذِي سَيَقُولُهُ: (**يَرْتَضِيهِ ذَوُو البَصَرْ**)، أَيْ: يَرْتَضِيهِ وَيُقِرُّهُ وَيَقْبَلُهُ ذَوُو البَصَرِ. وَالمُرَادُ: ذَوِي البَصِيرَةِ، لَكِنِ النَّظْمُ اقْتَضَى أَنْ يَقُولَ: (**ذَوُو البَصَرْ**). لِأَنَّ أَصْحَابَ البَصِيرَةِ هُمْ أَهْلُ الحَقِّ، وَإِلَّا فَأَصْحَابُ البَصَرِ

---

(٥٣) أخرجه أبو داود في كتاب الزكاة- باب عطية من سأل بالله (١٦٧٢)، والنسائي في كتاب الزكاة- باب من سأل بالله عز وجل (٢٥٦٧)، من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٠٢١).

فِيهِمُ الضَّالُّ وَالْمُنَافِقُ وَصَاحِبُ الهَوَى، وَفِيهِمُ التَّقِيُّ... أَمَّا أَصْحَابُ البَصِيرَةِ فَيَخْتَلِفُونَ؛ وَلِهَذَا قَالَ ابْنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى لَمَّا تَكَلَّمَ عَنِ النَّظَرِ، قَالَ: النَّظَرُ نَظَرَانِ؛ نَظَرٌ بِالبَصَرِ، وَنَظَرٌ بِالبَصِيرَةِ. أَمَّا النَّظَرُ بِالبَصَرِ فَيَشْتَرِكُ فِيهِ الإِنْسَانُ مِنْ كَافِرٍ وَمُؤْمِنٍ، وَكَذَلِكَ الحَيَوَانُ، أَمَّا النَّظَرُ بِالبَصِيرَةِ فَيَخْتَصُّ بِهِ أَهْلُ العِلْمِ وَالدِّيَانَةِ وَالإِيمَانِ.

الثَّانِي: أَنَّهُ سَيَنْصُرُ قَوْلَهُ (**بِالآيِ**)، أَيْ: بِآيَاتِ القُرْآنِ الكَرِيمِ، (**وَبِالأَثَرْ**) عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَهَذَا يُذَكِّرُنَا بِقَوْلِ القَائِلِ:

وَمَا كُلُّ قَوْلٍ بِالقَبُولِ مُقَابِلٌ * وَمَا كُلُّ قَوْلٍ وَاجِبُ الرَّدِّ وَالطَّرْدِ

سِوَى مَا أَتَى عَنْ رَبِّنَا وَرَسُولِهِ * فَذَاكَ قَوْلٌ جَلَّ يَا ذَا عَنِ الرَّدِّ

فَلَسْنَا مُلْزَمِينَ بِأَنْ نَقْبَلَ كُلَّ قَوْلٍ، وَأَيْضًا لَا نُسَارِعُ فِي رَدِّ كُلِّ قَوْلٍ، وَقَوْلُ الشَّاعِرِ: «سِوَى» اسْتِثْنَاءٌ.

فَالإِمَامُ ابْنُ طَاهِرٍ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى ذَكَرَ تِلْكَ الخَاصِّيَتَيْنِ؛ وَهُمَا: أَنَّ مَقُولَتَهُ الَّتِي سَيَقُولُهَا يَرْتَضِيهَا ذَوُو البَصَرِ؛ وَهُمْ أَهْلُ البَصِيرَةِ وَالعِلْمِ؛ لِأَنَّهُ رَحِمَهُ اللهُ نَصَرَهَا وَدَعَّمَهَا وَأَيَّدَهَا بِالآيَاتِ القُرْآنِيَّةِ، وَبِمَا جَاءَ فِي الأَثَرِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(لِأَنَّهُمَا نُورُ الهُدَى وَسِوَاهُمَا * ظَلَامٌ بِلَا شَكٍّ لِمَنْ مَاتَ وَادَّكَرْ)**

(**هُمَا**) أَيْ: الكِتَابُ وَالسُّنَّةُ، وَهُمَا نُورٌ حِسِّيٌّ وَمَعْنَوِيٌّ، وَسَمَّى اللهُ الوَحْيَ نُورًا، فَقَالَ تَعَالَى: {**فَآمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا**}[٥٤]. وَقَالَ: {**هُدىً وَنُورٌ**}[٥٥]. وَقَالَ: {**وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا**}[٥٦]. وَمِنْ أَسْمَاءِ القُرْآنِ الكَرِيمِ الهُدَى، وَمِنْ أَسْمَائِهِ النُّورُ. وَالسُّنَّةُ قَرِينَةُ القُرْآنِ الكَرِيمِ، وَهِيَ وَحْيٌ مِنَ اللهِ تَعَالَى وَهِيَ المَصْدَرُ الثَّانِي لِلتَّشْرِيعِ، فَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ القُرْآنَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ**»[٥٧].

---

(٥٤) سورة التغابن: ٨.

(٥٥) سورة المائدة: ٤٤.

(٥٦) سورة النساء: ١٧٤.

(٥٧) أخرجه أحمد في «مسنده» (٤/ ١٣٠، ١٣٢)، وأبو داود في كتاب السنة- باب في لزوم السنة (٤٦٠٤)، والترمذي في كتاب العلم- باب ما نهي عنه أن يقال عند حديث النبي صلى الله عليه وسلم (٢٦٦٤)، وابن ماجه في كتاب المقدمة- باب تعظيم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم والتغليظ على من عارضه (١٢)، والدارمي في كتاب المقدمة- باب السنة قاضية على كتاب الله (٥٨٦)، من حديث المقدام بن معدي كرب رضي الله عنه، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٦٤٣).

وَفِي البَيْتِ السَّابِقِ قَالَ ابْنُ طَاهِرٍ رَحِمَهُ اللهُ: (**وَأَنْصُرُهُ بِالآيِ حَسْبُ وَبِالأَثَرْ**). وَفِيهِ مَسْأَلَةٌ أُخْرَى وَهِيَ: أَنَّ بَعْضَ النَّاسِ يَنْصُرُ أَقْوَالَهُ بِالاسْتِحْسَانَاتِ العَقْلِيَّةِ، وَبَعْضُهُمْ يَنْصُرُ قَوْلَهُ بِالمَرَائِي المَنَامِيَّةِ وَأَضْغَاثِ الأَحْلَامِ، وَبَعْضُهُمْ يَنْصُرُ قَوْلَهُ بِالخَوَاطِرِ النَّفْسِيَّةِ، وَبَعْضُهُمْ يَنْصُرُ قَوْلَهُ بِتَقْلِيدِ النَّاسِ بُدُونِ دِرَايَةٍ وَلَا رِوَايَةٍ.

وَلَا شَكَّ أَنَّ هَذَا ظَلَامٌ عَلَى صَاحِبِهِ، وَأَنَّ صَاحِبَهُ يَسْلُكُ نَفَقًا مُظْلِمًا، أَمَّا مَنْ جَعَلَ الكِتَابَ وَالسُّنَّةَ مَنْهَجَهُ وَدَيْدَنَهُ فَلَا شَكَّ أَنَّهُمَا نُورٌ؛ نُورٌ فِي الدُّنْيَا، وَنُورٌ فِي القَبْرِ، وَنُورٌ فِي الآخِرَةِ.

ثُمَّ قَالَ: بِأَنَّ مَا سِوَى القُرْآنِ وَالسُّنَّةِ ظَلَامٌ، بِلَا شَكٍّ بِلَا تَرَدُّدٍ، بَلْ هُمَا بِاليَقِينِ وَالقَطْعِ أَنَّ خِلَافَ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ ظَلَامٌ (**لِمَنْ مَاتَ وَادَّكَرْ**). وَالمَخْطُوطَةُ قَدْ تُقْرَأُ (**مَاتَ**) بِالتَّاءِ المُثَنَّاةِ، وَقَدْ تُقْرَأُ: (**مَانَ**)، وَبِالقَوْلَيْنِ يَصِحُّ المَعْنَى، فَفِي لُغَةِ العَرَبِ إِذَا قِيلَ: مَاتَ الرَّجُلُ، أَيْ: خَضَعَ لِلْحَقِّ. ذَكَرَ هَذَا صَاحِبُ «اللِّسَانِ». وَقِيلَ: المُسْتَمِيتُ: الخَاشِعُ وَالمُتَوَاضِعُ. وَبَعْضُهُمْ يَقُولُ: مَاتَ الرَّجُلُ إِذَا خَضَعَ لِلْحَقِّ وَاسْتَكَانَ وَتَوَاضَعَ. وَإِذَا قُلْتَ بِلَفْظِ النُّونِ: مَانَ الرَّجُلُ، يُقَالُ: مَانَ الرَّجُلُ أَهْلَهُ، أَيْ: كَفَاهُمْ، فَيَكُونُ مَعْنَى الشَّطْرِ: ظَلَامٌ بِلَا شَكٍّ لِمَنْ خَضَعَ لِلْحَقِّ، وَاسْتَكَانَ لَهُ وَاكْتَفَى بِهِ وَادَّكَرَ.

وَقَوْلُهُ: (**وَادَّكَرْ**) أَصْلُهُ اذْتَكَرَ، بِالأَلِفِ ثُمَّ الذَّالِ ثُمَّ التَّاءِ، وَكَأَنَّهُمُ اسْتَثْقَلُوا مَجِيءَ التَّاءِ بَعْدَ الذَّالِ، فَقَلَبُوا التَّاءَ دَالًا؛ فَأَصْبَحَتِ اذْدَكَرَ، ثُمَّ أَدْغَمُوا الذَّالَ فِي الدَّالِ فَأَصْبَحَتِ ادَّكَرَ. وَتَعْنِي: تَذَكَّرَ. وَنَسْتَفِيدُ مِنْ هَذَا البَيْتِ أَنَّ المَوعِظَةَ لَا تَنْفَعُ صَاحِبَهَا إِلَّا إِذَا تَذَكَّرَ وَخَضَعَ وَأَنَابَ لَهُ، وَهَذَا مِصْدَاقُ قَوْلِ اللهِ جَلَّ وَعَلَا: {**فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَى**}[٥٨].

فَابْنُ طَاهِرٍ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى يُرِيدُ أَنْ يَقُولَ وَالكَلَامُ أَوْضَحُ مِنْ أَنْ يُشْرَحَ إِنَّ الكِتَابَ وَالسُّنَّةَ هُمَا النُّورُ لِمَنْ سَلَكَ سَبِيلَهُمَا وَاقْتَفَى أَثَرَ نُصُوصِهِمَا، وَأَمَّا مَا سِوَاهُمَا فَهُوَ ظَلَامٌ عَلَى صَاحِبِهِ. أَيْضًا كَمَا قِيلَ: إِنَّهُمَا نُورٌ فِي الدُّنْيَا وَالقَبْرِ وَالآخِرَةِ، كَذَلِكَ ظَلَامٌ مُطْلَقٌ فِي دُنْيَاهُ وَقَبْرِهِ وَآخِرَتِهِ، أَمَّا مَنْ تَوَاضَعَ لِلْحَقِّ وَتَذَكَّرَ وَادَّكَرَ، فَلَا شَكَّ أَنَّ العَاقِبَةَ لَهُ.

وَالآيَاتِ فِي هَذَا البَابِ كَثِيرَةٌ، وَفِيهَا الأَمْرُ بِطَاعَةِ اللهِ، وَطَاعَةِ رَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ تَعَالَى: {**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ**}[٥٩]. وَقَالَ: {**فَلَا**

(٥٨) سورة الأعلى: ٩، ١٠.

(٥٩) سورة النساء: ٥٩.

وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ}[٦٠]. وَقَالَ: {وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا}[٦١]. وَقَالَ: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ}[٦٢].

وَذَكَرَ الإِمَامُ أَحْمَدُ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى أَنَّ طَاعَةَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَاءَتْ فِي القُرْآنِ فِي أَكْثَرَ مِنْ تِسْعِينَ مَوْضِعًا، وَالمَعْلُومُ أَنَّ طَاعَةَ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ دَاخِلَةٌ فِي طَاعَةِ اللهِ، وَأَمَّا مِنَ السُّنَّةِ فَقَدْ جَاءَتْ نُصُوصٌ كَثِيرَةٌ، مِنْهَا قَوْلُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «تَرَكْتُ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا؛ كِتَابَ اللهِ وَسُنَّتِي، وَلَنْ يَفْتَرِقَا». وَفِي لَفْظٍ: «وَلَنْ يَتَفَرَّقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الحَوْضَ»[٦٣].

(تَحَقَّقْتُ أَنَّ اللهَ لَا رَبَّ غَيْرُهُ * بِصَنْعَتِهِ الأَفْلَاكَ سَبْعًا وَبِالفِكَرْ)**

(تَحَقَّقْتُ أَنَّ اللهَ لَا رَبَّ غَيْرُهُ)، أَيْ: أَيْقَنْتُ وَصَدَّقْتُ وَقَطَعْتُ، **(أَنَّ اللهَ)** عَزَّ وَجَلَّ **(لَا رَبَّ غَيْرُهُ)**، فَلَيْسَ هُنَاكَ فِي الوُجُودِ رَبٌّ إِلَّا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَلَيْسَ هُنَاكَ آلِهَةٌ تُعْبَدُ بِحَقٍّ إِلَّا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فَلَا رَبَّ غَيْرُهُ. وَادَّعَى مُدَّعُونَ أَنَّ هُنَاكَ أَرْبَابًا وَأَنْكَرُوا وُجُودَ الرَّبِّ الحَقِيقِيِّ، وَهُمْ يَعْلَمُونَ بِفِطْرَتِهِمْ وَفِي أَنْفُسِهِمْ أَنَّ لِهَذَا الكَوْنِ رَبًّا، وَلَكِنَّ الهَوَى يُعْمِي وَيُصِمُّ. وَهُنَا رَحِمَهُ اللهُ أَجَادَ التَّعْبِيرَ بِقَوْلِهِ: **(تَحَقَّقْتُ)** أَيْ: تَيَقَّنْتُ وَصَدَّقْتُ، **(بِأَنَّ اللهَ لَا رَبَّ غَيْرُهُ، بِصَنْعَتِهِ الأَفْلَاكَ سَبْعًا وبِالفِكَرْ)**. فَاللهُ جَلَّ وَعَلَا صَنَعَ كُلَّ شَيْءٍ، قَالَ تَعَالَى: {صُنْعَ اللهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ}[٦٤].

وَعَنِ الأَفْلَاكِ قَالَ شَيْخُ الإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: بِأَنَّ بَعْضَهُمْ قَالَ: إِنَّ الأَفْلَاكَ السَّبْعَةَ هِيَ السَّمَوَاتُ، وَاحْتَجُّوا بِقَوْلِهِ تَعَالَى: {أَلَمْ تَرَوا كَيْفَ خَلَقَ اللهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا * وَجَعَلَ القَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا}[٦٥]. فَهُنَا أَثْبَتَ أَنَّ الشَّمْسَ وَالقَمَرَ فِي السَّمَوَاتِ، وَفِي الآيَةِ الأُخْرَى قَالَ تَعَالَى: {وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ}[٦٦]. فَهَذَا قَدْ يُسَمِّيهِ بَعْضُهُمْ: «تَفْسِيرُ القُرْآنِ بِالقُرْآنِ»، وَأَنَّ السَّمَوَاتِ

---

(٦٠) سورة النساء: ٦٥.

(٦١) سورة النور: ٥٤.

(٦٢) سورة الأحزاب: ٢١.

(٦٣) أخرجه الحاكم في «المستدرك على الصحيحين» (١/ ١٧٢/ ٣١٩)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٩٣٧).

(٦٤) سورة النمل: ٨٨.

(٦٥) سورة نوح: ١٥، ١٦.

(٦٦) سورة الأنبياء: ٣٣.

تُسَمَّى أَفَلَاكًا، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ الأَفْلَاكَ تَخْتَلِفُ عَنِ السَّمَوَاتِ. وَلَا أَذْكُرُ دَلِيلًا لِهَؤُلَاءِ عَلَى حَسَبِ عِلْمِي القَاصِر، لَكِنْ كَأَنَّنِي رَأَيْتُ شَيْخَ الإِسْلَامِ مِنْ خِلَالِ كَلَامِهِ يَنْصُرُ القَوْلَ الأَوَّلَ؛ بِأَنَّ السَّمَوَاتِ هِيَ الأَفْلَاكُ، وَالعِلْمُ عِنْدَ اللهِ تَعَالَى.

يَقُولُ: (**بِصَنْعَتِهِ الأَفْلَاكَ سَبْعًا وَبِالفِكَرْ**). أَيْ: بِالتَّفَكُّرِ؛ وَلِهَذَا جَاءَتِ الآيَاتُ بِالأَمْرِ بِالتَّبَصُّرِ وَالتَّفَكُّرِ وَالنَّظَرِ، قَالَ تَعَالَى: **{قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الخَلْقَ}**[٦٧]. وَقَالَ: **{وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ}**[٦٨]. وَقَالَ: **{أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ * وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ * وَإِلَى الجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ * وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ}**[٦٩].

وَفِي هَذِهِ الآيَةِ ذَكَرَ بَعْضُ المُفَسِّرِينَ أَنَّ اللهَ خَصَّ هَذِهِ الأَرْبَعَ؛ لِأَنَّ الرَّجُلَ إِذَا خَرَجَ رَاكِبًا رَاحِلَتَهُ، فَإِنَّ الأَرْضَ تَكُونُ تَحْتَهُ، وَالسَّمَاءَ فَوْقَهُ، وَالجِبَالَ عَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ وَهُوَ فَوْقَ رَاحِلَتِهِ، فَيَتَفَكَّرُ فِيمَا فَوْقَهُ وَمَا تَحْتَهُ وَمَا يَرْكَبُ عَلَيْهِ، وَفِيمَا عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ. وَقَدْ جَاءَ فِي غَيْرِ حَدِيثٍ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**تَفَكَّرُوا فِي آلَاءِ اللهِ، وَلَا تَتَفَكَّرُوا فِي اللهِ**»[٧٠]. وَالآلَاءُ هِيَ: العَلَامَاتُ وَالدَّلَائِلُ. قَالَ تَعَالَى: **{فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَى}**[٧١]. وَقَالَ: **{فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ}**[٧٢]. وَكُلَّمَا أَمْعَنَ الإِنْسَانُ التَّفَكُّرَ فِي مَخْلُوقَاتِ اللهِ تَعَالَى زَادَ يَقِينُهُ بِعَظِيمِ شَأْنِ اللهِ تَعَالَى.

(**سَمِيعٌ بَصِيرٌ قَادِرٌ مُتَكَلِّمٌ *** مُرِيدٌ بِمَا يَأْتِي عَلِيمٌ بِمَا يَذَرْ**)

ذَكَرَ بَعْضَ الأَسْمَاءِ للهِ تَعَالَى (**سَمِيعٌ بَصِيرٌ قَادِرٌ**)، وَأَمَّا المُتَكَلِّمُ وَالمُرِيدُ فَلَيْسَا مِنْ أَسْمَاءِ اللهِ تَعَالَى، وَلَكِنْ تُذْكَرُ مِنْ بَابِ الإِخْبَارِ، قَالَ تَعَالَى: **{وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيمًا}**[٧٣]. وَقَالَ: **{فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ}**[٧٤]. لَكِنَّهَا لَيْسَتْ مِنْ أَسْمَاءِ اللهِ

---

(٦٧) سورة العنكبوت: ٢٠.

(٦٨) سورة الذاريات: ٢١.

(٦٩) سورة الغاشية: ١٧ - ٢٠.

(٧٠) أخرجه ابن عدي في «الكامل في الضعفاء» (٧/ ٩٥)، وأبو الشيخ الأصبهاني في «العظمة» (١)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٢٠)، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٩٧٥).

(٧١) سورة النجم: ٥٥.

(٧٢) سورة الرحمن: ١٣.

(٧٣) سورة النساء: ١٦٤.

(٧٤) سورة البروج: ١٦.

الحُسْنَى الَّتِي يُدْعَى اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهَا، وَهَذَا البَيْتُ فِيهِ إِشْكَالٌ؛ لِأَنَّ تِلْكَ الصِّفَاتِ السَّبْعَ الَّتِي سَاقَهَا هِيَ الَّتِي يُثْبِتُهَا الأَشَاعِرَةُ وَيُسَمُّونَهَا صِفَاتَ المَعَانِي، وَإِثْبَاتُهُمْ لَهَا مِنْ بَابِ الإِثْبَاتِ العَقْلِيِّ، وَلَكِنْ يُقَالُ: لَعَلَّ ابْنَ طَاهِرٍ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى سَاقَاهَا مِنْ بَابِ الإِخْبَارِ لَا مِنْ بَابِ المُوَافَقَةِ، كَمَا أَنَّ السَّفَارِينِيَّ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى فِي عَقِيدَتِهِ «الدُّرَّةُ المُضِيئَةُ»:

لَهُ الحَيَاةُ وَالكَلَامُ وَالبَصَرْ *** سَمْعٌ إِرَادَةٌ وَعِلْمٌ وَاقْتَدَرْ

فَأَثْبَتَ نَفْسَ تِلْكَ الصِّفَاتِ. فَبِكُلِّ حَالٍ هَذَا مِنْ بَابِ الإِخْبَارِ وَإِنْ سَاقَاهَا مُوَافَقَةً لَهُمْ، وَهُوَ خَطَأٌ عَقَدِيٌّ لَا يُقَرُّ عَلَيْهِ.

(مُرِيدٌ بِمَا يَأْتِي عَلِيمٌ بِمَا يَذَرْ)، أَيْ: لَا يَفْعَلُ اللهُ شَيْئًا إِلَّا لِحِكْمَةٍ، وَلَا يَتْرُكُ شَيْئًا إِلَّا لِحِكْمَةٍ، وَمِنْ أَسْمَائِهِ: الحَكِيمُ، وَالحَكِيمُ هُوَ الَّذِي يَضَعُ الأَمْرَ فِي مَوَاضِعِهِ، وَمِنَ النَّاسِ حُكَمَاءُ، وَآتَى اللهُ لُقْمَانَ بِالحِكْمَةِ، فَقَالَ تَعَالَى: **{وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الحِكْمَةَ}**[٧٥]. لَكِنْ حِكْمَةُ البَشَرِ يَعْتَرِيهَا النَّقْصُ وَالنِّسْيَانُ وَالذُّهُولُ، وَأَمَّا حِكْمَةُ اللهِ فَبَلَغَتْ فِي الكَمَالِ أَعْلَاهُ، وَفِي الحُسْنِ مُنْتَهَاهُ، فَكُلُّ أَقْدَارِهِ الكَوْنِيَّةِ وَالدِّينِيَّةِ بِحِكْمَةٍ يَعْلَمُهَا مَنْ عَلِمَهَا وَيَجْهَلُهَا مَنْ جَهِلَهَا، قَالَ تَعَالَى: **{أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى}**[٧٦]. وَقَالَ: **{أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ}**[٧٧]. وَلِهَذَا وَصَفَ اللهُ وَسَمَّى نَفْسَهُ بِالحَكِيمِ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ. وَالحِكْمَةُ -كَمَا تَقَدَّمَ وَتَقَرَّرَ- وَضْعُ الشَّيْءِ فِي مَوْضِعِهِ، فَاللهُ لَا يَفْعَلُ شَيْئًا ، إِلَّا لِحِكْمَةٍ وَلَا يَتْرُكُ شَيْئًا إِلَّا لِحِكْمَةٍ.

(هُوَ الحَيُّ وَالبَاقِي بِأَسْمَائِهِ الَّتِي * تَزِيدُ عَلَى التِّسْعِينَ تِسْعًا لِمَنْ خَبَرْ)**

(**الحَيُّ**) مِنْ أَسْمَاءِ اللهِ تَعَالَى، وَأَمَّا (**البَاقِي**) فَلَيْسَ مِنْ أَسْمَاءِ اللهِ تَعَالَى، وَلَكِنَّهُ مِنْ بَابِ الخَبَرِ فَدَائِرَةُ الخَبَرِ وَاسِعَةٌ، قَالَ تَعَالَى: **{كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ}**[٧٨]. وَلَكِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَسْمَاءِ اللهِ تَعَالَى الَّتِي يُدْعَى بِهَا. ثُمَّ ذَكَرَ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى دَلِيلًا عَلَى كَثْرَةِ أَسْمَاءِ اللهِ تَعَالَى، وَكَثْرَةُ الأَسْمَاءِ تَدُلُّ عَلَى شَرَفِ المُسَمَّى، فَلِهَذَا القُرْآنُ الكَرِيمُ أَسْمَاؤُهُ كَثِيرَةٌ، وَالإِسْلَامُ أَسْمَاؤُهُ كَثِيرَةٌ، وَالنَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَسْمَاؤُهُ كَثِيرَةٌ، وَالقِيَامَةُ أَسْمَاؤُهَا كَثِيرَةٌ لِعَظِيمِ شَأْنِهَا، وَاللهُ عَزَّ وَجَلَّ أَسْمَاؤُهُ كَثِيرَةٌ لِعَظِيمِ شَأْنِهِ وَجَلِيلِ سُلْطَانِهِ.

---

(٧٥) سورة لقمان: ١٢.

(٧٦) سورة القيامة: ٣٦.

(٧٧) سورة المؤمنون: ١١٥.

(٧٨) سورة الرحمن: ٢٧.

وَهُنَا قَالَ: (**تَزِيدُ عَلَى التِّسْعِينَ تِسْعًا لِمَنْ خَبَرْ**). وَيُشِيرُ بِهَذَا رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى إِلَى حَدِيثِ: «**إِنَّ لله تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الجَنَّةَ**»(٧٩). وَسَيَأْتِي ذِكْرُ هَذَا الحَدِيثِ وَ ذِكْرُ تَخْرِيجِهِ فِي نَظْمِ المُصَنِّفِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى، لَكِنَّ أَسْمَاءَ اللهِ تَعَالَى لَيْسَتْ مَحْصُورَةً بِعَدَدٍ مُعَيَّنٍ، وَهَذَا الحَدِيثُ: «**إِنَّ لله تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا**». لَا يُفِيدُ الحَصْرَ، وَلَمْ يَقُلْ: لَيْسَ لَهُ إِلَّا هِيَ. فَأَنْتَ إِذَا قُلْتَ: عِنْدِي تِسْعَةُ آلَافِ كِتَابٍ. فَهَذِهِ الجُمْلَةُ مِنْكَ لَا تُفِيدُ الحَصْرَ، وَلَا تَنْفِي غَيْرَهَا. وَلَوْ قَالَ قَائِلٌ: عِنْدِي كِتَابَانِ. فَهَلْ يُفْهَمُ مِنْ قَوْلِهِ أَنَّهُ لَيْسَ عِنْدَهُ سِوَى هَذَيْنِ الكِتَابَيْنِ؟ لَا، وَإِنَّمَا يُفِيدُ الخَبَرُ بِأَنَّ عِنْدَهُ كِتَابَيْنِ. كَذَلِكَ فِي الحَدِيثِ: «**إِنَّ لله تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا**». هَذَا لَا يُفِيدُ الحَصْرَ، بَلْ أَخْبَرَنَا نَبِيُّنَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «**أَنَّ لله تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا**»، وَلَهُ غَيْرُهَا، بِدَلِيلِ قَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الحَدِيثِ: «**أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ، سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الغَيْبِ عِنْدَكَ**»(٨٠). وَبِدَلِيلِ قَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ**»(٨١). فَلَوْ أَنَّ أَسْمَاءَ اللهِ مَحْصُورَةٌ لَدَعَا بِهَا وَأَثْنَى عَلَيْهِ، لَكِنْ قَوْلُهُ: «**أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ**». دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ ثَنَاءَ النَّاسِ مَهْمَا بَلَغَ، فَلَا يَبْلُغُ مَا أَثْنَى اللهُ تَعَالَى عَلَى نَفْسِهِ.

وَلِهَذَا قَالَ أَهْلُ العِلْمِ: إِنَّ أَسْمَاءَ اللهِ أَكْثَرُ مِنْ ذَاكَ. بَلْ نَقَلَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ أَهْلِ العِلْمِ كَالنَّوَوِيِّ الإِجْمَاعَ عِنْدَ أَهْلِ العِلْمِ عَلَى عَدَمِ حَصْرِ الأَسْمَاءِ الحُسْنَى فِي تِسْعَةٍ وَتِسْعِينَ.

(رَوَاهُ البُخَارِيُّ فِي الصَّحِيحِ وَمُسْلِمٌ * وَكُلُّ إِمَامٍ فِي الأَحَادِيثِ قَدْ نَظَرْ)**

البُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ إِمَامَانِ مِنْ أَئِمَّةِ الحَدِيثِ عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ، فَهُمَا مِنْ أَئِمَّةِ الحَدِيثِ دِرَايَةً وَرِوَايَةً، وَكِتَابَاهُمَا أَصَحُّ الكُتُبِ المُصَنَّفَةِ بَعْدَ القُرْآنِ الكَرِيمِ، وَهَذَا أَمْرٌ مَشْهُورٌ عِنْدَ أَهْلِ العِلْمِ، فَالبُخَارِيُّ هُوَ المُقَدَّمُ ثُمَّ يَلِيهِ مُسْلِمٌ،

(٧٩) أخرجه البخاري في كتاب الشروط- باب ما يجوز من الاشتراط والثنيا في الإقرار (٢٧٣٦)، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار- باب في أسماء الله تعالى وفضل من أحصاها (٢٦٧٧)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٨٠) أخرجه أحمد في «مسنده» (١/ ٣١٩)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٢٩٣١٨)، وابن أبي الدنيا في «الفرج بعد الشدة» (٥٢)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٣٣٤)، وأبو يعلى في «مسنده» (٥٢٩٧)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٠/ ١٦٩/ ١٠٣٥٢)، وابن حبان في «صحيحه» (٩٧٢)، والحاكم في «المستدرك على الصحيحين» (١/ ٦٩٠)، من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٨١) أخرجه مسلم في كتاب الصلاة- باب ما يقال في الركوع والسجود (٤٨٦)، من حديث عائشة رضي الله عنها.

وَمَنْ قَدَّمَ مُسْلِمًا عَلَى البُخَارِيِّ -كَبَعْضِ عُلَمَاءِ المَغَارِبَةِ- فَقَالُوا: إِنَّ مُرَادَهُمْ بِالتَّقْدِيمِ أَيْ: التَّقَدُّمِ فِي التَّرْتِيبِ، فَمُسْلِمٌ أَحْسَنُ فِي التَّرْتِيبِ مِنَ البُخَارِيِّ، أَمَّا فِي الصِّحَّةِ فَلَا يُقَدَّمُ عَلَى البُخَارِيِّ؛ وَلِهَذَا قَالَ النَّاظِمُ:

تَشَاجَرَ قَوْمٌ فِي البُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ *** لَدَيَّ وَقَالُوا: أَيُّ ذَيْنِ تُقَدِّمُ؟

فَقُلْتُ: لَقَدْ فَاقَ البُخَارِيُّ صِحَّةً *** كَمَا فَاقَ فِي حُسْنِ الصِّنَاعَةِ مُسْلِمُ

فَالبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى يُقَطِّعُ الأَحَادِيثَ وَيُفَرِّقُهَا، وَأَحْيَانًا يُبَوِّبُ عَلَى الحَدِيثِ، وَلَا يَأْتِي الشَّاهِدُ مِنَ التَّبْوِيبِ إِلَّا فِي مَوْضِعٍ آخَرَ، وَهَذَا مِنْ بَابِ حَثِّ طَالِبِ العِلْمِ عَلَى تَقَصِّي الرِّوَايَاتِ.

وَهُنَا فَائِدَةٌ عَارِضَةٌ؛ وَهِيَ أَنَّ بَعْضَ النَّاسِ إِذَا بَوَّبَ بَابًا لَمْ يَجِدْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الحَدِيثِ مُنَاسَبَةً، وَابْنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللهُ[٨٢] فِي «الفَتْحِ» دَائِمًا يَتَعَقَّبُ بَعْضَ الشُّرَّاحِ الَّذِينَ يَسْتَبْعِدُونَ وَجْهَ المُنَاسَبَةِ مِنَ التَّبْوِيبِ، وَالنَّصُّ الَّذِي سَاقَهُ البُخَارِيُّ. وَيَقُولُ رَحِمَهُ اللهُ فِيمَا قَالَ البُخَارِيُّ: بَابُ السَّمَرِ فِي طَلَبِ العِلْمِ. وَسَاقَ جُزْءًا مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ عِنْدَمَا بَاتَ عِنْدَ مَيْمُونَةَ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهَا فَعِنْدَمَا دَخَلَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى مَيْمُونَةَ، قَالَ: «**أَنَامَ الغُلَيِّمُ؟**»[٨٣].

فَالبُخَارِيُّ بَوَّبَ بَابُ: السَّمَرِ فِي طَلَبِ العِلْمِ، عَلَى هَذَا الحَدِيثِ، وَبَعْضُ الشُّرَّاحِ اسْتَشْكَلَ هَذَا التَّبْوِيبَ، وَقَالَ: مَا وَجْهُ المُطَابَقَةِ بَيْنَ السَّمَرِ وَبَيْنَ هَذَا الحَدِيثِ؟! وَبَعْضُهُمْ تَكَلَّفَ وَقَالَ: السَّمَرُ هُنَا المُرَادُ بِهِ قَوْلُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لِمَيْمُونَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: «**أَنَامَ الغُلَيِّمُ**». وَهَذَا لَا شَكَّ تَكَلُّفٌ.

ثُمَّ قَالَ ابْنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: وَمِنْ مَنْهَجِ البُخَارِيِّ أَنَّ يُبَوِّبَ عَلَى الحَدِيثِ، وَيَجْعَلَ الشَّاهِدَ مِنَ التَّبْوِيبِ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ لِلْحَدِيثِ، حَتَّى يَحُثَّ طَالِبَ العِلْمِ عَلَى التَّقَصِّي، فَطَالِبُ العِلْمِ إِذَا قَرَأَ: بَابُ السَّمَرِ فِي طَلَبِ العِلْمِ، ثُمَّ قَرَأَ قِطْعَةً مِنْ خَبَرِ ابْنِ عَبَّاسٍ عِنْدَمَا بَاتَ عِنْدَ مَيْمُونَةَ وَلَمْ يَجِدِ الشَّاهِدَ، فَسَيُضْطَرُّ لِأَنْ يَسْتَقْصِيَ أَوْ يَتَتَبَّعَ بَقِيَّةَ أَلْفَاظِ

---

(٨٢) هو: أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي بن محمود بن أحمد بن حجر، شهاب الدين أبو الفضل الكناني العسقلاني الشافعي. قاضي القضاة، حافظ زمانه. نشأ يتيما، وأكمل حفظ القرآن في التاسعة من عمر، وصلى التراويح بالناس في الحرم المكي وله اثنا عشر عاما. رحل حبا في العلم وتطلبا للشيوخ. من أبرز شيوخه: ابن الملقن، والسراج البلقيني، وأبو الحسن الهيثمي. من أبرز تلاميذه: السخاوي، ابن قاضي شهبة، ابن تغري بردي. له مؤلفات حسان؛ أهمها: «فتح الباري»، و«لسان الميزان»، و«الدرر الكامنة». ولد سنة ثلاث وسبعين وسبع مئة، وتوفي سنة ثنتين وخمسين وثمان مئة. انظر: الضوء اللامع (٢/ ٣٦ ترجمة ١٠٤)، وحسن المحاضرة (١/ ٣٦٣ ترجمة ١٠٢)، وله ترجمة موعبة في الجواهر والدرر لتلميذه السخاوي.

(٨٣) أخرجه البخاري في كتاب الجمعة- باب ما جاء في الوتر (٩٩٢)، ومسلم في كتاب صلاة المسافرين- باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه (٧٦٣).

الحَدِيثِ حَتَّى يَجِدَ الشَّاهِدَ. وَهَذَا مَا صَنَعَهُ البُخَارِيُّ أَظُنُّ فِي كِتَابِ قِيَامِ اللَّيْلِ، قَالَ: فَتَحَدَّثَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَ أَهْلِهِ سَاعَةً[٨٤]. يَعْنِي: سَمَرَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مَعَ مَيْمُونَةَ سَاعَةً، وَهَذَا هُوَ الشَّاهِدُ.

عَوْدًا عَلَى قَوْلِ النَّاظِمِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: (**رَوَاهُ البُخَارِيُّ فِي الصَّحِيحِ وَمُسْلِمٌ**). أَيْ: فِي كِتَابَيْهِمَا اللَّذَيْنِ هُمَا أَصَحُّ الكُتُبِ المُصَنَّفَةِ فِي السُّنَّةِ، (**وَكُلٌّ إِمَامٍ فِي الأَحَادِيثِ قَدْ نَظَرْ**)، أَيْ: حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ وَهُوَ: «**إِنَّ للهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا**»[٨٥].

وَهَذَا الحَدِيثُ رَوَاهُ البُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ، وَرَوَاهُ آخَرُونَ كُثْرٌ، فَقَدْ رَوَاهُ الإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مَوَاضِعَ مُتَفَرِّقَةٍ مِنَ «المُسْنَدِ»، وَرَوَاهُ كَذَلِكَ النَّسَائِيُّ وَالتِّرْمِذِيُّ، وَرَوَاهُ البَيْهَقِيُّ فِي «الشُّعَبِ» وَفِي «الاعْتِقَادِ» وَفِي «الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ»، وَرَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ، وَرَوَاهُ جَمْعٌ غَفِيرٌ مِنْ أَهْلِ العِلْمِ.

فَكَأَنَّ الإِمَامَ ابْنَ طَاهِرٍ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى فِي قَوْلِهِ: (**وَكُلٌّ إِمَامٍ فِي الأَحَادِيثِ قَدْ نَظَرْ**). يُشِيرُ إِلَى أَنَّ هَذَا الحَدِيثَ مُتَوَاتِرٌ، بَلْ إِنَّ ابْنَ عَطِيَّةَ[٨٦] صَاحِبَ تَفْسِيرِ «المُحَرَّرُ الوَجِيزُ» أَشَارَ إِلَى أَنَّ هَذَا الحَدِيثَ مُتَوَاتِرٌ، لَكِنِ ابْنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللهُ تَعَقَّبَهُ وَقَالَ: غَايَةُ مَا يُقَالُ فِيهِ بِأَنَّهُ مَشْهُورٌ. وَبِكُلِّ حَالٍ هَذَا الحَدِيثُ أَفْرَدَ فِيهِ الحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ جُزْءًا لَطِيفًا فِي تَخْرِيجِهِ، وَهَذَا الجُزْءُ الَّذِي أَخْرَجَهُ لَعَلَّهُ مِنْ مَجَالِسِهِ «الأَمَالِي المُطْلَقَةُ» الَّتِي كَانَ يُمْلِيهَا عَلَى طُلَّابِ العِلْمِ، وَقَدْ طُبِعَ هَذَا الجُزْءُ مُفْرَدًا بِتَحْقِيقِ الشَّيْخِ مَشْهُورِ سَلْمَانَ[٨٧].

(**وَأَوْرَدَهُ أَهْلُ الشَّآمِ بِشَرْحِهِ *** وَفَضْلُهُمْ فِي القَلْبِ يَا صَاحِ قَدْ وَقَرْ**)

---

(٨٤) ما قبله.

(٨٥) تقدم تخريجه.

(٨٦) هو: الشيخ الإمام المفسر القاضي أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية المحاربي. ولد سنة إحدى وثمانين وأربع مئة. فقيه عالم بالتفسير والأحكام والحديث، والنحو واللغة والأدب. حسن التقييد. له نظم ونثر. ولي القضاء وكان غاية في الذكاء والدهاء. له مصنفات حسان؛ أشهرها: «المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز». توفي في الخامس والعشرين من شهر رمضان سنة ست وأربعين وخمس مئة. انظر: الديباج المذهب (٢/ ٥٧ ترجمة ٨)، ونفح الطيب (٢/ ٥٢٦).

(٨٧) هو: الشيخ الفاضل أبو عبيدة مشهور بن حسن بن محمود آل سلمان. ولد في فلسطين سنة ثمانين وثلاث مئة وألف. هاجر أبوه بسبب آثار حرب اليهود، واستقر في عمان، وكانت دراسته الثانوية فيها، والتحق بكلية الشريعة؛ سنة أربع مئة وألف، في قسم الفقه وأصوله، وانكب على علوم الشريعة درسا، وقراءة، وتحصيلا. من شيوخه: الشيخ الألباني، والشيخ مصطفى الزرقا -رحمهما الله-. من تحقيقاته: «إعلام الموقعين»، و«الموافقات». ومن مؤلفاته: «الجمع بين الصلاتين في الحضر بعذر المطر»، و«المحاماه، تاريخها وتنظيمها».

(**أَوْرَدَهُ أَهْلُ الشَّآمِ بِشَرْحِهِ**)، (**الشَّآمُ**) بَعْضُهُمْ يَقُولُ: الشَّأْمُ بِالهَمْزَةِ، بَعْضُهُمْ يَقُولُ: الشَّآمُ، وَهُنَا: (**أَوْرَدَهُ أَهْلِ الشَّآمِ بِشَرْحِهِ، وَفْضِلَهُمْ فِي القَلْبِ يَا صَاحِ قَدْ وَقَرْ**). قَوْلُهُ رَحِمَهُ اللهُ: (**أَوْرَدَهُ أَهْلُ الشَّآمِ**). جَرَتْ عَادَةُ بَعْضِ أَهْلِ العِلْمِ أَنْ يُطْلِقَ وَصْفَ البَلَدِ عَلَى رُوَاةِ الحَدِيثِ إِذَا كَانُوا مُشْتَرِكِيْنَ، أَوْ كَانُوا مِنْ بَلَدٍ وَاحِدٍ فَيَقُولُ: هَذَا الحَدِيثُ إِسْنَادُهُ شَامِيٌّ، وَهَذَا الحَدِيثُ إِسْنَادُهُ بَصْرِيٌّ، وَهَذَا الحَدِيثُ إِسْنَادُهُ يَمَانِيٌّ، وَهَذَا الحَدِيثُ إِسْنَادُهُ عِرَاقِيٌّ.

كَمَا قَالَ الإِمَامُ أَحْمَدُ فِي حَدِيثِ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ[٨٨] القُدْسِيِّ عِنْدَ «مُسْلِمٍ»: «**يَا عِبَادِي، إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي**»[٨٩]. قَالَ: هَذَا أَشْرَفُ حَدِيثٍ لِأَهْلِ الشَّامِ. وَهَذَا الحَدِيثُ الَّذِي فِيهِ: «**إِنَّ لله تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا**»[٩٠]. هُوَ فِي «الصَّحِيحَيْنِ»، لَكِنْ جَاءَ فِي بَعْضِ الرِّوَايَاتِ -كَمَا عِنْدَ التِّرْمِذِيِّ وَغَيْرِهِ- ذِكْرٌ لِأَسْمَاءٍ مُفَصَّلَةٍ، فَقَالَ: «**اللهُ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ**».. إِلَى آخِرِهِ.

لَعَلَّ الْمُرَادَ بِقَوْلِهِ: (**بِشَرْحِهِ**)، أَيْ: بِتَفْصِيلِهِ وَسَرَدَ أَسْمَاءَهُ، وَالَّذِي اشْتُهِرَ عَنْهُ سَرْدُ الأَسْمَاءِ هُوَ الوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ[٩١] وَهُوَ شَامِيٌّ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ، وَرَوَاهُ عَنْ زُهَيْرِ بْنِ مُحَمَّدٍ[٩٢]، وَزُهَيْرٌ شَامِيٌّ، وَلَمَّا ذَكَرَ الحَدِيثَ عُثْمَانُ بْنُ سَعِيدٍ الدَّارِمِيُّ

---

(٨٨) هو: الصحابي الجليل أبو ذر الغفاري، الزاهد المشهور، الصادق اللهجة. مختلف في اسمه واسم أبيه، والمشهور أنه جندب بن جنادة بن سكن. كان من كبار الصحابة، وهو قديم الإسلام. يقال: أسلم بعد أربعة، فكان خامسا، ثم انصرف إلى بلاد قومه، فأقام بها حتى قدم النبي -صلى الله عليه وسلم- المدينة، وله في اسلامه خبر حسن. مات سنة إحدى -وقيل: اثنتين، أو أربع- وثلاثين. انظر: الاستيعاب (ص: ١١٠ ترجمة ٢٨٩)، والإصابة (٧/ ١٢٥ ترجمة ٩٨٦٨).

(٨٩) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب- باب تحريم الظلم (٢٥٧٧).

(٩٠) تقدم تخريجه.

(٩١) هو: الوليد بن مسلم الإمام، عالم أهل الشام، أبو العباس الدمشقي، الحافظ، مولى بني أمية. مولده في سنة تسع عشرة ومئة. قرأ القرآن على يحيى بن الحارث الذماري، وعلى سعيد بن عبد العزيز. ارتحل في طلب الحديث، وصنف التصانيف، وتصدى للإمامة، واشتهر اسمه. وكان من أوعية العلم، ثقة حافظا، لكن رديء التدليس. حج سنة أربع وتسعين ومئة، ثم رجع، فمات بالطريق. قال ابن حجر في التقريب: ثقة، لكنه كثير التدليس والتسوية. انظر: تهذيب الكمال (٣١/ ٨٦ ترجمة ٦٧٣٧)، وسير أعلام النبلاء (٩/ ٢١١ ترجمة ٦٠).

(٩٢) هو: زهير بن محمد التميمي، الحافظ المحدث، أبو المنذر المروزي الخرقي، بفتحتين، من قرية خرق. الخراساني. نزيل الشام، ثم نزيل مكة. وقيل: إنه هروي. توفي سنة اثنتين وستين ومئة. قال ابن حجر في التقريب: ثقة، إلا أن رواية أهل الشام عنه غير مستقيمة، فضعف بسببها. انظر: تهذيب الكمال (٩/ ٤١٤ ترجمة ٢٠١٧)، وسير أعلام النبلاء (٨/ ١٨٧ ترجمة ٢٧).

فِي رَدِّهِ عَلَى بَشْرٍ[٩٣]، قَالَ: إِنَّ فِيهِ ثَلَاثَةً مِنْ أَهْلِ الشَّامِ. وَشَيْخُ الإِسْلَامِ أَشَارَ إِلَى أَنَّ الوَلِيدَ بْنَ مُسْلِمٍ يَرْوِيهِ عَنِ الشَّامِيِّينَ. وَبِكُلِّ حَالٍ هَذَا الأَمْرُ مَعْرُوفٌ، وَلَا مُشَاحَةَ فِي الاصْطِلَاحِ.

(**وَأَوْرَدَهُ أَهْلُ الشَّآمِ بِشَرْحِهِ * وَفَضْلُهُمْ فِي القَلْبِ يَا صَاحِ قَدْ وَقَرْ**). (**وَفَضْلُهُمْ**) أَيْ: فَضْلُ أَهْلِ الشَّامِ، (**فِي القَلْبِ يَا صَاحِ**)، الأَصْلُ أَنْ يَقُولَ: يَا صَاحِبِي، لَكِنَّهُ حَذَفَ آخَرَ الاسْمِ لِأَمْرَيْنِ؛ لِيَسْتَقِيمَ وَزْنُ النَّظْمِ، وَلِأَنَّ هَذَا سَائِغٌ فِي لُغَةِ العَرَبِ، وَهُوَ مَا يُسَمَّى بِالتَّرْخِيمِ، وَهُوَ: حَذْفُ آخِرِ الاسْمِ. وَقَدْ ذَكَرَ ابْنُ مَالِكٍ فِي مَنْظُومَتِهِ التَّرْخِيمَ، فَقَالَ:

تَرْخِيمًا احْذِفْ آخِرَ المُنَادَى *** كَيَا سُعَا فِيمَنْ دَعَا سُعَادَا

فَإِذَا قُلْتَ: يَا سُعَادُ، يَصِحُّ أَنْ تُنَادِيَ فَتَقُولُ: يَا سُعَا. وَتَقُولُ: يَا عَائِشُ، وَقَصْدُكَ يَا عَائِشَةُ.

وَقَوْلُهُ: (**وَفَضْلُهُمْ فِي القَلْبِ يَا صَاحِ قَدْ وَقَرْ**)، أَيْ: سَكَنَ وَثَبَتَ، قَالَ تَعَالَى: {**وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ**}[٩٤]. أَيْ: اسْكُنَّ وَاثْبُتْنَ.

وَفِي قَوْلِهِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: (**وَفَضْلُهُمْ**) مَسْأَلَةٌ، وَهِيَ: مَسْأَلَةُ التَّفْضِيلِ الشَّرْعِيِّ لِلزَّمَانِ أَوِ المَكَانِ أَوِ الإِنْسَانِ أَوِ الحَالِ، وَلَا تَكُونُ إِلَّا بِدَلِيلٍ شَرْعِيٍّ، وَهُنَا قَالَ: (**وَفَضْلُهُمْ**)، دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ لِأَهْلِ الشَّامِ فَضْلًا، وَهَذَا الفَضْلُ جَاءَتْ بِهِ الشَّرِيعَةُ، وَقَدْ صَنَّفَ أَهْلُ العِلْمِ كُتُبًا فِي فَضَائِلِ البُلْدَانِ، وَمِنْ ذَلِكَ: «فَضَائِلُ الشَّامِ وَدِمَشْقَ» لِلْإِمَامِ الرَّبَعِيِّ[٩٥]، وَ«مَنَاقِبُ أَهْلِ الشَّامِ» طُبِعَ بِذَيْلِهِ لِشَيْخِ الإِسْلَامِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ، وَ«فَضَائِلُ مِصْرَ» لِعُمَرَ الكِنْدِيِّ[٩٦]، وَ«فَضَائِلُ بَيْتِ

---

(٩٣) هو: المتكلم المناظر البارع بشر بن غياث بن أبي كريمة، أبو عبد الرحمن مولى زيد بن الخطاب؛ هو بشر المريسي. كان من أعيان أصحاب الرأي، أخذ عن أبي يوسف، وبرع في الفقه، ونظر في الفلسفة، وجرد القول بخلق القرآن، وناظر عليه، ودعا إليه. وكان رأس الجهمية، كان أبوه يهوديا قصارا. توفي سنة ثمان عشرة ومئتين. انظر: سير أعلام النبلاء (١٠/ ١٩٩ ترجمة ٤٥)، وميزان الاعتدال (١/ ٣٢٢ ترجمة ١٢١٤).

(٩٤) سورة الأحزاب: ٣٣.

(٩٥) هو: علي بن محمد بن صافي بن شجاع، أبو الحسن الدمشقي. عرف بابن أبي الهول الربعي. توفي في ذي القعدة سنة أربع وأربعين وأربع مئة. انظر: تاريخ دمشق (٤٣/ ١٧٧ ترجمة ٥٠٣٥)، وتاريخ الإسلام (٩/ ٦٦١ ترجمة ١١٦).

(٩٦) هو: محمد بن يوسف بن يعقوب بن حفص بن يوسف بن نصير بن زيد، أبو عمر الكندي المصري، المؤرخ، الفقيه الحنفي. ولد يوم النحر سنة ثلاث وثمانين ومئتين. كان عارفا بأحوال الناس وسير الملوك. وصنف كثيرا في أخبار مصر. توفي في النصف الثاني من القرن الرابع. انظر: المقفى الكبير (٧/ ٤٨٩ ترجمة ٣٥٧٥) ط: دار الغرب الإسلامي، وأعلام الزركلي (٧/ ١٤٨).

المَقْدِسِ» لِمُحَمَّدٍ المَقْدِسِيِّ[٩٧]، وَ«فَضَائِلُ اليَمَنِ» لِمُحَمَّدٍ الأَهْدَلِ الحُسَيْنِيِّ[٩٨]. وَفِي كُتُبِ الحَدِيثِ يَعْقِدُ أَصْحَابُهَا أَبْوَابًا فِي فَضَائِلِ البُلْدَانِ، لَكِنْ فِي الأَحَادِيثِ المَوْضُوعَاتُ وَالأَكَاذِيبُ وَالصِّحَاحُ وَالحِسَانُ.

وَأَهْلُ الشَّامِ قَدْ وَرَدَ فِي فَضْلِهِمْ أَحَادِيثُ صَحِيحَةٌ، كَمَا وَرَدَتْ أَيْضًا فِي أَهْلِ اليَمَنِ فِي حَدِيثِ البُخَارِيِّ: «**اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَامِنَا وَفِي يَمَنِنَا**». قَالُوا: وَفِي نَجْدِنَا يَا رَسُولَ الله. فَرَدَّ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، فَلَمَّا قَالُوا: وَفِي نَجْدِنَا. قَالَ: «**هُنَاكَ الزَّلَازِلُ وَالفِتَنُ، وَبِهَا يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ**»[٩٩]. وَحَدِيثُ: «**إِذَا فَسَدَ أَهْلُ الشَّامِ فَلَا خَيْرَ فِيهِمْ**»[١٠٠]. وَحَدِيثُ: «**الشَّامُ أَرْضُ المَحْشَرِ وَالمَنْشَرِ**»[١٠١]. وَحَدِيثُ: «**إِنَّ المَلَائِكَةَ تَبْسُطُ أَجْنِحَتَهَا عَلَى الشَّامِ**»[١٠٢]. وَالأَحَادِيثُ الَّتِي ذَكَرَهَا الرَّبَعِيُّ فِيهَا الصَّحِيحُ وَفِيهَا غَيْرُ الصَّحِيحِ، وَقَدْ عُنِيَتْ بِتَحْقِيقِ مُحْدَثِ العَصْرِ الأَلْبَانِيِّ عَلَيْهِ رَحْمَةُ الله تَعَالَى[١٠٣].

---

(٩٧) هو: محمد بن عبد الواحد بن أحمد بن عبد الرحمن بن إسماعيل بن منصور، أبو محمد الضياء السعدي، المقدسي، الجماعيلي، ثم الدمشقي، الصالحي، الحنبلي، صاحب التصانيف والرحلة الواسعة، الشيخ، الإمام، الحافظ، القدوة، المحقق، المجود، الحجة، بقية السلف. ولد: سنة تسع وستين وخمس مئة، بالدير المبارك، بقاسيون، وتوفي ثلاث وأربعين وست مئة. ومن تصانيفه: «الأحاديث المختارة»، و«فضائل الأعمال». انظر سير أعلام النبلاء (٢٣/ ١٢٦ ترجمة ٩٧)، والذيل على طبقات الحنابلة (٣/ ٥١٥ ترجمة ٣٧٥).

(٩٨) هو: محمد بن علي الأهدل الحسيني اليمني الأزهري: فاضل، من آل الأهدل في اليمن. تعلم بالأزهر. من مؤلفاته: «نثر الدر المكنون من فضائل اليمن الميمون». توفي بمصر سنة إحدى وسبعين وثلاث مئة وألف. انظر: أعلام الزركلي (٦/ ٣٠٦).

(٩٩) أخرجه البخاري في كتاب الجمعة- باب ما قيل في الزلازل والآيات (١٠٣٧)، ومسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة- باب الفتنة من المشرق من حيث يطلع قرنا الشيطان (٢٩٠٥)، من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

(١٠٠) أخرجه الترمذي في كتاب الفتن- باب ما جاء في الشام (٢١٩٢)، وابن ماجه في كتاب المقدمة- باب اتباع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم (٦)، من حديث قرة بن إياس رضي الله عنه، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٧٠٢).

(١٠١) أخرجه أحمد في «مسنده» (٦/ ٤٥٧)، والبزار في «مسنده» (٩/ ٣٣١/ ٣٣٦٣)، من حديث أبي ذر رضي الله عنه، وصححه الألباني في «فضائل الشام ودمشق» (١٦).

(١٠٢) أخرجه الترمذي في كتاب المناقب- باب في فضل الشام واليمن (٣٩٥٤)، وأحمد في «مسنده» (٥/ ١٨٤)، من حديث زيد بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه، وصححه الألباني في «فضائل الشام ودمشق» (١٢).

(١٠٣) هو: الشيخ العلامة محمد ناصر الدين بن الحاج نوح، أبو عبد الرحمن الألباني. ولد سنة ثلاث وثلاثين وثلاث مئة وألف في مدينة أشقودرة عاصمة دولة ألبانيا -حينئذ- عن أسرة فقيرة متدينة يغلب عليها الطابع العلمي. هاجر به والده إلى دمشق الشام، بعد أن ملك ألبانيا ببلاده نحو الحضارة الغربية العلمانية. أتم دراسته الابتدائية بالشام، ونظرا لرأي والده في المدارس النظامية، فقرر عدم إكماله دراسته النظامية، ووضع له منهجا خاصا سار عليه. تعلم الحديث في نحو العشرين من عمره متأثرا بأبحاث «مجلة المنار» التي أصدرها الشيخ محمد رشيد رضا

نَعُودُ إِلَى قَاعِدَةِ التَّفْضِيلِ، فَالتَّفْضِيلُ بِغَيْرِ دَلِيلٍ سَبَبٌ مِنْ أَسْبَابِ نُشُوءِ البِدَعِ؛ وَلِهَذَا قَامَتْ بِدَعٌ زَمَانِيَّةٌ وَمَكَانِيَّةٌ؛ لِأَنَّهَا فُضِّلَتْ بِتَفْضِيلٍ لَمْ يَأْتِ بِهِ الشَّرْعُ، أَوْ بِأَحَادِيثَ مُخْتَلَقَةٍ مَكْذُوبَةٍ. فَمَثَلًا: لَوْ فَضَّلَ إِنْسَانٌ مَكَانًا تَفْضِيلًا مِنْ حَيْثُ النَّظَافَةِ وَمِنْ حَيْثُ الرَّائِحَةِ، فَلَا شَكَّ أَنَّ هَذَا مَقْبُولٌ. وَلَوْ قَالَ قَائِلٌ: المَكَانُ فِي جَنُوبِ المَسْجِدِ أَفْضَلُ مِنْ شَرْقِهِ. أَوْ قَالَ: شَرْقُ المَسْجِدِ أَفْضَلُ مِنْ جَنُوبِهِ. نَقُولُ: لِمَاذَا؟ قَالَ: لِأَنَّ الشَّرْقَ أَكْثَرُ ظِلًّا، وَفِيهِ تَقَعُ المَكْتَبَةُ الجَدِيدَةُ، فَهُوَ أَقْرَبُ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَزُورَهَا، بِخِلَافِ الجِهَةِ الجَنُوبِيَّةِ فَإِنَّهَا مُشَمِّسَةٌ... نَقُولُ: لَا مَانِعَ.

وَلَوْ قَالَ: الصَّلَاةُ فِي شَرْقِ هَذَا المَسْجِدِ أَفْضَلُ مِنَ الصَّلَاةِ فِي جَنُوبِهِ. نَقُولُ: هَذَا التَّفْضِيلُ بِأَيِّ دَلِيلٍ؟ هَلْ هُوَ تَفْضِيلٌ شَرْعِيٌّ؟ فَقَالَ: لَا، أَنَا أَقْصِدُ أَنَّ السَّجَّادَ الَّذِي فِي جَنُوبِ المَسْجِدِ لَمْ يُنَظَّفْ تَنْظِيفًا كَامِلًا، وَفِيهِ رَائِحَةٌ سَيِّئَةٌ، بِخِلَافِ السَّجَّادِ فِي شَرْقِ المَسْجِدِ. نَقُولُ: هَذَا تَفْضِيلٌ مَقْبُولٌ. لَكِنْ إِذَا قَالَ: الصَّلَاةُ هُنَاكَ أَفْضَلُ أَجْرًا. نَقُولُ: حَسْبُكَ، أَيْنَ الدَّلِيلُ عَلَى هَذَا التَّفْضِيلِ؟ فَإِنْ أَتَى بِدَلِيلٍ فَنِعْمَ.

وَكَذَلِكَ جَاءَ التَّفْضِيلُ الشَّرْعِيُّ بِفَضْلِ الصَّفِّ الأَوَّلِ عَلَى الصَّفِّ الثَّانِي، وَهَكَذَا، فَنَقُولُ: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا. وَكَذَلِكَ حَثَّ عَلَى التَّبْكِيرِ وَالتَّقَدُّمِ وَالدُّنُوِّ مِنَ الإِمَامِ، فَدَلَّ عَلَى فَضْلٍ شَرْعِيٍّ أَيْضًا.

وَكَذَلِكَ الصَّلَاةُ فِي أَيِّ مَسْجِدٍ، سَوَاءٌ الحَرَمُ المَكِّيُّ أَمِ المَدَنِيُّ أَمِ الأَقْصَى أَمْ هَذَا المَسْجِدُ أَمِ المَسَاجِدُ المُجَاوِرَةُ، فَكُلُّ المَسَاجِدِ سَوَاءٌ، لَكِنْ لَمَّا جَاءَ التَّفْضِيلُ الشَّرْعِيُّ بِأَنَّ لِلْحَرَمِ المَكِّيِّ فَضِيلَةٌ أُولَى ثُمَّ المَدَنِيِّ ثُمَّ الأَقْصَى، قُلْنَا: هَذَا التَّفْضِيلُ تَفْضِيلٌ شَرْعِيٌّ، وَسَمِعْنَا وَأَطَعْنَا. فَهَذَا هُوَ التَّفْضِيلُ المَكَانِيُّ.

أَمَّا التَّفْضِيلُ الزَّمَانِيُّ؛ فَصِيَامُ الإِثْنَيْنِ وَالخَمِيسِ وَالسَّبْتِ وَالأَحَدِ سَوَاءٌ؛ لَوْلَا أَنَّ النَّصَّ جَاءَ بِفَضْلِ صِيَامِ الإِثْنَيْنِ وَالخَمِيسِ عَلَى غَيْرِهِمَا، وَفَضْلُ صِيَامِ البِيضِ، وَفَضْلُ صِيَامِ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَفَضْلُ صِيَامِ يَوْمِ تَاسُوعَاءَ وَعَاشُورَاءَ. وَإِذَا لَاحَظْتَ وَجَدْتَ أَنَّ أَكْثَرَ البِدَعِ نَشَأَتْ مِنَ الإِخْلَالِ بِهَذِهِ القَاعِدَةِ، فَعُظِّمَتْ لَيَالٍ وَأُقِيمَتْ أُخْرَى، وَقُدِّسَتْ أَمَاكِنُ وَعُظِّمَتْ أُخْرَى، وَشُدَّتِ الرِّحَالُ لَهَا بِغَيْرِ دَلِيلٍ، بَلِ الدَّلِيلُ يَنْهَى عَنْ ذَلِكَ.

-رحمه الله-. و كان أول عمل حديثي قام به هو نسْخ كتاب «المغني عن حمل الأسفار» للعراقي مع التعليق عليه. ودأب على طلب الحديث حتى نبغ. استقدمه الشيخ محمد بن إبراهيم للتدريس في الجامعة الإسلامية. حصل على جائزة الملك فيصل العالمية للدراسات الإسلامية. أثنى عليه وعلى علمه أكابر العلماء؛ كابن باز، وابن عثيمين، والشنقيطي. توفي قبيل يوم السبت في الثاني والعشرين من جمادى الآخرة سنة عشرين وأربع مئة وألف، الموافق الثاني من أكتوبر سنة تسع وتسعين وتسع مئة وألف، ودفن بعد صلاة العشاء. انظر: علماء ومفكرون عرفتهم (١/ ٢٨٧ ترجمة ١٤)، وكتاب «صفحات بيضاء من حياة الألباني».

وَقُلْ مِثْلَ هَذَا فِي تَفْضِيلِ الحَالَاتِ أَوِ الهَيْئَاتِ، فَلَوْ قَالَ قَائِلٌ: أَذْكَارُ الصَبَاحِ الأَفْضَلُ أَنْ تُقَالَ وَأَنْتَ عَلَى هَيْئَةِ الاتِّكَاءِ. نَقُولُ: هَذِهِ الهَيْئَةُ بِأَيِّ دَلِيلٍ؟ بَلِ اللهُ أَثْنَى عَلَى مَنْ يَذْكُرُهُ عَلَى أَيِّ حَالٍ، فَقَالَ: **{الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ}**[١٠٤]. فَلَا تُفَضَّلُ هَيْئَةٌ دُونَ أُخْرَى إِلَّا بِدَلِيلٍ. لَكِنْ لَوْ قَالَ قَائِلٌ: حَدِيثُ البَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ[١٠٥]: «**إِذَا أَتَيْتَ مَضْجَعَكَ فَتَوَضَّأْ وُضُوءَكَ لِلصَّلَاةِ**»[١٠٦]. فَالأَفْضَلُ أَنْ نَقُولَهُ عِنْدَمَا يُرِيدُ الإِنْسَانُ أَنْ يَنَامَ عَلَى شِقِّهِ الأَيْمَنِ. نَقُولُ: نَعَمْ، جَاءَ الدَّلِيلُ بِتَحْدِيدِ الهَيْئَةِ: «**إِذَا أَتَيْتَ مَضْجَعَكَ فَتَوَضَّأْ وُضُوءَكَ لِلصَّلَاةِ، ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلَى شِقِّكَ الأَيْمَنِ**».

وَلِهَذَا يُؤْخَذُ عَلَى بَعْضِ الرُّقَاةِ أَنْ يُوصِيَ مَرِيضَهُ فَيَقُولُ: اقْرَأْ سُورَةَ البَقَرَةِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ وَأَنْتَ مُضْطَجِعٌ. نَقُولُ: هَذَا التَّحْدِيدُ العَدَدِيُّ وَالكَيْفِيُّ، وَالذِّكْرُ بِلَفْظِهِ وَعَدَدِهِ وَوَقْتِهِ وَمَكَانِهِ وَهَيْئَتِهِ لَا تُفَضِّلُهُ إِلَّا بِدَلِيلٍ. أَوْ يَقُولُ: اقْرَأْ قَبْلَ طُلُوعِ يَوْمِ شَمْسِ الجُمُعَةِ سُورَةَ كَذَا. فَلِمَاذَا تُحَدِّدُ؟ وَأَيْنَ الدَّلِيلُ؟ فَهَذَا يُمِيتُ سُنَنًا وَيُنْشِئُ بِدَعًا، فَلْنَحْذَرْ مِنْ هَذَا الأَمْرِ. وَقَاعِدَةُ التَّفْضِيلِ هَذِهِ مِنَ الأَهَمِّيَّةِ بِمَكَانٍ.

وَالإِمَامُ أَبُو شَامَةَ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى[١٠٧] لَمَّا تَكَلَّمَ عَنْ رَجَبٍ -فِيمَا أَذْكُرُ- ذَكَرَ أَنَّ تَفْضِيلَ العِبَادَاتِ وَتَخْصِيصَ الأَمْرِ بِالفَضْلِ، هَذَا مَرَدُّهُ إِلَى الشَّرْعِ وَلَيْسَ إِلَى النَّاسِ.

إِذَنْ فَفَضْلُ أَهْلِ الشَّامِ قَدْ ثَبَتَ فِي غَيْرِ حَدِيثٍ، وَقَدْ ثَبَتَ أَيْضًا فَضْلُ غَيْرِهِمْ كَمَا فِي قَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**أَتَاكُمْ أَهْلُ اليَمَنِ، هُمْ أَرَقُّ أَفْئِدَةً، وَأَلْيَنُ قُلُوبًا، الإِيمَانُ يَمَانٍ، وَالحِكْمَةُ يَمَانِيَةٌ**»[١٠٨]. وَقَدْ جَاءَ تَفْضِيلُ الأَنْصَارِ: «**لَا**

---

(١٠٤) سورة آل عمران: ١٩١

(١٠٥) هو: الصحابي الجليل البراء بن عازب بن الحارث، الفقيه الكبير، أبو عمارة الانصاري الحارثي المدني، نزيل الكوفة، من أعيان الصحابة. شهد غزوات كثيرة مع النبي -صلى الله عليه وسلم-، واستُصْغِرَ يوم بدر. توفي سنة إحدى وسبعين عن بضع وثمانين سنة. انظر: الاستيعاب (ص: ٨٠ ترجمة ١٦٦)، وأسد الغابة (١/ ٣٦٢ ترجمة ٣٨٩).

(١٠٦) أخرجه البخاري في كتاب الدعوات- باب ما يقول إذا نام (٦٣١٣)، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء- باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع (٢٧١٠)، من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه.

(١٠٧) هو: الشيخ الإمام العالم الحافظ المحدث الفقيه المؤرخ عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم بن عثمان بن أبي بكر بن عباس أبو محمد وأبو القاسم المقدسي. ولد ليلة الجمعة الثالث والعشرين من ربيع الآخر سنة تسع وتسعين وخمس مئة. برع في فنون العلم، وقيل: بلغ رتبة الاجتهاد. من مؤلفاته: «الباعث على إنكار البدع والحوادث». توفي سنة خمس وستين وست مئة. انظر: طبقات الشافعية الكبرى (٨/ ١٦٣ ترجمة ١١٦١)، والبداية والنهاية (١٧/ ٤٧٢) ط: دار عالم الكتب.

يُحِبُّهُمْ إِلَّا مُؤْمِنٌ، وَلَا يَبْغَضُهُمْ إِلَّا مُنَافِقٌ»[١٠٩]. وَقَالَ: «**لَوْ أَنَّ الأَنْصَارَ سَلَكُوا وَادِيًا أَوْ شِعْبًا لَسَلَكْتُ فِي وَادِي الأَنْصَارِ، وَلَولَا الهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَأً مِنَ الأَنْصَارِ**»[١١٠]. وَجَاءَ التَّفْضِيلُ لِلصَّحَابَةِ عُمُومًا، فَزَكَّاهُمْ رَبُّهُمْ، وَزَكَّاهُمْ نَبِيُّهُمْ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَجَاءَ التَّفْضِيلُ لِلْعَشَرَةِ دُونَ غَيْرِهِمْ، فَقَالَ: «**عَشَرَةٌ فِي الجَنَّةِ**»[١١١]. وَجَاءَ التَّفْضِيلُ لِلْأَرْبَعَةِ، وَجَاءَ التَّفْضِيلُ لِلشَّيْخَيْنِ، فَقَالَ: «**أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ سَيِّدَا كُهُولِ أَهْلِ الجَنَّةِ مِنَ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ**»[١١٢]. وَلَوْ وُضِعَ النَّاسُ فِي كِفَّةٍ، وَالصِّدِّيقُ فِي كِفَّةٍ لَرَجَحَ الصِّدِّيقُ بِهِمْ.

فَالْمُهِمُّ: أَنَّ قَاعِدَةَ التَّفْضِيلِ لَا بُدَّ أَنْ تَكُونَ نُصْبَ العَيْنِ؛ حَتَّى لَا تَخْتَلِطُ السُّنَنُ بِالبِدَعِ.

(وَأُثْبِتُ إِرْسَالَ النَّبِيِّ لِمَا أَتَى * بِهِ مِنْ دَلِيلٍ صَادِقٍ مُعْجِزٍ بَهَرْ)**

بَعْدَ مَا ذَكَرَ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى الشَّهَادَةَ لله تَعَالَى بِإِثْبَاتِ الأُلُوهِيَّةِ وَالرُّبُوبِيَّةِ وَالأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ، فَقَالَ: (**تَحَقَّقْتُ أَنَّ اللهَ لَا رَبَّ غَيْرُهُ**). ثُمَّ سَاقَ بَعْضَ الأَسْمَاءِ الَّتِي جَاءَ بِهَا النَّصُّ، وَبَعْضُهَا لَمْ يَأْتِ بِهَا النَّصُّ، قَالَ: (**وَأُثْبِتُ إِرْسَالَ النَّبِيِّ**).

وَقَبْلَ ذَلِكَ يُشَارُ إِلَى أَنَّهُ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى أَثْبَتَ أَنْوَاعَ التَّوْحِيدِ الثَّلَاثَةَ: تَوْحِيدَ الرُّبُوبِيَّةِ، وَتَوْحِيدَ الأُلُوهِيَّةِ، وَتَوْحِيدَ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ. وَهَذِهِ أَنْوَاعٌ ثَلَاثَةٌ مُتَلَازِمَةٌ، فَمَنْ أَثْبَتَ وَاحِدَةً مِنْهَا لَزِمَهُ إِثْبَاتُ البَقِيَّةِ، فَإِنْ أَبَى فَقَدْ تَنَاقَضَ؛ وَلِهَذَا مِمَّا يُعْجَبُ مِنْهُ وَذَكَرَهُ بَعْضُ أَهْلِ العِلْمِ: أَنَّ العَرَبَ وَكُفَّارَ قُرَيْشٍ وَالجَاهِلِيَّةَ كَانُوا مِنْ أَذْكَى النَّاسِ وَمِنْ أَنْبَهِ النَّاسِ وَمِنْ أَفْضَلِ النَّاسِ، وَلَكِنَّهُمْ زَاغُوا وَتَنَاقَضُوا؛ لِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ، فَإِذَا كَانُوا مُقِرِّينَ بِأَنَّ الرَّبَّ هُوَ الخَالِقُ

---

(١٠٨) أخرجه البخاري: كتاب المغازي- باب قدوم الأشعريين وأهل اليمن (٤٣٨٨)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب تفاضل أهل الإيمان فيه ورجحان أهل اليمن فيه (٥٢) من حديث أبي هريرة.

(١٠٩) أخرجه البخاري في كتاب مناقب الأنصار- باب حب الأنصار من الإيمان (٣٧٨٣)، ومسلم في كتاب الإيمان- باب الدليل على أن حب الأنصار وعلي رضي الله عنهم من الإيمان (٧٥)، من حديث البراء رضي الله عنه.

(١١٠) أخرجه البخاري في كتاب المناقب- باب قول النبي صلى الله عليه وسلم باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: «لولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار» (٣٧٧٩)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(١١١) أخرجه أبو داود في كتاب السنة- باب في الخلفاء (٤٦٤٩)، والترمذي في كتاب المناقب- باب مناقب عبد الرحمن بن عوف الزهري رضي الله عنه (٣٧٤٨)، من حديث سعيد بن زيد رضي الله عنه، وصححه الألباني في «تخريج الطحاوية» (٥٥٠).

(١١٢) أخرجه الترمذي في كتاب المناقب- باب في مناقب أبي بكر وعمر رضي الله عنهما (٣٦٦٦)، وابن ماجه في كتاب المقدمة- باب فضل أبي بكر الصديق رضي الله عنه (٩٥)، من حديث علي بن أبي رضي الله عنه، وأخرجه ابن ماجه أيضًا في كتاب المقدمة- باب فضل أبي بكر الصديق رضي الله عنه (١٠٠)، من حديث أبي جحيفة رضي الله عنه، وصححه الألباني في «تخريج الطحاوية» (٥٥٠).

الْمُدَبِّرُ الْمُحْيِي الْمُمِيتُ، فَإِنَّهُ يَلْزَمُهُمْ أَنْ يُتَرْجِمُوهُ لِلْعِبَادَةِ. وَهَذَا مَا وَقَعُوا فِيهِ أَثْنَاءَ الضَّرَّاءِ وَالخَوْفِ، فَقَالَ تَعَالَى: **{فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ}**(١١٣).

وَالشَّاهِدُ: أَنَّ مَنْ أَثْبَتَ تَوْحِيدَ الرُّبُوبِيَّةِ لَزِمَهُ إِثْبَاتُ أَنْوَاعِ التَّوْحِيدِ كُلِّهَا، لَكِنْ إِذَا تَحَكَّمَ الهَوَى وَغَلَبَ فَهُنَا يَكُونُ الإِشْكَالُ. وَلِهَذَا سَأَلَ سَائِلٌ عَمْرَو بْنَ العَاصِ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ(١١٤) فَقَالَ: يَا عَمْرُو، كُنْتُمْ فِي الجَاهِلِيَّةِ أَذْكَى النَّاسِ وَأَفْطَنَ النَّاسِ، فَلِمَ خَالَفْتُمْ مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَالَ: يَا ابْنَ أَخِي، وَاللهِ لَقَدْ جَالَسْتُ رِجَالًا تَزِنُ عُقُولُهُمُ الجِبَالَ رَجَاحَةً، وَلَكِنْ أَضَلَّهَا الهَوَى.

نَعُودُ إِلَى قَوْلِ النَّاظِمِ:

(وَأُثْبِتُ إِرْسَالَ النَّبِيِّ لِمَا أَتَى * بِهِ مِنْ دَلِيلٍ صَادِقٍ مُعْجِزٍ بَهَرْ)**

أَشَارَ هُنَا فِي قَوْلِهِ: (**مِنْ دَلِيلٍ صَادِقٍ مُعْجِزٍ**)، إِلَى أَنَّ بَعْضَ النَّاسِ يَقْصِرُ إِثْبَاتُ النُّبُوَّةِ عَلَى الْمُعْجِزَاتِ، وَهَذَا القَوْلُ خَطَأٌ، فَالْمُعْجِزَاتُ هِيَ دَلِيلٌ وَاحِدٌ مِنْ أَدِلَّةٍ كَثِيرَةٍ، وَلَا يُقَالُ بِأَنَّ الْمُعْجِزَاتِ هِيَ الدَّلِيلُ الأَوْحَدُ أَوِ الوَحِيدُ. وَقَدْ أَشَارَ إِلَى هَذَا أَهْلُ العِلْمِ، فَقَالُوا: أَدِلَّةُ إِثْبَاتِ النُّبُوَّةِ كَثِيرَةٌ، مِنْهَا: الْمُعْجِزَاتُ، وَمِنْهَا: التَّوَاتُرُ بِخَبَرِ رِسَالَتِهِمْ أَوْ نُبُوَّتِهِمْ، وَمِنْهَا: إِخْبَارُ السَّابِقِ عَنِ اللَّاحِقِ، فَالأَنْبِيَاءُ السَّابِقُونَ يُخْبِرُونَ عَمَّنْ بَعْدَهُمْ. قَالَ تَعَالَى: **{وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ}**(١١٥). وَمِنْهَا: اتِّفَاقُ جَمِيعِ الأَنْبِيَاءِ فِي أُمُورِ الكُلِّيَّاتِ وَالضَّرُورِيَّاتِ، فَكُلُّ الأَنْبِيَاءِ فِي أُصُولِ التَّوْحِيدِ دَعْوَتُهُمْ وَاحِدَةٌ، وَلَا تَجِدُ بَيْنَهُمْ أَيَّ خِلَافٌ.

---

(١١٣) سورة العنكبوت: ٦٥.

(١١٤) هو: الصحابي الجليل عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد -بالتصغير- ابن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي القرشي السهمي. أمير مصر. يكنى أبا عبد الله، وأبا محمد. أمه النابغة من بني عنزة -بفتح المهملة والنون-. داهية قريش ورجل العالم، ومن يضرب به المثل في الفطنة، والدهاء، والحزم. هاجر إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- مسلما في أوائل سنة ثمان، مرافقا لخالد بن الوليد، وحاجب الكعبة عثمان بن طلحة، ففرح النبي -صلى الله عليه وسلم- بقدومهم وإسلامهم، وأمَّر عمرا على بعض الجيش، وجهزه للغزو. مات سنة ثلاث وأربعين على الصحيح، وعاش نحو تسعين، وقيل: تسع تسعين سنة. انظر: الاستيعاب (ص: ٤٩٦ ترجمة ١٧٦٧)، والإصابة (٤/ ٦٥٠ ترجمة ٥٨٨٦).

(١١٥) سورة الصف: ٦.

وَفِي الضَّرُورِيَّاتِ –أَوْ مَا يُسَمِّيهِ أَهْلُ العِلْمِ: الكُلِّيَّاتِ الخَمْسِ أَوِ الضَّرُورِيَّاتِ الخَمْسِ، وَهِيَ: حُفِظَ الدِّينِ وَالنَّفْسِ وَالعَقْلِ وَالعِرْضِ وَالمَالِ– كُلُّ الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي كَلَامِهِمْ لِأَقْوَامِهِمْ يَتَّفِقُونَ عَلَى الأُصُولِ العَقَدِيَّةِ جَمِيعًا، وَعَلَى مَا يَنْفَعُ النَّاسَ مِنْ ضَرُورِيَّاتِهِمْ.

أَيْضًا مِنْ دَلَائِلِ النُّبُوَّةِ: مَا حَلَّ بِالمُكَذِّبِينَ بِهِمْ مِنَ العُقُوبَاتِ، فَإِذَا قَرَأْتَ عَمَّنْ كَذَّبَ الأَنْبِيَاءَ تَجِدُ: **{فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا}**[116]... وَهَكَذَا. وَمِنْ دَلَائِلِ النُّبُوَّةِ: عَونُ اللهِ لِلنَّبِيِّ وَنُصْرَتِهِ لَهُ، قَالَ تَعَالَى: **{إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا}**[117]. وَلَوْ كَانَ النَّبِيُّ كَاذِبًا لَمْ يَنْصُرْهُ اللهُ، وَلَمْ يُعَاقِبْ أَقْوَامَهُ الَّذِينَ خَالَفُوهُ. فَهَذِهِ بَعْضُ الأَدِلَّةِ عَلَى أَمْرِ النُّبُوَّةِ، لَكِنْ يَرَى بَعْضُ أَهْلِ العِلْمِ –كَشَيْخِ الإِسْلَامِ– أَنِ التَّسْمِيَةَ بِمُعْجِزَاتِ الأَنْبِيَاءِ الأَوْلَى أَنْ تُسَمَّى –كَمَا جَاءَ فِي القُرْآنِ– بَرَاهِينَ الأَنْبِيَاءِ أَوْ آيَاتِ الأَنْبِيَاءِ. قَالَ تَعَالَى: **{فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ}**[118]. وَقَالَ: **{فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ}**[119].

فَتَسْمِيَتُهَا بِالمُعْجِزَاتِ فِيهَا قُصُورٌ؛ لِأَنَّ الآيَةَ أَوِ البُرْهَانَ هُمَا الاسْمُ الشَّرْعِيُّ الَّذِي جَاءَ فِي القُرْآنِ الكَرِيمِ، وَالإِعْجَازُ وَصْفٌ لِبَعْضِ مَا فِي الآيَاتِ وَالبَرَاهِينِ، وَبَعْضُهُمْ يَكُونُ خَوَارِقَ لِلْعَادَاتِ. فَالمُصْطَلَحُ الشَّرْعِيُّ وَالأَكْمَلُ أَنْ تَقُولَ: آيَاتُ الأَنْبِيَاءِ وَبَرَاهِينُ الأَنْبِيَاءِ.

وَفِي هَذَا المَقَامِ يَسْتَحْسَنُ أَنْ يُذْكَرَ أَيْضًا مَا ذَكَرَهُ أَهْلُ العِلْمِ، مِنْ أَنَّ مَا يَجْرِي عَلَى أَيْدِي بَعْضِ النَّاسِ مِنَ الخَوَارِقِ لَا يَدُلُّ عَلَى صَلَاحِهِمْ، وَإِنَّمَا يُعْتَبَرُ الصَّلَاحُ بِاتِّبَاعِ صَاحِبِ الخَوَارِقِ لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَعَدَمِ مُخَالَفَتِهِ لَهُمَا؛ وَلِهَذَا يَغْتَرُّ بَعْضُ النَّاسِ –بَلْ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ– إِذَا رَأَى أَوْ سَمِعَ أَوْ قَرَأَ فِي بَعْضِ كُتُبِ الزُّهْدِ مَا يَجْرِي عَلَى بَعْضِ أَيْدِي النَّاسِ مِنَ الأُمُورِ المُعْجِزَةِ، وَيَظُنُّ أَنَّ هَذَا مِنْ بَابِ الكَرَامَاتِ وَالتَّأْيِيدِ الإِلَهِيِّ. يُقَالُ: يُنْظَرُ فِي صَلَاحِ الرَّجُلِ، وَفِي مَنْهَجِهِ وَتَعْظِيمِهِ لِلدَّلِيلِ، فَإِنْ كَانَ مُخَالِفًا مُصَادِمًا فَإِنَّ ذَلِكَ اسْتِدْرَاجٌ، وَمِنْ تَلْبِيسِ الشَّيْطَانِ وَعَوْنِهِ.

---

(١١٦) سورة العنكبوت: ٤٠.

(١١٧) سورة غافر: ٥١.

(١١٨) سورة القصص: ٣٢.

(١١٩) سورة النمل: ١٢.

وَلِهَذَا لَمَّا جَاءَ قَومٌ إِلَى أَحَدِ أَهْلِ العِلْمِ -سُفْيَانَ[120] أَوْ غَيْرِهِ- فَقَالُوا: رَأَيْنَا إِنْسَانًا يَطِيرُ فِي الهَوَاءِ، وَيَمْشِي عَلَى المَاءِ! وَذَلِكَ كَأَنَّهُ مِنْ أَوْلِيَاءِ الله، فَأَنْكَرَ عَلَيْهِمْ، وَقَالَ: انْظُرُوا إِلَى عَمَلِهِ. فَذَهَبُوا إِلَى الشَّافِعِيِّ، وَأَخْبَرُوهُ بِأَنَّهُمْ رَأَوا إِنْسَانًا يَطِيرُ فِي الهَوَاءِ، وَيَمْشِي عَلَى المَاءِ. فَقَالَ لَهُمُ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى:

إِذَا رَأَيْتَ إِنْسَانًا يَطِيرُ *** أَوْ فَوْقَ مَاءِ البَحْرِ قَدْ يَسِيرُ

وَلَمْ يَقِفْ عِنْدَ نُصُوصِ الشَّرْعِ *** فَاعْلَمْ أَنَّهُ مُسْتَدْرَجٌ بِدْعِي

فَالشَّيَاطِينُ يَنْقُلُونَ أَوْلِيَاءَهُمْ نَقْلًا حِسِّيًا، وَبَعْضُهُمْ يُحْضِرُ لَهُ الأَكْلَ وَالشُّرْبَ مِنْ أَمَاكِنَ بَعِيدَةٍ، فَهَذَا مِنْ عَوْنِ الشَّيْطَانِ، وَمِنْ بَابِ الإِغْوَاءِ فِي إِضْلَالِهِ وَغِوَايَتِهِ. إِذْ آيَاتُ الأَنْبِيَاءِ وَبَرَاهِينِهِمْ مِنْ أَعْظَمِ أَدِلَّةِ نُبُوَّتِهِمْ وَصِدْقِهِمْ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

(وَأَعْلَمُ أَنَّ اللهَ مِنْ فَوْقِ عَرْشِهِ * بِلَا كَيْفٍ، بَلْ قَوْلًا كَمَا جَاءَ فِي السُّوَرْ)**

هُنَا ذَكَرَ مَسْأَلَةَ الاسْتِوَاءِ، وَإِنْ كَانَ لَمْ يُصَرِّحْ بِلَفْظِ اسْتَوَى، لَكِنَّهُ ذَكَرَ العَرْشَ، وَأَنَّ اللهَ فَوْقَ العَرْشِ بِلَا كَيْفٍ، **(بَلْ قَوْلًا كَمَا جَاءَ فِي السُّورِ)**، وَقَدْ ذَكَرَ اللهُ العَرْشَ فِي كِتَابِهِ فِي مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ، فَقَالَ تَعَالَى: **{ذُو العَرْشِ المَجِيدُ}**[121].

وَقَالَ: **{لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ العَرْشِ الكَرِيمِ}**[122]. وَقَالَ: **{وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ}**[123].

وَذَكَرَ الاسْتِوَاءَ فِي سَبْعَةِ مَوَاضِعَ، فَقَالَ: **{ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى العَرْشِ}**[124].

---

(١٢٠) إن كان الثوري؛ فهو: سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري أبو عبد الله الكوفي. من ثور. إمام الحفاظ، سيد العلماء العاملين في زمانه. ولد سنة سبع وتسعين. قال ابن حجر في التقريب: ثقة حافظ فقيه عابد إمام حجة، وكان ربما دلس. مات بالبصرة سنة إحدى وستين ومئة. انظر: تهذيب الكمال (١١/ ١٥٤ ترجمة ٢٤٠٧)، والسير (٧/ ٢٢٩ ترجمة ٨٢).

وإن كان ابن عيينة؛ فهو: سفيان بن عيينة بن أبي عمران ميمون، أبو محمد الهلالي، الكوفي، ثم المكي، الإمام الكبير، حافظ العصر، شيخ الإسلام. مولده بالكوفة، في سنة سبع ومئة. طلب الحديث وهو حدث، بل غلام، ولقي الكبار، وحمل عنهم علما جما، وأتقن، وجود، وجمع، وصنف، وعمر دهرا، وازدحم الخلق عليه، وانتهى إليه علو الإسناد، ورحل إليه من البلاد، وألحق الأحفاد بالأجداد. قال ابن حجر في التقريب: ثقة حافظ، إلا أنه تغير حفظه بأخرة، وكان ربما دلس، لكن عن الثقات. وتوفي سنة ثمان وتسعين ومئة بالحَجُونِ -جبل بأعلى مكة-. انظر: تهذيب الكمال (١١/ ١٧٧ ترجمة ٢٤١٣)، وسير أعلام النبلاء (٨/ ٤٥٤ ترجمة ١٢٠).

(١٢١) سورة البروج: ١٥.

(١٢٢) سورة المؤمنون: ١١٦.

(١٢٣) سورة الحاقة: ١٧.

(١٢٤) سورة الفرقان: ٥٩.

أَمَّا الاسْتِوَاءُ فَمُعْتَقَدُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ: أَنَّ اللهَ اسْتَوَى عَلَى عَرْشِهِ اسْتِوَاءً حَقِيقِيًّا يَلِيقُ بِهِ، وَيُقَالُ فِي الاسْتِوَاءِ كَمَا يُقَالُ فِي جَمِيعِ الصِّفَاتِ. وَالقَاعِدَةُ: أَنَّ القَوْلَ فِي صِفَةٍ كَالقَوْلِ فِي جَمِيعِ الصِّفَاتِ. فَالعَرْشُ يَلِيقُ بِاللهِ مِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ وَلَا تَعْطِيلٍ وَلَا تَشْبِيهٍ وَلَا تَحْرِيفٍ.. إِلَى آخِرِهِ.

وَقَدْ جَالَ أَهْلُ العِلْمِ عَلَيْهِمْ رَحْمَةُ اللهِ وَصَالُوا عَلَى المُخَالِفِينَ فِي هَذِهِ المَسْأَلَةِ، وَقَوْلُ المُخَالِفِينَ مُتَهَافِتٌ مُصَادِمٌ لِلأَدِلَّةِ، وَلَكِنَّهُ بَلْوَى عَمَّتْ، فَلَا بُدَّ مِنْ رَدِّهَا. فَمِنْهُمْ مَنْ صَنَّفَ كِتَابًا مُسْتَقِلًّا فِي العُلُوِّ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَفْرَدَ كُتُبًا -كَمَا تَقَدَّمَتِ الإِشَارَةُ فِي مَجْلِسٍ سَابِقٍ فِي بَعْضِ أُصُولِ الاعْتِقَادِ، وَمِنْهَا الاسْتِوَاءِ- وَبِكُلِّ حَالٍ فَمَنْ خَالَفَ وَقَالَ: إِنَّ اللهَ اسْتَوَى عَلَى عَرْشِهِ، بِمَعْنَى اسْتَوْلَى. فَقَوْلُهُ مُصَادِمٌ مُخَالِفٌ لِلنُّصُوصِ وَالفِطْرَةِ وَإِجْمَاعِ سَلَفِ الأُمَّةِ. وَقَدْ رَدَّهُ ابْنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى مِنِ اثْنَيْنِ وَأَرْبَعِينَ وَجْهًا. وَمِنْ ضِمْنِ الرُّدُودِ: إِذَا كَانَ اسْتَوَى بِمَعْنَى اسْتَوْلَى، فَلِمَاذَا يُخَصُّ العَرْشُ دُونَ غَيْرِهِ؟! إِذَنْ نَقُولُ: اسْتَوَى عَلَى الأَرْضِ، وَاسْتَوَى عَلَى الجَبَلِ، وَاسْتَوَى عَلَى المَاءِ، وَاسْتَوَى عَلَى البَحْرِ... فَمَا خَصَّ اللهُ العَرْشَ فِي الاسْتِوَاءِ إِلَّا لِتَمَيُّزِهِ عَنْ غَيْرِهِ.

وَأَيْضًا أَنَّ اسْتَوَى فِي لُغَةِ العَرَبِ تَأْتِي بِمَعْنَى: عَلَا وَارْتَفَعَ وَصَعِدَ. وَبَعْضُهُمْ يَقُولُ: الاسْتِوَاءُ عِنْدَ العَرَبِ: تَارَةً يَكُونُ مُطْلَقًا، وَتَارَةً يَكُونُ مُتَعَدِّدًا، فَيَكُونُ مُطْلَقًا كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: **{وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى}**[١٢٥]. أَيْ: تَمَّ وَكَمُلَ. وَيَكُونُ مُتَعَدِّيًا بِـ «عَلَى» كَمَا فِي قَوْلِهِ: **{ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى العَرْشِ}**[١٢٦]. أَيْ: عَلَا وَارْتَفَعَ. وَجَاءَ عَنْ سَفِينَةِ نُوحٍ: **{وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ}**[١٢٧]. أَيْ: عَلَتْ وَارْتَفَعَتْ. وَتَأْتِي لَفْظَةُ «اسْتَوَى» مُتَعَدِّيَةً بِالوَاوِ، فَتَقُولُ: اسْتَوَى المَاءُ وَالخَشَبَ. أَيْ: تَسَاوَيَا. وَالشَّاهِدُ أَنَّ بَعْضَهُمُ احْتَجَّ بِبَيْتٍ لِلأَخْطَلِ[١٢٨] النَّصْرَانِيِّ:

---

(١٢٥) سورة القصص: ١٤.

(١٢٦) سورة السجدة: ٤.

(١٢٧) سورة هود: ٤٤.

(١٢٨) هو: غياث بن غوث التغلبي النصراني، أبو مالك، شاعر زمانه، ولد عام تسعة عشر، اشتهر في عهد بني أمية بالشام، كانت إقامته طورا في دمشق مقر الخلفاء من بني أمية وحينا في الجزيرة حيث يقيم بنو تغلب قومه، أكثر من مدح ملوكهم، توفي سنة تسعين. انظر: سير أعلام النبلاء (٤/ ٥٨٩ ترجمة ٢٢٥)، وطبقات فحول الشعراء لابن سلام (٢/ ٤٥١) ت: محمود شاكر.

قَدِ اسْتَوَى بِشْرٌ[١٢٩] عَلَى العِرَاقِ *** مِنْ غَيْرِ سَيْفٍ وَلَا دَمٍ مُهْرَاقِ

وَرَحِمَ اللهُ شَيْخَ الإِسْلَامِ، فَفِي بَيْتٍ مَنِ الشِّعْرِ يَقُولُ:

قُبْحًا لِمَنْ نَبَذَ القُرْآنَ وَرَاءَهُ *** وَإِذَا اسْتَدَلَّ يَقُولُ: قَالَ الأَخْطَلُ

وَابْنُ حَزْمٍ[١٣٠] قَرَأْتُ لَهُ عِبَارَةً، يَقُولُ مَا مَعْنَاهُ: بِئْسَ لَمِنِ احْتَجَّ بِقَوْلِ شَاعِرٍ نَصْرَانِيٍّ بَوَّالٍ عَلَى عَقِبَيْهِ فِي رَدِّ نُصُوصٍ شَرْعِيَّةٍ! فَيَحْتَجُّونَ بِبَيْتٍ مِنَ الشِّعْرِ لِشَاعِرٍ نَصْرَانِيٍّ، قَدْ قِيلَ: إِنَّ البَيْتَ لَيْسَ لَهُ! وَفِيهِ مُصَادَمَةٌ لآيَاتٍ كَرِيمَةٍ صَرِيحَةٍ لَا تَحْتَمِلُ التَّأْوِيلَ.

وَهُنَا يَقُولُ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: (**مِنْ فَوْقِ عَرْشِهِ**): وَالعَرْشُ عَرْشٌ حَقِيقِيٌّ، وَقَدْ تَأَوَّلَهُ بَعْضُهُمْ بِأَنَّهُ المَلِكُ، وَالصَّحِيحُ أَنَّ عَرْشَ الرَّحْمَنِ عَرْشٌ حَقِيقِيٌّ. وَمِنْ صِفَاتِهِ: أَنَّهُ بَهِيُّ المَنْظَرِ، وَلَهُ قَوَائِمُ، وَهُوَ أَثْقَلُ المَوْزُونَاتِ، وَأَعْلَى المَخْلُوقَاتِ، وَأَوَّلُ المَخْلُوقَاتِ.

أَمَّا أَنَّهُ بَهِيُّ المَنْظَرِ وَالشَّكْلِ، فَفِي قَوْلِهِ تَعَالَى: **{لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ العَرْشِ الكَرِيمِ}**[١٣١]. فِيهِ قِرَاءَتَانِ: **{رَبُّ العَرْشِ الكَرِيمِ}** صِفَةٌ لِلْعَرْشِ. وَ**{رَبُّ العَرْشِ الكَرِيمُ}** صِفَةٌ لِلرَّبِّ. وَفِي الآيَةِ الأُخْرَى: **{ذُو العَرْشِ المَجِيدُ}**[١٣٢]. وَفِي قِرَاءَةٍ: **{ذُو العَرْشِ المَجِيدِ}**. وَفِي قَوْلِهِ تَعَالَى: **{رَبُّ العَرْشِ الكَرِيمِ}**[١٣٣]. الكَرِيمُ فِي لُغَةِ العَرَبِ لَهُ إِطْلَاقَانِ:

الأَوَّلِ: الجُودُ وَالسَّخَاءُ.

---

(١٢٩) هو: بشر بن مروان بن الحكم بن أبي العاص القرشي الأموي، أحد الأجواد، أميرا، كان سمحا جوادا. ولي إمرة العراقين لأخيه عبد الملك سنة أربع وسبعين. توفي سنة خمس وسبعين، وله نيف وأربعون سنة. انظر: سير أعلام النبلاء (٤/ ١٤٥ ترجمة ٤٩)، والنجوم الزاهرة (١/ ١٩١).

(١٣٠) هو: الإمام الأوحد، البحر، ذو الفنون والمعارف، أبو محمد، علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح بن خلف بن معدان بن سفيان بن يزيد الفارسي الأصل، ثم الأندلسي القرطبي اليزيدي مولى الأمير يزيد بن أبي سفيان بن حرب الأموي -رضي الله عنه- المعروف بيزيد الخير، نائب أمير المؤمنين أبي حفص عمر على دمشق، الفقيه الحافظ، المتكلم، الأديب، الوزير الظاهري، صاحب التصانيف. ولد سنة بقرطبة في سنة أربع وثمانين وثلاث مئة. فنشأ في تنعم ورفاهية، ورزق ذكاء مفرطا، وذهنا سيالا، وكتبا نفيسة كثيرة. مات سنة ست وخمسين وأربع مئة. له من المؤلفات: «المحلى» في الفقه، و«الإحكام» في أصول الفقه، انظر: سير أعلام النبلاء (١٨/ ١٨٤ ترجمة ٩٩)، و«ابن حزم فقهه وآراؤه» للشيخ/ محمد أبو زهرة.

(١٣١) سورة المؤمنون: ١١٦.

(١٣٢) سورة البروج: ١٥.

(١٣٣) سورة المؤمنون: ١١٦.

الثَّانِي: جَمَالُ الشَّكْلِ وَبَهَاءُ المَنْظَرِ، قَالَ تَعَالَى: **{أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ}**[١٣٤]. وَقَالَ: **{وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ}**[١٣٥]. إِذَنْ مِنْ صِفَاتِ العَرْشِ أَنَّهُ بَهِيُّ المَنْظَرِ مَجِيدٌ عَظِيمُ الشَّأْنِ.

الصِّفَةُ الثَّالِثَةُ: أَنَّ لَهُ قَوَائِمَ؛ لِلْحَدِيثِ الصَّحِيحِ: «**النَّاسُ يُصْعَقُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَفِيقُ، فَإِذَا بِمُوسَى آخِذٌ بِقَائِمَةٍ مِنْ قَوَائِمِ العَرْشِ، فَلَا أَدْرِي أَفَاقَ قَبْلِي أَمْ جُوزِيَ بِصَعْقَةِ الطُّورِ؟**»[١٣٦]. أَمَّا أَنَّهُ أَثْقَلُ المَوْزُونَاتِ؛ فَلِقَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**سُبْحَانَ اللهِ عَدَدَ خَلْقِهِ، سُبْحَانَ اللهِ رِضَا نَفْسِهِ، سُبْحَانَ اللهِ زِنَةَ عَرْشِهِ، سُبْحَانَ اللهِ مِدَادَ كَلِمَاتِهِ**»[١٣٧]. فَفِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّهُ أَثْقَلُ المَوْزُونَاتِ.

وَأَمَّا الصِّفَةُ الأَخِيرَةُ: أَنَّهُ سَقْفُ المَخْلُوقَاتِ وَأَعْلَى المَخْلُوقَاتِ، فَقَدْ جَاءَ فِي الحَدِيثِ أَنَّهُ: «**وَإِنَّ الْعَرْشَ عَلَى الْفِرْدَوْسِ مِنْهَا تُفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ**»[١٣٨]. وَاللهُ فَوْقَ العَرْشِ.

وَأَمَّا أَنَّهُ أَوَّلُ المَخْلُوقَاتِ؛ فَقَدِ اخْتَلَفُوا: هَلْ هُوَ أَوَّلُ المَخْلُوقَاتِ أَمِ القَلَمُ؟ وَالصَّحِيحُ: أَنَّ العَرْشَ أَوَّلًا ثُمَّ القَلَمُ، وَجَاءَ فِي نَظْمِ النُّونِيَّةِ لِابْنِ القَيِّمِ:

وَالنَّاسُ مُخْتَلِفُونَ فِي القَلَمِ الَّذِي *** كُتِبَ القَضَاءُ بِهِ مِنَ الدَّيَّانِ

هَلْ كَانَ قَبْلَ العَرْشِ أَوْ هُوَ بَعْدَهُ *** قَوْلَانِ عِنْدَ أَبِي العَلَا الهَمَدَانِي

وَالحَقُّ أَنَّ العَرْشَ قَبْلُ لِأَنَّهُ *** وَقْتَ الكِتَابَةِ كَانَ ذَا أَرْكَانِ

فَالعَرْشُ أَوَّلُ المَخْلُوقَاتِ.

وَاللهَ أَسْأَلُ أَنْ يَرْزُقَنَا جَمِيعًا العِلْمَ النَّافِعَ وَالعَمَلَ الصَّالِحَ.

---

(١٣٤) سورة الشعراء: ٧.

(١٣٥) سورة يوسف: ٣١.

(١٣٦) أخرجه البخاري في كتاب الخصومات- باب ما يذكر في الإشخاص والخصومة بين المسلم واليهود (٢٤١١)، ومسلم في كتاب الفضائل- باب من فضائل موسى صلى الله عليه وسلم (٢٣٧٣)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(١٣٧) أخرجه مسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار- باب التسبيح أول النهار وعند النوم (٢٧٢٦)، من حديث جويرية رضي الله عنها.

(١٣٨) أخرجه الترمذي في كتاب صفة الجنة- باب ما جاء في صفة درجات الجنة (٢٥٣٠)، من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٤٢٤٤).

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ، وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَى رَسُولِ اللهِ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَنَقُولُ لِلْجَمِيعِ مِنْ بَابِ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ عَزَّى أَخَاهُ الْمُسْلِمَ كَسَاهُ اللهُ حَبِرَةً مِنَ الْجَنَّةِ**»(١٣٩). أَوْ كَمَا قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**إِنَّ للهِ مَا أَخَذَ، وَلَهُ مَا أَعْطَى، وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِأَجَلٍ مُسَمًّى؛ فَلْتَصْبِرْ وَلْتَحْتَسِبْ**»(١٤٠). فَلْنَصْبُرْ وَلْنَحْتَسِبْ لِوَفَاةِ شَيْخِنَا العَلَّامَةِ عَبْدِ اللهِ بْنِ جِبْرِيْنَ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى(١٤١)، وَأَسْكَنَهُ فِرْدَوسَهُ الأَعْلَى.

وَمِنْ بَابِ قَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**اذْكُرُوا مَحَاسِنَ مَوْتَاكُمْ**»(١٤٢). فَلَا أَحَدٌ يَجْهَلُ مَا لِلْشَّيْخِ الجَلِيلِ مِنَ النَّشَاطِ دَاخِلَ الرِّيَاضِ وَخَارِجَهَا. وَكَانَ هَذَا الجَامِعَ الْمُبَارَكُ قَدْ حَظِيَ بِنَشَاطٍ مُتَمَيِّزٍ لِلْشَّيْخِ عَبْدِ اللهِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى، فَقَدْ كَانَتْ لَهُ فِيهِ دُرُوسٌ، ثُمَّ انْتَقَلَتْ إِلَى الجَامِعِ الْمُجَاوِرُ لِبَيْتِهِ، مِنْ بَابِ الرِّفْقِ بِهِ.

وَكَانَ عَلِمًا ثَابِتًا فِي الدَّوْرَاتِ العِلْمِيَّةِ المَعْقُودَةِ فِي الجَامِعِ الْمُبَارَكِ، فَرَحِمَهُ اللهُ، وَأَجْزَلَ مَثُوبَتَهُ، وَجَبَرَ مُصَابَ الجَمِيعِ، وَأَخْلَفَنَا، وَحَفِظَ عُلَمَاءَنَا.

---

(١٣٩) أخرجه الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (٧/ ٣٩٧) وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٥/ ٩١/ ١)، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، وحسنه الألباني في «تلخيص أحكام الجنائز» (ص٧٠).

(١٤٠) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد- باب قول الله تعالى: ﴿قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن﴾ (٧٣٧٧)، ومسلم في كتاب الجنائز- باب البكاء على الميت (٩٢٣)، من أسامة بن زيد رضي الله عنهما.

(١٤١) هو: عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن إبراهيم بن فهد بن حمد بن جبرين من آل رشيد، وهم فخذ من عطية بن زيد، وبنو زيد قبيلة مشهورة بنجد كان أصل وطنهم مدينة شقراء ثم نزح بعضهم إلى بلدة القويعية في قلب نجد وتملكوا هناك. ولد سنة اثنتين وخمسين وثلاث مئة. من شيوخه: عبد العزيز بن محمد أبو حبيب الشثري، محمد بن إبراهيم آل الشيخ. عمل في رئاسة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد باسم عضو إفتاء وتولى الفتاوى الشفهية والهاتفية والكتابة على بعض الفتاوى السريعة وقسمة المسائل الفرضية. من مؤلفاته: «أخبار الآحاد في الحديث النبوي». توفي في العشرين من رجب سنة ثلاثين وأربع مئة وألف. انظر: الموقع الرسمي للشيخ على الشبكة العنكبوتية.

(١٤٢) أخرجه أبو داود في كتاب الأدب- باب في النهي عن سب الموتى (٤٩٠٠)، والترمذي في كتاب الجنائز- باب آخر (١٠١٩)، من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٧٣٩).

وَفَضْلُ العُلَمَاءِ قَدْ أَخْبَرَ بِهِ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ حَيْثُ قَالَ: «**إِنَّ اللهَ لَا يَقْبِضُ العِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ العِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ العِلْمَ بِقَبْضِ العُلَمَاءِ؛ حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا؛ اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُوسًا جُهَّالًا، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوا بِغَيْرِ عِلْمٍ؛ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا**»(١٤٣). فَقَبْضُ العُلَمَاءِ مُصِيبَةٌ، لَكِنْ هُنَاكَ مُصَابٌ آخَرَ، وَهُوَ أَنْ يَتَّخِذَ النَّاسِ الرُّؤُوسِ الجُهَّالِ؛ فَيَسْأَلُونَ، فَيُفْتُونَ بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَيُضِلُّونَ بِأَنْفُسِهِمْ، وَيُضِلُّونَ غَيْرَهُمْ.

فَمَوْتُ العَالِمِ ثُلْمَةٌ، لَكِنِ المُصِيبَةَ الأُخْرَى هِيَ أَنْ يَلْبَسَ ثِيَابَ العُلَمَاءِ مَنْ لَيْسَ مِنْهُمْ؛ فَيُضِلُّ النَّاسَ فِي أُمُورِ دِينِهِمْ وَعَقَائِدِهِمْ، وَهَذِهِ مُصِيبَةٌ أُخْرَى، وَحَرِيٌّ بِطَالِبِ العِلْمِ أَنْ يَشْحَذَ هِمَّتَهُ، وَأَنْ يُقَوِّيَ عَزِيمَتَهُ، وَقَبْلَ ذَلِكَ أَنْ يَسْتَعِينَ بِاللهِ فِي جَمِيعِ شُؤُونِهِ، وَيَجْتَهِدُ فِي الطَّلَبِ وَالبَحْثِ وَالتَّحْصِيلِ، وَيَكُونَ نَاصِرًا لِلسُّنَّةِ وَالتَّوْحِيدِ بِلِسَانِهِ وَقَلَمِهِ وَجَمِيعِ شَأْنِهِ.

رَحِمَ اللهُ الشَّيْخَ عَبْدَ اللهِ شَيْخَنَا المُبَارَكَ، وَجَعَلَ مَثْوَانَا وَمَثْوَاهُ مَقْعَدَ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ.

تَقَدَّمَ فِي مَجْلِسِ الدَّرْسِ السَّابِقِ شَيْءٌ عَنْ إِثْبَاتِ النُّبُوَّةِ، وَأَنَّ بَعْضَ أَهْلِ العِلْمِ يَقْصُرُ ثُبُوتَ النُّبُوَّةِ عَلَى المُعْجِزَاتِ، وَتَقَدَّمَ أَنَّ الصَّوابَ: أَنَّ المُعْجِزَاتِ طَرِيقٌ وَاحِدٌ -أَوْ بُرْهَانٌ وَاحِدٌ- مِنْ بَرَاهِينِ ثُبُوتِ النُّبُوَّةِ، وَهُنَاكَ بَرَاهِينُ وَدَلَائِلُ أُخْرَى: كَالتَوَاتُرِ، وكَتَصْدِيقِ الرُّسُلِ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ، وَكَحُلُولِ العُقُوبَةِ لِلْمُخَالِفِينَ.

وَأَيْضًا مِنْ بَرَاهِينِ ثُبُوتِ النُّبُوَّةِ: إِخْبَارُ السَّابِقِينَ مِنَ الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِم الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِاللَّاحِقِينَ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿**وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ**﴾(١٤٤).

وَمِنْ إِثْبَاتِ النُّبُوَّةِ: وَاقِعُ النَّبِيِّ؛ إِذْ إِنَّ اللهَ يُؤَيِّدُهُ، وَيَنْصُرُهُ، وَيُمَكِّنُهُ، وَلَوْ كَانَ لَيْسَ بِنَبِيٍّ؛ لَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهِ إِلَى خُسْرَانٍ.

وَالمُعْجِزَاتُ النَّبَوِيَّةِ لَعَلَّ الأَصَحَّ أَنْ تُسَمَّى: بَرَاهِينَ وَآيَاتٍ -كَمَا سَبَقَ التَّنْبِيهُ إِلَيْهِ. وَقَدْ نَبَّهَ إِلَى هَذَا شَيْخُ الإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى، وَبِذَلِكَ جَاءَ النَّصُّ القُرْآنِيُّ، فَقَدْ ذَكَرَ البَرَاهِينَ وَالآيَاتِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿**فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ**﴾(١٤٥). وَقَالَ تَعَالَى: ﴿**فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ**﴾(١٤٦).

---

(١٤٣) أخرجه البخاري في كتاب العلم- باب كيف يقبض العلم (١٠٠)، ومسلم في كتاب العلم- باب رفع العلم وقبضه وظهور الجهل والفتن (٢٦٧٣)، من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

(١٤٤) سورة: الصف: ٦.

(١٤٥) سورة النمل: ١٢.

وَهَذِهِ البَرَاهِينُ وَالآيَاتُ الَّتِي سَمَّاهَا بَعْضُهُمْ: بِالْمُعْجِزَاتِ، جَاءَتْ فِي القُرْآنِ الكَرِيمِ وَالسُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ؛ فَقَدْ أَخْبَرَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا عَنْ شَأْنِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَأَنْ فَلَقَ البَحْرَ آيَةٌ عَظِيمَةٌ. وَعَنْ شَأْنِ عِيسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي إِبْرَاءِ الأَكْمَهِ، وَإِحْيَاءِ المَوتَى -بِإِذْنِ اللهِ تَعَالَى-.

أَمَّا فِي شَأْنِ نَبِيِّنَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَهِيَ كَثِيرَةٌ جِدًّا، وَقَدْ ذَكَرَ أَهْلُ العِلْمِ فِي كُتُبِ الشَّمَائِلِ وَالسِّيَرِ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ؛ فَمِنَ الآيَاتِ وَالبَرَاهِينِ الَّتِي أَجْرَاهَا اللهُ عَلَى يَدِ نَبِيِّنَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: تَكْثِيرُ الطَّعَامِ، وَتَكْثِيرُ الشَّرَابِ، وَثُبُوتُ الجَبَلِ بَعْدَ أَنْ اهْتَزَّ تَحْتَ قَدَمَيْهِ، فَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اثْبُتْ أُحُدُ**». وَفِي لَفْظٍ: «**اثْبُتْ حِرَاءُ؛ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ نَبِيٌّ وَصِدِّيقٌ وَشَهِيدَانِ**»(١٤٧).

وَكَذَا مَا جَاءَ فِي حَدِيثِ جَابِرٍ(١٤٨): أَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ خَرَجَ، وَكَانَ فِي وَادٍ أَفْيَحَ -أَيْ: مُتَّسِعٌ مُنْبَسِطٌ-، فَلَمَّا أَرَادَ قَضَاءَ حَاجَتِهِ، لَمْ يَجِدْ مَكَانًا يَسْتَتِرُ بِهِ عَنِ النَّاسِ، فَإِذَا بِشَجَرَتَيْنِ عَلَى طَرَفَيْ وَادٍ مِنَ الأَوْدِيَةِ، فَأَمَرَهُمَا، فَجَاءَتِ الشَّجَرَتَانِ تَسْعِيَانِ حَتَّى التَأَمَتَا، فَلَمَّا قَضَى حَاجَتَهُ أَمَرَهُمَا بِالرُّجُوعِ، فَرَجَعَتَا إِلَى مَكَانِهِمَا.

وَفِي حَدِيثِ امْرَأَةِ جَابِرٍ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ وَعَنْهَا(١٤٩) عِنْدَمَا كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَحْفُرُ الخَنْدَقَ، وَقَدْ رَبَطَ عَلَى بَطْنِهِ حَجَرَيْنِ مِنَ الجُوعِ، فَشَقَّ عَلَى جَابِرٍ حَالُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَذَهَبَ إِلَى امْرَأَتِهِ وَأَخْبَرَهَا بِالخَبَرِ، فَقَالَتْ: عِنْدِي مَا يَكْفِي لَهُ -يَعْنِي: مِنْ طَعَامٍ- وَمَعَهُ رَجُلٌ أَوْ رَجُلَانِ. فَذَهَبَ جَابِرٌ وَأَخْبَرَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِذَلِكَ، وَأَنَّ عِنْدَهُ طَعَامٌ يَكْفِيهِ، وَيَكْفِي مَعَهُ رَجُلًا أَوْ رَجُلَيْنِ، فَأَمَرَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مُنَادِيًا، أَوْ نَادَى هُوَ فَقَالَ: «**يَا أَهْلَ الخَنْدَقِ، إِنَّ جَابِرًا يَدْعُوكُمْ**». فَرَجَعَ جَابِرٌ فَزِعًا، وَقَدْ لَحِقَهُ مَا يَلْحَقُ الإِنْسَانُ إِذَا وَقَعَ فِي

---

(١٤٦) سورة القصص: ٣٢.

(١٤٧) أخرجه البخاري في كتاب المناقب- باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: «متخذا خليلًا» (٣٦٧٥)، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(١٤٨) هو: الصحابي الجليل جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام بن ثعلبة بن حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة، أبو عبد الله، وأبو عبد الرحمن الأنصاري، الخزرجي، السلمي، المدني، الفقيه الإمام الكبير، المجتهد، الحافظ، صاحب رسول الله -صلى الله عليه وسلم-. وكان مفتي المدينة في زمانه. شهد ليلة العقبة مع والده، وأطاع أباه يوم أحد، وقعد لأجل أخواته، ثم شهد الخندق وبيعة الشجرة، وقد ورد أنه شهد بدرا. شاخ، وذهب بصره، وقارب التسعين. توفي بالمدينة سنة أربع وتسعين، وقيل: سنة سبع وتسعين. انظر: الاستيعاب (ص: ١١٤ ترجمة ٢٩٦)، وأسد الغابة (١/ ٤٩٢ ترجمة ٦٤٧).

(١٤٩) اسمها سهلة بنت مسعود بن أوس بن مالك الأنصارية الأوسية، قاله ابن حجر في الفتح (٩/ ١٢٢):.

مَقَامٍ يُعَابُ عَلَيْهِ، أَوْ يُحْرَجُ فِيهِ، وَلَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَتَوَجَّهَ لِلنَّاسِ بِكَرَامَتِهِ، وَبِخَاصَّةٍ إِذَا كَانَ فِيهِمْ أَفْضَلُ الخَلْقِ، وَمَعَهُ أَفْضَلُ الصَّحَابَةِ، فَرَجَعَ جَابِرٌ فَزِعًا، فَأَخْبَرَ امْرَأَتَهُ، فَقَالَتْ: فَعَلَ اللهُ بِكَ -كَمَا يَحْصُلُ بَيْنَ الزَّوْجِ وَامْرَأَتِهِ إِذَا اخْتَصِمَا- أَلَمْ أُخْبِرْكَ أَنَّ الطَّعَامَ لَا يَكْفِي إِلَّا لَهُ وَمَعَهُ رَجُلٌ أَوْ رَجُلَانِ، قَالَ: قَدْ أَخْبَرْتُهُ. قَالَتْ: أَأَخْبَرْتُهُ؟ قَالَ: نَعَمْ. فَقَالَتْ: إِذَنْ يَأْتِيَ اللهُ بِالخَيْرِ، فَلَمَّا رَجَعَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قَالَ لِجَابِرٍ: «**أَحْضِرِ امْرَأَةً أَوِ امْرَأَتَيْنِ**» -أَيْ: لِتُسَاعِدَ أَهْلَكَ يَا جَابِرُ-، ثُمَّ إِذَا وَضَعْتُمُ البُرْمَةَ عَلَى النَّارِ فَآذِنُونِي، وَلَا تُنْزِلُنَّ بُرْمَتَكُمْ، وَلَا تَخْبِزُنَّ عَجِينَكُمْ حَتَّى أَجِيءَ، فَلَمَّا وَضَعُوهَا أَتَى النَّبِيُّ وَنَفَثَ فِيهَا، ثُمَّ دَخَلَ القَوْمُ عَشْرَةً عَشْرَةً أَوْ مِائَةً مِائَةً، حَتَّى أَكَلُوا جَمِيعًا، وَهُمْ بِضْعُ مِئَاتٍ! فَقَالَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**مَا فَعَلَتْ بُرْمَتُكُمْ؟**». قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، قَدْ أَنْزَلْنَاهَا، فَقَالَ: «**أَمَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ تَرَكْتَهَا لَمَا زَالَتْ تَدِبُّ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ**»(١٥٠).

وَكَذَلِكَ مَا جَاءَ فِي الحَدِيثِ الصَّحِيحِ عِنْدَمَا كَانَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَخْطُبُ عَلَى جِذْعٍ، فَقَالَتْ امْرَأَةٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ ابْنِيَ نَجَّارٌ، وَلَوْ شِئْتَ لَصَنَعَ لَكَ مِنْبَرًا. فَصَنَعَ لَهُ مِنْبَرًا، فَلَمَّا صَعِدَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المِنْبَرَ، سَمِعُوا لِلْجِذْعِ حَنِينًا كَحَنِينِ النَّاقَةِ إِلَى فَصِيلِهَا أَوْ صَغِيرِهَا. فَنَزَلَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَاحْتَضَنَهُ.

وَالأَحَادِيثُ فِي هَذِهِ الآيَاتِ وَالبَرَاهِينِ كَثِيرَةٌ، وَمَا ذُكِرَ فَهُوَ مِنْ بَابِ التَّمْثِيلِ لَا الحَصْرِ.

وَتَقَدَّمُ فِي المَجْلِسِ السَّابِقِ: ذِكْرُ العَرْشِ وَالاسْتِوَاءِ، وَتَقَدَّمُ أَنَّ مُعْتَقَدَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ: أَنَّ اللهَ اسْتَوَى عَلَى عَرْشِهِ اسْتِوَاءً حَقِيقِيًّا يَلِيقُ بِعَظِيمِ وَجْهِهِ وَجَلَالِ سُلْطَانِهِ، وَتَقَدَّمَ ذِكْرُ نُقُولَاتِ أَهْلِ العِلْمِ. وَكَثُرَتِ الأَدِلَّةُ فِي ذَلِكَ فِي القُرْآنِ وَالسُّنَّةِ، وَأَنَّ مَنْ فَسَّرَ الاسْتِوَاءَ بِالاسْتِيْلَاءِ؛ فَذَلِكَ مَرْدُودٌ مُخَالِفٌ لِصَرِيحِ الآيَاتِ وَالسُّنَنِ.

وَكُلُّنَا يَعْرِفُ الأَثَرَ المَشْهُورَ: الاسْتِوَاءُ مَعْلُومٌ، وَالكَيْفُ مَجْهُولٌ، وَالإِيْمَانُ بِهِ وَاجِبٌ، وَالسُّؤَالُ عَنْهُ بِدْعَةٌ. وَهُوَ ذَاكَ الرَّجُلُ الَّذِي سَأَلَ الإِمَامَ مَالِكًا فِي مَجْلِسِهِ: كَيْفَ اسْتَوَى؟ فَأَجَابَ الإِمَامُ مَالِكٌ بِجَوَابٍ أَصْبَحَ قَاعِدَةً عِنْدَ أَهْلِ العِلْمِ، حَتَّى قَالَ بَعْضُهُمْ: هَذَا الكَلَامُ مِنْ مَالِكٍ يُقَالُ فِي جَمِيعِ الصِّفَاتِ. فَكُلُّ مَا جَاءَ مِنْ صِفَاتِ اللهِ تَعَالَى يَنْسَحِبُ عَلَيْهِ هَذَا الأَثَرِ.

---

(١٥٠) أخرجه البخاري في كتاب المغازي- باب غزوة الخندق وهي الأحزاب (٤١٠١)، ومسلم في كتاب الأشربة- باب جواز استتباعه غيره إلى دار من يثق برضاه (٢٠٣٩).

وَلِلْفَائِدَةِ: هَذَا الأَثَرُ رُوِيَ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهَا، وَرُوِيَ عَنْ رَبِيْعَةَ الـرَّأْيِ[١٥١] شَـيْخِ الإِمَـامِ مَالِـكٍ، وَرُوِيَ عَنِ الإِمَامِ مَالِكٍ.

قَالَ بَعْضُ أَهْلِ العِلْمِ: لَمْ يَثْبُتْ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ، بَلْ ثَبَتَ عَنْ رَبِيْعَةَ وَمَالِكٍ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ ثَبَتَ عَنِ الجَمِيعِ. وَقَدْ يَكُونُ هَذَا مِنْ بَابِ تَطَابُقِ الثَّلَاثَةِ عَلَى هَذِهِ اللَّفْظَةِ. وَقَدْ يَكُونُ بَلَغَ الإِمَامُ رَبِيعَةُ خَبَرَ أُمِّ سَلَمَةَ، فَقَالَهُ عَرْضًا، فَسَمِعَهُ الإِمَامُ مَالِكٌ فَقَالَهُ نَقْلًا. وَبِكُلِّ حَالٍ: فَأَثَرُ مَالِكٍ حَظِيَ بِدِرَاسَةٍ عِلْمِيَّةٍ جَمِيلَةٍ لِلشَّيْخِ عَبْدِ الرَّزَّاقِ البَـدْرُ[١٥٢] دِرَايَـةً وَرِوَايَةً.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيْمِ، الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ..

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِشَيْخِي عَبْدِ اللهِ بْنِ جِبْرِينَ، وَارْفَعْ دَرَجَتَهُ فِي المَهْدِيِّينَ.

قَالَ الحَافِظُ مُحَمَّدُ بْنُ طَاهِرٍ رَحِمَهُ اللهُ:

(وَأَشْهَدُ أَنَّ اللهَ أَسْرَى بِعَبْدِهِ * مُحَمَّدٍ المَبْعُوثِ مِنْهُ إِلَى البَشَرْ)**

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ، وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَى رَسُولِ اللهِ.

هَذَا البَيْتُ يَتَعَلَّقُ بِمَسْأَلَةِ الإِسْرَاءِ، وَالإِسْرَاءِ جَاءَ التَّوَاتُرُ بِهِ فِي القُرْآنِ الكَرِيمِ، وَسُمِّيَتْ بِاسْـمِهِ سُـورَةُ، وَتُسَـمَّى أَيْضًا بِسُورَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ.

---

(١٥١) هو: ربيعة بن أبي عبد الرحمن، واسمه فروخ القرشي، التيمي. أبو عثمان، ويقال: أبو عبد الرحمن المدني، المعروف بربيعة الرأي، مولى آل المنكدر. مفتي المدينة، وعالم الوقت. كان ثقة كثير الحديث. قال ابن حجر في التقريب: ثقة فقيه مشهور. توفي سنة ست وثلاثين ومئة. انظر: تهذيب الكمال (٩/ ١٢٣ ترجمة ١٨٨١)، والسير (٦/ ٨٩ ترجمة ٢٣).

(١٥٢) هو: الشيخ الفاضل عبد الرزاق بن عبد المحسن العباد البدر. من علماء المملكة العربية السعودية. ولد في الثاني والعشرين من ذي القعد عام اثنين وثمانين وثلاث مئة وألف. وهو الآن عضو هيئة التدريس بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية. من مؤلفاته: «فقه الدعية والأذكار»، «شرح حاشية أبي داود». انظر: موقع الأكاديمية الإسلامية المفتوحة:

.http://www.islamacademy.net/Accounts/UserResume.asp?UserId=35088&Lang=Ar

وَهُنَا فَائِدَةٌ عَارِضَةٌ، وَهِيَ: أَنَّ سُوَرَ القُرْآنِ الكَرِيْمِ مِنْهَا مَا يَكُونُ لَهُ اسْمٌ وَاحِدٌ، وَمِنْهَا مَا يَكُونُ لَهُ اسْمَانِ، وَمِنْهَا مَا يَكُونُ لَهُ عَشْرَةٌ، وَقَدْ تَزِيدُ بَعْضُ السُّوَرِ عَلَى عِشْرِيْنَ اسْمًا، كَمَا فِي سُورَةِ الفَاتِحَةِ وَالإِخْلَاصِ، وَقَدْ أَشَارَ إِلَى هَذَا السُّيُوطِيّ[١٥٣] فِي كِتَابِهِ «الإِتْقَانِ».

وَسُورَةُ بَنِي إِسْرَائِيلَ تُسَمَّى سُورَةَ الإِسْرَاءِ، وَأَوَّلُهَا: ﴿**سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾[١٥٤]. وَمِنْ مُعْتَقَدِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ: حَقِيْقَةُ الإِسْرَاءِ، وَأَنَّ المُكَذِّبَ بِهِ كَافِرٌ؛ لِأَنَّهُ مُكَذِّبٌ لِلْقُرْآنِ الكَرِيمِ.

وَهُنَا مَسَائِلُ تَتَّبِعُ الإِسْرَاءِ:

المَسْأَلَةُ الأُولَى: الإِسْرَاءُ -كَمَا عَلِمْنَا- مُتَوَاتِرٌ جَاءَ بِهِ القُرْآنُ الكَرِيمِ، بَلْ وَحَتَّى فِي السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ تَوَاتَرَتِ الأَخْبَارُ بِأَمْرِ الإِسْرَاءِ مِنْ مَكَّةَ إِلَى القُدْسِ، وَالمِعْرَاجِ مِنَ القُدْسِ إِلَى السَّمَاءِ.

وَوَقَعَ الخِلَافُ: هَلْ كَانَ الإِسْرَاءُ بِرُوحِهِ، أَمْ بِبَدَنِهِ، أَمْ بِبَدَنِهِ وَرُوحِهِ؟ وَالصَّحِيحُ: أَنَّ الإِسْرَاءَ بِهِمَا جَمِيْعًا؛ بِرُوحِهِ وَبَدَنِهِ. فَقَولُهُ فِي نَصِّ الآيَةِ: ﴿**أَسْرَى بِعَبْدِهِ**﴾. دَلِيْلٌ صَرِيحٌ فِي ذَلِكَ.

المَسْأَلَةُ الثَّانِيَةُ: أَنَّ الإِسْرَاءَ كَانَ مَرَّةً وَاحِدَةً. وَإِنَّمَا قِيلَ هَذَا الكَلَامُ؛ لِأَنَّ هُنَاكَ رِوَايَاتٍ فِي أَحَادِيثِ الإِسْرَاءِ فِيْهَا خِلَافٌ فِي تَرْتِيبِ الأَنْبِيَاءِ فِي السَّمَاوَاتِ، وَهَذَا الاخْتِلَافُ أَرَادَ بَعْضُ أَهْلِ العِلْمِ أَنْ يَجْمَعَ بَيْنَ تِلْكَ النُّصُوصِ عَلَى قَاعِدَةِ: إِعْمَالِ النُّصُوصِ جَمِيعًا أَوْلَى مِنْ إِهْمَالِ أَحَدِهِمْ، أَوْ أَعْمَالِ النَّصَّيْنِ أَوْلَى مِنْ إِهْمَالِ أَحَدُهُمَا، أَوْ إِعْمَالِ الكَلَامِ أَوْلَى مِنْ إِهْمَالِهِ. فَلَمَّا اخْتُلِفَتِ الرِّوَايَاتُ؛ فَمَرَّةً يَقُولُ النَّبِيُّ: «**رَأَيْتُ إِدْرِيسَ فِي السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ**». وَمَرَّةً يَقُولُ: «فِي

(١٥٣) هو: عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن عمر بن خليل بن نصر بن الخضر بن الهمام، أبو الفضل جلال الدين السيوطي. ولد مستهل رجب سنة تسع وأربعين وثمان مئة. أصله من أسيوط، ونشأ بالقاهرة. كان عالما شافعيا مؤرخا أديبا، وكان أعلم أهل زمانه بعلم الحديث وفنونه والفقه واللغة. ومؤلفاته بلغت المئات؛ منها: همع الهوامع، الأشباه والنظائر في فروع الشافعية، والإتقان في علوم القرآن، وتدريب الراوي. مات سنة إحدى عشرة وتسع مئة. انظر: حسن المحاضرة له (١/ ٣٣٥ ترجمة ٧٧)، والبدر الطالع (ص: ٣٦٧ ترجمة ٢٢٩) ط: دار ابن كثير، وتحقيق/ محمد صبحي حلاق.

(١٥٤) سورة الإسراء: ١.

السَّمَاءِ الخَامِسَةِ». وَمَرَّةً يَقُولُ: «**رَأَيْتُ إِبْرَاهِيمَ فِي السَّمَاءِ السَّادِسَةِ**». وَمَرَّةً يَقُولُ: «**فِي السَّمَاءِ الخَامِسَةِ...**» [١٥٥]، فَهَذَا التَّغَايُرُ حَمَلَ بَعْضَ أَهْلِ العِلْمِ إِلَى القَوْلِ بِتَكْرَارِ مَرَّاتِ الإِسْرَاءِ.

لَكِنَّ هَذَا القَوْلُ ضَعِيفٌ، وَلَا يَصِحُّ البَتَّةَ، فَالإِسْرَاءُ كَانَ مَرَّةً وَاحِدَةً، وَاخْتِلَافُ رِوَايَاتِ الأَحَادِيثِ إِنَّمَا تَعُودُ لِوَهْمِ بَعْضِ رُوَاةِ الحَدِيثِ؛ وَلِهَذَا كَانَ مِمَّا اشْتُهِرَ عِنْدَ المُحَدِّثِينَ أَنَّ أَحَدَ رُوَاةِ حَدِيثِ الإِسْرَاءِ، وَهُوَ: شَرِيكُ بْنُ أَبِي نَمِرٍ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى[١٥٦] وَهِمَ أَوْهَامًا فِي هَذَا الحَدِيثِ، حَتَّى ذَكَرَ بَعْضُهُمْ أَنَّهُ وَهِمَ عَشْرَةَ أَوْهَامٍ، وَزَادَ بَعْضُهُمْ، وَقَلَّلَ بَعْضُهُمْ.

وَالشَّاهِدُ: أَنَّ الإِسْرَاءَ كَانَ مَرَّةً وَاحِدَةً بِبَدَنِهِ وَرُوحِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَمَنْ بَابِ الفَائِدَةِ: الإِسْرَاءُ كَانَ عَلَى البُرَاقِ -دَابَّةٌ بَيْنَ البَغْلِ وَالحِمَارِ- يَضَعُ حَافِرَهُ عِنْدَ مُنْتَهَى طَرْفِهِ، -أَي: عِنْدَ آخِرِ مَا يَصِلُ إِلَى بَصَرِهِ- وَأَنَا أَسْأَلُكُمْ سُؤَالًا: إِذَا كَانَ الإِسْرَاءُ مِنْ مَكَّةَ إِلَى بَيْتِ المَقْدِسِ عَلَى تِلْكَ الدَّابَّةِ، فَالمِعْرَاجُ مِنْ بَيْتِ المَقْدِسِ إِلَى السَّمَاءِ، كَانَ عَلَى أَي شَيْءٍ؟

لَا مَانِعَ أَنْ نَتَذَاكَرَ سَوِيًا، كَمَا قَالَ البُخَارِيُّ: بَابُ طَرْحِ الإِمَامِ المَسْأَلَةَ عَلَى أَصْحَابِهِ؛ لِيَخْتَبِرَ مَا عِنْدَهُمْ مِنَ العِلْمِ.

وَأَنَا هُنَا أَقُولُ: بَابُ طَرْحِ الأَخِ المَسْأَلَةَ عَلَى إِخْوَانِهِ؛ لِيَخْتَبِرَ مَا عِنْدَهُمْ مِنَ العِلْمِ. بَحَثْتُ فِي هَذِهِ المَسْأَلَةِ، فَوَجَدْتُ بَعْضَ أَهْلِ العِلْمِ سَاقَ رِوَايَاتٍ لِلْإِسْرَاءِ كَثِيرَةً، كَانَ مِنْ ضِمْنِهَا رِوَايَةٌ -بَلْ أَكْثَرُ مِنَ الرِّوَايَةِ عِنْدَ البَيْهَقِيِّ[١٥٧] وَغَيْرِهِ- قَالَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**فَأُوتِيتُ بِوُكَيْرَيْنِ كَوَكَرِي الطَّيْرِ**» -أَي: كَعُشِّ الطَّائِرِ- «**فَجَلَسْتُ فِي أَحَدِهِمَا، وَجَلَسَ جِبْرِيلُ فِي الآخَرِ، ثُمَّ عُرِجَ بِي**».

---

(١٥٥) أخرجه البخاري كتاب الإيمان- باب الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم (٣٤٩)، ومسلم كتاب الصلاة- باب كيف فرضت الصلاة في الإسراء (١٦٣)، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(١٥٦) هو: شريك بن عبد الله بن أبي نمر المدني، المحدث. حدث عن أنس، وسعيد بن المسيب، وكريب، وعطاء بن يسار، وجماعة. حدث عنه مالك، وسليمان بن بلال، وعبد العزيز الدراوردي، وإسماعيل ابن جعفر، وأبو ضمرة الليثي، وروى عنه من الكبار: سعيد المقبري، وذلك في الصحيح. قال ابن معين والنسائي: ليس به بأس. قال ابن حجر في التقريب: صدوق يخطئ. مات في حدود أربعين ومئة. انظر: تهذيب الكمال (١٢/ ٤٧٥ ترجمة ٢٧٣٧)، وسير أعلام النبلاء (٦/ ١٥٩ ترجمة ٧٣).

(١٥٧) هو: الإمام الحافظ العلامة شيخ خراسان أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخسروجردي، صاحب التصانيف. ولد سنة أربع وثمانين ثلاث مئة في شعبان ومات في عاشر جمادى الأولى سنة ثمان وخمسين وأربع مئة بنيسابور، ونقل في تابوت إلى بيهق مسيرة يومين. من تصانيفه: «السنن الكبرى»، و«الخلافيات». انظر سير أعلام النبلاء (١٨/ ١٦٣ ترجمة ٨٦)، طبقات الحفاظ (ص٨٧).

وَقَالَ بَعْضُ أَهْلِ العِلْمِ: إِنَّهُ عُرِجَ بِهِ عَلَى سِلَّمٍ. وَهَذَا يَحْتَاجُ إِلَى دَلِيلٍ. وَقَالَ بَعْضُ أَهْلِ العِلْمِ: عَلَى البُرَاقِ نَفْسِهِ. وَتَعْلَمُونَ أَنَّهُ رَبَطَ الدَّابَّةَ عِنْدَ المَسْجِدِ. فَعَلَى حَدِّ عِلْمِي أَنَّ مَا جَاءَ عِنْدَ البَيْهَقِيِّ: أَنَّهُ أُتِيَ بِعُشِّ طَائِرٍ كَبِيرٍ، فَجَلَسَ فِي وَاحِدٍ، وَجَلَسَ جِبْرِيلُ فِي الآخَرِ، ثُمَّ عُرِجَ بِهِمَا.

وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ يَبْحَثُ فَيُفِيدُ الجَمِيعَ بِجَوَابٍ، أَوْ بِهَذَا الحَدِيثِ، أَوْ إِذَا وَجَدَ جَوَابًا آخَرَ فَلْيَأْتِ بِهِ، فَالمَجْلِسَ مَجْلِسِ عِلْمٍ.

وَقَوْلُهُ: (**وَأَشْهَدُ أَنَّ اللهَ أَسْرَى بِعَبْدِهِ *** مُحَمَّدٍ المَبْعُوثِ مِنْهُ إِلَى البَشَرْ**).

هَذَا البَيْتِ عَلَيْهِ مَأْخَذٌ، وَهُوَ قَوْلُهُ: (**المَبْعُوث مِنْهُ إِلَى البَشَرِ**). فَالنَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كَانَتْ رِسَالَتُهُ عَامَّةً لِلْإِنْسِ وَالجِنِّ، لَكِنْ لَعَلَّ النَّاظِمَ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى ذَكَرَ لَفْظَةَ (**البَشَرِ**) مِنْ بَابِ مُرَاعَاةِ الوَزْنِ وَالقَافِيَةِ، وَهُوَ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى فِي شَرْحِهِ لَمَّا ذَكَرَ أَسْمَاءَ أَئِمَّةِ أَهْلِ العِلْمِ -كَمَا سَيَأْتِي- قَالَ: وَقَدْ تَرَكْتُ كَثِيرًا مِنْهُمْ؛ مُرَاعَاةً لِلْوَزْنِ؛ وَلِأَنَّهُمْ لَا يُحْصِيهِمْ دِيوَانُ عَالِمٍ.

إِذَنْ فَهِمْنَا وَعَلِمْنَا، أَوْ تَقَرَّرَنَا عِنْدَنَا شَيْءٌ -هُوَ مُقَرَّرٌ وَالحَمْدُ للهِ- أَنَّ الإِسْرَاءَ كَانَ مَرَّةً وَاحِدَةً بِبَدَنِهِ وَرُوحِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَأَنَّهُ عُرِجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ، وَرَأَى المَلَائِكَةَ عَلَيْهِمِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ، وَسَلَّمُوا عَلَيْهِ وَحَيَّوْهُ. وَحَدِيثُ الإِسْرَاءِ فِيهِ عَشَرَاتُ الفَوَائِدُ العَقَدِيَّةُ وَالسُّلُوكِيَّةُ لِمَنْ قَرَأَهُ وَتَأَمَّلَهُ.

(**وَأُثْبِتُ أَنَّ اللهَ جَلَّ جَلَالُهُ *** تَكَلَّمَ بِالقُرْآنِ لَا قَوْلَ مَنْ كَفَرْ**)

يَقُولُ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: (**وَأُثْبِتُ أَنَّ اللهَ جَلَّ جَلَالُهُ تَكَلَّمَ بِالقُرْآنِ لَا قَوْلَ مَنْ كَفَرَ**). هَذِهِ مَسْأَلَةُ الكَلَامِ، وَاللهُ جَلَّ وَعَلَا تَكَلَّمَ كَلَامًا حَقِيقِيًّا يَلِيقُ بِعَظِيمِ وَجْهِهِ، وَجَلِيلِ سُلْطَانِهِ، وَلَا يُشْبِهُ كَلَامَ البَشَرِ، بِحَرْفٍ وَصَوْتٍ مَسْمُوعَيْنِ -كَمَا سَيَأْتِي بَعْدَ قَلِيلٍ.

وَمَسْأَلَةُ الكَلَامِ عَظُمَ الكَلَامُ فِيهَا، حَتَّى قِيلَ: إِنَّ عِلْمَ الكَلَامِ إِنَّمَا سُمِّيَ بِهَذَا العِلْمِ؛ لِأَنَّهُ بِسَبَبِ هَذِهِ المَسْأَلَةِ، وَالخَوْضُ فِيهَا، وَالضَّلَالُ فِيهَا، وَمُخَالَفَةُ أَهْلِ السُّنَّةِ فِيهَا، نَشَأَ مِنْ ذَلِكَ فِرَقٌ وَخِلَافَاتٌ عَظِيمَةٌ.

وَاللهُ جَلَّ وَعَلَا أَخْبَرَ عَنْ نَفْسِهِ أَنَّهُ يَتَكَلَّمُ، وَكَفَى بِاللهِ بِنَفْسِهِ خَبِيرًا، قَالَ تَعَالَى: ﴿**الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا**﴾[١٥٨].

وَقَدْ جَاءَ ذِكْرُ كَلَامِ اللهِ فِي القُرْآنِ الكَرِيمِ، وَفِي عَشَرَاتِ الأَحَادِيثِ النَّبَوِيَّةِ؛ فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿**وَكَلَّمَ اللهُ**

(١٥٨) سورة الفرقان: ٥٩.

مُوسَى تَكْلِيمًا﴾[١٥٩]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾[١٦٠]. وَسَتَأْتِي إِشَارَةُ النَّاظِمِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى إِلَى بَعْضِ الأَحَادِيثِ الَّتِي فِيهَا إِثْبَاتُ الكَلَامِ.

وَالَّذِينَ فَرُّوا مِنْ إِثْبَاتِ صِفَةِ الكَلَامِ، أَوْ أَنَّ اللهَ جَلَّ وَعَلَا يَتَكَلَّمُ، إِنَّمَا زَعَمُوا أَنَّ ذَلِكَ مِنْ بَابِ تَنْزِيهِهِ عَنْ صِفَاتِ البَشَرِ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ الكَلَامَ يَلْزَمُ لَهُ حَنْجَرَةٌ وَأَضْرَاسٌ وَشِفتَانِ.. وَهَذِهِ كُلُّهَا حِجَجٌ عَقْلِيَّةٌ لَا قِيمَةَ لَهَا.

وَقَدْ أَلَّفَ الإِمَامُ السِّجْزِيُّ[١٦١] رِسَالَةً إِلَى أَهْلِ زُبَيْدٍ، سَمَّاهَا «الرَّدَّ عَلَى مَنْ أَنْكَرَ الحَرْفَ وَالصَّوتَ»، وَذَكَرَ فِيهَا الزَامَاتٍ، الوَاحِدُ مِنْهَا يَهْدِمُ مُعْتَقَدَهُمُ الضَّالَّ الفَاسِدَ، فَزَعْمُهُمْ أَنَّ تَنْزِيهَ اللهَ عَنِ الكَلَامِ تَنْزِيهٌ -كَمَا يَزْعُمُونَ- عَنْ مُشَابَهَتِهِ البَشَرِ، وَأَنَّ الكَلَامَ أَبْعَاضٍ يَحْتَاجُ إِلَى حُدُوثٍ... إِلَى آخِرِهِ. يُقَالُ فِي هَذَا الكَلَامِ: إِنَّ عَدَمَ وَصْفِكُمْ للهِ بِالكَلَامِ تَنْقُصٌ للهِ تَعَالَى، وَيَلْزَمُ مِنْ ذَلِكَ أَنَّكُمْ شَبَّهْتُمُ اللهَ بِالجَمَادِ، ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾[١٦٢].

وَلِهَذَا ذَمَّ اللهُ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَبَيَّنَ نَقْصَ عُقُولِهِمْ لَمَّا عَبَدُوا العِجْلَ، فَقَالَ اللهُ عَنْهُ: ﴿أَلَمْ يَرَوا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا﴾[١٦٣]. فَهَذَا نَقْصٌ فِي الإِلَهِ!

إِذَنْ فَالكَلَامُ صِفَةٌ حَقِيقِيَّةٌ للهِ تَعَالَى، وَأَمَّا زَعْمُهُمْ بِأَنَّ الكَلَامَ يَحْتَاجُ -كَمَا يَزْعُمُونَ- أَضْرَاسًا وَشَفَتَيْنِ. يُقَالُ: أَخْبَرَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا أَنَّ السَّمَاءَ تَتَكَلَّمُ بِإِذْنِهِ: ﴿قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾[١٦٤]. وَأَنَّ الجِبَالَ تُسَبِّحُ مَعَ دَاوُدَ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ﴾[١٦٥]. وَالتَّأْوِيبُ هُوَ: التَّسْبِيحُ الحَقِيقِيُّ. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا الجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالعَشِيِّ وَالإِشْرَاقِ﴾[١٦٦].

---

(١٥٩) سورة النساء: ١٦٤.

(١٦٠) سورة الأعراف: ١٤٣.

(١٦١) هو: الإمام العالم الحافظ المجود شيخ السنة، أبو نصر، عبيد الله بن سعيد بن حاتم بن أحمد، الوائلي البكري السجستاني، شيخ الحرم، ومصنف «الإبانة الكبرى» في أن القرآن غير مخلوق، وهو مجلد كبير دال على سعة علم الرجل بفن الأثر. توفي بمكة، في المحرم سنة أربع وأربعين وأربع مئة. انظر: السير (١٧/ ٦٥٤ ترجمة ٤٤٥)، وطبقات الحفاظ (ص: ٤٢٩).

(١٦٢) سورة الإسراء: ٤٣.

(١٦٣) سورة الأعراف: ١٤٨.

(١٦٤) سورة فصلت: ١١.

(١٦٥) سورة سبأ: ١٠.

(١٦٦) سورة ص: ١٨.

وَيَزْعُمُ بَعْضُهُمْ أَنَّ التَّأْوِيبَ هُوَ: رَجْعُ الصَّدَى. وَتَعْلَمُونَ أَنَّ الإِنْسَانَ إِذَا تَكَلَّمَ أَمَامَ الجَبَلِ ارْتَدَّ الصَّوْتُ، وَالنَّاسُ عِنْدَهُمْ اسْمٌ دَارِجٌ، وَهُوَ: بِنْتُ الجَبَلِ. هَكَذَا عَرَفْتُ وَأَنَا صَغِيرٌ.

يَقُولُ ابْنُ القَيِّم: مَنْ زَعَمَ أَنَّ التَّأْوِيبَ رَجْعُ الصَّدَى، فَقَدْ أَعْظَمَ الفِرْيَةَ عَلَى اللهِ تَعَالَى؛ لِأَنَّ رَجْعَ الصَّدَى يُكَونُ مَعَ كُلِّ أَحَدٍ، فَلَوْ تَكَلَّمَ أَيُّ إِنْسَانٍ لَكَانَ لِصَوْتِهِ صَدًى، بَلْ لَوْ جَاءَ حَيَوَانٌ وَنَهَقَ أَوْ نَبَحَ أَمَامَ الجَبَلِ لَارْتَدَّ الصَّوْتُ، وَلَمْ يَكُنْ فِيهِ مَزِيَّةٌ فِي قَوْلِهِ جَلَّ وَعَلَا عَنْ دَاوُدَ: ﴿**يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ**﴾[١٦٧]. فَالتَّأْوِيبُ هُوَ: التَّسْبِيحُ وَالتَّحْمِيدُ. كَمَا بَيَّنَتْهَا الآيَةُ الأُخْرَى: ﴿**يُسَبِّحْنَ بِالعَشِيِّ وَالإِشْرَاقِ**﴾[١٦٨]. وَلَيْسَ بِالجَبَلِ لِسَانٌ، وَلَيْسَ لَهُ أَضْرَاسٌ!

بَلِ الْآنَ التَّقْنِيَةُ الحَدِيثَةُ تُرَدُّ عَلَى الْمُبْتَدِعَةِ الضَّلَالُ؛ فَهَذَا الجِهَازُ يَتَكَلَّمُ وَفِيهِ القُرْآنُ الكَرِيمُ وَالْمُحَاضَرَاتُ، وَمَعَ ذَلِكَ لَيْسَ لَهُ أَضْرَاسٌ وَمَا شَاكَلَ! فَيُقَالُ لِأَهْلِ الضَّلَالِ: هَذَا الجِهَازُ يُرِدُ عَلَى عَقِيْدَتِكُمْ! وَدَعْ عَنْكَ النُّصُوصُ القُرْآنِيَّةِ وَالنَّبَوِيَّةِ!

ثُمَّ إِنَّ عَدَمَ وَصْفِ اللهِ بِالكَلَامِ نَقْصٌ فِي حَقِّ اللهِ، وَتَكْذِيبٌ لِلْقُرْآنِ الكَرِيمِ؛ وَلِهَذَا يَقُولُ فِي الشَّطْرِ الثَّانِي: (**تَكَلَّمَ بِالقُرْآنِ لَا قَوْلَ مَنْ كَفَرَ**). وَمَا جَاءَ فِي القُرْآنِ الكَرِيمِ عَنْ كَلَامِهِ لِمُوسَى، وَكَلَامُهُ لِآدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَكَلَامُهُ لِلْمَلَائِكَةِ، وَمَا جَاءَ عَنْ كَلَامِهِ لِإِبْلِيسَ، كُلُّ هَذَا إِثْبَاتُ الكَلَامِ للهِ تَعَالَى بِحَرْفٍ وَصَوْتٍ.

(**كَلَامٌ بِصَوْتٍ لَا كَأَصْوَاتِ خَلْقِهِ *** رَوَاهُ أَبُو يَحْيَى**[١٦٩]**، وَحَسْبُكَ مُفْتَخَرْ**)

فَاللهُ يَتَكَلَّمُ بِحَرْفٍ وَصَوْتٍ، (**لَا كَأَصْوَاتِ خَلْقِهِ**). أَيُّ: لَا يُشَابِهُ الخَالِقُ المَخْلُوقِينَ، فَالمَخْلُوقُونَ لَهُمْ صِفَاتٌ، وَالخَالِقُ لَهُ صِفَاتٌ، لَكِنْ شَتَّانَ بَيْنَ صِفَاتِ الخَالِقِ وَالمَخْلُوقِ. وَلِهَذَا فَالَّذِينَ فَرُّوا مِنَ التَّشْبِيهِ -بِزَعْمِهِمْ- بِتَعْطِيلِ الصِّفَاتِ، وَقَعُوا فِي تَنَاقُضٍ، فَهُمْ لَا يُثْبِتُونَ أَنَّ للهِ يَدًا وَوَجْهًا؛ لِأَنَّ المَخْلُوقَ لَهُ وَجْهٌ. يُقَالُ لَهُمْ: الطَّيْرُ لَهُ وَجْهٌ، وَالحَيَوَانُ لَهُ وَجْهٌ، وَالحَشَرَةُ لَهَا وَجْهٌ ... وَهِيَ مَخْلُوقَةٌ، فَهَلْ هَذِهِ المَخْلُوقَاتُ تَتَشَابَهُ وُجُوهَهَا؟ الجَوَابُ: لَا. فَإِذَا

---

(١٦٧) سورة سبأ: ١٠.

(١٦٨) سورة ص: ١٨.

(١٦٩) هو: الصحابي عبد الله بن أنيس الجهني، أبو يحيى المدني. حليف بني سلمة من الأنصار. شهد العقبة وما بعدها. مات بالشام سنة أربع وخمسين. انظر: الاستيعاب (ص: ٣٨٠ ترجمة ١٢٩٨)، والإصابة (٤/ ١٥ ترجمة ٤٥٥٣).

كَانَتْ وُجُوهِ المَخْلُوقَاتِ لَا تَتَشَابَهُ، فَمِنْ بَابِ أَوْلَى وَأَحْرَى وَأَجْدَرِ أَنَّ صِفَاتَ الخَالِقِ لَا تُشَابِهَ صِفَاتَ المَخْلُوقِينَ! كَمَا قَالَ رَبُّنَا: ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ**﴾[١٧٠].

وَقَولُهُ: (**كَلَامٌ بِصَوتٍ لَا كَأَصْوَاتِ خَلْقِهِ**). يَرُدُّ عَلَى مَنْ أَنْكَرَ الصَّوتَ. (**رَوَاهُ أَبُو يَحْيَى، وَحَسْبُكَ مُفْتَخَرْ**). أَبُو يَحْيَى هُوَ: الصَّحَابِيُّ الجَلِيلُ عَبْدُ اللهِ بْنُ أُنَيْسٍ الأَنْصَارِيُّ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ، شَهِدَ العَقَبَةَ وَأُحُدًا، وَمَاتَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَخَمْسِينَ لِلْهِجْرَةِ النَّبَوِيَّةِ فِي عَهْدِ مُعَاوِيَةَ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ[١٧١].

وَحَدِيثُهُ الَّذِي أَشَارَ إِلَيْهِ هُوَ مَا ذَكَرَهُ رَحِمَهُ اللهُ فِي شَرْحِهِ: «**يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ القِيَامَةِ**» -أَوْ قَالَ: «**العِبَادُ- عُرَاةً غُرْلًا بُهْمًا**». قَالَ: قُلْنَا: وَمَا بُهْمًا؟ قَالَ: «**لَيْسَ مَعَهُمْ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنَادِيهِمْ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مَنْ بَعُدَ كَمَا يَسْمَعُهُ مَنْ قَرُبَ: أَنَا المَلِكُ، أَنَا الدَّيَّانُ**»[١٧٢]. وَهَذَا الحَدِيثُ رَوَاهُ الإِمَامُ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ، وَقَالَ ابْنُ القَيِّمِ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ جَيِّدٌ، عُدَّ فِي الاعْتِقَادِ.

وَهُنَاكَ آيَاتٌ تَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ، وَكَثْرَةُ الأَدِلَّةِ تَزِيدُ فِي قُوَّةِ الحُجَّةِ وَإِيصَالِ المَحَجَّةِ، وَأَيْضًا جَاءَتْ أَحَادِيثُ أُخْرَى مِنْ هَذَا القَبِيلِ.

وَآيَاتُ النِّدَاءِ فِي حَدِّ ذَاتِهَا دَلِيلٌ، مِثْلُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿**وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنِ ائْتِ القَوْمَ الظَّالِمِينَ**﴾[١٧٣]. وَلَا يَكُونُ النِّدَاءُ إِلَّا بِمُنَادِي، وَهُنَاكَ وَسِيلَةٌ لِلصَّوْتِ المَسْمُوعِ، وَإِلَّا لَكَانَ ذِكْرُ النِّدَاءِ عَبَثًا تَعَالَى اللهُ عَنِ العَبَثِ وَتَنَزَّهَ.

وَمَنْ لَازَمَ مُعْتَقَدَ مَنْ نَفَى الكَلَامَ عَنِ اللهِ: أَنْ يَصِفَ اللهَ تَعَالَى بِالعَبَثِ، وَأَنْ يَصِفَ اللهَ تَعَالَى بِالنَّقْصِ؛ وَلِهَذَا كَانَ مُعْتَقَدُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ: أَنَّ اللهَ تَعَالَى يَتَكَلَّمُ كَلَامًا حَقِيقِيًا بِصَوْتٍ مَسْمُوعٍ.

(**وَحَرْفٍ كَمَا قَدْ جَاءَ فِي الخَبَرِ الَّذِي *** رَوَاهُ ابْنُ مَسْعُودٍ فَأَنْصِفْ وَاعْتَبِرْ**)

---

(١٧٠) سورة الشورى: ١١.

(١٧١) هو: الصحابي الجليل معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، أبو عبد الرحمن، القرشي، الأموي، أمير المؤمنين، ملك الإسلام. ولد قبل البعثة بخمس سنين، وقيل: بسبع، وقيل: بثلاث عشرة، والأول أشهر. أمه هي هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي. قيل: إنه أسلم قبل أبيه وقت عمرة القضاء، وبقي يخاف من اللحاق بالنبي -صلى الله عليه وسلم- من أبيه، ولكن ما ظهر إسلامه إلا يوم الفتح. مات سنة ستين. انظر: الاستيعاب (ص: ٦٦٨ ترجمة ٢٣٤٦)، والإصابة (٦/ ١٥١ ترجمة ٨٠٧٤).

(١٧٢) أخرجه أحمد في «مسنده» (٣/ ٤٩٥)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣/ ١١٤/ ٨٥٤)، من حديث عبد الله بن أنيس رضي الله عنه، وقال شعيب الأرنؤوط: «إسناده حسن».

(١٧٣) سورة الشعراء: ١٠.

هَذَا البَيْتِ فِي إِثْبَاتِ أَنَّ كَلَامَ اللهِ بِحَرْفٍ، فَذَكَرَ أَوَّلًا الكَلَامُ بِصَوْتٍ، وَهْنَا قَالَ: (**وَحَرْفٍ كَمَا قَدْ جَاءَ فِي الخَبَرِ الَّذِي *** رَوَاهُ ابْنُ مَسْعُودٍ فَأَنْصِفْ وَاعْتَبِرْ**).

وَابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ هُوَ: أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ الهُذَلِيُّ، وَهُوَ مِنْ عُلَمَاءِ الصَّحَابَةِ وَقُرَّائِهِمْ، وَمِنْ فُضَلَاءِ الصَّحَابَةِ، وَمِمَّنْ تَلْقَى مِنْ فِيِّ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَبْعِينَ سُورَةً، وَكَانَ وَاسِعَ العِلْمِ، حَتَّى قَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مَنْ لَوْ وَرَدَ عَلَيْهِ رَجُلٌ وَاحِدٌ لَكَفَاهُ بِعِلْمِهِ، وَإِنَّ مِنْهُمْ - أَيُّ مِنَ الصَّحَابَةِ- مَنْ لَوْ وَرَدَ عَلَيْهِ الاثْنَانِ لَكَفَاهُمْ، وَإِنَّ مِنْهُمْ مَنْ لَوْ وَرَدَ عَلَيْهِ الفِئَامُ مِنَ النَّاسِ لَكَفَاهُمْ، وَإِنَّ مِنْهُمْ مَنْ لَوْ وَرَدَ عَلَيْهِ النَّاسُ لَكَفَاهُمْ، وَمِنْهُمْ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ.

وَهُوَ الَّذِي قَالَ فِيهِ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَقْرَأَ القُرْآنَ غَضًّا كَمَا أُنْزِلَ، فَلْيَقْرَأْهُ عَلَى قِرَاءَةِ ابْنِ أُمِّ عَبْدٍ**»[١٧٤]. وَعَبَادَلَةُ الصَّحَابَةِ هُمْ: عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبَّاسٍ، عَبْدُ اللهِ بْنُ الزُّبَيْرِ[١٧٥]، عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرٍو. وَلَيْسَ مِنْهُمُ ابْنُ مَسْعُودٍ؛ لِأَنَّهُ أَكْبَرُ مِنْهُمْ فِي السِّنِّ، وَمُتَقَدِّمٌ عَلَيْهِمْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الجَمِيعِ.

وَالحَدِيثُ الَّذِي يُشِيرُ إِلَيْهِ النَّاظِمُ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى هُوَ قَوْلُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا؛ لَا أَقُولُ: الم حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ، وَلَامٌ حَرْفٌ، وَمِيمٌ حَرْفٌ**»[١٧٦]. وَهَذَا

---

(١٧٤) أخرجه ابن ماجه في كتاب المقدمة- باب فضل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه (١٣٨)، وصححه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجه».

(١٧٥) هو: الصحابي الجليل عبد الله بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى القرشي الأسدي. أمه أسماء بنت أبي بكر الصديق. ولد عام الهجرة، وحفظ عن النبي -صلى الله عليه وسلم- وهو صغير، وحدث عنه بجملة من الحديث. بويع بالخلافة سنه أربع وستين عقب موت يزيد بن معاوية ولم يتخلف عنه إلا بعض أهل الشام وهو أول مولود ولد للمهاجرين بعد الهجرة وحنكه النبي -صلى الله عليه وسلم- وسماه باسم جده وكناه بكنيته. قُتل في جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعين من الهجرة. انظر: الاستيعاب (ص: ٣٩٩ ترجمة ١٣٧٥)، الإصابة (٤/ ٨٩ ترجمة ٤٦٨٥).

(١٧٦) أخرجه الترمذي في كتاب فضائل القرآن- باب من قرأ حرفًا من القرآن ماله من الأجر، من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (٦٤٦٩).

الحَدِيثُ أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ(١٧٧). وَوَرَدَتْ أَحَادِيثُ كَثِيرَةٌ فِي إِثْبَاتِ الصَّوْتِ وَالحَرْفِ للهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَمَا ذَكَرَهُ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ مِنْ بَابِ التَّمْثِيلِ لَا مِنْ بَابِ الحَصْرِ.

(وَمَتْلُو وَمَسْمُوعٍ بِلَفْظٍ بِكُلِّ ذَا * نَدِينُ، وَمَكْتُوب خَلَافَ الَّذِي نَفَرْ)**

هَذَا تَأْكِيدٌ عَلَى مَا سَبَقَ، وَهُوَ أَنَّ القُرْآنَ كَلَامُ اللهِ يُتْلَى وَيُسْمَعُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿**وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ**﴾(١٧٨). وَالمَكْتُوبُ فِي المَصَاحِفِ هُوَ كَلَامُ اللهِ، وَمَا نَسْمَعُهُ فِي التِّلَاوَةِ هُوَ كَلَامُ اللهِ. وَكُلُّ هَذَا مِنَ المُؤَلِّفِ رَحِمَهُ اللهُ تَأْكِيدٌ لِمُعْتَقَدِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ؛ وَهُوَ أَنَّ اللهَ تَكَلَّمَ بِالقُرْآنِ كَلَامًا حَقِيقِيًا بِحَرْفٍ وَصَوتٍ مَسْمُوعَيْنِ، وَالآيَاتُ الصَّرِيحَةُ وَالأَخْبَارُ النَّبَوِيَّةُ الصَّحِيحَةُ الصَّرِيحَةُ تَقْطَعُ بِهَذَا كَالشَّمْسِ فِي النَّهَارِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ.

(قَدِيمٌ بِلَا شَكٍّ وَلَيْسَ بِمُحْدَثٍ * رَوَوْهُ لَنَا عَنْ أَصْدَقِ الخَلْقِ وَالبَشَرْ)**

قَوْلُهُ: (**قَدِيمٌ**)، هَذَا اللَّفْظُ مُبْتَدِعٌ -كَمَا يَقُولُ أَهْلُ العِلْمِ- وَهَذِهِ الأَلْفَاظُ الَّتِي وَرَدَتْ اضْطُرَّ بَعْضُ أَهْلِ العِلْمِ إِلَى اسْتِعْمَالِهَا. يَقُولُ شَيْخُ الإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ فِي «دَرْءِ التَّعَارُضِ»: وَيَجُوزُ مُخَاطَبَةُ كُلِّ أَهْلِ اصْطِلَاحٍ بِاصْطِلَاحِهِمْ، إِذَا دَعَتِ الحَاجَةُ إِلَى ذَلِكَ، وَكَانَتِ المَعَانِي صَحِيحَةً.

---

(١٧٧) هو: الشيخ العلامة محمد ناصر الدين بن الحاج نوح، أبو عبد الرحمن الألباني. ولد سنة ثلاث وثلاثين وثلاث مئة وألف في مدينة أشقودرة عاصمة دولة ألبانيا -حينئذ- عن أسرة فقيرة متدينة يغلب عليها الطابع العلمي. هاجر به والده إلى دمشق الشام، بعد أن ملك ألبانيا ببلاده نحو الحضارة الغربية العلمانية. أتم دراسته الابتدائية بالشام، ونظرا لرأي والده في المدارس النظامية، فقرر عدم إكماله دراسته النظامية، ووضع له منهجا خاصا سار عليه. تعلم الحديث في نحو العشرين من عمره متأثرا بأبحاث «مجلة المنار» التي أصدرها الشيخ محمد رشيد رضا -رحمه الله-. و كان أول عمل حديثي قام به هو نسْخ كتاب «المغني عن حمل الأسفار» للعراقي مع التعليق عليه. ودأب على طلب الحديث حتى نبغ. استقدمه الشيخ محمد بن إبراهيم للتدريس في الجامعة الإسلامية. حصل على جائزة الملك فيصل العالمية للدراسات الإسلامية. أثنى عليه وعلى علمه أكابر العلماء؛ كابن باز، وابن عثيمين، والشنقيطي. توفي قبيل يوم السبت في الثاني والعشرين من جمادى الآخرة سنة عشرين وأربع مئة وألف، الموافق الثاني من أكتوبر سنة تسع وتسعين وتسع مئة وألف، ودفن بعد صلاة العشاء. انظر: علماء ومفكرون عرفتهم (١/ ٢٨٧ ترجمة ١٤)، وكتاب «صفحات بيضاء من حياة الألباني».

(١٧٨) سورة التوبة: ٦.

فَيُضْطَرُّ بَعْضُ أَهْلِ العِلْمِ إِلَى اسْتِعْمَالِ بَعْضِ المُصْطَلَحَاتِ الكَلَامِيَّةِ مِنْ بَابِ التَّنَزُّلِ وَالالْزَامِ لِلْمُخَالِفِينَ، وَهَذَا إِذَا دَعَتِ الحَاجَةُ، لَكِنَّهُمْ عَابُوا عَلَى مَنِ اسْتَعْمَلَهَا لِغَيْرِ حَاجَةٍ. وَلَفْظُ (**القَدِيمِ**) لَيْسَ لَفْظًا شَرْعِيًّا، وَلَا دَاعِي لِذِكْرِهِ، فَالمَقَامُ مَقَامَ تَقْرِيرٍ، لَكِنَّهُ ذَكَرَهُ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى.

وَأَوَّلُ مَنْ ذَكَرَهُ وَأَحْدَثَهُ ابْنُ كُلَابٍ(١٧٩)، كَمَا أَحْدَثَ غَيْرُ ابْنِ كِلَابٍ أَلْفَاظًا مُبْتَدِعَةً؛ كَالجَوْهَرِ وَالعَرْضِ وَالكَلَامُ النَّفْسِيُّ ... وَكُلُّ هَذِهِ مُصْطَلَحَاتٌ مِنْ بَابِ تَغْيِيرِ الحَقَائِقِ العِلْمِيَّةِ العِقْدِيَّةِ.

وَبِكُلِّ حَالٍ: هَذَا لَفْظٌ مُبْتَدَعٌ، وَبَعْضُهُمْ يَقُولُ: إِنَّهُ قَدِيمُ النَّوْعِ، حَادِثُ الآحَادِ! وَلَا يَلْزَمُ مَنْ ذَكَرَهُ: أَنَّهُ يُوَافِقُهُمْ فِي مُعْتَقَدِهِمْ حَقِيقَةً، فَابْنُ طَاهِرٍ رَحِمَهُ اللهُ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ، وَإِنَّمَا ذَكَرَ هَذَا اللَّفْظَ، وَأَرَادَ بِهِ مَعْنًى صَحِيحًا، وَلَكِنْ لَوْ تَرَكَهُ لَكَانَ أَحْسَنَ.

(**وَلَيْسَ بِمُحَدَّثٍ**)، فَالزَّاعِمُونَ بِأَنَّ كَلَامَ اللهِ مَخْلُوقٌ يَحْتَجُّونَ بِأَنَّهُ مُحْدَثٌ، وَالمُحَدَّثُ هُوَ: المَصْنُوعُ المَخْلُوقُ، بَلْ وَاحْتَجُّوا بِآيَةٍ مِنَ القُرْآنِ الكَرِيمِ، وَهِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿**مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ**﴾(١٨٠). وَهَذَا مِنْ عَيْنِ الجَهَالَةِ، فَقَدْ تَأْتِي اللَّفْظَةِ الوَاحِدَةُ وَلَهَا اسْتِعْمَالَاتٌ، وَتُعْرَفُ بِحَسَبِ السِّيَاقِ، وَهَذِهِ الآيَةُ رَدٌّ عَلَيْهِمْ، وَرَحِمَ اللهُ شَيْخَ الإِسْلَامِ عِنْدَمَا قَالَ: لَا يَأْتِينِي أَحَدٌ بِدَلِيلٍ صَحِيحٍ صَرِيحٍ يُخَالِفُ مَا عَلَيْهِ أَهْلَ السُّنَّةِ إِلَّا جَعَلْتُ الدَّلِيلَ حُجَّةً عَلَيْهِ لَا لَهُ.

وَفِي هَذِهِ الآيَةِ: ﴿**مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ**﴾. يُجَدِّدُ لَهُمُ اللهُ مَا عِنْدَهُمْ مِنَ العُلُومِ، وَيُعَلِّمُهُمْ مَا جَهِلُوا، فَالقُرْآنُ الكَرِيمُ أَخْبَرَهُمْ بِأَشْيَاءَ جَدِيدَةٍ لَمْ يَكُونُوا يَعْلَمُونَهَا، أَوْ أَشْيَاءَ عَلِمُوهَا خِلَافَ مَا كَانُوا يَعْلَمُونَ سَابِقًا، فَالآيَةُ حُجَّةٌ عَلَيْهِمْ لَا لَهُمْ؛ لِأَنَّ القُرْآنَ أَحْدَثَ لَهُمْ أَخْبَارًا لَمْ يَكُونُوا يَعْرِفُوهَا مِنْ قَبْلِ، هُمْ وَلَا آبَاؤُهُمْ.

---

(١٧٩) هو: رأس المتكلمين بالبصرة في زمانه، أبو محمد، عبد الله بن سعيد بن كلاب القطان البصري، صاحب التصانيف في الرد على المعتزلة، وربما وافقهم. أخذ عنه الكلام داودُ الظاهري. وقيل: إن الحارث المحاسبي أخذ علم النظر والجدل عنه أيضا. وكان يلقب كلابا؛ لأنه كان يجر الخصم إلى نفسه ببيانه وبلاغته. وأصحابه هم الكلابية، لحق بعضهم أبو الحسن الاشعري، وكان يرد على الجهمية. صنف في التوحيد، وإثبات الصفات، وأن علو الباري على خلقه معلوم بالفطرة والعقل على وفق النص، وكذلك قال المحاسبي. من مصنفاته: كتاب «الصفات»، و«خلق الأفعال». كان حيا قبل الأربعين ومئتين. انظر: السير (١١/ ١٧٤ ترجمة ٧٦)، وطبقات الشافعية الكبرى (٢/ ٢٩٩ ترجمة ٦٥).

(١٨٠) سورة الأنبياء: ٢.

وَبِكُلِّ حَالٍ فَلُغَاتُ العَرَبِ مُتَّسِعَةٌ، حَتَّى قَالَ الشَّافِعِيُّ: لَا يُحِيطُ بِلُغَةِ العَرَبِ إِلَّا نَبِيٌّ أَوْ رَسُولٌ. وَقَدْ تَأْتِي لَفْظَةٌ وَاحِدَةٌ فَتُسْتَعْمَلُ وَتُعْرَفُ بِحَسَبِ القَرَائِنِ. فَلَفْظَةُ «عَيْنٍ» لَوْ قَرَأْنَا فِي كِتَابٍ: مَا جَاءَ فِي السِّحْرِ وَالحَسَدِ وَالعَيْنِ. مَاذَا نَفْهَمُ مِنَ العَيْنِ؟ نَفْهَمُ أَنَّ العَائِنَ هُوَ: الحَاسِدُ الَّذِي يُصِيبُ بِعَيْنِهِ. أَمَّا لَوْ دَخَلْنَا مُسْتَشْفَى وَرَأَيْنَا قِسْمَ العُيُونِ، هَلْ نَقُولُ: المَعْنَى: قِسْمُ الحُسَّادِ؟! وَلَوْ دَخَلْنَا وِزَارَةَ الزِّرَاعَةِ، ثُمَّ وَجَدْنَا قِسْمَ العُيُونِ، هَلْ مَعْنَاهُ الزُّرَّاعُ الحُسَّادُ؟ لَا، بَلِ المُرَادُ: العُيُونُ الجَارِيَةُ.

وَلِهَذَا فِي المُجْمَلِ ذِكْرِ الأُصُولِيُّونَ مَثَالًا، وَهُوَ: سَطْوُ اللُّصُوصِ عَلَى عَيْنِ زَيْدٍ فَفَقَؤُوهَا، وَسَطْوٌ عَلَى عَيْنِهِ فَأَغَارُوهَا، وَسَطْوٌ عَلَى عَيْنِهِ فَسَرَقُوهَا. فَقَوْلُهُمْ: سَطْوٌ عَلَى عَيْنِهِ فَفَقَؤُوهَا، المُرَادُ: البَاصِرَةُ. وَقَوْلُهُمْ: وَسَطْوٌ عَلَى عَيْنِهِ فَأَغَارُوهَا، المُرَادُ: الجَارِيَةُ. وَقَوْلُهُمْ: وَسَطْوٌ عَلَى عَيْنِهِ فَسَرَقُوهَا، المُرَادُ: أَخَذُوهَا.. وَهَكَذَا لُغَةُ العَرَبِ وَاسِعَةٌ.

يَقُولُ النَّاظِمُ: (**رَوَوْهُ لَنَا عَنْ أَصْدَقِ الخَلْقِ وَالبَشَرِ**). أَي: رَوَى الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمْ أَخْبَارًا كَثِيرَةً وَأَحَادِيثَ، أَفْرَدَهَا بَعْضُهُمْ فِي مُصَنَّفَاتٍ. (**عَنْ أَصْدَقِ الخَلْقِ وَالبَشَرِ**)، وَهُوَ: النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(**فَمَنْ قَالَ: مَخْلُوقٌ، فَقَدْ فَارَقَ الهُدَى *** بِفَرِّيتِهِ، وَاللهُ يُدْخِلُهُ سَقَرْ**)

(**مَنْ قَالَ: مَخْلُوقٌ**)، أَي: بَعْدُ كُلِّ هَذِهِ الآيَاتِ الوَاضِحَةِ كَالشَّمْسِ فِي النَّهَارِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ، فَهُوَ مُكَذِّبٌ لِلْقُرْآنِ الكَرِيمِ، وَمُكَذِّبٌ لِمَا تَوَاتَرَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ وَلِهَذَا كَفَّرَ العُلَمَاءُ الجَهْمِيَّةَ القَائِلِينَ بِخَلْقِ القُرْآنِ. وَقَدْ حَكَى ابْنُ القَيِّمِ: أَنَّ خَمْسَ مِائَةِ عَالِمٍ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ حَكَمُوا بِكُفْرِهِمْ، وَذَكَرَ بَيْتًا فِي المَنْظُومَةِ النُّونِيَّةِ لَا أَحْفَظُهُ، وَأَظُنُّ أَنَّ أَوَّلَهُ:

وَلَقَدْ تَقَلَّدَ كُفْرَهُمْ خَمْسُونَ فِي *** عَشْرٍ مِنَ العُلَمَاءِ فِي البُلْدَانِ

وَاللَّالِكَائِيُّ[181] الإِمَامُ قَدْ حَكَاهُ عَنْهُمْ *** بَلْ قَدْ حَكَاهُ قَبْلَهُ الطَّبَرَانِيُّ

(١٨١) هو: الإمام الحافظ المجود، المفتي أبو القاسم، هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي، الشافعي اللالكائي، مفيد بغداد في وقته. كان يفهم ويحفظ. وتفقه بالشيخ أبي حامد، وبرع في المذهب. صنف كتابا في السنن، وكتابا في معرفة أسماء من في الصحيحين، وكتابا في شرح السنة. مات في شهر رمضان سنة ثمان عشرة وأربع مئة. انظر: السير (١٧/ ٤١٩ ترجمة ٢٧٤)، وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (١/ ١٩٧ ترجمة ١٥٧).

فَابْنُ القَيِّمِ حَكَى ذَلِكَ، وَسَرَدَ أَئِمَّةً كَثِيرِينَ بِالأَسَانِيدِ عَنْ تَكْفِيرِ هَؤُلَاءِ؛ لِأَنَّهُمْ مُكَذِّبُونَ لِلْقُرْآنِ، ومُكَذِّبُونَ مَا تَوَاتَرَ عَنِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، بَلْ إِنَّ الفِطَرَ لَا تَطْمَئِنُّ، وَلَا تَسْتَقِرُّ الأَذْهَانُ، بَلْ تَنْفِرُ مِنْ هَذَا القَوْلِ الشَّنِيعِ، وَهُوَ أَنَّ اللهَ تَعَالَى لَا يَتَكَلَّمُ، وَأَنَّ القُرْآنَ مَخْلُوقٌ.

(وَأَشْهَدُ أَنَّ الخَيْرَ وَالشَّرَّ كُلَّهُ * يَجِيءُ مِنَ اللهِ العَظِيمِ عَلَى قَدَرْ)**

أَهْلُ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ يَقُولُونَ: إِنَّ كُلَّ شَيْءٍ بِقَدَرٍ، وَالشَّرُّ وَالخَيْرُ بِقَدَرٍ، كَمَا قَالَ رَبُّنَا عَزَّ وَجَلَّ: ﴿**إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ**﴾[١٨٢]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿**اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ**﴾[١٨٣]. لَكِنَّهُمْ لَا يُضِيفُونَ الشَّرَّ إِلَى اللهِ اسْتِقْلَالًا وَإِفْرَادًا، وَإِنْ كَانَ خَالِقَهُ، وَلَا يُضِيفُونَ مَا يُسْتَقْبَحُ إِلَى اللهِ، وَإِنْ كَانَ هُوَ الخَالِقُ؛ وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿**مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ**﴾[١٨٤]. أَيْ: مِنْ كَسْبِكَ. وَإِلَّا فَكَمَا قَالُوا: كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللهِ، لَكِنْ لَا يُضِيفُونَ الشَّرَّ إِلَى اللهِ اسْتِقْلَالًا، وَهَذَا مَعْنَى الحَدِيثِ: «**وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ**»[١٨٥]؛ وَلِهَذَا لَا يُقَالُ فِي الدُّعَاءِ: يَا خَالِقَ القِرَدَةِ، يَا خَالِقَ الخَنَافِسِ، يَا خَالِقَ الخَنَازِيرِ! فَلَا أَحَدَ يَدْعُو بِهَذَا، وَإِنْ كَانَ اللهُ هُوَ الخَالِقُ عَزَّ وَجَلَّ.

وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا يُمَازِحُ جَارِيَتَهُ، فَيَقُولُ لَهَا: خَلَقَنِي خَالِقُ النَّاسِ، وَخَلَقَكِ خَالِقُ البَهَائِمِ. فَتَسْخَطُ الجَارِيَةُ، وَتَقُولُ: أَنَا خَلَقَنِي خَالِقُ النَّاسِ! وَهَذَا مِنْ بَابِ الدُّعَابَةِ مَعَهَا، فَلَا يَضِيفُونَ الشَّرَّ إِلَى اللهِ اسْتِقْلَالًا؛ وَلِهَذَا تُلَاحِظُ فِي القُرْآنِ الكَرِيمِ أَنَّ اللهَ قَدَّرَ عَلَى مُوسَى وَعَلَى آدَمَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ مَا قُدِّرَ، وَمَعَ هَذَا قَالَ آدَمُ: ﴿**قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الخَاسِرِينَ**﴾[١٨٦]. وَلَمَّا قَتَلَ مُوسَى الرَّجُلَ: ﴿**قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ**﴾[١٨٧].

وَفِي قِصَّةِ مُوسَى مَعَ الخِضْرِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ عِنْدَمَا قَتَلَ الغُلَامَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿**فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ**﴾[١٨٨]. فَذَكَرَ الخِضْرُ الخَيْرَ فِي شَأْنِ اللهِ تَعَالَى. وَأَمَّا القَتْلُ فَنَسَبَهُ إِلَى نَفْسِهِ، فَلَا يَخْلِطُ وَلَا يَتَوَهَّمُ

---

(١٨٢) سورة القمر: ٤٩.

(١٨٣) سورة الرعد: ١٦.

(١٨٤) سورة النساء: ٧٩.

(١٨٥) أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين- باب الدعاء قبل صلاة الليل وقيامه (٧٧١)، من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

(١٨٦) سورة الأعراف: ٢٣.

(١٨٧) سورة القصص: ١٦.

(١٨٨) سورة الكهف: ٨٢.

فِي هَذَا، فَاللهُ تَعَالَى هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ، قَالَ تَعَالَى: ﴿**اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ**﴾(١٨٩). لَكِنْ قَالُوا: لَا يُضَافُ الشَّرُّ ـ إِلَى اللهِ ـ اسْتِقْلَالًا.

وَهُنَاكَ فَائِدَةٌ ذَكَرَهَا شَيْخُ الإِسْلامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى قَالَ: لَمْ يُضِفِ اللهُ الشَّرَّ إِلَيْهِ فِي كِتَابِهِ إِلَّا فِي أُمُورٍ ثَلَاثَةٍ:

الأَمْرُ الأَوَّلُ: فِي العُمُومِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿**اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ**﴾.

الأَمْرُ الثَّانِي: أَنْ يُضَافَ إِلَى سَبَبِهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿**مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ**﴾(١٩٠).

الأَمْرُ الثَّالِثُ: فِيمَا لَمْ يُسَمَّ فَاعِلُهُ -المَبْنِي لِلْمَجْهُولِ- كَمَا قَصَّ عَنِ الجِنِّ: ﴿**وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا**﴾(١٩١). وَانْظُرْ إِلَى تَفْرِيقِ الجِنِّ؛ حَيْثُ نَسَبُوا الخَيْرَ إِلَى اللهِ، وَتَرَكُوا الشَّرَّ مُبْهَمًا عَامًّا، فَقَالُوا: ﴿**لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ**﴾.

فَكُلُّ شَيْءٍ يَقَعُ بِإِذْنِ اللهِ وَقَدَرِهِ، وَلَكِنَّهُمْ رَحِمَهُمُ اللهُ لَمْ يُضِيفُوا الشَّرَّ إِلَى اللهِ اسْتِقْلَالًا؛ وَلِهَذَا قَسَّمَ أَهْلُ العِلْمِ النَاسَ فِي هَذِهِ المَسْأَلَةِ إِلَى أَرْبَعَةِ أَقْسَامٍ:

قِسْمٌ أَهْلِ السُّنَّةِ: فَمَا أَصَابَهُمْ مِنَ الخَيْرِ يُضِيفُونَهُ إِلَى اللهِ تَعَالَى، وَمَا أَصَابَهُمْ مِنَ الشَّرِّ فَإِلَى أَنْفُسِهِمْ، وَإِنْ كَانَ الجَمِيعُ مِنْ عِنْدِ اللهِ تَعَالَى.

قِسْمٌ يَقُولُ: نَحْنُ مَجْبُورُونَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ: الخَيْرِ وَالشَّرِّ. وَهَؤُلَاءِ هُمُ الجَبْرِيَّةُ الضُّلَّالُ.

قِسْمٌ يَقُولُ: نَحْنُ نَفْعَلُ مَا نَشَاءُ، وَاللهُ تَعَالَى لَا يَهْدِي ضَالًا، وَلَا يُضِلُّ مُهْتَدِيًا. ﴿**سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا**﴾(١٩٢). وَهَؤُلَاءِ هُمُ القَدَرِيَّةُ.

وَشَرُّهُمْ مَنْ يَقُولُ: أَنَا عِنْدَ الطَّاعَةِ قَدَرِيٌّ، وَعِنْدَ المَعْصِيَةِ جَبْرِيٌّ! فَإِذَا فَعَلَ المَعْصِيَةَ قَالَ: أَنَا مَجْبُورٌ! فَهَذَا يَحْتَالُ عَلَى اللهِ! وَهَذَا تَلَاعُبٌ بِالنُّصُوصِ.

وَلِهَذَا -أَيُّهَا الأَكَارِمُ- تَرَوْنَ أَنَّ مَذْهَبَ أَهْلِ السُّنَّةِ تَطْمَئِنُّ إِلَيْهِ القُلُوبُ، وَتَرْتَاحُ إِلَيْهِ الفِطْرُ، وَكَيْفَ لَا يَكُونُ ذَلِكَ وَهُوَ الحَقُّ الَّذِي أَمَرَ اللهُ تَعَالَى؟!

---

(١٨٩) سورة الزمر: ٦٢.

(١٩٠) سورة الفلق: ٢.

(١٩١) سورة الجن: ١٠.

(١٩٢) سورة الإسراء: ٤٣.

فَكُلُّ هَذِهِ الأُمُورِ تَجِيءُ مِنَ اللهِ عَلَى قَدَرٍ، فَكُلُّ شَيْءٍ يَقَعُ فِي هَذَا الكَوْنِ بِقَدَرٍ، قَالَ تَعَالَى: ﴿**إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ**﴾. فَلَا يُمْكِنُ أَنْ يَقَعَ شَيْءٌ إِلَّا بِعِلْمِ اللهِ، صَغِيرًا كَانَ أَمْ كَبِيرًا؛ وَلِهَذَا مَنْ ضَلَالِ ابْنِ سِينَا[١٩٣] أَنَّهُ يَقُولُ: إِنَّ اللهَ يَعْلَمُ كُلِّيَّاتِ دُونَ الجُزْئِيَّاتِ. أَيْ: يَعْلَمُ الأُمُورَ الكَبِيرَةَ وَتُخْفَى عَلَيْهِ الصَّغِيرَةُ! وَهَذَا إِلْحَادٌ وَكُفْرٌ بِاللهِ تَعَالَى. وَعَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهَا تَقُولُ: كَانَتِ الْمُجَادِلَةُ تُخْبِرُ الرَّسُولَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ خَبَرِهَا مَعَ زَوْجِهَا، وَكُنْتُ أَرَاهَا فِي نَاحِيَةِ الدَّارِ، وَأَرَى تُحَرُّكَ شَفَتَيْهَا، وَلَا أَسْمَعَ صَوْتَهَا، وَسَمِعَهَا اللهُ مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَاوَاتٍ! سُبْحَانَ مَنْ وَسِعَ سَمْعُهُ الأَصْوات؟!

وَهَذَا الأَمْرُ -وَهُوَ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ يَجِيءُ مِنَ اللهِ- مِنْ ثَمَرَاتِهِ العَظِيمَةِ: أَنْ يَعْلَمَ الإِنْسَانُ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ قَدْ قُدِّرَ، فَلَا يَجْزَعُ وَلَا يَتَسَخَّطُ، فَمَهْمَا جَزَعَ وَتَسَخَّطَ فَلَنْ يَرُدَّ قَدَرًا فَاتَهُ، فَقَدْ قُضِيَ الأَمْرُ. سُئِلَ كِسْرَى أَنُوشِرْوَانَ[١٩٤] -أَحَدُ مُلُوكِ الفُرْسِ- عَمَّا يَحْصُلُ لِأَحْوَالِ النَّاسِ، فَقَالَ: رَأَيْتُ مَحْرُومًا يُعَافَى وَيُرْزَقُ، وَرَأَيْتُ غَنِيًا يُحْرَمُ وَيُبْتَلَى، فَعَلِمْتُ أَنَّ الأَمْرَ بِقَدَرٍ. وَهَذَا أَحْسَنُ عَقِيدَةٍ مِمَّنْ خَاضَ فِي القَدَرِ بِلَا عِلْمٍ.

(وَأَعْلَمُ أَنَّ الجِسْرَ بَيْنَ جَهَنَّمَ * وَجَنَّةِ عَدْنٍ كَالطَّرِيقِ لِمَنْ عَبَرْ)**

يُشِيرُ النَّاظِمُ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى إِلَى أَمْرِ الصِّرَاطِ، وَالصِّرَاطُ عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ صِرَاطٌ حَقِيقِيٌّ، مَنْصُوبٌ عَلَى مَتْنِ جَهَنَّمَ، جَاءَتْ وَتَوَاتَرَتْ بِهِ النُّصُوصُ، وَقَدْ تَأَوَّلَ قَوْمُ الصِّرَاطِ، وَزَعَمُوا أَنَّهُ كِنَايَةٌ عَنْ عَدْلِ اللهِ تَعَالَى؛ وَهَذَا تَعْطِيلٌ لِلنُّصُوصِ، وَعَبَثٌ بِهَا، فَعَدْلُ اللهِ تَعَالَى مُسْتَقِرٌّ فِي الفِطَرِ وَالقُلُوبِ، نَاهِيكَ عَمَّا جَاءَتْ بِهِ النُّصُوصُ الكَثِيرَةُ، قَالَ

---

(١٩٣) هو: العلامة الشهير الفيلسوف، أبو علي، الحسين بن عبد الله بن الحسن بن علي بن سينا، البلخي ثم البخاري، صاحب التصانيف في الطب والفلسفة والمنطق. كان أبوه كاتبا من دعاة الإسماعيلية. مولده في صفر سنة سبعين وثلاث مئة. كفره الغزالي في كتاب «المنقذ من الضلال». وكان رأس الفلاسفة الإسلامية، لم يأت بعد الفارابي مثله، فالحمد لله على الإسلام والسنة. قال ابن تيمية: «تكلم ابن سينا في أشياء من الإلهيات، والنبويات، والمعاد، والشرائع، لم يتكلم بها سلفه، ولا وصلت إليها عقولهم، ولا بلغتها علومهم، فإنه استفادها من المسلمين، وإن كان إنما يأخذ عن الملاحدة المنتسبين إلى المسلمين كالإسماعيلية، وكان أهل بيته من أهل دعوتهم، من أتباع الحاكم العبيدي، الذي كان هو وأهل بيته معروفين عند المسلمين بالإلحاد». توفي سنة ثمان وعشرين وأربع مئة. انظر: سير أعلام النبلاء (١٧/ ٥٣١ ترجمة ٣٥٦)، والنجوم الزاهرة (٥/ ٢٥).

(١٩٤) هو: كسرى الأول، أو خسرو أنوشروان. ملك فارس من الساسانيين. كان كثير الأدب، محسنا إلى الضعفاء، حسن السيرة. حكم بلاد الفرس ثمانية وأربعين عاما. انظر: تاريخ الطبري (١/ ٤٢٢).

تَعَالَى: ﴿**وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ**﴾(١٩٥). وَقَالَ تَعَالَى: ﴿**إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالعَدْلِ وَالإِحْسَانِ**﴾(١٩٦). وَقَالَ تَعَالَى: ﴿**وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا**﴾(١٩٧). وَقَالَ تَعَالَى: ﴿**وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ**﴾(١٩٨). وَقَالَ تَعَالَى: ﴿**وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ**﴾(١٩٩).

فَكُلُّ هَذِهِ أَدِلَّةٌ عَلَى عَدْلِ اللهِ تَعَالَى، وَزَعَمَ أَنَّ الصِّرَاطَ هُوَ كِنَايَةٌ عَنْ عَدْلِ اللهِ هَذَا تَعْطِيلٌ لِلنُّصُوصِ عَنْ مَدْلُولِهَا الصَّحِيحِ، فَالصِّرَاطُ صِرَاطٌ حَقِيقِيٌّ مَنْصُوبٌ عَلَى مَتْنِ جَهَنَّمَ.

وَقَدْ جَاءَتْ أَحَادِيثُ بِصِفَاتٍ لَهُ، مِنْهَا: «**إِنَّهُ مَدْحَضَةٌ مَزِلَّةٌ**»(٢٠٠). وَفِي بَعْضِ الأَلْفَاظِ: أَنَّهُ أَدَقُّ مِنَ الشَّعْرَةِ، وَأَحَدُّ مِنَ السَّيْفِ. وَقَدْ تَكَلَّمَ فِيهَا بَعْضُ العُلَمَاءِ.

وَصَحَّ أَيْضًا: «**عَلَيْهِ خَطَاطِيفُ، وَكَلَالِيبُ، وَحَسَكَةٌ مُفَلْطَحَةٌ لَهَا شَوْكَةٌ عُقَيْفَاءُ تَكُونُ بِنَجْدٍ، يُقَالُ لَهَا: السَّعْدَانُ**»(٢٠١). وَالسَّعْدَانُ: شَوْكٌ تَعْرِفُهُ العَرَبُ، وَهُوَ حَادٌّ، وَ«**شَوْكَةٌ عُقَيْفَاءُ**» لِيَخْطَفَ النَّاسَ. وَأَنَّ النَّاسَ يَمُرُّونَ عَلَى هَذَا الصِّرَاطِ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ؛ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَالبَرْقِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَالرِّيحِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَالطَّرْفِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَأَجَاوِيدُ الخَيْلِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَأَشَدِّ مَا يَكُونُ الرِّجَالُ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي مَشْيًا، وَمِنْهُمْ مَنْ يَحْبُو حَبْوًا، وَمِنْهُمْ مَنْ يَزْحَفُ زَحْفًا.

وَذَهَبَ بَعْضُ أَهْلِ العِلْمِ إِلَى أَنَّ الصِّرَاطَ صِرَاطَانِ: صِرَاطٌ عَامٌّ، وَصِرَاطٌ خَاصٌّ. فَالصِّرَاطُ العَامُّ المَنْصُوبُ عَلَى مَتْنِ جَهَنَّمَ، وَالصِّرَاطُ الخَاصُّ هُوَ القَنْطَرَةُ الَّتِي يَتَقَاضَى عِنْدَهَا المُؤْمِنُونَ -كَمَا صَحَّ فِي الحَدِيثِ.

---

(١٩٥) سورة المائدة: ٥٠.

(١٩٦) سورة النحل: ٩٠.

(١٩٧) سورة الأنعام: ١٥٢.

(١٩٨) سورة فصلت: ٤٦.

(١٩٩) سورة هود: ١٠١.

(٢٠٠) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد- باب قول الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ (٧٤٣٩)، ومسلم في كتاب الإيمان- باب معرفة طريق الرؤية (١٨٣)، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢٠١) ما قبله.

وَيَرَى آخَرُونَ أَنَّهُ صِرَاطٌ وَاحِدٌ، وَلَكِنْ هَذَا الصِّرَاطُ العَامُّ يُمْتَدُّ حَتَّى يَكُونَ قَنْطَرَةً إِلَى الجَنَّةِ، وَهُنَاكَ يُقْتَصُّ المُؤْمِنُونَ بَعْضَهُمْ مِنْ بَعْضٍ، وَهَذَا رَأْيُ ابْنِ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى. وَيَرَى القُرْطُبِيُّ[٢٠٢] صَاحِبُ «التَّذْكِرَةِ» أَنَّ الصِّرَاطَ صِرَاطَانِ: عَامٌّ لِلنَّاسِ جَمِيعًا، وَخَاصٌّ وَهُوَ الَّذِي يُقْتَصُّ عِنْدَهُ المُؤْمِنُونَ.

وَمِنْ ثَمَرَاتِ الإِيمَانِ بِالصِّرَاطِ: مَعْرِفَةُ شِدَّةِ هَوْلِ يَوْمِ القِيَامَةِ، وَاسْتِحْضَارُ ذَلِكَ الأَمْرِ، وَالخَوْفُ مِنَ التَّفْرِيطِ فِي الدُّنْيَا، وَأَيْضًا: مَعْرِفَةُ كَمَالِ عَدْلِ اللهِ تَعَالَى، وَأَنَّهُ لَوْ عَذَّبَ اللهُ النَّاسَ دُونَ حِسَابٍ لَعَذَّبَهُمْ وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ لَهُمْ، وَلَكِنْ ﴿**لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ**﴾[٢٠٣]. وَأَيْضًا: لِيَرْتَبِطَ المُؤْمِنُونَ بِنَجَاتِهِمْ، وَيَزْدَادَ الكَافِرُونَ حَسْرَةً بِتَفْرِيطِهِمْ.

(وَلَا أُنْكِرُ المِيزَانَ وَالحَوْضَ عَامِدًا * وَلَا أُنْكِرُ التَّسْآلَ فِي القَبْرِ وَالنَّظَرْ)**

هُنَا ذَكَرَ ثَلَاثَةَ أَشْيَاءَ؛ فِي الشَّطْرِ الأَوَّلِ ذَكَرَ المِيزَانَ وَالحَوْضَ، فَقَالَ: (**لَا أُنْكِرُ المِيزَانَ وَالحَوْضَ**). وَالمِيزَانُ عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ مِيزَانٌ حَقِيقِيٌّ، خِلَافًا لِمَنْ قَالَ مِنَ المُعْتَزِلَةِ: إِنَّهُ كِنَايَةٌ عَنْ عَدْلِ اللهِ تَعَالَى. وَقَدْ قَرَأْتُ قَوْلًا: أَنَّ بَعْضَ المُعْتَزِلَةِ يَقُولُ: بِأَنَّ المِيزَانَ يُؤْتَى بِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَلَكِنْ لَا يُوزَنُ النَاسُ بِهِ، وَلَكِنَّهُ إِشَارَةٌ إِلَى عَدْلِ اللهِ تَعَالَى. وَكُلُّ هَذِهِ الأَقْوَالِ تُصَادِمُ النُّصُوصَ، فَالمِيزَانُ مِيزَانٌ حَقِيقِيٌّ، وَتَوَاتَرَتْ بِهِ النُّصُوصُ، فَقَدْ جَاءَ فِي القُرْآنِ الكَرِيمِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿**وَنَضَعُ المَوَازِينَ القِسْطَ لِيَوْمِ القِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا**﴾[٢٠٤].

---

(٢٠٢) هو: الإمام المفسر محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرْح، أبو عبد الله الأنصاري، الخزرجي، القرطبي، الأندلسي، المالكي. كان إماما متفننا متبحرا في العلم، له تصانيف مفيدة تدل على كثرة اطلاعه ووفور فضله، وقد سارت بتفسيره العظيم الشأن الركبانُ. وكان مع ذلك من عباد الله الصالحين الزاهدين في الدنيا، المشغولين بما يعنيهم من أمور الآخرة. له تواليف ممتعة؛ منها: «الجامع لأحكام القرآن»، و«التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة». توفي بمصر سنة إحدى وسبعين وست مئة، ودفن بها. انظر: الديباج المذهب (٢/ ٣٠٨ ترجمة ١١٤)، ونفح الطيب (٢/ ٢١٠ ترجمة ١٢٢) ت: إحسان عباس.

(٢٠٣) سورة الأنفال: ٤٢.

(٢٠٤) سورة الأنبياء: ٤٧.

وجَاءَ فِي السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ أَحَادِيثَ كَثِيرَةً، بَلْ آخِرُ حَدِيثٍ فِي «صَحِيحِ البُخَارِيِّ»: «**ثَقِيلَتَانِ فِي المِيزَانِ**»[٢٠٥]. وَهَذَا أَيْضًا آخِرُ حَدِيثٍ فِي بُلُوغِ المَرَامِ، وَهُوَ: «**ثَقِيلَتَانِ فِي المِيزَانِ**». وَمِنَ النُّصُوصِ أَيْضًا: «**الحَمْدُ للهِ، وَسُبْحَانَ اللهِ تَمْلَآنِ المِيزَانَ**»[٢٠٦]. وَأَيْضًا مَا جَاءَ فِي سَاقِي عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ: وَأَنَّهُ فِي المِيزَانِ أَثْقَلُ مِنْ جَبَلِ أُحُدٍ.

إِذَنْ اعْتِقَادُ أَهْلِ السُّنَّةِ: أَنَّ المِيزَانَ مِيزَانٌ حَقِيقِيٌّ، وَجَاءَ فِي بَعْضِ الرِّوَايَاتِ: أَنَّ لَهُ كِفَّتَيْنِ وَلِسَانًا. قَالُوا: أَمَّا الكِفَّتَانِ فَيُؤَكِّدُهُمَا حَدِيثُ البِطَاقَةِ، وَأَمَّا اللِّسَانُ فَأَظُنُّهُ مِنْ قَوْلِ قَتَادَةَ[٢٠٧]، فَهُوَ مَوْقُوفٌ وَلَيْسَ مَرْفُوعًا، بَلْ هُوَ مُرْسَلٌ، وَأَمَّا إِنْكَارُ مَنْ أَنْكَرَهُ وَتَأَوَّلَهُ بِالعَدْلِ، فَكَمَا سَلَفَ -قَبْلَ قَلِيلٍ- أَنَّ قَوْلَهُمْ: بَاطِلٌ مَرْدُودٌ؛ لِصَرَاحَةِ الأَدِلَّةِ وَصِحَّتِهَا.

وَالسُّؤَالُ: هَلِ المِيزَانُ وَاحِدٌ أَمْ مُتَعَدِّدٌ؟ ذَهَبَ بَعْضُ أَهْلِ العِلْمِ إِلَى أَنَّ المِيزَانَ مُتَعَدِّدٌ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿**وَنَضَعُ المَوَازِينَ القِسْطَ**﴾[٢٠٨]. وَقَالَ آخَرُونَ -لَعَلَّهُ الأَشْهَرُ وَالأَصَحُّ: أَنَّ المِيزَانَ وَاحِدٌ، وَتَارَةً يُجْمِعُ مِنْ بَابِ التَّعْظِيمِ.

وَمَسْأَلَةٌ أُخْرَى تَتَعَلَّقُ بِالمِيزَانِ، وَهِيَ: مَا الشَّيْءُ الَّذِي يُوزَنُ؟ النُّصُوصُ جَاءَتْ بِأَنَّ الَّذِي يُوزَنُ ثَلَاثَةٌ: العَامِلُ، وَالعَمَلُ، وَصُحُفُ الأَعْمَالِ.

أَمَّا أَدِلَّةُ وَزْنِ العَامِلِ: فَحَدِيثُ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ لَمَّا ضَحِكَ بَعْضُ الصَّحَابَةِ عَلَى دِقَّةِ سَاقَيْهِ، فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**أَتَعْجَبُونَ مِنْ دِقَّةِ سَاقَيْهِ؟! وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّهُمَا فِي المِيزَانِ أَثْقَلُ مِنْ جَبَلِ أُحُدٍ**»[٢٠٩]. وَفِي الحَدِيثِ: «**يُؤْتَى بِالرَّجُلِ الثَّمِينِ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَلَا يَزِنُ عِنْدَ اللهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ**»[٢١٠]. فَهَذَا وَزْنُ العَامِلِ.

---

(٢٠٥)أخرجه البخاري في كتاب الدعوات- باب فضل التسبيح (٦٤٠٦)، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء- باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء (٢٦٩٤)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢٠٦) أخرجه مسلم في كتاب الطهارة- باب فضل الوضوء (٢٢٣)، من حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه.

(٢٠٧) هو: قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزيز، وقيل: قتادة بن دعامة بن عكابة، حافظ العصر، قدوة المفسرين والمحدثين أبو الخطاب السدوسي البصري الضرير الأكمه، وسدوس: هو ابن شيبان بن ذهل بن ثعلبة من بكر بن وائل. كان من أوعية العلم، وممن يضرب به المثل في قوة الحفظ. كان يقول: يقول: ما في القرآن آية إلا وقد سمعت فيها شيئا، وعنه قال: ما سمعت شيئا إلا وحفظته. قال ابن حجر في التقريب: ثقة ثبت. مات سنة سبع عشرة ومئة. انظر: تهذيب الكمال (٢٣/ ٤٩٨ ترجمة ٤٨٤٨)، والسير (٥/ ٢٦٩ ترجمة ١٣٢).

(٢٠٨) سورة الأنبياء: ٤٧.

(٢٠٩) أخرجه أحمد في «مسنده» (١/ ٤٢٠)، وحسنه الشيخ الألباني في «غاية المرام» (٤١٦).

(٢١٠)أخرجه البخاري في كتاب التفسير- باب أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم (٤٧٢٩)، ومسلم كتاب صفة القيامة والجنة والنار (٢٧٨٥)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وَأَمَّا وَزْنُ العَمَلِ: فَقَدْ تَقَدَّمَ فِي الحَدِيثِ: «**كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي المِيزَانِ**»[٢١١]. وَقَالَ بَعْضُ المُؤَوِّلَةِ: الأَعْمَالُ أَشْيَاءُ مَعْنَوِيَّةٌ، فَكَيْفَ تُوزَنُ؟! قِيلَ: بِأَنَّ اللهَ يُصَيِّرُهَا أَشْيَاءَ مَخْلُوقَةً.

وَأَمَّا وَزْنُ صُحُفِ الأَعْمَالِ: فَجَاءَ فِي حَدِيثِ البِطَاقَةِ، فَقَدْ جَاءَ هَذَا الرَّجُلُ بِالسَيِّئَاتِ وَوُضِعَتْ، ثُمَّ جِيءَ بِبِطَاقَةٍ فِيهَا كَلِمَةُ التَّوْحِيدِ، فَوَضِعَتْ فِي الكِفَّةِ الأُخْرَى، فَطَاشَتْ كِفَّةُ السَّيِّئَاتِ، وَثَقُلَتْ كِفَّةُ البِطَاقَةِ. فَيُقَالُ فِي الحَوْضِ مَا قِيلَ فِي الصِّرَاطِ.

مِنْ ثِمَارِ الإِيمَانِ بِالمِيزَانِ: الاسْتِقْرَارُ النَّفْسِيُّ، وَالاطْمِئْنَانُ القَلْبِيُّ لِتَصْدِيقِ النُّصُوصِ، وَأَيْضًا مَحَبَّةُ اللهَّ تَعَالَى عَلَى عَدْلِهِ، وَكَرِيمِ جُودِهِ فِي وَزْنِهِ لِلْعَامِلِ وَالعَمَلِ، وَصُنْعِ عَمَلِهِ. وَأَيْضًا لِلتَّمَايُزِ بَيْنَ النَّاسِ فَيَرْتَبِطُ الفَائِزُونَ بِفَوْزِهِمْ، وَيَعْرِفُ الخَاسِرُونَ جِنَايَةَ أَمْرِهِمْ.

(**وَلَا أُنْكِرُ المِيزَانَ وَالحَوْضَ**). الحَوْضُ فِي اللُّغَةِ: مُجْتَمَعُ المَاءِ، وَفِي الشَّرْعِ عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ: حَوْضٌ حَقِيقِيٌّ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَهُ صِفَاتٌ مَعْلُومَةٌ. وَهَذَا الحَوْضُ -كَمَا قُلْتُ آنِفًا- حَقِيقِيٌّ فِي عَرَصَاتِ القِيَامَةِ، وَقَدْ ذَكَرَ بَعْضُ المُصَنِّفِينَ فِي العَقَائِدِ: أَنَّهُ لَمْ يُنْكِرِ الحَوْضَ أَحَدٌ إِلَّا مَا كَانَ مِنْ شَأْنِ عَبْدِ اللهَّ بْنِ زِيَادٍ[٢١٢]، ثُمَّ رَجَعَ عَنْ قَوْلِهِ.

وَالحَوْضُ تَوَاتَرَتْ بِهِ النُّصُوصُ الشَّرْعِيَّةُ، حَتَّى سَاقَ ابْنُ كَثِيرٍ أَحَادِيثَ عَنْ أَرْبَعٍ وَثَلَاثِينَ مِنَ الصَّحَابَةِ، وَذَكَرَ السُّيُوطِيُّ: أَنَّهَا رُوِيَتْ عَنْ بِضْعٍ وَخَمْسِينَ مِنَ الصَّحَابَةِ، وَذَكَرَ ابْنُ حَجَرٍ: أَنَّ بَعْضَهُمْ أَوْصَلَهَا إِلَى قَرَابَةِ ثَمَانِينَ مِنَ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهَّ تَعَالَى عَنْهُمْ؛ فَأَحَادِيثُهُمْ مُتَوَاتِرَةٌ، وَصَنَّفَ بَقِيُّ بْنُ مَخْلَدٍ[٢١٣] وَغَيْرُهُ مُصَنَّفَاتٍ مُسْتَقِلَّةً فِي الحَوْضِ.

وَهَذَا الحَوْضُ الشَّرِيفُ لَهُ صِفَاتٌ لِمِسَاحَتِهِ، وَصِفَاتٌ لِشَرَابِهِ، وَصِفَاتٌ لِآنِيَتِهِ.

---

(٢١١) تقدم تخريجه.

(٢١٢) هو: عبيد الله بن زياد بن أبيه. أمير العراق أبو حفص، ولي البصرة سنة خمس وخمسين، وله ثنتان وعشرون سنة، وولي خراسان، فكان أول عربي قطع جيحون، وافتتح بيكند وغيرها. وكان جميل الصورة، قبيح السريرة. قيل: كانت أمه مرجانة من بنات ملوك الفرس. قتل يوم عاشوراء سنة سبع وستين. انظر: تاريخ الطبري (٥/ ٢٩٥)، وسير أعلام النبلاء (٣/ ٥٤٥ ترجمة ١٤٥).

(٢١٣) هو: بقي بن مخلد بن يزيد، الإمام، القدوة، شيخ الإسلام، أبو عبد الرحمن الأندلسي القرطبي، الحافظ، صاحب «التفسير» و «المسند» اللذين لا نظير لهما. ولد في حدود سنة مئتين، أو قبلها بقليل، وتوفي لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة، سنة ست وسبعين ومئتين. انظر السير (١٣/ ٢٨٥ ترجمة ١٣٧)، وطبقات الحفاظ (ص: ٢٧٧).

أَمَّا مِسَاحَتُهُ: فَجَاءَ وَصْفُهَا زَمَانًا وَمَكَانًا؛ أَمَّا زَمَانًا فَقَدْ جَاءَ فِي الحَدِيثِ: «**حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ**»(٢١٤). وَجَاءَ وَصْفُهُ بِالمَكَانِ أَنَّ النَّبِيَّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قَالَ مَرَّةً: «**أَمَامَكُمْ حَوْضٌ كَمَا بَيْنَ جَرْبَاءَ وَأَذْرُحَ**»(٢١٥). وَقَالَ أَيْضًا: «**إِنَّ قَدْرَ حَوْضِي كَمَا بَيْنَ أَيْلَةَ وَصَنْعَاءَ مِنَ اليَمَنِ**»(٢١٦). وَهَذِهِ أَسْمَاءُ مُدُنٍ، وَقَالَ بَعْضُ العُلَمَاءِ: هَلْ هَذَا اخْتِلَافٌ مِنَ الرُّوَاةِ وَخَطَأٌ، أَمْ مَاذَا؟ قَالُوا: الجَوَابُ الصَّحِيحُ: أَنَّهُ لَيْسَ اخْتِلَافٌ لِلرُّوَاةِ، بَلْ كُلٌّ رَوَى وَضَبَطَ، وَلَكِنِ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يُخْبِرُ كُلَّ قَوْمٍ بِمَا يَعْرِفُونَ فِي بِلَادِهِمْ.

فَلَوْ جَاءَكَ شَخْصٌ مِنْ مِصْرَ، وَقَالَ: كَمْ تَبْعُدُ الرِيَاضُ عَنِ المَدِينَةِ؟ فَتَقُولُ: كَمَا بَيْنَ القَاهِرَةِ وَالإِسْكَنْدَرِيَّةِ. وَلَوْ جَاءَكَ شَخْصٌ مِنْ سَوْرِيَا، فَتَقُولُ: كَمَا بَيْنَ دِمَشْقَ وَاللَّاذِقِيَّةِ. وَلَوْ جَاءَكَ شَخْصٌ مِنَ الأُرْدُنِ، فَتَقُولُ: كَمَا بَيْنَ عَمَّانَ وَالزَّرْقَاءِ. وَلَوْ جَاءَكَ شَخْصٌ مِنَ اليَمَنِ، فَتَقُولُ: كَمَا بَيْنَ صَنْعَاءَ وَمَأْرِبٍ. وَلَوْ جَاءَكَ شَخْصٌ مِنَ العِرَاقِ، تَقُولُ: كَمَا بَيْنَ الكُوفَةِ وَالمَوْصِلِ ... وَهَكَذَا، فَيُخْبِرُهُمْ بِمَا يَعْرِفُونَ فِي بِلَادِهِمْ حَتَّى يُقَدِّرُوهَا ذِهْنِيًا.

وَشَرَابُ الحَوْضِ أَبْيَضُ مِنَ اللَّبَنِ، وَأَبْرَدُ مِنَ الثَّلْجِ، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ المِسْكِ، وَحَلَاوَتُهُ أَحْلَى مِنَ العَسَلِ، نَعِيمٌ مِنْ نَعِيمٍ. وَعَدَدُ آنِيَتِهِ كَنُجُومِ السَّمَاءِ، وَأَقْدَاحُهُ مِنْ ذَهَبٍ وَمِنْ فِضَّةٍ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ شَرْبَةً وَاحِدَةً لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهَا.

وَمِنَ اللَّطَائِفِ: أَنَّ أَحَدَهُمْ نَاظَرَ شَخْصًا فِي الحَوْضِ النَّبَوِيِّ، وَكَانَ يُنْكِرُ الحَوْضَ، فَقَالَ المُثْبِتُ: أَنْتَ تُنْكِرُ الحَوْضَ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: اسْأَلِ اللهَ إِذَا كَانَ الحَوْضُ حَقًّا، وَرَأَيْتُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ أَلَّا تُسْقَى مِنْهُ. قَالَ: أَسْتَغْفِرُ اللهَ!

وَذَكَرَ ابْنُ كَثِيرٍ(٢١٧) وَغَيْرُهُ أَنَّ عَجَائِزَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ أَنْ يَسْقِيَهُمْ مِنَ الحَوْضِ، وَأَشَارَ إِلَى أَنَّ مُنْكِرَ الحَوْضِ وَالمُجَادِلَ فِي إِثْبَاتِهِ حَرِيٌّ أَنْ يُحْرَمَ مِنْهُ -عِيَاذًا بِاللهِ تَعَالَى-.

---

(٢١٤) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق- باب في الحوض (٦٥٧٩)، ومسلم في كتاب الفضائل- باب إثبات حوض نبينا محمد صلى الله عليه وسلم (٢٢٩٢)، من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

(٢١٥) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق- باب في الحوض (٦٥٧٧)، ومسلم في كتاب الفضائل- باب إثبات حوض نبينا محمد صلى الله عليه وسلم (٢٢٩٩)، من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

(٢١٦) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق- باب في الحوض (٦٥٨٠)، ومسلم في كتاب الفضائل- باب إثبات حوض نبينا محمد صلى الله عليه وسلم (٢٣٠٣)، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢١٧) هو: إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء بن درع القرشي البصري، ثم الدمشقي الشافعي، أبو الفداء عماد الدين، الحافظ المؤرخ الفقيه. ولد في قرية من أعمال بصرى الشام، سنة إحدى وسبع مئة، وتوفي بدمشق سنة أربع وسبعين وسبع مئة. له العديد من التصانيف؛ منها البداية والنهاية، والتفسير، وغيرها من المصنفات. انظر: ذيل تذكرة الحفاظ (١/ ٣٨)، طبقات المفسرين (١/ ٢٦٠ ترجمة ٣١٣).

جَاءَ أَنَّ أَوَّلَ وِرَّادٍ عَلَى الحَوْضِ فُقَرَاءُ المُهَاجِرِينَ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمْ، وَمِنْ مَسَائِلِ الحَوْضِ: هَلْ هُوَ وَاحِدٌ أَوْ مُتَعَدِّدٌ؟ الصَّحِيحُ: أَنَّ الحَوْضَ وَاحِدٌ، وَهُوَ الَّذِي يَنْصَرِفُ إِلَى الذِّهْنِ. وَصَحَّحَ بَعْضُهُمْ حَدِيثَ: «**إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوْضًا**»(٢١٨). وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِذَا صَحَّ هَذَا الحَدِيثُ فَسَمْعًا وَطَاعَةً.

وَمِنْ مَسَائِلِ الحَوْضِ: هَلِ الحَوْضُ هُوَ الكَوْثَرُ أَمْ يَخْتَلِفُ عَنْهُ؟ مِنْهُمْ مَنْ قَالَ: بِأَنَّ الحَوْضَ هُوَ الكَوْثَرُ، فَهُمَا سَوَاءٌ. وَمِنْهُمْ مَنْ فَرَّقَ فَقَالَ: الحَوْضُ يَخْتَلِفُ عَنِ الكَوْثَرِ؛ فَالحَوْضُ مُسْتَقِلٌّ بِذَاتِهِ وَشَرَابِهِ وَمَكَانِهِ، وَالكَوْثَرُ مُسْتَقِلٌّ.

وَالصَّحِيحُ: أَنَّ الحَوْضَ وَالكَوْثَرَ يَشْتَرِكَانِ فِي شَيْءٍ، وَيَفْتَرِقَانِ فِي شَيْءٍ، وَأَنَّ أَحَدَهُمَا أَصْلٌ، وَالآخَرَ فَرْعٌ. فَالأَصْلُ هُوَ الكَوْثَرُ فِي الجَنَّةِ، وَالفَرْعُ هُوَ الحَوْضُ فِي عَرَصَاتِ القِيَامَةِ.

وَقَدْ جَاءَ فِي الحَدِيثِ: «**يَشْخَبُ فِيهِ مِيزَابَانِ مِنَ الجَنَّةِ**»(٢١٩). أَيْ: يَصُبَّانِ فِي الحَوْضِ. فَالمَادَّةُ المَشْرُوبَةُ وَاحِدَةٌ، لَكِنَّهَا تَأْتِي مِنَ الكَوْثَرِ إِلَى الحَوْضِ، فَاتَّفَقَا فِي المَادَّةِ المَشْرُوبَةِ، وَاخْتَلَفَا فِي المَكَانِ وَالسَّعَةِ؛ فَالكَوْثَرُ فِي الجَنَّةِ وَهُوَ أَعْظَمُ، وَالحَوْضُ فِي عَرَصَاتِ القِيَامَةِ.

وَمِمَّا يَتَعَلَّقُ بِمَسَائِلِ الحَوْضِ: المَذَادُونَ عَنِ الحَوْضِ. فَقَدْ وَرَدَ حَدِيثٌ صَحِيحٌ أَنَّ هُنَاكَ أُنَاسٌ يُذَادُونَ عَنِ الحَوْضِ، فَيَقُولُ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «**لَيُذَادَنَّ رِجَالٌ عَنْ حَوْضِي كَمَا يُذَادُ الْبَعِيرُ الضَّالُّ فَأُنَادِيهِمْ: أَلَا هَلُمُّوا، فَيُقَالُ: إِنَّهُمْ قَدْ بَدَّلُوا بَعْدَكَ، وَلَمْ يَزَالُوا يَرْجِعُونَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ، فَأَقُولُ: أَلَا سُحْقًا سُحْقًا**»(٢٢٠).

وَقَدْ احْتَجَّ بِهَذَا الحَدِيثِ بَعْضُ أَهْلِ الرَّفْضِ فِي الطَّعْنِ فِي مَقَامِ الصَّحَابَةِ، وَحُجَّتُهُمْ هَذِهِ بُطْلَانُهَا يُغْنِي عَنِ إِبْطَالِهَا، وَسُقُوطُهَا يُغْنِي عَنِ إِسْقَاطِهَا، وَنَكَارَتُهَا تُغْنِي عَنْ إِنْكَارِهَا، فَقِيلَ: إِنَّهُمُ المُنَافِقُونَ الَّذِينَ انْدَسُّوا بَيْنَ أَصْحَابِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ. وَقِيلَ: إِنَّهُمْ مَنِ ارْتَدَّ بَعْدَ مَوْتِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

وَمَنْ بَابِ الفَائِدَةِ: قَالَ بَعْضُ أَهْلِ العِلْمِ: أَنَّ الذَّوْدَ عَنِ الحَوْضِ يَنْقَسِمُ إِلَى قِسْمَيْنِ: ذَوْدٌ عَامٌّ، وَذَوْدٌ خَاصٌّ. فَالذَّوْدُ العَامُّ هُوَ: ذَوْدُ مَنْ خَالَفَ أَهْلَ الإِيمَانِ، فَيُطْرَدُ عَنِ الحَوْضِ وَيُذَادُ. وَالذَّوْدُ الخَاصُّ: قَالَ بَعْضُ أَهْلِ العِلْمِ: إِنَّ النَّبِيَّ

---

(٢١٨) أخرجه الترمذي في كتاب صفة القيامة والرقائق والورع- باب ما جاء في صفة الحوض (٢٤٤٣)، من حديث سمرة رضي الله عنه، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٤٥٦).

(٢١٩) أخرجه مسلم في كتاب الفضائل- باب إثبات حوض نبينا محمد صلى الله عليه وسلم (٢٣٠٠)، من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

(٢٢٠) أخرجه البخاري في كتاب المساقاة- باب من رأى أن صاحب الحوض والقربة أحق بمائه (٢٣٦٧)، ومسلم في كتاب الطهارة- باب استحباب إطالة الغرة والتحجيل في الوضوء (٢٤٩)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

عَلَيْهِ الصَّلَاةُ السَّلَامُ يَذُودُ عَنِ الحَوْضِ أُنَاسًا لَيْسُوا مِنْ أُمَّتِهِ؛ لِيَشْرَبُوا مِنْ أَحْواض مِنْ أَنْبِيَائِهِمْ. وَهَذَا الكَلَامُ لِمَنْ قَالَ: بِأَنَّ الحَوْضَ مُتَعَدِّدٌ. وَهَذَا مِنْ بَابِ المَحَبَّةِ لِإِخْوانِهِ الأَنْبِيَاءِ كَمَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ، وَهَذَا كُلُّهُ -أَيُّهَا الأَكَارِمُ- مَرْهُونٌ بِصِحَّةِ الأَحَادِيثِ المَرْوِيَّةِ فِي ذَلِكَ.

وَلَكِنْ أَيُّهُمَا يَكُونَ أَوَّلَا: الحَوْضُ أَمِ المِيزَانُ أَمِ الصِّرَاطُ؟ فِيهِ خِلَافٌ كَثِيرٌ بَيْنَ أَهْلِ العِلْمِ، وَلَكِنِ الأَصَحَّ -وَالعِلْمُ عِنْدَ اللهِ-: أَنَّ الحَوْضَ أَوَّلًا، ثُمَّ المِيزَانَ، ثُمَّ الصِّرَاطَ. فَيُبْعَدُونَ عَنِ الحَوْضِ، ثُمَّ تُوزَنُ الأَعْمَالُ، ثُمَّ الصِّرَاطُ إِمَّا إِلَى جَنَّةٍ أَوْ إِلَى نَارٍ.

وَمِنْ بَابِ ضَبْطِ المُصْطَلَحِ اللَّفْظِيِّ -وَأَنَا أَنْصَحُكُمْ بِذَلِكَ؛ فَبَعْضُ الأَشْيَاءِ تَشْتَبِهُ، فَإِذَا ضُبِطَتْ بِمُصْطَلَحٍ حَرْفِيٍّ سَهُلَ ضَبْطُهَا وَاسْتِحْضَارُهَا، مِثْلُ مَا قَالَ أَهْلُ التَّجْوِيدِ فِي حُرُوفِ الإِضْغَامِ، وَأَنَّهَا سِتَّةٌ مَجْمُوعَةٌ فِي كَلِمَةِ (يرملون)، لَكِنْ لَوْ قُلْتُ: النُّونُ وَالرَّاءُ وَاللَّامُ... فَقَدْ تَزِيدُ أَوْ تَنْقُصُ أَوْ تُكَرِّرُ. أَمَّا إِذَا قُلْتُ: (يرملون) فَقَدْ جَمَعْتُهَا. وَكَذَلِكَ الإِضْغَامُ بِغُنَّةٍ اجْتَمَعَ فِي أَرْبَعَةِ أَحْرُفٍ هِيَ: (ينمو).

فَهَذِهِ تُجْمَعُ فَيُقَالُ: الحَاءُ الحَوْضُ، وَالمِيمُ المِيزَانُ، وَالصَّادُ الصِّرَاطُ. وَتَجْمَعُهَا كَلِمَةُ (حمص)، وَمَنْ كَانَ جَائِعًا فَلْيَقُلْ: حُمُّصٌ! حَتَّى لَا يَنْسَاهَا.

والحَمْدُ للهِ الَّذِي بِنِعْمَتِهِ تَتِمُّ الصَّالِحَاتُ.

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَى رَسُولِ اللهِ.

أَمَّا بَعْدُ:

تَقَدَّمَ قَوْلُ ابْنِ طَاهِرٍ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى:

(وَلَا أُنْكِرُ المِيزَانَ وَالحَوْضَ عَامِدًا * وَلَا أُنْكِرُ التَّسْآلَ فِي القَبْرِ وَالنَّظَرْ**

وَأَشْهَدُ أَنَّ اللهَ مِنْ بَعْدِ حَشْرِنَا * نَرَاهُ بِلَا شَكٍّ كَمَا نَنْظُرُ القَمَرْ)**

وَقَفْنَا عِنْدَ الشَّطْرِ: (**وَلَا أُنْكِرُ التَّسْآلَ فِي القَبْرِ وَالنَّظَرْ**). وَذَكَرْتُ أَنَّ مِمَّنْ أَنْكَرَ الحَوْضَ عَبْدَ اللهِ بْنَ زِيَادٍ، وَالصَّوَابُ: عُبَيْدُ اللهِ بْنُ زِيَادٍ، فَقَدْ نُقِلَ عَنْهُ إِنْكَارُ الحَوْضِ، إِلَّا أَنَّ الحَافِظَ ابْنَ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى نَقَلَ فِي «الفَتْحِ» أَثَرًا، وَهُوَ أَنَّ أَبَا سَبْرَةَ[٢٢١] حَدَّثَ ابْنَ زِيَادٍ بِقَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَوْعِدُكُمْ حَوْضِي**»[٢٢٢]. فَقَالَ ابْنُ زِيَادٍ: أَشْهَدُ أَنَّ الحَوْضَ حَقٌّ. فَصَحَّ الإِنْكَارُ الَّذِي اشْتُهِرَ عَنْهُ، ثُمَّ رَجَعَ عَنْ قَوْلِهِ السَّابِقِ.

وَمِمَّنْ أَنْكَرَ الحَوْضَ أَيْضًا: بَعْضُ الخَوَارِجِ وَالمُعْتَزِلَةُ، وَتَقَدَّمَ لَنَا جَمِيعًا أَنَّ مُعْتَقَدَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ: إِثْبَاتُ أَنَّ لِلنَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ حَوْضًا حَقِيقِيًّا تَوَاتَرَتْ بِهِ النُّصُوصُ، وَأَنَّ لَهُ أَوْصَافًا زَمَانِيَّةً وَمَكَانِيَّةً، وَأَنَّ لِآنِيَتِهِ أَوْصَافًا، وَكَذَلِكَ لِشَرَابِهِ أَوْصَافًا.

---

(٢٢١) هو: سالم بن سلمة. أبو سبرة الهذلي. روى عنه ابن بريدة. مجهول. انظر: ميزان الاعتدال (٢/ ١١١ ترجمة ٣٠٥٠)، والمغني في الضعفاء (ص: ١١٩ ترجمة ٢٣٠٠).

(٢٢٢) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢/ ١٦٢)، وقال شعيب الأرنؤوط: «صحيح لغيره».

وَقَوْلُهُ: (**لَا أُنْكِرُ المِيزَانَ وَالحَوْضَ عَامِدًا**). بَعْضُ النَّاسِ يَجْهَلُ الحَوْضَ، وَيَجْهَلُ أَنَّهُ يُوجَدُ حَوْضٌ، فَهَذَا يُعَلَّمُ وَيُخْبَرُ، أَمَّا مَنْ تَأَوَّلَ النُّصُوصَ وَحَرَّفَهَا عَنْ مَسَارِهَا الصَّحِيحِ فَهَذَا لَا يُعْذَرُ، لَكِنْ لَوْ وُجِدَ إِنْسَانٌ لَمْ يَقْرَأْ وَلَمْ يَفْقَهْ شَيْئًا، وَلَا يَعْرِفُ أَنَّ هُنَاكَ حَوْضًا، وَلَا وَصَلَهُ العِلْمُ فَهَذَا يُبَلَّغُ وَيُبَيَّنُ لَهُ.

وَقَوْلُهُ: (**وَلَا أُنْكِرُ التَّسْآلَ فِي القَبْرِ وَالنَّظَرْ**). المُرَادُ: عَذَابُ القَبْرِ وَنَعِيمِهِ، وَأَهْلُ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ إِذَا ذَكَرُوا الإِيمَانَ بِاليَوْمِ الآخِرِ يَذْكُرُ بَعْضُهُمْ مُلْحَقَاتٍ، فَيَقُولُ: وَمِمَّا يَلْتَحِقُ بِاليَوْمِ الآخِرِ: عَذَابُ القَبْرِ وَنَعِيمِهِ. وَيَعْتَقِدُ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ: أَنَّ فِي القَبْرِ عَذَابًا وَنَعِيمًا وَسُؤَالًا، وَبِذَلِكَ تَوَاتَرَتِ النُّصُوصِ. فَقَدْ جَاءَ فِي السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ أَحَادِيثُ كَثِيرَةٌ فِي إِثْبَاتِ عَذَابِ القَبْرِ؛ مِنْ ذَلِكَ أَنَّ النَّبِيَّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مَرَّ عَلَى قَبْرَيْنِ، فَقَالَ: «**إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ**»[٢٢٣]. وَالحَدِيثُ يَعْرِفُهُ الجَمِيعُ. وَكَذَلِكَ تِلْكَ اليَهُودِيَّةُ الَّتِي دَخَلَتْ عَلَى عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهَا فَقَالَتْ لَهَا: تَعَوَّذِي فَإِنَّ فِي القَبْرِ عَذَابًا. أَوْ: إِنَّ أَصْحَابَ القُبُورِ يُعَذَّبُونَ. فَلَمَّا أَتَى النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَخْبَرَتْهُ عَائِشَةُ بِقَوْلِ اليَهُودِيَّةِ، فَأَقَرَّهَا عَلَى قَوْلِهَا. ثُمَّ قَالَتْ عَائِشَةُ: وَلَمْ أُصَلِّ صَلَاةً بَعْدَهَا إِلَّا تَعَوَّذْتُ بِاللهِ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ.

وَهُنَاكَ أَمْرٌ أَوْرَدَهُ بَعْضُ أَهْلِ العِلْمِ، وَقَدْ ذَكَرَهُ ابْنُ القَيِّمِ سُؤَالًا فِي كِتَابِهِ «الرُّوحِ»، فَقَالَ: لِمَ لَمْ يُذْكَرْ عَذَابُ القَبْرِ فِي القُرْآنِ الكَرِيمِ، مَعَ شِدَّةِ الحَاجَةِ وَعَظِيمِ شَأْنِهِ وَأَمْرِهِ؟ وَمَعَ هَذَا يَقُولُونَ: جَاءَ فِي السُّنَّةِ وَلَمْ يَأْتِ فِي القُرْآنِ؟ نَقُولُ: لَا نُسَلِّمُ عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَأْتِ فِي القُرْآنِ. أَوْ نَقُولُ: سَوَاءٌ أَذْكَرَهُ القُرْآنُ أَمْ لَمْ يَذْكُرْهُ، فَإِنْ جَاءَ فِي القُرْآنِ فَسَمِعْنَا وَأَطَعْنَا، وَإِنْ جَاءَ فِي السُّنَّةِ وَلَمْ يَأْتِ فِي القُرْآنِ فَأَيْضًا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا، ﴿**قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللهِ**﴾[٢٢٤].

وَلَكِنْ جَاءَ عَذَابُ القَبْرِ فِي القُرْآنِ، وَذَكَرَ أَهْلُ العِلْمِ عَلَى هَذَا أَدِلَّةً، مِنْهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿**النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ العَذَابِ**﴾[٢٢٥]. أَيْنَ الشَّاهِدُ مِنَ الآيَةِ؟ الشَّاهِدُ: ﴿**وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ**﴾. فَدَلَّ عَلَى أَنَّ عَرْضَهُمْ كَانَ قَبْلَ قِيَامِ السَّاعَةِ، فَهَلْ كَانَ فِي الدُّنْيَا؟ لَا، إِنَّمَا فِي الحَيَاةِ البَرْزَخِيَّةِ.

وَمِمَّنْ أَنْكَرَ عَذَابَ القَبْرِ: الخَوَارِجُ وَالمُعْتَزِلَةُ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأَوَّلَ النُّصُوصَ، وَمِنْهُمْ مَنْ قَدَّمَ العَقْلَ، وَمَنْهَجُ القَوْمِ وَاحِدٌ، وَهُوَ تَحْكِيمُ العَقْلِ، وَجَعْلُ العَقْلِ هُوَ الحَكَمُ، وَيَتَرَتَّبُ عَلَى تَحْكِيمِ العَقْلِ إِبْطَالُ النُّصُوصِ وَرَدُّهَا وَتَضْعِيفُهَا

---

(٢٢٣) أخرجه البخاري في كتاب الوضوء- باب من الكبائر أن لا يستتر من بوله (٢١٦)، ومسلم في كتاب الطهارة- باب الدليل على نجاسة البول ووجوب الاستبراء منه (٢٩٢)، من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

(٢٢٤) سورة النساء: ٧٨.

(٢٢٥) سورة غافر: ٤٦.

إِنْ كَانَتْ مِنَ السُّنَّةِ، فَإِنْ كَانَ لَا يَحْتَمِلُ التَّأْوِيلَ اتَّهَمُوا الصَّحَابِيَّ بِالكَذِبِ أَوِ الوَهْمِ! أَمَّا فِي القُرْآنِ فَيَعْجِزُونَ عَنْ مَسْأَلَةِ الثُّبُوتِ أَوِ المُتَوَاتِرِ، وَلَكِنْ يَنْحُونَ مَنْحَى التَّأْوِيلِ، وَتَقْدِيمَ العَقْلِ عَلَى النَّقْلِ.

وَكَمَا قَالَ شَيْخُ الإِسْلَامِ: العِلْمُ -يَقْصِدُ: الشَّرْعِيَّ- قَاضٍ، وَالعَقْلُ شَاهِدٌ، فَإِنْ شَهِدَ الشَّاهِدُ بِالحَقِّ، وَإِلَّا طَرَدَهُ القَاضِي. وَلِهَذَا يَقُولُ النَّاظِمُ فِي مُحَاوَرَةٍ بَيْنَ العِلْمِ وَالعَقْلِ:

عِلْمُ العَلِيمِ وَعَقْلُ العَقْلِ اخْتَلَفَا *** مَنْ ذَا الَّذِي مِنْهُمَا قَدْ أَحْرَزَ الشَّرَفَا

فَالعِلْمُ قَالَ: أَنَا أَحْرَزْتُ غَايَتَهُ *** وَالعَقْلُ قَالَ: أَنَا الرَّحْمَنُ بِي عُرِفَا

فَأَفْصَحَ العِلْمُ إِفْصَاحًا وَقَالَ لَهُ: *** بِأَيِّنَا اللهُ فِي قُرْآنِهِ اتَّصَفَا؟

فَبَانَ لِلْعَقْلِ أَنَّ العِلْمَ سَيِّدُهُ *** فَقَبَّلَ العَقْلُ رَأْسَ العِلْمِ وَانْصَرَفَا

إِذَنْ أُولَئِكَ قَدَّمُوا العَقْلَ عَلَى النَّقْلِ، وَأَهْلُ السُّنَّةِ يُقَدِّمُونَ النُّصُوصَ، وَيَجْعَلُونَ النُّصُوصَ حَاكِمَةً، وَالعُقُولُ مَحْكُومَةٌ، فَهَؤُلَاءِ أَنْكَرُوا عَذَابَ القَبْرِ وَتَأَوَّلُوهُ بِنَاءً عَلَى تَعْطِيلِ النُّصُوصِ عَنِ الدَّلَالَاتِ الَّتِي جَاءَتْ بِهَا، وَحَكَّمُوا عُقُولَهُمْ. وَمِمَّا قَالُوهُ: نَحْنُ الآنَ نَرَى المَيِّتَ يَمُوتُ وَيُتْرَكُ يَوْمًا أَوْ يَوْمَيْنِ وَلَا يَتَغَيَّرُ، بَلْ إِنَّ الزِّئْبَقَ -وَهُوَ أَسْرَعُ السَّوَائِلِ حَرَكَةً وَسَيَلَانًا- نَضَعُهُ عَلَى صَدْرِ المَيِّتِ، ثُمَّ نَأْتِي بَعْدَ يَوْمٍ أَوْ يَوْمَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةٍ وَهُوَ كَمَا هُوَ. فَلَوْ كَانَ المَيِّتُ يُعَذَّبُ لَاضْطَرَبَ الزِّئْبَقُ... إِلَى آخِرِهِ.

يُقَالُ لَهُمْ: أَوَّلًا: هَذِهِ أُمُورٌ غَيْبٌ ﴿**سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ المَصِيرُ**﴾[٢٢٦].

ثَانِيًا: أَنْتُمْ تَرَوْنَ رَجُلَيْنِ نَائِمَيْنِ؛ فَيَقُومُ الأَوَّلِ وَيَقُولُ: رَأَيْتُ فِي مَنَامِي مَا أَخَافَنِي وَأَفْزَعَنِي، وَكِدْتُ أَنْ أَمُوتَ، وَكُنْتُ أَصْرُخُ وَأَبْكِي! وَهُوَ نَائِمٌ أَمَامَنَا، فَلَمَّا أَفَاقَ الآخَرُ قَالَ: كُنْتُ فِي مَنَامِي فِي نَعِيمٍ وَأَضْحَكُ وَأَمْرَحُ وَفِي قُرَّةِ عَيْنٍ! فَالرَّجُلَانِ أَمَامَنَا فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ، وَنَسْمَعُ الغَطِيطَ مِنْهُمَا، وَلَمْ نَرَ نَعِيمَ هَذَا وَلَا عَذَابَ هَذَا. فَهَلْ هُمَا صَادِقَانِ فِي قَوْلِهِمَا؟!

فَهَذِهِ أُمُورٌ غَيْبِيَّةٌ، وَلَوْ أَنَّهُمْ جَعَلُوا النُّصُوصَ حَاكِمَةً لَمْ يَدْخُلُوا فِي هَذِهِ الأَوْدِيَةِ، وَلِهَذَا لَاحِظُوا الآيَةَ: ﴿**فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ**﴾[٢٢٧]. هَذَا مَعْرُوفٌ لَكِنْ لَاحِظُوا: ﴿**ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**﴾. وَ«حَرَجًا» نَكِرَةٌ أَيْ: حَرَجٌ قَلِيلٌ أَوْ كَثِيرٌ. «وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا» فَالتَّحْكِيمُ أَوَّلًا فِيمَا شَجَرَ،

(٢٢٦) سورة البقرة: ٢٨٥.

(٢٢٧) سورة النساء: ٦٥.

ثَمَّ عَدَمُ وُجُودِ الحَرَجِ، ثُمَّ التَّسْلِيمُ الْمُطْلَقُ. وَكَمَا يَقُولُ بَعْضُ أَهْلِ العِلْمِ: إِبْلِيسُ فِي عَقِيدَةِ العُلُوِّ أَحْسَنُ مِنَ الجَهْمِيَّةِ، فَهُوَ يُقِرُّ بِالعُلُوِّ، حَتَّى فِرْعَوْنُ قَالَ: ﴿**يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الأَسْبَابَ**﴾(٢٢٨).

وَالآنَ وَسَائِلُ التِّقْنِيَةِ -وَالحَمْدُ للهِ- تُعَدُّ مِنْ بَابِ الأُمُورِ العَقْلِيَّةِ الَّتِي تَرُدُّ عَلَى الْمُخَالِفِينَ، فَتَيَّارُ الكَهْرُبَاءِ فِي سِلْكِ الكَهْرُبَاءِ إِذَا كَانَ التَّيَّارُ عَامِلًا أَوْ عَاطِلًا، هَلْ يَتَغَيَّرُ السِّلْكُ؟ لَا يَتَغَيَّرُ. وَفِيهِ قُوَّةٌ صَاعِقَةٌ، فَإِذَا كَانَ هَذَا صُنْعَ بَشَرٍ، فَمَا بَالُنَا بِصُنْعِ خَالِقِ البَشَرِ؟!

وَمِمَّا يَتَعَلَّقُ بِمَسَائِلِ عَذَابِ القَبْرِ: هَلِ العَذَابُ عَلَى الرُّوحِ أَمْ عَلَى البَدَنِ؟ يَفْصِلُ بَعْضُ أَهْلِ العِلْمِ فَيَقُولُ: العَذَابُ فِي الدُّنْيَا عَلَى البَدَنِ، وَالرُّوحُ تَبَعٌ، فَالعَذَابُ يَكُونُ عَلَى البَدَنِ. بَيْنَمَا فِي القَبْرِ الأَصْلُ عَلَى الرُّوحِ، وَالبَدَنُ تَبَعٌ. وَبِكُلِّ حَالٍ فَالعَذَابُ يَقَعُ عَلَى البَدَنِ وَيَقَعُ عَلَى الرُّوحِ، وَقَدْ ذَكَرَ بَعْضُ أَهْلِ العِلْمِ مَسْأَلَةً، وَهِيَ: هَلْ يُكْشَفُ عَذَابُ القَبْرِ حَتَّى يَرَاهُ بَعْضُ النَّاسِ؟! جَاءَتْ حَوَادِثُ صَحَّتْ فِيهَا الأَخْبَارُ عَنْ كَشْفِ بَعْضِ عَذَابِ القَبْرِ، وَهَذَا لَا يُنَافِي مَا جَاءَ فِي الحَدِيثِ: «**يَسْمَعُهُ كُلُّ أَحَدٍ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ**»(٢٢٩). فَالضَّرْبَةُ وَالصَّيْحَةُ لَا تُسْمَعُ بِنَصِّ الحَدِيثِ، لَكِنْ قَدْ يَكْشِفُ اللهُ بَعْضَ الأُمُورِ لِحِكْمَةٍ بَالِغَةٍ، وَلَعَلِّي -إِنْ بَقِيَ وَقْتٌ فِي الدَّرْسِ- أَذْكُرُ بَعْضَ مَا ذَكَرَ أَهْلُ العِلْمِ.

أَيْضًا مِمَّا ذُكِرَ عَنْ عَذَابِ القَبْرِ: هَلْ عَذَابُ القَبْرِ خَاصٌّ لِهَذِهِ الأُمَّةِ أَمْ عَامٌّ لِسَائِرِ الأُمَمِ؟ الإِمَامُ ابْنُ القَيِّمِ فِي كِتَابِهِ «الرُّوحِ» حَقَّقَ هَذِهِ المَسَائِلَ، وَهَذِهِ مَسْأَلَةٌ أَجَابَ بَعْضُ أَهْلِ العِلْمِ عَنْهَا، فَقَالُوا: إِذَا كَانَتْ هَذِهِ الأُمَّةُ -وَهِيَ أَفْضَلُ أُمَّةٍ، وَعَلَيْهَا أُنْزِلَ أَفْضَلُ كِتَابٍ، وَبُعِثَ لَهَا أَفْضَلُ نَبِيٍّ- تُسْأَلُ، فَمِنْ بَابٍ أَوْلَى أَنْ تُسْأَلَ الأُمَمُ السَّابِقَةُ. فَهَذِهِ حِجَجُ مَنْ قَالَ بِأَنَّ الأُمَمَ السَّابِقَةَ تُسْأَلُ، وَفِي قَوْلِهِ: «**مَنْ رَبُّكَ؟ وَمَا دِينُكَ؟ وَمَنْ نَبِيُّكَ؟**»(٢٣٠). فِيهِ إِشَارَةٌ أَنَّ كُلَّ أُمَّةٍ تُسْأَلُ عَنْ نَبِيِّهَا.

القَوْلُ الآخَرُ يَقُولُ: جَاءَ فِي النُّصُوصِ عَنْ هَذِهِ الأُمَّةِ، وَأَمَّا بَقِيَّةُ الأُمَمِ فَعِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ. وَذَكَرَ بَعْضُ أَهْلِ العِلْمِ أَنَّ هُنَاكَ مَنْ يُسْتَثْنَى مِنَ السُّؤَالِ عَلَى عَذَابِ القَبْرِ، وَأَوْصَلُهَا بَعْضُهُمْ إِلَى خَمْسَةِ أَصْنَافٍ:

---

(٢٢٨) سورة غافر: ٣٦.

(٢٢٩) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز- باب ما جاء في عذاب القبر (١٣٧٤) واللفظ له، ومسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها- باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه (٢٨٧٠)، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢٣٠) أخرجه البخاري في كتاب التفسير- باب يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت (٤٦٩٩)، ومسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها- باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه (٢٨٧١)، من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه.

الصِّنْفُ الأَوَّلُ: الأَنْبِيَاءُ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فَالأَنْبِيَاءُ يُسْأَلُ عَنْهُمْ وَلَا يُسْأَلُونَ، وَإِذَا كَانَ الشُّهَدَاءُ لَا يُفْتَنُونَ فِي قُبُورِهِمْ، فَالأَنْبِيَاءُ أَرْفَعُ دَرَجَةً مِنَ الشُّهَدَاءِ.

الصِّنْفُ الثَّانِي: الصِّدِّيقُونَ، وَهُمْ مُصَدِّقُونَ صَادِقُونَ، وَوَصَفَهُمْ بِالصِّدِّيقِيَّةِ مُبَالَغَةً فِي صِدْقِهِمْ وَقُوَّةِ إِيمَانِهِمْ، وَيُرَادُ بِذَلِكَ: أَنَّهُمْ أَرْفَعُ دَرَجَةً مِنَ الشُّهَدَاءِ، وَهُمْ دُونَ الأَنْبِيَاءِ، فَإِذَا كَانَ الشُّهَدَاءُ لَا يُفْتَنُونَ، فَمِنْ بَابِ أَوْلَى الصِّدِّيقُونَ.

الصِّنْفُ الثَّالِثُ: الشُّهَدَاءُ، بِنَصِّ الحَدِيثِ.

الصِّنْفُ الرَّابِعُ: المُرَابِطُونَ، قَدْ جَاءَ أَنَّ: «**رِبَاطُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَأَمِنَ مِنَ الفَتَّانِ**»[٢٣١].

الصِّنْفُ الخَامِسُ: الصِّغَارُ وَالمَجَانِينُ، فَهَؤُلَاءِ لَا يُسْأَلُونَ. وَقَدْ جَاءَ فِي الحَدِيثِ: «**أَرْبَعَةٌ يَخْتَصِمُونَ عِنْدَ اللهِ تَعَالَى**». وَمِنْهُمْ: «**رَجُلٌ هَرِمٌ قَالَ: يَا رَبِّ، جَاءَ الإِسْلَامُ وَالصِّبْيَانُ يَرْمُونِي بِالبَعْرِ، لَا أَفْقَهُ شَيْئًا. فَيَمْتَحِنُهُمُ اللهُ**».

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

قَالَ الحَافِظُ مُحَمَّدُ بْنُ طَاهِرٍ رَحِمَهُ اللهُ:

(وَأَشْهَدُ أَنَّ اللهَ مِنْ بَعْدِ حَشْرِنَا * نَرَاهُ بِلَا شَكٍّ كَمَا نَنْظُرُ القَمَرْ)**

ذَكَرَ فِي هَذِهِ المَسْأَلَةِ: مَسْأَلَةَ رُؤْيَةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، يَقُولُ: (**وَأَشْهَدُ**)، أَيْ: أُقِرُّ وَأَعْتَرِفُ وَأَتَدَيَّنُ وَأُصَدِّقُ (**أَنَّ اللهَ مِنْ بَعْدِ حَشْرِنَا**)، مَاذَا نَسْتَفِيدُ مِنْ قَوْلِهِ: (**مِنْ بَعْدِ حَشْرِنَا**)؟ نَسْتَفِيدُ أَنَّ هَذِهِ المَسْأَلَةَ تَكُونُ بَعْدَ الدُّنْيَا، أَيْ: بَعْدَ الحَشْرِ. وَلَيْسَ فِي الدُّنْيَا.

(وَأَشْهَدُ أَنَّ اللهَ مِنَ بَعْدِ حَشْرِنَا * نَرَاهُ بِلَا شَكٍّ كَمَا نَنْظُرُ القَمَرْ)

هَذَا تَشْبِيهٌ. وَكَمَا يَقُولُ أَهْلُ العِلْمِ: هُنَاكَ عِلْمُ اليَقِينِ، وَعَيْنُ اليَقِينِ، وَحَقُّ اليَقِينِ. وَإِنْ كَانَ فِيهَا مُغَايِرَةٌ، لَكِنْ كُلُّهَا مُؤَكِّدَاتٍ، فَلَوْ قَالَ: (**نَرَاهُ**) لَكَانَ كَافِيًا.

(**بِلَا شَكٍّ**) نَكِرَةٌ؛ فَيَنْفِي أَيَّ شَكٍّ مَهْمَا بَلَغَ. ثُمَّ زَادَ تَأْكِيدًا فَقَالَ: (**كَمَا نَنْظُرُ القَمَرْ**). وَمُعْتَقَدُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ: أَنَّ رُؤْيَةَ اللهِ حَقٌّ، وَيَرَاهُ المُؤْمِنُونَ بِأَعْيُنِهِمُ البَاصِرَةِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ. جَعَلَنِي اللهُ وَإِيَّاكُمْ مِمَّنْ تَقِرُّ أَعْيُنُهُمْ، وَتَرَى اللهَ عَزَّ وَجَلَّ.

---

(٢٣١) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير- باب فضل رباط يوم في سبيل الله (٢٨٩٢)، ومسلم في كتاب الإمارة- باب فضل الغدوة والروحة في سبيل الله (١٨٨١)، من حديث سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه.

وَأَدِلَّةُ الرُّؤْيَةِ مُتَوَاتِرَةٌ، جَاءَتْ فِي القُرْآنِ الكَرِيمِ وَجَاءَتْ فِي السُّنَةِ النَّبَوِيَّةِ؛ أَمَّا فِي القُرْآنِ الكَرِيمِ فَفِي غَيْرِ آيَةٍ، قَالَ تَعَالَى: ﴿**وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ**﴾[٢٣٢]. مِنَ النَّضَارَةِ وَالبَهَاءِ وَالحُسْنِ، ﴿**إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ**﴾[٢٣٣]. مِنَ الإِبْصَارِ وَالنَّظَرِ بِالعَيْنِ. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿**لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ**﴾[٢٣٤]. وَالزِّيَادَةُ جَاءَ فِي حَدِيثٍ أَنَّهَا: «**رُؤْيَةُ اللهِ تَعَالَى**»[٢٣٥].

وَمِنْ لَطَائِفِ مَا يُذْكَرُ: مَا ذَكَرْتُهُ لَكُمْ: أَنَّ شَيْخَ الإِسْلَامِ قَالَ: لَا يَأْتِنِي أَحَدٌ بِدَلِيلٍ صَحِيحٍ، يَحْتَجُ بِهِ المُخَالِفُ عَلَى السُّنَّةِ إِلَّا جَعَلْتُ الدَّلِيلَ عَلَيْهِ. وَالشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى أَيْضًا مَنِ هَذَا القَبِيلِ فِي قُوَّةِ حُجَّتِهِ، فَقَدْ دَخَلَ الصَّعِيدَ فِي مِصْرَ، فَجَاءَهُ رَجُلٌ بِوَرَقَةٍ وَأَعْطَاهَا إِيَّاهُ، وَصَاحِبُ هَذِهِ الوَرَقَةِ مِنْ نُفَاةِ الرُّؤْيَةِ، أَوْ أَنَّ الَّذِي أَرْسَلَهُ بِهَا مِنْ نُفَاةِ رُؤْيَةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَمَكْتُوبٌ فِي الوَرَقَةِ آيَةٌ، فَكَأَنَّهُ يَقُولُ لِلشَّافِعِيِّ: هَذَا دَلِيلٌ عَلَى بُطْلَانِ اعْتِقَادِكَ فِي رُؤْيَةِ اللهِ تَعَالَى. وَمَكْتُوبٌ فِي الوَرَقَةِ الآيَةُ فِي سُورَةِ المُطَفِّفِينَ: ﴿**كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ**﴾[٢٣٦]. فَقَالَ الشَّافِعِيُّ: هَذِهِ لِي أَنَا! قَالَ: كَيْفَ؟! قَالَ: حَجَبَ اللهُ أَقْوَامًا، فَدَلَّ عَلَى أَنَّ غَيْرَهُمْ لَا يُحْجَبُونَ. وَهَكَذَا دَائِمًا المُخَالِفُ لِأَهْلِ السُّنَّةِ، كَمَا قَالَ رَبُّنَا: ﴿**وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا**﴾[٢٣٧].

وَأَمَّا الأَحَادِيثُ فَكَثِيرَةٌ، وَقَدْ صَنَّفَ بَعْضُ أَهْلِ العِلْمِ مُصَنَّفَاتٍ، فَأَظُنُّ أَنَّ لِأَبِي شَامَةَ[٢٣٨] كِتَابًا سَمَّاهُ «ضَوْءُ السَّارِي فِي رُؤْيَةِ البَارِي»، وَالآجُرِّيُّ[٢٣٩] لَهُ كِتَابٌ، وَإِنْ لَمْ تَخُنِّي الذَّاكِرَةُ، أَنَّ لِلدَّارَقُطْنِيِّ[٢٤٠] كِتَابًا فِي هَذِهِ المَسْأَلَةِ. وَالأَحَادِيثُ

---

(٢٣٢) سورة القيامة: ٢٢.

(٢٣٣) سورة القيامة: ٢٣.

(٢٣٤) سورة يونس: ٢٦.

(٢٣٥) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد- باب قول الله تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ (٧٤٣٩)، ومسلم في كتاب الإيمان- باب معرفة طريق الرؤية (١٨٣)، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢٣٦) سورة المطففين: ١٥.

(٢٣٧) سورة الفرقان: ٣٣.

(٢٣٨) هو: الشيخ الإمام العالم الحافظ المحدث الفقيه المؤرخ عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم بن عثمان بن أبي بكر بن عباس أبو محمد وأبو القاسم المقدسي. ولد ليلة الجمعة الثالث والعشرين من ربيع الآخر سنة تسع وتسعين وخمس مئة. برع في فنون العلم، وقيل: بلغ رتبة الاجتهاد. من مؤلفاته: «الباعث على إنكار البدع والحوادث». توفي سنة خمس وستين وست مئة. انظر: طبقات الشافعية الكبرى (٨/ ١٦٣ ترجمة ١١٦١)، والبداية والنهاية (١٧/ ٤٧٢) ط: دار عالم الكتب.

كَثِيرَةٌ، مِنْهَا: مَا أَشَارَ إِلَيْهِ النَّاظِمُ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: (**كَمَا تَنْظُرُ القَمَرْ**) يُشِيرُ إِلَى قَوْلِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**هَلْ تُضَارُّونَ**». وَفِي لَفْظٍ: «**هَلْ تُضَامُّونَ**» أَيْ: يُصِيبُكُمْ زِحَامٌ «**فِي رُؤْيَةِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ لَيْسَ دُونَهُ سَحَابٌ**». قَالُوا: لَا. قَالَ: «**كَذَلِكَ تَرَوْنَ رَبَّكُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ**»[٢٤١]. وَالأَحَادِيثُ فِي رُؤْيَةِ اللهِ تَعَالَى كَثِيرَةٌ.

وَالنَّاسُ فِي الرُّؤْيَةِ عَلَى أَقْسَامٍ ثَلَاثَةٍ: طَرَفَانِ وَوَسَطٌ؛ فَمِنْهُمْ مَنْ غَلَا فِي إِثْبَاتِ الرُّؤْيَةِ، فَأَثْبَتَهَا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَهُمْ غُلَاةُ المُتَصَوِّفَةِ، فَيَقُولُونَ: يُرَى اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ. وَخِلَافُهُمُ الجَهْمِيَّةُ وَالمُعْتَزِلَةُ يَقُولُونَ: لَا يُرَى اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لَا فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الآخِرَةِ. وَأَهْلُ السُّنَّةِ عَلَيْهِمْ رَحْمَةُ اللهِ وَسَطٌ

حَبُّ التَّنَاهِي غَلَطٌ *** خَيْرَ الأُمُورِ الوَسَطُ

قَالُوا: إِنَّ اللهَ لَا يُرَى فِي الدُّنْيَا بِالنُّصُوصِ الشَّرْعِيَّةِ؛ لِحَدِيثِ: «**اعْلَمُوا أَنَّهُ لَنْ يَرَى أَحَدٌ مِنْكُمْ رَبَّهُ**»[٢٤٢]. وَلَكِنْ يَرَاهُ المُؤْمِنُونَ فِي الآخِرَةِ؛ لِمَا تَقَدَّمَ مِنَ الآيَاتِ الصَّرِيحَةِ وَالأَخْبَارِ النَّبَوِيَّةِ الصَّحِيحَةِ الصَّرِيحَةِ.

وَمِمَّا نَسْتَفِيدُ مِنْ قَوْلِهِ: (**كَمَا تَنْظُرُ القَمَرْ**). أَنَّ النَّبِيَّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كَانَ يُرَبِّي أَصْحَابَهُ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمْ عَلَى رَبْطِ الآيَاتِ الكَوْنِيَّةِ بِالأُمُورِ العَقَدِيَّةِ، وَطُلَّابِ العِلْمِ أَوْلَى النَّاسِ بِتَرْبِيَةِ أَنْفُسِهِمْ وَتَرْبِيَةِ مَنْ يُجَالِسُونَ وَمَنْ يُعَوِّلُونَ، وَالَّذِي يَلْحَظُ فِي سُنَّةِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَرَى أَنَّهُ يَتَفَاعَلُ مَعَ تِلْكَ الآيَاتِ، وَيُوَظِّفُهَا تَوْظِيفًا

---

(٢٣٩) هو: محمد بن الحسين بن عبد الله، أبو بكر البغدادي الآجري. الإمام المحدث القدوة، شيخ الحرم الشريف، صاحب التصانيف الحسان؛ منها: «الشريعة»، و«الأربعين». توفي سنة ستين وثلاث مئة. انظر: سير أعلام النبلاء (١٦/ ١٣٣ ترجمة ٩٢)، والوافي بالوفيات (٢/ ٢٦٧ ترجمة ٨٤٧).

(٢٤٠) هو: الإمام الحافظ المجود، شيخ الإسلام، علم الجهابذة، أبو الحسن، علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان بن دينار بن عبد الله البغدادي المقرئ المحدث، من أهل محلة دار القطن ببغداد. ولد سنة ست وثلاث مئة. كان من بحور العلم، ومن أئمة الدنيا، انتهى إليه الحفظ ومعرفة علل الحديث ورجاله، مع التقدم في القراءات وطرقها، وقوة المشاركة في الفقه، والاختلاف، والمغازي، وأيام الناس، وغير ذلك. وهو أول من صنف القراءات، وعقد لها أبوابا قبل فرش الحروف. من مؤلفاته: «السنن»، و«العلل». توفي في ثامن ذي القعدة سنة خمس وثمانين وثلاث مئة. انظر: سير أعلام النبلاء (١٦/ ٤٤٩ ترجمة ٣٣٢)، ووفيات الأعيان (٣/ ٢٩٧ ترجمة ٤٣٤).

(٢٤١) تقدم تخريجه.

(٢٤٢) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز- باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه (١٣٥٥)، ومسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة- باب ذكر ابن صياد (٢٩٣١)، من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

عَقَدِيًّا فِي تَرْبِيَةِ أَصْحَابِهِ، وَمِنْ ذَلِكَ هَذَا الحَدِيثُ: «**هَلْ تُضَارُّونَ...**» فَفِيهِ إِثْبَاتٌ لِلْقَمَرِ، وَفِي لَفْظٍ: «**الشَّمْسُ فِي نَحْرِ الظَّهِيرَةِ فِي كَبِدِ السَّمَاءِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ**». قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ: «**كَذَلِكَ تَرَوْنَ رَبَّكُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ**».

وَالشُّعَرَاءُ إِذَا رَأَوْا القَمَرَ تَنْقَدِحُ قَرَائِحُهُمْ فَيَتَغَزَّلُونَ، وَالبَلَاغِيُّونَ تَسِيلُ أَقْلَامُهُمُ البَلَاغِيَّةُ فِي وَصْفِ القَمَرِ. فَيُحْكَى أَنَّ رَجُلًا مِنْ سَلَاطِينِ الفَاطِمِيِّينَ خَرَجَ فِي لَيْلَةٍ مُقْمِرَةٍ، فَجَاءَتْ سَحَابَةٌ فَظَلَّلَتِ القَمَرَ، فَتَشَاءَمَ! وَانْظُرْ كَيْفَ أَنَّ الشُّعَرَاءَ يُوَظِّفُونَ الآيَاتِ الكَوْنِيَّةَ عَلَى أَهْوَائِهِمْ؟! فَكَأَنَّ السُّلْطَانَ تَشَاءَمَ، فَالشَّاعِرُ جَاهِزٌ لِسَدِّ الخَلَلِ، فَقَالَ:

أَرَى بَدْرَ السَّمَاءِ يَلُوحُ حِينًا ❊❊❊ فَيَبْدُو ثُمَّ يَلْتَحِفُ السَّحَابَا

وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا تَبَدَّى ❊❊❊ وَأَبْصَرَ وَجْهَكَ اسْتَحْيَا وَغَابَا

كَذَبَ وَاللهِ، لَكِنِ الرَّسُولُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**كَذَلِكَ تَرَوْنَ رَبَّكُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ**».

أَيْضًا تَوْظِيفٌ آخَرُ مِنَ الآيَاتِ الكَوْنِيَّةِ، وَهُمَا: الكُسُوفُ وَالخُسُوفُ، فَهُمَا آيَتَانِ كَوْنِيَّتَانِ، فَالجَاهِلُونَ يَقُولُونَ: مَاتَ عَظِيمٌ، أَوْ وُلِدَ عَظِيمٌ، أَوْ حَدَثَ أَمْرٌ عَظِيمٌ.. لَكِنِ الرَّسُولُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا وَقَعَتِ الآيَةُ الكَوْنِيَّةُ فِي خُسُوفِ الشَّمْسِ جَمَعَ النَّاسَ، فَقَالَ: «**إِنَّ الشَّمْسَ وَالقَمَرَ آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللهِ**». فَأَثْبَتَ أَنَّهُمَا مَرْبُوبَتَانِ مَخْلُوقَتَانِ، «**وَأَنَّهُمَا لَا يَنْكَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاةِ أَحَدٍ**»[٢٤٣]. فَأَبْطَلَ اعْتِقَادَ الجَاهِلِينَ، ثُمَّ جَاءَ التَّوْظِيفُ العَقَدِيُّ التَّعَبُّدِيُّ: «**فَإِذَا رَأَيْتُمْ مِنْهَا شَيْئًا فَصَلُّوا وَادْعُوا اللهَ حَتَّى يُكْشَفَ مَا بِكُمْ**»[٢٤٤].

أَيْضًا السَّحَابُ آيَةٌ عَظِيمَةٌ فِي السَّمَاءِ، فَإِذَا جَاءَتِ السُّحُبُ مُجْتَمِعَةً، تَقُولُ عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: قَامَ وَقَعَدَ وَدَخَلَ وَخَرَجَ وَأَقْبَلَ وَأَدْبَرَ، فَإِذَا أَمْطَرَتْ سُرِّيَ عَنْهُ[٢٤٥]. وَلِهَذَا أَمَرَنَا رَبُّنَا عَزَّ وَجَلَّ بِالاعْتِبَارِ، فَقَالَ: ﴿**قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ (٧١) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللهُ**

---

(٢٤٣) أخرجه البخاري في كتاب الجمعة- باب صلاة الكسوف جماعة (١٠٥٢)، ومسلم في كتاب الكسوف- باب ما عرض على النبي صلى الله عليه وسلم (٩٠٧)، من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

(٢٤٤) أخرجه البخاري في كتاب الجمعة- باب الصلاة في كسوف الشمس (١٠٤١)، ومسلم في كتاب الكسوف- باب ذكر النداء بصلاة الكسوف: الصلاة جامعه (٩١١)، من حديث أبي مسعود البدري رضي الله عنهما.

(٢٤٥) أخرجه البخاري في كتاب الأدب- باب التبسم والضحك (٦٠٩٢)، ومسلم في كتاب صلاة الاستسقاء- باب التعوذ عند رؤية الريح والغيم (٨٩٩).

عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾[٢٤٦]. فَالمَقْصِدُ: أَنَّ طَالِبَ العِلْمِ يَنْبَغِي أَنْ يُوَظِّفَ هَذِهِ الآيَاتِ الكَوْنِيَّةَ فِي الأُمُورِ العَقَدِيَّةِ.

وَالرَّسُولُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا اشْتَدَّ الحَرُّ، قَالَ: «**أَبْرِدُوا بِالظُّهْرِ**». لِمَاذَا؟ «**فَإِنَّ شِدَّةَ الحَرِّ مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ**»[٢٤٧]. بَلْ وَصَلَ الحَالُ إِلَى الأُمُورِ العَادِيَّةِ فَتُسْتَغَلُّ بِوَظِيفَةٍ عَقَدِيَّةٍ. فَلَمَّا رَأَى النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ امْرَأَةً تَضُمُّ صَبِيًّا إِلَى صَدْرِهَا، قَالَ: «**أَتَرَوْنَ هَذِهِ المَرْأَةَ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ**». قَالُوا: مَعَاذَ اللهِ، وَهِيَ تَقْدِرُ عَلَى أَلَّا تَفْعَلَ. قَالَ: «**اللهُ تَعَالَى أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بِوَلَدِهَا**»[٢٤٨]. فَهِيَ أُمُورٌ عَادِيَّةٌ، وَعَلَى الإِنْسَانِ أَنْ يُوَظِّفَ جَمِيعَ ذَلِكَ تَوْظِيفًا عَقَدِيًّا؛ لِيَزِيدَ إِيمَانُهُ بِاللهِ تَعَالَى.

إِذَنِ اعْتِقَادُ أَهْلِ السُّنَّةِ: أَنَّ اللهَ تَعَالَى يُرَى بِالأَعْيُنِ البَاصِرَةِ، فَيَرَاهُ أَهْلُ الإِيمَانِ فِي الجَنَّةِ. وَقِيلَ: يَرَوْنَهُ أَيْضًا فِي المَحْشَرِ، وَقِيلَ: إِنَّ الكُفَّارَ فِي المَحْشَرِ يَرَوْنَهُ، لَكِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ مِنَ التَّسَخُّطِ وَالتَّغَيُّرِ؛ فَيَكُونُ نَكَالًا عَلَيْهِمْ. أَمَّا أَعْظَمُ نَعِيمِ أَهْلِ الجَنَّةِ فَهُوَ رُؤْيَةُ وَجْهِ رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ، أَقَرَّ اللهُ أَعْيُنَنَا بِذَلِكَ.

(وَأُثْبِتُ حَقًّا لِلرَّسُولِ شَفَاعَةً * وَلِلْمُؤْمِنِينَ الْمُخْلِصِينَ ذَوِي الخَطَرْ)**

(وَأُثْبِتُ): أُقِرُّ وَأُصَدِّقُ وأَتَدَيَّنُ وأَتَعَبَّدُ، وَالثُّبُوتُ: الدَّوَامُ وَاللُّزُومُ.

(حَقًّا) قَطْعًا لَا شَكَّ فِيهِ وَلَا رَيْبَ، بَلْ حَقٌّ لَازِمٌ لَا أَتَرَدَّدُ فِيهِ.

(لِلرَّسُولِ) صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

(شَفَاعَةً) وَالشَّفَاعَةُ لُغَةً: جَعْلُ الشَّيْءِ شَفْعًا، فَيَكُونُ الوَاحِدُ مَعَ الوَاحِدِ شَفْعًا، هَذَا مَعَ هَذَا. وَاصْطِلَاحًا أَوْ شَرْعًا: طَلَبُ الخَيْرِ لِلْغَيْرِ، وَعَقِيدَةُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ إِثْبَاتُ الشَّفَاعَةِ.

وَالشَّفَاعَةُ أَنْوَاعٌ: قَسَمَهَا بَعْضُهُمْ إِلَى أَقْسَامٍ ثَلَاثَةٍ، وَبَعْضُهُمْ إِلَى أَقْسَامِ خَمْسَةٍ، وَأَوْصَلَهَا بَعْضُهَا إِلَى ثَمَانِيَةٍ، وَقَدْ تَزِيدُ، وَلَا مُشَاحَةَ فِي الاصْطِلَاحِ، فَبَعْضُهُمْ يُجْمِلُ وَبَعْضُهُمْ يُفَصِّلُ. وَالشَّفَاعَةُ إِذَا أُطْلِقَتْ، فَالمُرَادُ: الشَّفَاعَةُ العُظْمَى

---

(٢٤٦) سورة القصص: ٧١، ٧٢.

(٢٤٧) أخرجه البخاري في كتاب مواقيت الصلاة- باب الإبراد بالظهر في شدة الحر (٥٣٤)، ومسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة- باب استحباب الإبراد بالظهر في شدة الحر (٦١٥)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢٤٨) أخرجه البخاري في كتاب الأدب- باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته (٥٩٩٩)، ومسلم في كتاب التوبة- باب في سعة رحمة الله تعالى، وأنها سبقت غضبه (٢٧٥٤)، من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

الكُبْرَى، وَالشَّفَاعَةُ فِي المَوْقِفِ الَّتِي تَراجَعَ عَنْهَا الأَنْبِيَاءُ أُولُو العَزْمِ وَمَعَهُمْ آدَمُ، وَهُوَ لَيْسَ مِنْ أُولِي العَزْمِ، لَكِنْ يَأْتِي النَّاسُ إِلَيْهِ. فَكُلُّ نَبِيٍّ يَرُدُّ النَّاسَ لِمَنْ بَعْدَهُ، حَتَّى تَصِلَ إِلَى النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَالحَدِيثُ يَعْلَمُهُ الجَمِيعُ، فَيَقُومُ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَيَسْجُدُ تَحْتَ العَرْشِ، فَيَفْتَحُ اللهُ عَلَيْهِ مِنَ المَحَامِدِ، ثُمَّ يَقُولُ: «**يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَسَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ**»[٢٤٩]. فَهُوَ أَوَّلُ شَافِعٍ، وَأَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ بَابَ الجَنَّةِ.

ثُمَّ قَالَ: (**وَلِلْمُؤْمِنِينَ المُخْلِصِينَ ذَوِي الخَطَرْ**): المُرَادُ بِالخَطَرِ: الشَّرَفُ وَالرِّفْعَةُ، وَالمَكَانَةُ الرَّفِيعَةُ العَالِيَةُ. فَهَؤُلَاءِ لَهُمْ شَفَاعَةٌ. فَالشُّهَدَاءُ يَشْفَعُونَ، وَأَيْضًا عُمُومُ أَهْلِ الإِيمَانِ يَشْفَعُونَ.

(وَيَخْرُجُ أَقْوَامٌ مِنَ النَّارِ بَعْدَمَا * أَصَابَهُمْ سَفْعٌ مِنَ النَّارِ وَالشَّرَرْ)**

(**وَيَخْرُجُ أَقْوَامٌ مِنَ النَّارِ**): بِشَفَاعَةِ بَعْضِ أَهْلِ الإِيمَانِ، فَيَشْفَعُونَ لِمَنِ اسْتَحَقَّ النَّارَ أَلَّا يَدْخُلَهَا، أَوْ لِمَنْ دَخَلَهَا أَنْ يَخْرُجَ مِنْهَا، وَهَذِهِ مِنْ أَنْوَاعِ الشَّافِعَةِ. فَيَشْفَعُ أَهْلُ الإِيمَانِ لِإِخْوَانِهِمْ عِنْدَ اللهِ تَعَالَى، فَبَعْضُ النَّاسِ قَدِ اسْتَحَقَّ النَّارَ فَيَشْفَعُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ، فَيَسْتَجِيبُ اللهُ سُؤْلَهُمْ، وَيَشْفَعُونَ لِمَنْ كَانَ فِي النَّارِ أَنْ يَخْرُجُوا، فَيَسْتَجِيبُ اللهُ سُؤْلَهُمْ.

وَهَذِهِ الشَّفَاعَةُ أَنْكَرَهَا الخَوَارِجُ وَالمُعْتَزِلَةُ وَقَالُوا: بِأَنَّ أُولَئِكَ أَصْحَابُ كَبَائِرَ، وَصَاحِبُ الكَبِيرَةِ مُخَلَّدٌ فِي النَّارِ. وَالعَجَبُ أَنَّ الحَدِيثَ الَّذِي رَوَاهُ الإِمَامُ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ نَصٌّ فِي هَدْمِ مَذْهَبِهِمْ، قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي**»[٢٥٠].

وَالشَّيْخُ مُحَدِّثُ اليَمَنِ مُقْبِلُ بنُ هَادِي الوَادِعِيُّ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى[٢٥١] لَهُ كِتَابٌ جَمَعَ فِيهِ أَخْبَارَ الشَّفَاعَةِ رِوَايَةً، وَقَدْ طُبِعَ الكِتَابُ عَامَ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِمِائَةٍ وَأَلْفٍ عَلَى مَا أَذْكُرُ، وَشَرَحَهُ الشَّيْخُ ابْنُ جِبْرِينَ كَامِلًا.

---

(٢٤٩) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد- باب قول الله تعالى: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ (٧٤١٠)، ومسلم في كتاب الإيمان- باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها (١٩٣)، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢٥٠) أخرجه أحمد في «مسنده» (٣/ ٢١٣)، وأبو داود في كتاب السنة- باب في الشفاعة (٤٧٣٩)، والترمذي في كتاب صفة القيامة والرقائق والورع (٢٤٣٥)، وصححه الألباني في «مشكاة المصابيح» (٥٥٩٨).

(٢٥١) هو: الشيخ الفاضل، محدث اليمن مقبل بن هادي الوادعي. ولد باليمن، وتعلم في بلاد الحرمين. ولما افتتحت الجامعة الإسلامية؛ التحق بها، وحصل على الماجستير بتحقيق كتاب «الإلزامات والتتبع» للدارقطني. وكان من شيوخه: الشيوخ الأفاضل: ابن باز، والألباني، والسبيل، وغيرهم. ثم رجع إلى اليمن، وعمل على نشر دعوة التوحيد -الدعوة السلفية- في بلاده، حتى أتم الله دعوته، ونشر التوحيد في أقاصي اليمن. كان -رحمه الله- شجاعا يقول كلمة الحق وينكر المنكر لا يخاف في الله لومة لائم. من مؤلفاته: «الصحيح المسند مما ليس في

(وَأُثْبِتُ أَخْبَارَ الصِّفَاتِ وَلَا أَرَى * تَأَوُّلَهَا وَهْوَ الصَّحِيحُ لِمَنْ سَبَرْ)**

(وَأُثْبِتُ) كَمَا تَقَدَّمَ: أُقِرُّ وَأَعْتَرِفُ وَأُصَدِّقُ وأَتَدَيَّنُ وأَتَعَبَّدُ. أَوْ: هَذَا حَقٌّ الزَمَهُ وَأُدَاوِمُ عَلَيْهِ.

(أُثْبِتُ أَخْبَارَ الصِّفَاتِ) انْتَقَى النَّاظِمُ هُنَا أَلْفَاظَ الصِّفَاتِ الْمُحْكَمَةِ، فَالصِّفَاتُ لَا تَكُونُ بِالعَقْلِ وَلَا بِالخَوَاطِرِ إِنَّمَا تَكُونُ بِالأَخْبَارِ؛ بِالقُرْآنِ الكَرِيمِ أَوْ بِالسُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ الصَّحِيحَةِ، **(أُثْبِتُ أَخْبَارَ الصِّفَاتِ)** فِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الصِّفَاتِ تُؤْخَذُ مِنَ الأَدِلَّةِ الشَّرْعِيَّةِ لَا العَقْلِيَّةِ.

وَالصِّفَاتُ: جَمْعُ صِفَةٍ، وَهِيَ: مَا وَصَفَ اللهُ تَعَالَى بِهَا نَفْسَهُ، أَوْ وَصَفَهُ بِهَا نَبِيُّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(وَلَا أَرَى) أَيْ: وَلَا أَذْهَبُ كَمَا ذَهَبَ آخَرُونَ.

(وَلَا أَرَى تَأَوُّلَهَا): وَالتَّأْوِيلُ لَهُ مَعَانٍ، لَكِنْ يُرِيدُ هُنَا المَعْنَى المَذْمُومَ. وَمِنْ مَعَانِي التَّأْوِيلِ الحَمِيدَةِ التَّفْسِيرُ؛ وَلِهَذَا الطَّبَرِيُّ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى فِي تَفْسِيرِهِ يَقُولُ: القَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى... يَعْنِي: تَفْسِيرُ.

لَكِنِ التَّأْوِيلُ المَذْمُومُ: صَرْفُ الأَلْفَاظِ عَنْ مَدْلُولِهَا الصَّحِيحِ، فَهُوَ الَّذِي قَصَدَهُ المُؤَلِّفُ، **(وَلَا أَرَى تَأَوُّلَهَا)**، فَتَأْوِيلُهَا خِلَافٌ لِلْمُعْتَقَدِ السَّلَفِيِّ السُّنِّيِّ الَّذِي عَلَيْهِ أَهْلُ السُّنَّةِ الجَمَاعَةِ.

(وَهْوَ الصَّحِيحُ) الحَقُّ المُخَالِفُ لِلْبَاطِلِ.

(لِمَنْ سَبَرْ) فِي «لِسَانِ العَرَبِ»: سَبَرَ الشَّيْءَ سَبْرًا: حَزَرَهُ وَخَبَرَهُ. مِنْ خَبَرِ الأَمْرِ وَحَزْرِهِ بِعِنَايَةٍ.

فَإِثْبَاتُ الصِّفَاتِ وَعَدَمُ تَأْوِيلِهَا هُوَ مَنْهَجُ الأَسَاسِ، وَالنَّاسُ فِي الصِّفَاتِ عَلَى أَقْسَامٍ: قِسْمٌ يُبَالِغُ فِي الإِثْبَاتِ مُبَالَغَةً تُخَالِفُ مَنْهَجَ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ السَّلَامُ وَأَصْحَابِهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ. وَ قِسْمٌ يَنْفِي الصِّفَاتِ. وَأَهْلُ السُّنَّةِ وَسَطٌ، فَبَعْضُهُمْ وَصَلَ بِهِ الحَالُ فِي الإِثْبَاتِ إِلَى التَّشْبِيهِ، فَشَبَّهَ الخَالِقَ بِصِفَاتِ المَخْلُوقِينَ! ﴿**سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا**﴾[٢٥٢]. وَيَرَى أَنَّ هَذَا مِنَ التَّدَيُّنِ للهِ تَعَالَى، وَهَذَا تَحْرِيفٌ لِلنُّصُوصِ عَنْ مَدْلُولِهَا وَتَعْطِيلٌ لِلنُّصُوصِ الأُخْرَى، وَاللهُ يَقُولُ: ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ**﴾[٢٥٣]. وَهَذَا يُشَبِّهُ الخَالِقَ بِالمَخْلُوقِ، هَذَا عَيْنُ التَّنَاقُضِ.

الصحيحين»، و«الشفاعة». توفي -رحمه الله- سنة ثنتين وعشرين وأربع مئة وألف. انظر: كتاب «نبذة يسيرة من حياة أحد أعلام الجزيرة» للصومعي.

(٢٥٢) سورة الإسراء: ٤٣.

(٢٥٣) سورة الشورى: ١١.

وَيُقَابِلُهُمُ الْمُعَطِّلَةُ الَّذِينَ عَطَّلُوا صِفَاتِ الله تَعَالَى وَقَالُوا: لَوْ أَثْبَتْنَاهَا لَوَقَعْنَا فِي التَّشْبِيهِ. لَكِنْ جَاءَ أَهْلُ السُّنَّةِ عَلَيْهِمْ رَحْمَةُ الله وَبَيَّنُوا بُطْلَانَ الْمَذْهَبَيْنِ، وَقَالُوا: نُثْبِتُ لله تَعَالَى مَا أَثْبَتَهُ لِنَفْسِهِ، وَمَا أَثْبَتَهُ لَهُ نَبِيُّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ غَيْرِ تَشْبِيهٍ وَلَا تَمْثِيلٍ ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾. فَأَثْبَتُوا لله الصِّفَاتِ، وَلَمْ يُعَطِّلُوهَا عَنْ مَدْلُولَاتِهَا، وَلَمْ يُشَبِّهُوهَا بِصِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ.

وَتَقَدَّمَ ضَرْبُ مِثَالٍ فِيمَا سَبَقَ: أَنَّ الْمَخْلُوقَاتِ تَخْتَلِفُ فِي صِفَاتِهَا؛ فَلِلْإِنْسَانَ وَجْهٌ، وَلِلْحَيَوَانِ وَجْهٌ، وَلِلطَّيْرِ وَجْهٌ... وَهِيَ مُتَغَايِرَةٌ وَمَخْلُوقَةٌ، وَالْخَالِقُ مِنْ بَابِ أَوْلَى.

وَقَدْ قَرَأْتُ فِي «طَبَقَاتِ الْحَنَابِلَةِ» وَفِي «ذَيْلِ الطَّبَقَاتِ» فِيمَا أَذْكُرُ: أَنَّ رَجُلًا كَانَ يُشَبِّهُ صِفَاتِ الله بِصِفَاتِ خَلْقِهِ، فَقَالَ لَهُ أَحَدُ الْمُثْبِتَةِ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ عَلَى الإِثْبَاتِ عَلَى بَصِيرَةٍ: سُمِعْتُ أَنَّ إِنْسَانًا خَرَجَ فِي بَلَدِ بَنِي فُلَانٍ فِي وَجْهِهِ ثَلَاثَ أَعْيُنٍ، وَلَهُ أَنْفَانِ وَأَرْبَعُ أَفْوَاهٍ! قَالَ: كَيْفَ يُتَخَيَّلُ هَذَا؟! كَيْفَ يَكُونُ هَذَا؟! قَالَ: سُبْحَانَ الله! عَجَزْتَ عَنْ وَصْفِ بَشَرٍ وَوَصَفْتَ الإِلَهَ بِصِفَاتِ مَنْ رَأْسِكَ! فَعَلِمَ بُطْلَانَ مَذْهَبِهِ، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾.

(وَأَشْهَدُ أَنَّ اللهَ لَيْسَ كَخَلْقِهِ * وَمَنْ قَالَ بِالتَّشْبِيهِ يَوْمًا فَقَدْ خَسِرْ)**

هَذَا الْبَيْتُ يُؤَكِّدُ مَا قَبْلَهُ، قَوْلُهُ: (**وَأَشْهَدُ**) كَمَا تَقَدَّمَ: أُقِرُّ وَأَعْتَرِفُ وَأُصَدِّقُ وأَتَدَيَّنُ وأَتَعَبَّدُ.

(**أَنَّ اللهَ لَيْسَ كَخَلْقِهِ**)، أَيْ: لَا يُشْبِهُ اللهَ شَيْءٌ مِنْ خَلْقِهِ لَا إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ وَلَا سَائِرُ الْمَخْلُوقَاتِ، ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ**﴾.

(وَأَشْهَدُ أَنَّ اللهَ لَيْسَ كَخَلْقِهِ * وَمَنْ قَالَ بِالتَّشْبِيهِ يَوْمًا فَقَدْ خَسِرْ).

خُسْرَانًا مُّبِينًا، أَيْ: ضَلَّ طَرِيقَ الحَقِّ، وَنَاهِيكَ بِهَا مِنْ خَسَارَةٍ. وَذَكَرَ شَيْخُ الإِسْلَامِ فِي «التَّدْمُرِيَّةِ» أَصْلَيْنِ عَظِيمَيْنِ عَنِ الصِّفَاتِ، فَقَالَ:

الأَصْلُ الأَوَّلُ: القَوْلُ فِي الذَّاتِ كَالقَوْلِ فِي الصِّفَاتِ، فَذَاتُ الله لَا نَعْلَمُهَا كَذَلِكَ صِفَاتُهُ لَا نَعْلَمُهَا.

الأَصْلُ الثَّانِي: القَوْلُ فِي بَعْضِ الصِّفَاتِ كَالقَوْلِ فِي بَعْضِ الصِّفَاتِ الأُخْرَى. فَلَهُ يَدٌ تَلِيقُ بِهِ، وَعَيْنٌ تَلِيقُ بِهِ، وَوَجْهٌ يَلِيقُ بِهِ، وَصَوْتٌ يَلِيقُ بِهِ... وَقِسْ عَلَى هَذَا، حَتَّى تَكُونَ القَاعِدَةُ مُقْتَرِبَةً.

(وَأُثْبِتُ أَخْبَارَ النُّزُولِ لِمَا رَوَى * جَمَاعَةٌ مِنْ صَحْبِ الرَّسُولِ ذَوُو البَصَرْ)**

يَقُولُ: (**وَأَثْبَتُّ أَخْبَارَ النُّزُولِ لِمَا رَوَى**): هُنَا مَسْأَلَةٌ أُخْرَى عَقَدِيَّةٌ، وَهِيَ: نُزُولُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ. وَهَذِهِ المَسْأَلَةُ عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ مُتَوَاتِرَةٌ، بَلْ قَدْ جَاءَتْ عَنْ نَحْوِ ثَمَانِيَةٍ وَعِشْرِينَ مِنَ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمْ وَسَيَذْكُرُ المُؤَلِّفُ بَعْدَ قَلِيلٍ بَعْضَهُمْ. وَمُعْتَقَدُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ: أَنَّ اللهَ يَنْزِلُ كَمَا أَخْبَرَ عَنْ نَفْسِهِ: «**يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ**»[٢٥٤]. نُزُولًا يَلِيقُ بِهِ، وَنَفْسُ القَاعِدَةِ: القَوْلُ فِي بَعْضِ الصِّفَاتِ كَالقَوْلِ فِي بَعْضِهَا الآخَرِ، أَيْضًا: نُزُولُ اللهِ يَلِيقُ بِاللهِ، مِنْ غَيْرِ تَشْبِيهٍ وَلَا تَمْثِيلٍ وَلَا تَعْطِيلٍ.

(**لِمَا رَوَى جَمَاعَةٌ**): يُشِيرُ بِهَذَا إِلَى أَنَّ رَوَاةَ النُّزُولِ كُثُرٌ.

(**مِنْ صَحْبِ الرَّسُولِ ذَوُو البَصَرِ**)، وَكُلُّ أَصْحَابِ الرَّسُولِ ذَوُو بَصِيرَةٍ. وَقَالَ: (**ذَوُو البَصَرِ**) مُرَاعَاةً لِلنَّظْمِ، فَكُلُّ أَصْحَابِ الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَهْلُ بَصِيرَةٍ؛ لِأَنَّ الصَّحَابَةَ فِيهِمُ الأَعْمَى.

وَلِلْفَائِدَةِ يَقُولُ ابْنُ القَيِّمِ: لَيْسَ فِي الصَّحَابَةِ أَبْكَمُ أَبَدًا، وَلَكِنْ فِيهِمُ الأَعْمَى -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَأَرْضَاهُمْ- لَكِنْ مَنْ ذَهَبَ بَصَرُهُ مِنْهُمْ فَبَصِيرَتُهُ مُتَّقِدَةٌ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ جَمِيعًا. فَهُنَا يَقُولُ: (**لِمَا رَوَى جَمَاعَةٌ**) يُشِيرُ إِلَى كَثْرَةِ رُوَاةِ أَخْبَارِ النُّزُولِ.

(**مِنْ صَحْبِ الرَّسُولِ**) الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ كَأَنَّهُ يَقُولُ: لَيْسَ هَذِهِ مَرَاسِيلُ أَوْ آثَارٌ عَمَّنْ بَعْدَهُمْ، بَلْ مِنَ الصَّحَابَةِ؛ تَأْكِيدًا لِثُبُوتِ هَذِهِ الصِّفَةِ الشَّرِيفَةِ (**ذَوُو البَصَرِ**).

(**أَبُو بَكْرٍ وَالدَّوْسِيُّ وَابْنُ عَرَابَةَ**[٢٥٥] *** **وَجَابِرٌ**[٢٥٦] **وَالخُدْرِيُّ**[٢٥٧] **عَنْهُمْ مُسْتَطَرْ**)

---

(٢٥٤) أخرجه البخاري في كتاب الجمعة- باب الدعاء في الصلاة من آخر الليل (١١٤٥)، ومسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها- باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل والإجابة فيه (٧٥٨)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢٥٥) هو: الصحابي رفاعة بن عرابة، وقيل: عرادة الجهني المدني. قال الترمذي: عرادة وهم. وقال ابن حبان: عرادة جده. فمن قال: ابن عرادة؛ نسبه إلى جده. وذكر مسلم أن عطاء بن يسار تفرد بالرواية عنه. وحديثه عند النسائي بإسناد صحيح. انظر: الاستيعاب (ص: ٢٣١ ترجمة ٧٥٠)، والإصابة (٢/ ٤٩٣ ترجمة ٢٦٧٤).

(٢٥٦) هو: الصحابي الجليل جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام بن ثعلبة بن حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة، أبو عبد الله، وأبو عبد الرحمن الأنصاري، الخزرجي، السلمي، المدني، الفقيه الإمام الكبير، المجتهد، الحافظ، صاحب رسول الله -صلى الله عليه وسلم-. وكان مفتي المدينة في زمانه. شهد ليلة العقبة مع والده، وأطاع أباه يوم أحد، وقعد لأجل أخواته، ثم شهد الخندق وبيعة الشجرة، وقد ورد أنه شهد بدرا. شاخ، وذهب بصره، وقارب التسعين. توفي بالمدينة سنة أربع وتسعين، وقيل: سنة سبع وتسعين. انظر: الاستيعاب (ص: ١١٤ ترجمة ٢٩٦)، وأسد الغابة (١/ ٤٩٢ ترجمة ٦٤٧).

(**أَبُو بَكْرٍ**) الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ رَوَى حَدِيثًا فِي النُّزُولِ عِنْدَ ابْنِ خُزَيْمَةَ فِي كِتَابِ التَّوْحِيدِ، وَعِنْدَ الدَّارَقُطْنِيِّ فِي كِتَابِ النُّزُولِ، وَهُنَاكَ كِتَابٌ لِلدَّارَقُطْنِيِّ لَطِيفُ الحَجْمِ عَظِيمُ النَّفْعِ سَمَّاهُ «النُّزُولَ»، وَلِشَيْخِ الإِسْلَامِ رِسَالَةٌ اسْمُهَا «حَدِيثُ النُّزُولِ» أَوْ «شَرْحُ حَدِيثِ النُّزُولِ»، وَقَدْ حَقَّقَهَا الدُّكْتُورُ مُحَمَّدُ الخَمِيسِ[٢٥٨] فِي المَاجِسْتِيرِ، بِإِشْرَافِ الشَّيْخِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ البَرَاكِ[٢٥٩] أَظُنُّهُ فِي عَامِ خَمْسَةٍ وَأَرْبَعِمِائَةٍ وَأَلْفٍ فِي أُصُولِ الدِّينِ.

(**وَالدَّوْسِيُّ**) أَبُو هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ وَأَرْضَاهُ- مِنْ دَوْسٍ، وَالحَدِيثُ فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ» فِي أَخْبَارِ النُّزُولِ.

(**وَابْنُ عَرَابَةَ**) رَافِعُ بْنُ عَرَابَةَ الجُهَنِيُّ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ مِنَ الصَّحَابَةِ، وَمِنْ رُوَاةِ أَخْبَارِ النُّزُولِ، وَالحَدِيثُ عِنْدَ الإِمَامِ أَحْمَدَ.

(**وَجَابِرٌ**) الصَّحَابِيُّ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الأَنْصَارِيُّ أَيْضًا مِنْ رُوَاةِ أَخْبَارِ النُّزُولِ، وَحَدِيثُهُ عِنْدَ ابْنِ خُزَيْمَةَ[٢٦٠] فِي التَّوْحِيدِ، وَعِنْدَ الدَّارَقُطْنِيِّ.

---

(٢٥٧) هو: الصحابي سعد بن مالك بن سنان بن ثعلبة بن عبيد بن الأبجر بن عوف بن الحارث بن الخزرج، أبو سعيد الخدري، الإمام المجاهد، مفتي المدينة. واسم الأبجر: خدرة، وقيل: بل خدرة هي أم الأبجر. استشهد أبوه مالك يوم أحد، وشهد أبو سعيد الخندق، وبيعة الرضوان. وحدث عن النبي -صلى الله عليه وسلم-، فأكثر وأطاب، وعن أبي بكر، وعمر، وطائفة، وكان أحد الفقهاء المجتهدين. مات سنة أربع وسبعين. انظر: الاستيعاب (ص: ٢٨٦ ترجمة ٩١٥)، وأسد الغابة (٢/ ٤٥١ ترجمة ٢٠٣٦).

(٢٥٨) هو: الدكتور محمد بن عبد الرحمن الخميس. له مؤلفات عديدة في مجال الاعتقاد، وله اهتمام بشروح متون التوحيد. نال العالمية «الدكتوراة» من قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة بكلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود، بعنوان «أصول الدين عند الإمام أبي حنيفة».

(٢٥٩) هو: الشيخ الفاضل العلامة أبو عبد الله عبد الرحمن بن ناصر بن براك بن إبراهيم البراك. ولد سنة ثنتين وخمسين وثلاث مئة وألف بالقصيم. توفي والده وهو صغير فلم يدركه، وتولت والدته تربيته، فربته خير تربية. وقدر الله أن يُصاب بمرض تسبب في ذهاب بصره، وهو في التاسعة من عمره. حفظ القرآن وعمره اثنتا عشرة سنة تقريبا. تتلمذ على علماء أجلاء؛ منهم: الشنقيطي، وابن باز، وكان له أثر كبير في نشأته. عمل مدرسا في المعهد العلمي بالرياض ثلاث سنين، ثم انتقل إلى التدريس في كلية الشريعة، ولما افتتحت كلية أصول الدين؛ نُقل إليها في قسم العقيدة، وعمل مدرسا فيها إلى أن تقاعد عام عشرين وأربع مئة وألف. وأشرف خلالها على العشرات من الرسائل العلمية، وبعد التقاعد رغبت الكلية في التعاقد معه فأبى، كما راوده سماحة الشيخ ابن باز -رحمه الله- على أن يتولى العمل في الإفتاء مرارا فتمنع. وبعد وفاة الشيخ ابن باز طلب منه سماحة المفتي الشيخ عبد العزيز آل الشيخ أن يكون عضو إفتاء، وألح عليه في ذلك فامتنع، وآثر الانقطاع للتدريس في مسجده. نسأل الله أن يبارك في عمر الشيخ، وأن ينفع المسلمين بعلمه.

(٢٦٠) هو: الحافظ الحجة الفقيه، شيخ الإسلام، إمام الأئمة، محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر. أبو بكر السلمي النيسابوري الشافعي، صاحب التصانيف. ولد سنة ثلاث وعشرين ومئتين، وعني في حداثته بالحديث والفقه، حتى صار يضرب به المثل في

(**وَالخُدْرِيُّ**) أَبُو سَعِيدٍ الخُدْرِيُّ، سَعْدُ بْنُ مَالِكٍ، وَحَدِيثُهُ عِنْدَ مُسْلِمٍ.

(**وَعَمْرُو**[٢٦١] **سُلَيْمٍ وَابْنُ قَيْسٍ**[٢٦٢] **وَحَيْدَرٌ *** وَمِثْلُ أَبِي الدَّرْدَاءِ**[٢٦٣] **وَذَلِكَ مُشْتَهَرْ**)

(**وَعَمْرُو سُلَيْمٍ**) هُوَ عَمْرُو بْنُ عَبَسَةَ السُّلَمِيُّ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ مِنْ أَحَادِيثِهِ فِي النُّزُولِ عِنْدَ الـدَّارَقُطْنِيِّ فِي كِتَابِـهِ النُّزُولِ.

(**وَابْنُ قَيْسٍ**) صَحَابِيٌّ جَلِيلٌ، وَهُوَ أَبُو مُوسَى الأَشْعَرِيُّ عَبْدُ اللهِ بْنُ قَيْسٍ، وَحَدِيثُهُ عِنْدَ الدَّارَقُطْنِيِّ.

(**وَحَيْدَرُ**) عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مِنَ أَلْقَابِهِ حَيْدَرٌ، وَحَدِيثُهُ فِي النُّزُولِ عِنْدَ الإِمَامِ أَحْمَدَ وَغَيْرِهِ.

(**وَمِثْلُ أَبِي الدَّرْدَاءِ**) وَاسْمُهُ: عُوَيْمِرُ بْنُ عَامِرٍ الأَنْصَارِيُّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَحَدِيثُهُ عِنْدَ الدَّارَقُطْنِيِّ وَابْنِ خُزَيْمَةَ وَابْنِ مُنْذِرٍ. (**وَذَلِكَ مُشْتَهَرْ**).

مَا مَعْنَى الدَّرْدَاءِ؟ إِنَّهَا النَّاقَةُ المُسِنَّةُ.

وَأُمُّ الدَّرْدَاءِ الصُّغْرَى هُجَيْمَةُ[٢٦٤]، وَهُنَاكَ أُمُّ الدَّرْدَاءِ الكُبْرَى[٢٦٥] وَهِيَ صَحَابِيَّةٌ، أَمَّا الصُّغْرَى فَأَظُنُّهَا تَابِعِيَّةً.

سعة العلم والإتقان. توفي في ثاني ذي القعدة سنة إحدى عشرة وثلاث مئة، عن تسع وثمانين سنة. انظر: السير (١٤/ ٣٦٥ ترجمة ٢١٤)، وطبقات الشيرازي (ص: ١٠٥).

(٢٦١) هو: الصحابي عمرو بن عبسة بن عامر بن خالد بن غاضرة بن عتاب بن امرئ القيس بن بهثة بن سليم، وقيل غير ذلك في نسبه. كنيته أبو نجيح البجلي السلمي. قديم الإسلام. وكان رابع أربعة أو خامس خمسة في الإسلام. انظر: الاستيعاب (ص: ٤٩٢ ترجمة ١٧٤٨)، وأسد الغابة (٣/ ٧٤٨ ترجمة ٣٩٧٨).

(٢٦٢) هو: الصحابي الجليل عبد الله بن قيس بن سليم بن حضار بن حرب بن عامر بن غنم بن بكر بن عامر بن عذر بن وائل بن ناجية بن الجماهر بن الأشعر أبو موسى الأشعري. مشهور باسمه وكنيته معا وأمه ظبية بنت وهب بن عك أسلمت وماتت بالمدينة وكان هو سكن الرملة وحالف سعيد بن العاص ثم أسلم وهاجر إلى الحبشة. كان حسن الصوت بالقرآن. شهد فتوح الشام، ووفاة أبي عبيدة، واستعمله عمر على إمرة البصرة بعد أن عزل المغيرة، وهو الذي افتتح الأهواز. مات سنة خمسين. انظر: الاستيعاب (ص: ٨٥١ ترجمة ٣١٣٧)، والإصابة (٤/ ٢١١ ترجمة ٤٩٠١).

(٢٦٣) هو: الصحابي عويمر بن عامر، ويقال: عويمر بن قيس بن زيد. وقيل: عويمر بن ثعلبة بن عامر بن زيد بن قيس بن أمية بن مالك بن عامر بن عدي بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج، أبو الدرداء الأنصاري، مشهور بكنيته. تأخر إسلامه قليلاً، وكان آخر أهل داره إسلاما. حسن إسلامه وكان فقيهاً عاقلاً حكيما، وآخى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بينه وبين سلمان الفارسي. توفي سنة اثنتين وثلاثين بدمشق في خلافة عثمان. انظر: الاستيعاب (ص: ٧٩٨ ترجمة ٢٩١٦)، والإصابة (٤/ ٧٤٧ ترجمة ٦١٢١).

(وجُرْثُومُ[٢٦٦] وَالصِّدِّيقَةُ الطُّهْرُ عَائِشٌ *** وَهِنْدٌ وَمَا يَرْوِي جُبَيْرٌ[٢٦٧] الَّذِي خَبَرْ)

(جُرْثُومُ) هُوَ الصَّحَابِيُّ الجَلِيلُ جُرْثُومُ بْنُ نَاشِبٍ أَبُو ثَعْلَبَةَ الخُشَنِيُّ. وَهُنَا فَائِدَةٌ: فَكَلِمَةُ جُرْثُومٍ قَدْ يُسْتَقْذِرُهَا بَعْضُ النَّاسِ، بَلْ كَثِيرٌ، فَقَدْ قَرَأْتُ فِي «نَشْرَةِ النَّوَادِرِ» لِعَبْدِ السَّلَامِ هَارُونَ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى[٢٦٨] لَطِيفَةً حَوْلَ هَذِهِ الكَلِمَةِ،

---

(٢٦٤) هي: الصحابية الفاضلة أم الدرداء السيدة العالمة الفقيهة، هجيمة، وقيل: جهيمة الأوصابية الحميرية الدمشقية، وهي أم الدرداء الصغرى. روت علما جما عن زوجها أبي الدرداء، وعن سلمان الفارسي، وكعب بن عاصم الأشعري، وعائشة، وأبي هريرة، وطائفة. وعرضت القرآن وهي صغيرة على أبي الدرداء. وطال عمرها، واشتهرت بالعلم والعمل والزهد. خطبها معاوية بعد موت أبي الدرداء، فرفضته، وقالت: لا أتزوج زوجا في الدنيا حتى أتزوج أبا الدرداء -إن شاء الله- في الجنة. حجت في سنة إحدى وثمانين. انظر: الاستيعاب (ص: ٩٥٠ ترجمة ٣٥١٥)، الإصابة (٨/ ١٦١ ترجمة ١١٨٧٥).

(٢٦٥) هي: الصحابية الجليلة خيرة بنت أبي حدرد أم الدرداء الكبرى. سماها أحمد بن حنبل ويحيى بن معين فيما رواه بن أبي خيثمة عنهما، وقالا: اسم أبي حدرد عبد. كانت من فضلى النساء وعقلائهن، وذوات الرأي فيهن، مع العبادة والنسك. توفيت قبل أبي الدرداء، وذلك بالشام في خلافة عثمان، حفظت عن النبي -صلى الله عليه وسلم-، وعن زوجها. روى عنها جماعة من التابعين. انظر: الاستيعاب (ص: ٨٩٨ ترجمة ٣٢٩٩)، والإصابة (٧/ ٦٢٩ ترجمة ١١١٣٧).

(٢٦٦) هو: الصحابي أبو ثعلبة الخشني، اختلف في اسمه اختلافًا كثيرًا، ولا يكاد يُعرف إلا بكنيته. ولم يختلفوا في صحبته ونسبه إلى خُشَيْن. شهد الحديبية، وبايع تحت الشجرة، وأسهم له النبي -صلى الله عليه وسلم- يوم خيبر، وأرسله إلى قومه. قال أبو عبيد: تُوفي سنة خمس وسبعين. انظر: الاستيعاب (ص: ٧٨٥ ترجمة ٢٨٥٨)، وأسد الغابة (١/ ٥٢٤ ترجمة ٧١٧).

(٢٦٧) هو: الصحابي جُبير بن مُطْعِم بن عدي بن نوفل، أبو محمد -ويقال: أبو عدي- القرشي، النوفلي، ابن عم النبي -صلى الله عليه وسلم-. من الطلقاء الذين حسن إسلامهم، وقد قدم المدينة في فداء الأسارى من قومه. وكان موصوفا بالحلم، ونبل الرأي كأبيه، وكان شريفا مطاعا مهيبا. مات في خلافة معاوية بن أبي سفيان سنة سبع -وقيل: تسع- وخمسين. انظر: الاستيعاب (ص: ١١٩ ترجمة ٣١٧)، وأسد الغابة (١/ ٥١٥ ترجمة ٦٩٨).

(٢٦٨) هو: العالم الأديب اللغوي، عبد السلام محمد هارون. أحد أشهر محققي التراث العربي في هذا الزمان. ولد سنة سبع وعشرين وثلاث مئة وألف بالإسكندرية. حفظ القرآن وهو في العاشرة من عمره. التحق بالأزهر ودرس العلوم الدينية واللغوية. ثم التحق بتجهيزية دار العلوم، وحصل على البكالوريا، وكلية دار العلوم وتخرج فيها سنة ثنتين وثلاثين وتسع مئة وألف. عمل مدرسا بالتعليم الابتدائي، ثم بآداب الإسكندرية، ثم مدرسا مساعدا بكلية دار العلوم، ثم رئيسا لقسم النحو بها. سافر إلى الكويت سنة ست وستين وتسع مئة وألف، وشارك في إنشاء جامعتها، كما أسس قسم اللغة العربية، وقسم الدراسات العليا، ورأسها إلى سنة خمس وسبعين وتسع مئة وألف. له مؤلفات وتحقيقات بلغت المئة كتاب ما بين مجلدات ضخام وكتب مفردة؛ منها: تحقيق «تراث الجاحظ»، و«مقاييس اللغة»، وغيرهما كثير جدا. توفي سنة ثمان وأربع مئة وألف للهجرة. انظر: تتمة الأعلام (١/ ٢٩٠)، وكتاب «عبد السلام هارون معلما ومؤلفا ومحققا» ط: الكويت.

فَقَالَ: إِنَّ الجُرْثُومَةَ تُسْتَعْمَلُ الآنَ فِيمَا يَتَعَلَّقُ فِي الطِّبِّ بِالبَكْتِرْيَا وَالجَرَاثِيمِ وَمَا شَاكَلَهَا، بَيْنَمَا كَانَتْ كَلِمَةٌ عَرَبِيَّةٌ لَهَا مَعْنَى شَرِيفٌ رَفِيعٌ، فَجَرِيرٌ[٢٦٩] الشَّاعِرُ يَمْدَحُ عَبْدَ العَزِيزِ بْنَ الوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ المَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ[٢٧٠] وَيَقُولُ:

يَا آلَ مَرْوَانَ إِنَّ اللهَ فَضَّلَكُمْ *** فَضْلًا قَدِيمًا، وَفِي المَسعَاةِ تَقْوِيمُ

قَوْمٌ أَبُوهُمْ أَبُو العَاصِي وَأَوْرَثَهُمْ *** جُرْثُومَةً لَا تُسَامِيهَا الجَرَاثِيمُ

فَقَدْ يَتَقَذَّرُ بَعْضُ النَّاسِ مِنَ الجُرْثُومِ، وَهَذَا الاسْتِعْمَالُ قَدْ وُظِّفَ الآنَ تَوْظِيفًا فِي غَيْرِ مَحَلِّهِ، وَقَدْ يَكُونُ الجَامِعُ بَيْنَ الاسْتِعْمَالَيْنِ: أَنَّ ذَرَّاتِ التُّرَابِ صَغِيرَةٌ، وَالجَرَاثِيمَ مِنْ هَذَا الجَانِبِ. وَحَدِيثُ الصَّحَابِيِّ جُرْثُومٍ فِي النُّزُولِ عِنْدَ الدَّارَقُطْنِيِّ، وَفِي «السُّنَّةِ» لِابْنِ أَبِي عَاصِمٍ[٢٧١].

(**وَالصِّدِّيقَةُ الطُّهْرُ عَائِشُ**). لَمْ يَقُلْ عَائِشَةَ مِنْ بَابِ التَّرْخِيمِ، فَحَذَفَ آخِرَ المُنَادَى (**كَيَا سُعَا فِيمَنْ نَادَى سُعَادَا**).

(**وَالصِّدِّيقَةُ**) بِنْتُ الصِّدِّيقِ، (**الطُّهْرُ**) إِشَارَةً إِلَى طَهَارَةِ عَرْضِهَا مِمَّا جَاءَ فِي خَبَرِ الإِفْكِ، وَحَدِيثُ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا فِي النُّزُولِ عِنْدَ الإِمَامِ أَحْمَدَ فِي «المُسْنَدِ».

(**وَهِنْدٌ وَمَا يَرْوِي جُبَيْرٌ الَّذِي خَبَرْ**): هِنْدُ هِيَ أُمُّ سَلَمَةَ بِنْتُ أَبِي أُمَيَّةَ، وَصَاحِبُهَا جَرِيرٌ، وَجَاءَ لَهَا حَدِيثَانِ فِي النُّزُولِ؛ عِنْدَ الدَّارَقُطْنِيِّ لَكِنَّهُ مَوْقُوفٌ، وَعِنْدَ اللَّالِكَائِيِّ وَهُوَ مَرْفُوعٌ.

(**وَمَا يَرْوِي جُبَيْرٌ الَّذِي خَبَرْ**). جُبَيْرٌ هُوَ الصَّحَابِيُّ الجَلِيلُ جُبَيْرُ بْنُ مُطْعِمٍ، وَحَدِيثُهُ عِنْدَ الإِمَامِ أَحْمَدَ.

(**وَعُثْمَانُ**[٢٧٢] **وَالعَبْسِيُّ**[٢٧٣] **ثُمَّ مَعَاذُنَا**[٢٧٤] *** **وَجَدُّ يَزِيدٍ**[٢٧٥] **قَدْ رَوَوْهُ فِي الأَثَرْ**)

---

(٢٦٩) هو: شاعر زمانه، أبو حزرة، جرير بن عطية بن الخطفى التميمي البصري. مدح يزيد بن معاوية، وخلفاء بني أمية، وشعره مدون. توفي سنة عشر ومئة بعد الفرزدق بشهر. انظر: الشعر والشعراء (ص: ٤٦٤ ترجمة ٨٥) ت: الشيخ أحمد شاكر، وسير أعلام النبلاء (٤/ ٥٩٠ ترجمة ٢٢٧).

(٢٧٠) هو: نائب دمشق عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك بن مروان، أبو الأصبغ الأموي، وهو ابن أخت عمر بن عبد العزيز. داره بالكشك قبلي دار البطيخ العتيقة. ولي نيابة دمشق لأبيه، وتوفي في حدود العشرة ومئة. انظر: نسب قريش للزبيري (ص: ١٦٥)، والوافي بالوفيات (١٨/ ٣٤٨ ترجمة ٧١٢١) ط: دار إحياء التراث العربي.

(٢٧١) هو: أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيباني. حافظ كبير، إمام بارع متبع للآثار، كثير التصانيف. من أهل البصرة، من صوفية المسجد، من أهل السنة والحديث والنسك والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. صحب النساك، وكان ثقة نبيلا معمرا. قدم أصبهان على قضائها، ونشر بها علمه. قال أبو الشيخ: كان من الصيانة والعفة بمحل عجيب. توفي سنة سبع وثمانين ومئتين. انظر: الجرح والتعديل (٢/ ٦٧ ترجمة ١٢٠)، وسير أعلام النبلاء (١٣/ ٤٣٠ ترجمة ٢١٥).

(**عُثْمَانُ**) المُتَبَادَرُ لِلذِّهْنِ أَنَّهُ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانٍ، لَكِنَّهُ رَحِمَهُ اللهُ فِي شَرْحِهِ أَشَارَ إِلَى أَنَّهُ عُثْمَانُ بْنُ أَبِي العَاصِ، وَحَدِيثُهُ عِنْدَ الإِمَامِ أَحْمَدَ وَالدَّارَقُطْنِيِّ وَابْنِ خُزَيْمَةَ.

(**وَالعَبْسِيُّ**) عُقْبَةُ بْنُ عَامِرِ بْنِ عَبْسٍ الجُهَنِيُّ، ذُكِرَ فِي الشَّرْحِ أَنَّهُ نَسَبَهُ إِلَى جَدِّهِ، وَحَدِيثُهُ عِنْدَ الدَّارَقُطْنِيِّ وَاللَّالِكَائِيِّ.

فَكُلُّ هَؤُلَاءِ مَنْ رَوَاهُ أَخْبَارَ النُّزُولِ.

(**ثُمَّ مَعَاذُنَا**) مَعَاذُ بْنُ جَبَلٍ «**أَعْلَمُ أُمَّتِي بِالحَلَالِ وَالحَرَامِ**»(٢٧٦). وَمِمَّا قَالَ عَنْهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يَكُونُ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ يَوْمَ القِيَامَةِ أَمَامَ العُلَمَاءِ بَرْتَوَةٍ**»(٢٧٧). وَحَدِيثُهُ عِنْدَ الدَّارَقُطْنِيِّ وَاللَّالِكَائِيِّ.

---

(٢٧٢) هو: الصحابي عثمان بن أبي العاص بن بشر بن عبد دهمان بن عبد الله بن همام الثقفي، أبو عبد الله. نزيل البصرة. أسلم في وفد ثقيف، فاستعمله النبي -صلى الله عليه وسلم- على الطائف، وأقره أبو بكر، ثم عمر، ثم استعمله عمر على عمان والبحرين سنة خمس عشرة، ثم سكن البصرة حتى مات بها في خلافة معاوية. قيل: سنة خمسين، وقيل سنة إحدى وخمسين. وكان هو الذي منع ثقيفا عن الردة. انظر: الاستيعاب (ص: ٥٥٤ ترجمة ١٨٨٦)، والإصابة (٤/ ٤٥١ ترجمة ٥٤٤٥).

(٢٧٣) هو: الصحابي عقبة بن عامر بن عبس بن عمرو بن عدي بن عمرو بن رفاعة بن مودوعة بن عدي بن غنم بن الربعة بن رشدان بن قيس بن جهينة الجهني. روى عن النبي -صلى الله عليه وسلم- كثيرا. روى عنه جماعة من الصحابة والتابعين. كان قارئا عالما بالفرائض والفقه، فصيح اللسان، شاعرا، كاتبا، وهو أحد من جمع القرآن. مات عقبة في خلافة معاوية. انظر: الاستيعاب (ص: ٥٦١ ترجمة ١٨٩٨)، والإصابة (٤/ ٥٢٠ ترجمة ٥٦٠٥).

(٢٧٤) هو: الصحابي الجليل معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس بن عائذ بن عدي بن كعب بن عمرو بن أدي بن سعد بن علي بن أسد بن ساردة بن يزيد بن جشم بن الخزرج، أبو عبد الرحمن الأنصاري الخزرجي ثم الجشمي. أحد السبعين الذين شهدوا العقبة من الأنصار وآخى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بينه وبين عبد الله بن مسعود. توفي في طاعون عَمَوَاس سنة ثماني عشرة. انظر: الاستيعاب (ص: ٦٥٠ ترجمة ٢٢٧٠)، وأسد الغابة (٥/ ١٨٧ ترجمة ٤٩٦٠).

(٢٧٥) هو: أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف القرشي، الزهري، المدني. قيل: اسمه عبد الله، وقيل: إسماعيل، وقيل: اسمه وكنيته واحد. قال ابن حجر في التقريب: ثقة مكثر. قال محمد بن سعد: توفي بالمدينة سنة أربع وتسعين في خلافة الوليد، وهو ابن اثنتين وسبعين سنة. انظر: تهذيب الكمال (٣٣/ ٣٧٠ ترجمة ٧٤٠٩)، وميزان الاعتدال (٢/ ٤٣١ ترجمة ٦٦٦١).

(٢٧٦) أخرجه أحمد في «مسنده» (٣/ ١٨٤)، والترمذي في كتاب المناقب- باب مناقب معاذ بن جبل وزيد بن ثابت وأبي بن كعب (٣٧٩٠)، وابن ماجه في كتاب المقدمة- باب فضائل خباب رضي الله عنه (١٥٥)، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٨٩٥).

(٢٧٧) أخرجه الطبراني في «المعجم الصغير» (١/ ٣٥٥/ ٥٥٦)، من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، وضعفه الألباني في «ضعيف الجامع» (٧٧٥).

(**وَجَدُّ يَزِيدٍ**) جَاءَ فِي بَعْضِ النُّسَخِ: (**جَرِيرُ بْنُ زَيْدٍ**) لَكِنَّ الصَّحِيحَ كَمَا قَالَ: (**وَجَدُّ يَزِيدٍ**) وَهُوَ أَبُو سَلَمَةَ جَدُّ يَزِيدَ بْنِ سَلَمَةَ. وَحَدِيثُهُ كَذَلِكَ عِنْدَ الدَّارَقُطْنِيِّ.

(**قَدْ رَوَوْهُ فِي الأَثَرْ**) فَكُلُّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ سَبَقَ ذِكْرُهُمْ مِنْ رُوَاةِ أَخْبَارِ النُّزُولِ.

(**وَأَمَّا ابْنُ مَسْعُودٍ فَقَالَ كَمَا رَوَوْا *** وَأَسْنَدَهُ عَنْهُ كَمَا قَالَهُ نَفَرْ**)

عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ الهُذَلِيُّ مِنْ قُرَّاءِ الصَّحَابَةِ وَعُلَمَائِهِمْ، وَحَدِيثُهُ عِنْدَ الإِمَامِ أَحْمَدَ وَالدَّارَقُطْنِيِّ. قَالَ: كَمَا رَوَى مَنْ قَبْلَهُ.

(**وَأَسْنَدَهُ عَنْهُ كَمَا قَالَهُ نَفَرْ**). أَيْ: مُسْنِدًا إِلَيْهِ مَرْفُوعًا إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فَكُلُّ هَؤُلَاءِ الْمُتَقَدِّمُ ذِكْرُ أَسْمَائِهِمْ مِنَ رَوَاةِ أَخْبَارِ النُّزُولِ، وَسَيَأْتِي فِي البَيْتِ الَّذِي سَنَسْمَعُ الآنَ هَذَا الأَمْرُ.

(**نُزُولُ إِلَهِ العَرْشِ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ *** وَلَيْلَةَ شَعْبَانَ يَقُولُ إِلَى السَّحَرْ**

أَلَا سَائِلٌ أُعْطِيهُ غَايَةَ سُؤْلِهِ * وَمُسْتَغْفِرٌ يَدْعُو فَطُوبَى لِمَنْ غَفَرْ**)

(**نُزُولِ إِلَهَ العَرْشِ**) اعْتِقَادُ أَهْلِ السُّنَّةِ كَمَا تَقَدَّمَ: أَنَّ اللهَ يَنْزِلُ نُزُولًا يَلِيقُ بِجَلَالِهِ، وَالعَرْشُ تَقَدَّمَ الكَلَامُ عَنْهُ، فَهُوَ رَبُّ العَرْشِ، وَرَبُّ السَّمَاءِ، وَرَبُّ الأَرْضِ، وَرَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِيكِهِ.

(**فِي كُلِّ لَيْلَةٍ**) بِنَصِّ الحَدِيثِ: «**يَنْزِلُ اللهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ**»[٢٧٨]. نُزُولًا حَقِيقِيًّا، وَقَدْ تَأَوَّلَهُ بَعْضُهُمْ فَقَالُوا: يَنْزِلُ مَلِكًا. وَهَذَا تَعْطِيلٌ لِلنَّصِّ وَتَحْرِيفٌ لَهُ. وَقَالَ آخَرُونَ: يَنْزِلُ أَمْرُهُ. وَقَالُوا: جَاءَ فِي حَدِيثٍ: «**يَنْزِلُ أَمْرُهُ**». وَهَذَا الحَدِيثُ لَا يَصِحُّ، ثُمَّ لَوْ صَحَّ فَلَا يَنْفِي صِفَةَ النُّزُولِ الحَقِيقِيَّةِ؛ لِأَنَّهَا ثَابِتَةٌ، وَكُلُّ مَا أَثْبَتَهُ رَبُّنَا لِنَفْسِهِ وَأَثْبَتَهُ نَبِيُّنَا لِرَبِّهِ قُلْنَا: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا.

(**وَلَيْلَةَ شَعْبَانَ**) فَقَدْ وَرَدَ حَدِيثٌ فِيهِ نُزُولُ اللهِ تَعَالَى فِي لَيْلَةِ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ، وَأَنَّهُ يَغْفِرُ لِكُلِّ أَحَدٍ إِلَّا لِمُشَاحِنِينَ، وَهَذَا الحَدِيثُ أَثْبَتَهُ بَعْضُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَضَعَّفَهُ آخَرُونَ، وَعَلَى ثُبُوتِهِ فَيَكُونُ نُزُولُهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ، وَفِي نِصْفِ شَعْبَانَ وَنِصْفِ رَجَبٍ وَنِصْفِ شَوَّالٍ... فَيَنْزِلُ فِيهَا كُلِّهَا كَمَا جَاءَ الحَدِيثُ: «**يَنْزِلُ رَبُّنَا فِي كُلِّ لَيْلَةٍ**».

وَيَذْهَبُ بَعْضُ أَهْلِ العِلْمِ إِلَى تَخْصِيصِ هَذِهِ اللَّيْلَةِ بِقِيَامٍ وَذِكْرٍ وَدُعَاءٍ وَصَلَاةٍ، يُقَالُ: هَذَا يَحْتَاجُ إِلَى دَلِيلٍ، فَنُزُولُ الرَّبِّ بِكُلِّ لَيْلَةٍ فَضْلٌ؛ فَادْعُ؛ فَإِنَّ اللهَ يَقُولُ: «**أَلَا مِنْ سَائِلٍ فَأُعْطِيَهُ، أَلَا مِنْ دَاعٍ فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، أَلَا مِنْ مُسْتَغْفِرٍ فَأَغْفِرَ**

(٢٧٨) تقدم تخريجه.

لَهُ»[٢٧٩]. فَهَذِهِ المَسْأَلَةُ أَلَّفَ فِيهَا بَعْضُ المُعَاصِرِينَ كِتَابًا رِوَايَةً وَدِرَايَةً، وَبَعْضُ أَهْلِ العِلْمِ -كَمَا قُلْتُ- ضَعَّفَ الحَدِيثَ، وَقَالَ: لَا يَحْتَاجُ النَّظَرَ فِيهِ، لَكِنِ السُّؤَالُ: إِذَا صَحَّ الحَدِيثُ عِنْدَ قَوْمٍ فَلَا بُدَّ أَنْ يُخَرَّجَ، وَيُنْظَرَ مَاذَا قَالَ فِيهِ السَّلَفُ؟

(**أَلَا سَائِلٌ أُعْطِيهُ غَايَةَ سُؤْلِهِ**): يَقُولُ ابْنُ القَيِّمِ وَشَيْخُ الإِسْلَامِ وَالذَّهَبِيُّ[٢٨٠] وَغَيْرُهُمْ: إِنَّ كَثْرَةَ أَخْبَارِ النُّزُولِ وَتَغَايُرَ أَلْفَاظِهَا؛ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ النَّبِيَّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كَانَ يُبَلِّغُ النَّاسَ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ وَفِي كُلِّ مَجْمَعٍ؛ لِذَلِكَ اشْتُهِرَ بَيْنَهُمُ اشْتِهَارَ الشَّمْسِ بِالنَّهَارِ، وَأَصْبَحَ عَقِيدَةً رَاسِخَةً.

وَثُلُثُ اللَّيْلِ الأَخِيرِ هُوَ السَّحَرُ، وَمَا قَبْلَ الفَجْرِ، وَاللهُ يَقُولُ عَنْ قَوْمِ لُوطٍ: ﴿**إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ**﴾[٢٨١]. وَقَالَ أَيْضًا: ﴿**إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ**﴾[٢٨٢]. يَعْنِي: قُبَيْلَ الصُّبْحِ.

(**أَلَا سَائِلٌ أُعْطِيهُ غَايَةَ سُؤْلِهِ**) أَيْ: يُعْطِيهِ كُلَّ مَا يَسْأَلُهُ، وَلَاحِظْ أَنَّ (**سَائِلٌ**) نَكِرَةٌ، فَتَشْمَلُ أَيَّ سَائِلٍ؛ كَبِيرًا أَمْ صَغِيرًا، ذَكَرًا أَمْ أُنْثَى، فَقِيرًا أَمْ غَنِيًّا، مَرِيضًا أَمْ سَلِيمًا... فَلَا يَمْنَعُهُ بَعْضَ سُؤَالِهِ، بَلْ يُعْطِيهِ كُلَّ مَا سَأَلَ: ﴿**مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللهِ بَاقٍ**﴾[٢٨٣].

(**وَمُسْتَغْفِرٌ يَدْعُو فَطُوبَى لِمَنْ غَفَرْ**) طُوبَى لِمَنْ غَفَرَ اللهُ لَهُ، وَقَدْ جَاءَ فِي الحَدِيثِ أَنَّ: «**طُوبَى شَجَرَةٌ مِنْ شَجَرِ الجَنَّةِ يَسِيرُ الرَّاكِبُ فِي ظِلِّهَا مِائَةَ عَامٍ لَا يَقْطَعُهَا**»[٢٨٤]. وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الاسْتِغْفَارِ وَعَنْ فِعْلِ بَعْضِ الأَعْمَالِ: «**طُوبَى لِمَنْ وَجَدَ فِي صَحِيفَتِهِ اسْتِغْفَارًا كَثِيرًا**»[٢٨٥].

---

(٢٧٩) تقدم تخريجه.

(٢٨٠) هو: محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز، شمس الدين أبو عبد الله الذهبي. الإمام، المحدث، مؤرخ الإسلام، صاحب العبارة الرشيقة، والجملة الأنيقة. من شيوخه: ابن دقيق العيد، وابن تيمية. مولده في سنة ثلاث وسبعين وست مئة، ووفاته سنة ثمان وأربعين وسبع مئة. له من مؤلفات حسان جياد؛ منها: «سير أعلام النبلاء»، و«معرفة القراء الكبار». انظر: طبقات الشافعية الكبرى (٩/ ١٠٠ ترجمة ١٣٠٦)، وانظر مقدمة الدكتور/ بشار للجزء الأول من كتابه السير.

(٢٨١) سورة هود: ٨١.

(٢٨٢) سورة القمر: ٣٤.

(٢٨٣) سورة النحل: ٩٦.

(٢٨٤) أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق- باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة (٣٢٥٣)، ومسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها- باب إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها (٢٨٢٦)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

إِذَنْ نَسْتَفِيدُ مِنْ حَدِيثِ النُّزُولِ أَنَّهُ مُتَوَاتِرٌ، وَأَنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُهُ فِي كُلِّ مَجْمَعٍ، وَأَنَّهُ مُسْتَقَرٌّ مُتَدَاوَلٌ عِنْدَ الصَّحَابَةِ، وَمُسْتَقَرٌّ فِي قُلُوبِهِمْ. وَفِيهِ فَضْلُ قِيَامِ اللَّيْلِ وَالصَّلَاةِ وَالدُّعَاءِ، وَذَمُّ السَّهَرِ لِغَيْرِ مَصْلَحَةٍ تَعُودُ عَلَى صَاحِبِهَا، وَالسَّهَرُ -كَمَا قَالَ شَيْخُ الإِسْلَامِ: سَهَرٌ شَرْعِيٌّ، وَسَهَرٌ غَيْرُ شَرْعِيٍّ. فَالسَّهَرُ الشَّرْعِيُّ مَا كَانَ عَلَى طَاعَةٍ مِنْ ذِكْرٍ وَصَلَاةٍ وَدُعَاءٍ وَتَذَاكُرِ عِلْمٍ وَإِكْرَامِ ضَيْفٍ، وَالسَّهَرُ غَيْرُ شَرْعِيٍّ مَا كَانَ خِلَافَ ذَلِكَ.

(وَيَنْزِلُ يَوْمَ الفِطْرِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ * إِلَى رُقْعَةِ الدُّنْيَا يُبَاهِي بِمِنْ حَضَرْ)**

(وَيَنْزِلُ يَوْمَ الفِطْرِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ): هَذَا إِثْبَاتٌ لِنُزُولِ اللهِ يَوْمَ الفِطْرِ، فَإِنْ كَانَ لَيْلَةُ الفِطْرِ فَلَا إِشْكَالَ؛ لِأَنَّهُ يَنْزِلُ كُلَّ لَيْلَةٍ. أَمَّا إِذَا كَانَ يَوْمُ الفِطْرِ فَيَحْتَاجُ إِلَى دَلِيلٍ، وَالنَّاظِمُ فِي الشَّرْحِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى ذَكَرَ أَحَادِيثَ فِي نُزُولِ اللهِ يَوْمَ عَرَفَةَ، وَفِي نُسْخَةِ الأَصْلِ مَكْتُوبٌ فِي الحَاشِيَةِ الجَانِبِيَّةِ: العَشْرُ، فَكَأَنَّهُ يُوحِي إِلَى أَنَّ النَّاسِخَ مُتَرَدِّدٌ بَيْنَ الفِطْرِ وَبَيْنَ العَشْرِ، أَوْ أَنَّ هُنَاكَ نُسْخَةٌ عِنْدَ المُقَابَلَةِ بَدَلَ الفِطْرِ العَشْرُ.

فَالعَشْرُ قَدْ يَكُونُ المُرَادُ بِهَا عَشْرُ ذُو الحِجَّةِ، وَيَكُونُ مِنْ ضِمْنِهَا يَوْمُ عَرَفَةَ، فَيَكُونُ المُرَادُ:

وَيَنْزِلُ يَوْمَ العَشْرِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ *** إِلَى رُقْعَةِ الدُّنْيَا يُبَاهِي بِمِنْ حَضَرْ. أَيْ: فِي يَوْمِ عَرَفَةَ. وَهَذَا الأَقْرَبُ؛ لِأَنَّهُ سَاقَ أَحَادِيثَ.

لَكِنْ عَلَى حَسَبِ البَحْثِ القَاصِرِ لَمْ أَجِدْ حَدِيثًا، وَهُنَا فَائِدَةٌ: فَلَا يَنْبَغِي أَنْ تَقُولَ: لَا يُوجَدُ. فَهَذَا إِطْلَاقٌ، وَلَكِنْ قَيِّدْ عَلَى حَسَبِ بَحْثِكَ أَنْتَ. وَابْنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللهُ فِي «تَعْجِيلِ المَنْفَعَةِ» أَذْكُرُ أَنَّهُ فِي مُقَدِّمَةِ التَّرَاجِمِ الأُوَلِ يَرُدُّ عَلَى صَاحِبِ الأَصْلِ، أَوْ أَحَدِ كُتَّابِ التَّرَاجِمِ، فَيَقُولُ: لَمْ يَعْرِفْ. لَوْ قَالَ: لَا أَعْرِفُ. لَكَانَ أَوْلَى، بِمَعْنَى آخَرَ: يَسْتَخْدِمُ عِبَارَةً تَكُونُ ضَيِّقَةَ المَجَالِ.

وَأَذْكُرُ أَنِّي قَرَأْتُ فِي «فَتْحِ المُغِيثِ» أَوْ «تَدْرِيبِ الرَّاوِي»: أَنَّ أَحَدَهُمْ سَأَلَ الزُّهْرِيَّ فَقَالَ: يَا زُهْرِيُّ، مِنْ أَخْرَجَكَ؟ قَالَ: غُلَامٌ. قَالَ: كَيْفَ؟ قَالَ: كُنْتُ فِي مَجْلِسِ الخَلِيفَةِ، فَتَحَدَّثَ رَجُلٌ عَامِّيٌّ بِحَدِيثٍ، فَقُلْتُ: مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي السُّنَّةِ. فَقَامَ غُلَامٌ فَقَالَ: يَا زُهْرِيُّ، أَحَفِظْتَ السُّنَّةَ كُلَّهَا؟ قَالَ: لَا. قَالَ أَحَفِظْتَ ثُلُثَيْهَا؟ قَالَ: لَا. قَالَ أَحَفِظْتَ شَطْرَهَا؟ قَالَ: أَرْجُو..

---

(٢٨٥) أخرجه ابن ماجه في كتاب الأدب- باب الاستغفار (٣٨١٨)، من حديث عبد الله بن بسر رضي الله عنه، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٩٣٠).

فَأَقْصَدُ أَنَّ بَعْضَ الفُضَلَاءِ يَقُولُ: لَا يُعْرَفُ، لَمْ يَصِحَّ، لَمْ يَثْبُتْ... بَلِ الأَوْلَى أَنْ يَتَحَدَّثَ الإِنْسَانُ بِعِبَارَاتٍ تَلِيقُ بِطَالِبِ العِلْمِ، لَكِنْ كَلِمَةُ «لَمْ يُعْرَفْ» لَا تَصِحُّ، أَوْ: «لَا يُوجَدُ لَهُ تَرْجَمَةٌ».. فَأَنْتَ الآنَ أَطْلَقْتَ، لَكِنْ لَوْ قُلْتَ: عَلَى حَسَبِ بَحْثِي.. فَلَوْ وُجِدَتْ لَهُ تَرْجَمَةٌ فَيَكُونَ لَكَ عُذْرُكَ؛ لِأَنَّكَ قُلْتَ: عَلَى حَسَبِ بَحْثِي، فَقَيَّدْتَ.

وَجَاءَ حَدِيثَانِ عِنْدَ البَيْهَقِيِّ فِي فَضَائِلِ الأَوْقَاتِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمَا وَعَنْ أَنَسٍ: «أَنَّ اللهَ تَعَالَى إِذَا كَانَ غَدَاةُ الفِطْرِ بَعَثَ مَلَائِكَةً يُبَاهِي بِالحُجَّاجِ العُبَّادِ الآخَرِينَ». وَالحَدِيثَانِ -كَمَا قُلْتُ لَكُمْ- ضَعِيفَانِ ضَعْفًا شَدِيدًا، فَإِذَا كَانَ النُّزُولُ فِي يَوْمِ عَرَفَةَ، فَسَاقَ حَدِيثًا آخَرَ فِي أَنَّ اللهَ تَعَالَى يَنْزِلُ يَوْمَ عَرَفَةَ، وَيُبَاهِي بِالحَجَّاجِ المَلَائِكَةَ. فَالنُّزُولُ فِي الفِطْرِ يَحْتَاجُ إِلَى دَلِيلٍ صَحِيحٍ.

وَأَمَّا عَرَفَةُ فَذَكَرَ بَعْضُ أَهْلِ العِلْمِ، وَذَكَرَ النَّاظِمُ رَحِمَهُ اللهُ: إِنَّ اللهَ يُبَاهِي بِالحَجَّاجِ يَوْمَ عَرَفَةَ المَلَائِكَةَ، وَأَنَّ اللهَ تَعَالَى- يَنْزِلُ فِي هَذَا اليَوْمِ.

وَفَّقَ اللهُ الجَمِيعَ، وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَالحَمْدُ للهِ الَّذِي بِنِعْمَتِهِ تَتِمُّ الصَّالِحَاتُ.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَى رَسُولِ اللهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

أَمَّا بَعْدُ:

قَالَ الحَافِظُ مُحَمَّدُ بْنُ طَاهِرٍ رَحِمَهُ اللهُ:

(وَأَعْلَمُ حَقًّا أَنَّ جَنَّةَ رَبِّنَا * وَنَارَ لَظَى مَخْلُوقَتَانِ لِمَنْ أُمِرْ)**

يَقُولُ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: (**وَأَعْلَمُ حَقًّا**) الأَصْلُ أَنَّهُ عَلِمُ اليَقِينِ الَّذِي لَا يَعْتَرِيهِ شَكٌّ وَلَا رَيْبَ، وَهَذَا بِخَاصَّةٍ فِي مَسَائِلِ الاعْتِقَادِ، ثُمَّ أَكَّدَ ذَلِكَ، فَقَالَ: (**حَقًّا**). تَأْكِيدًا؛ لِأَنَّ هَذَا العِلْمَ رَاسِخٌ يَقِينِي حَقٌّ لَا يَدْخُلُهُ شَكٌّ وَلَا رَيْبٌ. وَسَيُخْبِرُ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى بَعْدَ هَذِهِ المُقَدِّمَةِ عَمَّا بَعْدَهَا، فَقَالَ:

وَأَعْلَمُ حَقًّا أَنَّ جَنَّةَ رَبِّنَا * وَنَارَ لَظَى مَخْلُوقَتَانِ لِمَنْ أُمِرْ.

أَيْ: بِالتَّكَالِيفِ، وَلَا تَصِحُّ قِرَاءَتُهَا.

(**لِمَنْ أُمِرْ**)؛ لِأَنَّ الآمِرَ هُوَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ.

وَهْنَا مَسْأَلَةٌ عَقَدِيَّةٌ أَكَّدَهَا رَحِمَهُ اللهُ بِهَذِهِ المُؤَكِّدَاتِ:

(**وَأَعْلَمُ حَقًّا أَنَّ جَنَّةَ رَبِّنَا * وَنَارَ لَظَى مَخْلُوقَتَانِ لِمَنْ أُمِرْ**) يُرِيدُ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى بِأَنَّ مُعْتَقَدَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ: أَنَّ الجَنَّةَ وَالنَّارَ مَخْلُوقَتَانِ، وَهَذَا هُوَ الأَصْلُ، أَنَّهُمَا مَخْلُوقَتَانِ مَوْجُودَتَانِ لَا تَفْنَيَانِ، وَهُوَ لَمْ يَذْكُرْ هَذَا كُلَّهُ، لَكِنْ فِي قَوْلِهِ: (**مَخْلُوقَتَانِ**) مَا يُشْعِرُ بِأَنَّهُمَا بَاقِيَتَانِ.

وَهَذِهِ المَسْأَلَةُ رَدٌّ عَلَى بَعْضِ الفِرَقِ الَّتِي خَالَفَتِ النُّصُوصَ الشَّرْعِيَّةَ، وَخَالَفَتْ مَنْحَى أَهْلِ السُّنَّةِ الجَمَاعَةِ، وَقَالُوا: إِنَّ الجَنَّةَ وَالنَّارَ لَمْ تُخْلَقَا بَعْدُ. وَلَكِنْ لِمَ هَذَا التَّحَرُّزُ؟ وَمَا الَّذِي دَعَاهُمْ إِلَى هَذَا القَوْلِ؟ دَعَاهُمْ إِلَى هَذَا أَنَّ خَلْقَهُمَا وَبَقَاءَهُمَا عَبَثٌ! ﴿**سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا**﴾[٢٨٦].

فَفِي زَعْمِهِمْ يَقُولُونَ: لَوْ خُلِقَتُ الجَنَّةُ وَالنَّارُ وَبَقِيَتَا مُعَطَّلَتَيْنِ فَهَذَا عَبَثٌ؛ إِذَنْ فَهُمَا لَمْ تُخْلَقَا بَعْدَ! فَفِي هَذَا القَوْلِ وَقَعُوا فِي تَشْبِيهِ أَفْعَالِ الخَالِقِ بِأَفْعَالِ المَخْلُوقِ، وَهَذَا مَزْلَقٌ عَقَدِيٌّ خَطِيرٌ، وَكُلُّ مَنْ خَالَفَ النُّصُوصَ وَاسْتَحْسَنَ

(٢٨٦) سورة الإسراء: ٤٣.

أَشْيَاءَ بِعَقْلِهِ، فَإِنَّمَا يَقُودُ نَفْسَهُ مِنْ مَهْلَكَةٍ إِلَى أُخْرَى؛ وَلِهَذَا فَأَهْلُ السُّنَّةِ الجَمَاعَةِ إِذَا قَرَأْتَ مُعْتَقَدَهُمْ وَتَقْرِيرَاتِهِمْ عَلَيْهِمْ رَحْمَةُ اللهِ تَجِدَ الرَّاحَةَ النَّفْسِيَّةَ، وَالطُّمَأْنِينَةَ القَلْبِيَّةَ، وَالقَنَاعَةَ، وَعَدَمَ التَّنَاقُضِ وَالشَّكِّ وَالرِّيبَةَ.

أَمَّا إِذَا قَرَأْتَ أَخْبَارَ المُخَالِفِينَ، فَإِنَّهُمْ بِأَنْفُسِهِمْ يَعْتَرِفُونَ بِالتَّذَبْذُبِ وَالحَيْرَةِ وَالشَّكِّ وَالتَّنَاقُضِ، حَتَّى إِنَّنِي قَرَأْتُ أَنَّ عَشْرَةً مِنْ أَهْلِ الاعْتِزَالِ تُنَاظَرُوا فِي مَسَائِلِ الإِيمَانِ، وَخَرَجُوا وَقَدْ كَفَّرَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا! بَيْنَمَا أَهْلُ السُّنَّةِ فِي شَرْقِ الأَرْضِ وَغَرْبِهَا وَشِمَالِهَا وَجَنُوبِهَا وَوَسَطِهَا تَجِدُ الاتِّفَاقَ وَالمُطَابَقَةَ فِي القَوْلِ وَالاعْتِقَادِ، وَلَوِ اخْتَلَفَتْ أَلْفَاظُهُمْ فَإِنَّ مُؤَدَّى أَلْفَاظِهِمْ وَاحِدٌ.

يَقُولُ أَهْلُ السُّنَّةِ: الجَنَّةُ وَالنَّارُ مَخْلُوقَتَانِ. وَلله أَنْ يُفْعَلَ مَا يَشَاءُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿**وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ**﴾[٢٨٧].

وَخَلَقَهُمَا لِحِكْمَةٍ، هَذِهِ الحِكْمَةُ قَدْ تُعْلَمُ عِنْدَ قَوْمٍ، وَقَدْ تُجْهَلُ عِنْدَ آخَرِينَ، لَكِنَّ المُخَالِفِينَ لِأَهْلِ السُّنَّةِ قَطَعُوا المَسْأَلَةَ وَقَالُوا: لَمْ تُخْلَقْ لَا الجَنَّةُ وَلَا النَّارُ؛ فَخَلْقُهُمَا وَبَقَاؤُهُمَا مُعَطَّلَتَانِ الأَزْمَانَ المُمْتَدَّةَ الطَّوِيلَةَ نَوْعٌ مِنَ العَبَثِ! وَهَذَا فِيهِ تَعْطِيلٌ لِلنُّصُوصِ، وَاتِّهَامٌ للهِ، وَتَنَقُّصٌ لِأَحْكَامِ اللهِ، وَلَا شَكَّ أَنَّ هَذَا انْحِرَافٌ وَضَلَالٌ.

وَقَدْ جَاءَتِ الآيَاتُ -أَوْ كَمَا قَالَ أَهْلُ العِلْمِ- جَاءَتِ النُّصُوصُ الشَّرْعِيَّةُ، تُؤَكِّدُ عَلَى هَذَا الأَمْرِ: أَنَّ الجَنَّةَ النَّارَ مَخْلُوقَتَانِ مَوْجُودَتَانِ بَاقِيَتَانِ.

أَمَا إِنَّهُمَا مَخْلُوقَتَانِ الآنَ، فَالنُّصُوصُ كَثِيرَةٌ، مِنْهَا قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿**أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ**﴾[٢٨٨]. أَيْ: تَهَيَّأَتِ الجَنَّةُ. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿**أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ**﴾[٢٨٩]. أَيْ: النَّارُ. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿**فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ**﴾[٢٩٠]. فَهَذَا الشَّيْءُ مَوْجُودٌ لَكِنَّهُ خَفِيٌّ فِي الدُّنْيَا.

وَالأَحَادِيثُ الكَثِيرَةُ: كَقَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**اطَّلَعْتُ فِي الجَنَّةِ، فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا الفُقَرَاءَ وَالمَسَاكِينَ، وَاطَّلَعْتُ فِي النَّارِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ**»[٢٩١]. وَكَذَا قَوْلُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**رَأَيْتُ عَمْرَو بْنَ لُحَيٍّ يَجُرُّ قُصْبَهُ**

---

(٢٨٧) سورة القصص: ٦٨.

(٢٨٨) سورة آل عمران: ١٣٣.

(٢٨٩) سورة البقرة: ٢٤.

(٢٩٠) سورة السجدة: ١٧.

(٢٩١) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق- باب فضل الفقر (٦٤٤٩)، من حديث عمران بن الحصين رضي الله عنه، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار- باب أكثر أهل الجنة الفقراء وأكثر أهل النار النساء (٢٧٣٧)، من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

فِي النَّارِ»[٢٩٢]. وَكَذَا قَوْلُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «دَخَلَتِ النَّارَ امْرَأَةٌ فِي هِرَّةٍ»[٢٩٣]. وَكَذَا قَوْلُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «اشْتَكَتِ النَّارُ إِلَى رَبِّهَا، فَقَالَتْ: يَا رَبِّ أَكَلَ بَعْضِي بَعْضًا، فَأَذِنَ اللهُ لَهَا بِنَفَسٍ»[٢٩٤]. فَاشْتَكَتِ النَّارُ فَهِيَ مَخْلُوقَةٌ مَوْجُودَةٌ، وَكَذَا قَوْلُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «إِذَا اشْتَدَّ الحَرُّ فَأَبْرِدُوا بِالظُّهْرِ؛ فَإِنَّ شِدَّةَ الحَرِّ مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ»[٢٩٥]. وَفِي الخَبَرِ السَّابِقِ: «فَشِدَّةُ مَا تَجِدُونَ مِنَ البَرْدِ مِنْ زَمْهَرِيرِهَا، وَشِدَّةُ مَا تَجِدُونَ مِنَ الحَرِّ مِنْ سَمُومِهَا»[٢٩٦]. وَهَذَا شَيْءٌ مَحْسُوسٌ.

فَهَذِهِ أَدِلَّةٌ صَرِيحَةٌ صَحِيحَةٌ مِنَ السُّنَّةِ عَلَى أَنَّ الجَنَّةَ وَالنَّارَ مَخْلُوقَتَانِ مَوْجُودَتَانِ. وَلَكِنَّ العَقْلَ إِذَا خَاضَ وَابْتَعَدَ عَنْ دَائِرَةِ النَّقْلِ، ضَلَّ بِصَاحِبِهِ.

قَرَأْتُ -فِيمَا أَذْكُرُ- فِي «مُسْتَدْرَكِ الحَاكِمِ[٢٩٧]» حَدِيثًا، أَظُنُّ صَحَّحَهُ الحَاكِمُ وَوَافَقَهُ الذَّهَبِيُّ: أَنَّ حَبْرًا مِنْ أَحْبَارِ اليَهُودِ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، جَنَّةٌ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ! فَأَيْنَ النَّارُ؟! فَهَذَا أَرَادَ شُبْهَةً. فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ

---

(٢٩٢) أخرجه البخاري في كتاب المناقب- باب قصة خزاعة (٣٥٢١)، ومسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها- باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء (٢٨٥٦)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢٩٣) أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق- باب خمس من الدواب فواسق يقلتن في الحرم (٣٣١٨)، ومسلم في كتاب التوبة- باب في سعة رحمة الله وأنها سبقت غضبه (٢٦١٩)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢٩٤) أخرجه البخاري في كتاب مواقيت الصلاة- باب الإبراد بالظهر في شدة الحر (٥٣٧)، ومسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة- باب استحباب الإبراد بالظهر في شدة الحر (٦١٧)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢٩٥) أخرجه البخاري في كتاب مواقيت الصلاة- باب الإبراد بالظهر في شدة الحر (٥٣٤)، ومسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة- باب استحباب الإبراد بالظهر في شدة الحر... (٦١٥)، وابن ماجه في كتاب الزهد- باب صفة النار (٤٣١٩)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢٩٦) ما قبله واللفظ لابن ماجه.

(٢٩٧) هو: الإمام الحافظ، الناقد العلامة، شيخ المحدثين، محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم، أبو عبد الله بن البيع الضبي الطهماني النيسابوري، الشافعي، صاحب المستدرك. مولده في يوم الاثنين ثالث شهر ربيع الأول، سنة إحدى وعشرين وثلاث مئة بنيسابور. وطلب العلم في صغره بعناية والده وخاله، وأول سماعه كان في سنة ثلاثين وثلاث مئة، وقد استملى على أبي حاتم ابن حبان في سنة أربع وثلاثين وثلاث مئة وهو ابن ثلاث عشرة سنة. توفي في سنة ثلاث وأربع مئة. انظر: سير أعلام النبلاء (١٧/ ١٦٢ ترجمة ١٠٠)، وطبقات الشافعية الكبرى (٤/ ١٥٥ ترجمة ٣٢٩).

كَمَا صَحَّ فِي الحَدِيثِ: «**يَا حَبْرُ، إِذَا جَاءَ اللَّيْلُ، أَيْنَ يَذْهَبُ النَّهَارُ؟**». قَالَ: يَفْعَلُ اللهُ مَا يَشَاءُ. قَالَ: «**كَذَلِكَ: يَفْعَلُ اللهُ مَا يَشَاءُ**».

فَهَكَذَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ المَبْدَأُ، وَأَنْ يَكُونَ لِسَانُ الحَالِ وَالمَقَالِ: ﴿**سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ المَصِيرُ**﴾[٢٩٨].

بِقُلُوبِنَا وَالسِنَتِنَا. أَمَّا الخَوْضُ بِالعَقْلِ فِي المَسَائِلِ الشَّرْعِيَّةِ العَقَدِيَّةِ وَغَيْرِ العَقَدِيَّةِ -لَكِنِ العَقَدِيَّةُ مِنْ بَابِ أَنَّهَا الأَصْلُ- يَقُودُ صَاحِبَهُ إِلَى الهَلَاكِ إِذَا لَمْ يَكُنِ العَقْلُ مَزْمُومًا بِزِمَامِ الدِّرَايَةِ وَالرِّوَايَةِ وَالوَرَعِ. وَلِهَذَا ذَكَرَ شَيْخُ الإِسْلَامِ فِي كِتَابِ «النُّبُوَّاتِ» أَنَّ بَعْضَهُمْ قَالَ: لِمَاذَا لَمْ يُؤْمِنِ الفَلَاسِفَةُ -أَرِسْطُو وَأَفْلَاطُونُ- بِالأَنْبِيَاءِ، وَقَدْ كَانُوا مُعَاصِرِينَ لِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ كَمَا فِي قَوْلِ بَعْضِهِمْ؟ فَأَجَابَ بِجَوَابَيْنِ: إِمَّا لِأَنَّهُمْ لَمْ يَعْرِفُوا مِنَ أَخْبَارِ الأَنْبِيَاءِ إِلَّا المُجْمَلَاتِ، أَوْ لِأَنَّهُمْ حَقَّتْ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ؛ فَحَكَّمُوا عُقُولَهُمْ، وَلَمْ يَرْضُوا بِأَشْيَاءَ غَيْرَ مَا تَقْبَلُ عُقُولُهُمْ.

إِذَنِ الجَنَّةُ وَالنَّارُ مَخْلُوقَتَانِ، وَالجَنَّةُ سُمِّيَتْ جَنَّةً؛ لِأَنَّ الأَشْجَارَ إِذَا كَانَتْ مُثْمِرَةً وَتُخْفِي مَا وَرَاءَهَا يُقَالُ: جَنَّةٌ، مِنَ الخَفَاءِ. وَالجَنِينُ سُمِّيَ جَنِينًا؛ لِاجْتِنَانِهِ وَاخْتِفَائِهِ فِي بَطْنِ أُمِّهِ. وَسَبَبُ تَسْمِيَةِ الجِنِّ؛ لِاجْتِنَانِهِمْ وَاخْتِفَائِهِمْ عَنْ أَعْيُنِ النَّاسِ فَلَا يَرَوْنَهُمْ.

وَمَسْأَلَةُ خَلْقِ الجَنَّةِ وَالنَّارِ صُنِّفَتْ فِيهَا مُصَنَّفَاتٍ فِي بَقَائِهِمَا وَعَدَمِ فَنَائِهِمَا؛ لِأَنَّهُ جَاءَ عَنْ بَعْضِ أَهْلِ العِلْمِ أَنَّ النَّارَ تَفْنَى، وَقِيلَ: الكَلَامُ الَّذِي نُقِلَ عَنْ بَعْضِ أَهْلِ العِلْمِ فِيهِ إِجْمَالٌ فِي مَوْضِعٍ، وَتَفْصِيلٌ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ، وَإِذَا أُخِذَ المُفَصَّلُ وَالمُجْمَلُ زَالَ الإِشْكَالُ.

فَبَعْضُهُمْ يَقُولُ: الجَنَّةُ بَاقِيَةٌ لَا تَفْنَى. وَهَذَا لَا إِشْكَالَ فِيهِ، وَأَمَّا النَّارُ فَهُنَاكَ مَنْ يَقُولُ: فِيهَا دَرَكَاتٌ تَفْنَى، وَتَبْقَى دَرَكَاتٌ. فَعُصَاةُ المُوَحِّدِينَ يَخْرُجُونَ مِنَ النَّارِ، وَيَبْقَى فِيهَا مَنْ حَكَمَ عَلَيْهِ القُرْآنُ بِالخُلُودِ، وَهَذِهِ طَبَقَةٌ لَا تَفْنَى، وَأَمَّا طَبَقَةُ عُصَاةِ المُوَحِّدِينَ فَتَفْنَى. قَالَ بَعْضُ أَهْلِ العِلْمِ: هَذَا الجَمْعُ بَيْنَ مَنْ قَالَ بِفَنَاءِ النَّارِ فِي مَوْضِعٍ، وَعَدَمِ فَنَائِهَا فِي مَوْضِعٍ.

وَالمُعْتَمَدُ: أَنَّ الجَنَّةَ وَالنَّارَ بَاقِيَتَانِ مَخْلُوقَتَانِ لَا تَفْنَيَانِ، وَاللهُ تَعَالَى يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ.

---

(٢٩٨) سورة البقرة: ٢٨٥.

وَمِنْ ثِمَارِ اعْتِقَادِ أَنَّ الجَنَّةَ وَالنَّارَ مَخْلُوقَتَانِ الآنَ -كَمَا يَقُولُ السُّنَّةُ: يَسْتَشْعِرُ وَيُحِسُّ وَيُعْرِفُ الإِنْسَانُ أَنَّ هَذَا البَرَدُ مِنْ بَرَدِ النَّارِ، وَهَذَا الحَرُّ مِنْ حَرِّ النَّارِ، فَيَزْدَادُ حَذَرًا وَخَوْفًا مِنَ المَعَاصِي وَسُوءِ الخَاتِمَةِ، وَفِي المُقَابِلِ: إِذَا عَرَفَ أَنَّ الجَنَّةَ قَرِينَةُ النَّارِ لِلْمُتَّقِينَ، وَأَنَّهَا مَوْجُودَةٌ بِنَعِيمِهَا، زَادَ طَمَعُهُ، وَزَادَ حُبُّهُ لِلْخَيْرِ، وَزَادَ فِعْلُهُ لِلطَّاعَاتِ وَالقُرُبَاتِ.

وَسُبْحَانَ اللهِ! فَتَأْخِيرُ صَلَاةِ الظُّهْرِ إِذَا اشْتَدَّ الحُرُّ لَهُ حِكْمَةٌ عَظِيمَةٌ. قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فَأَبْرِدُوا بِالظُّهْرِ**»[٢٩٩]. وَيَتَسَاءَلُ النَّاسُ: لِمَاذَا نُؤَخِّرُ الصَّلَاةَ؟ يُقَالُ: لِأَنَّ هَذَا الحَرُّ مِنْ حَرِّ النَّارِ، وَتَذَكَّرَ الآيَةَ: ﴿**قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ**﴾[٣٠٠]. فَهَذَا الحُرُّ اليَسِيرُ الَّذِي يَتَضَايَقُ النَّاسُ مِنْهُ، وَيَدْفَعُونَهُ بِوَسَائِلِ التَّكْيِيفِ المُتَنَوِّعَةِ، وَبِلِبَاسٍ وَطَعَامٍ وَشَرَابِ الصَّيْفِ، وَكُلُّهُ لِاتِّقَاءِ حَرٍّ يَسِيرٍ مِنْ حَرِّ النَّارِ، وَأَنَّ هَذَا شَيْءٌ يَسِيرٌ مِنْ حَرِّ النَّارِ، فَكَيْفَ بِحَرِّ النَّارِ الأَعْظَمِ؟! فَإِذَا تَذَكَّرَ هَذَا زَادَ حُبُّهُ لِلطَّاعَاتِ، وَخَوْفُهُ وَإِدْبَارُهُ عَنِ السَّيِّئَاتِ.

(وَأَعْرِفُ إِيمَانًا يَزِيدُ بِطَاعَةٍ * وَيَنْقُصُ بِالعِصْيَانِ، لَا قَوْلَ مَنْ فَجَّرْ)**

(أَعْرِفُ) وَ**(أُصَدِّقُ)** كُلُّهَا تَقَارِيرُ عَقَدِيَّةٌ مِنْ بَابِ التَّصْدِيقِ وَاليَقِينِ.

(إِيمَانًا يَزِيدُ بِطَاعَةٍ، وَيَنْقُصُ بِالعِصْيَانِ)، هَذَا مُعْتَقَدُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ، ثُمَّ بَيَّنَ أَنَّ مَنْ خَالَفَهُمْ فَهُمْ ضُلَالٌ.

(لَا قَوْلَ مَنْ فَجَّرْ). وَالإِيمَانُ عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ الجَمَاعَةِ يَزِيدُ بِالطَّاعَةِ وَيَنْقُصُ بِالمَعْصِيَةِ؛ خِلَافًا لِمَنْ قَالَ: الإِيمَانُ كُتْلَةٌ وَاحِدَةٌ، لَا يَزِيدُ وَلَا يَنْقُصُ، وَالنَّاسُ سَوَاءٌ فِيهِ. وَهَذَا عَيْنُ الضَّلَالِ، فَإِيمَانُ الفَاسِقِ الفَاجِرِ كَإِيمَانِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ! وَهَذَا لَا يَقُولُهُ إِلَّا مَنْ عَمِيَتْ بَصِيرَتُهُ عَنِ النُّصُوصِ.

فَالإِيمَانُ يَزِيدُ بِالطَّاعَةِ وَيَنْقُصُ بِالمَعْصِيَةِ، وَأَنْتَ تَلْحَظُ هَذَا فِي نَفْسِكَ، وَتَشْعُرُ بِهَذَا فِي عَمَلِ الطَّاعَاتِ وَحُبِّ الخَيْرِ، فَتَشْعُرُ بِالرَّاحَةِ وَزِيَادَةِ الإِيمَانِ، بَيْنَمَا فِي عَمَلِ السَّيِّئَاتِ وَالبُعْدِ تَشْعُرُ بِضَعْفِ الوَازِعِ الشَّرْعِيِّ، وَهَذَا مَحْسُوسٌ عِنْدَ كُلِّ أَحَدٍ.

يُلَاحَظُ حَتَّى فِي الأُكُلِ، فَإِذَا جَاعَ الإِنْسَانُ فَأَكَلَ شَعَرَ بِرَاحَةٍ بَدَنِيَّةٍ، وَإِذَا عَطِشَ فَشَرِبَ شَعَرَ بِرَاحَةٍ بَدَنِيَّةٍ، فَإِذَا قَلَّ أَوْ فُقِدَ أَوْ ذَهَبَ الطَّعَامُ، أَوْ غَلَا سِعْرُهُ، وَكَذَلِكَ الشَّرَابُ، فَإِنَّهُ يَبْدَأُ فِي الضَّعْفِ وَالخَوَرِ حَتَّى يَهْلَكَ، كَذَلِكَ الإِيمَانُ؛ فَكُلَّمَا عَمِلَ الإِنْسَانُ خَيْرًا: صَدَقَةً أَوْ طَاعَةً أَوْ بِرًّا... ازْدَادَ إِيمَانُهُ، فَهُوَ شُعْبٌ، وَكُلَّمَا تَرَكَهُ قَلَّ، حَتَّى فِي القَلْبِ.

---

(٢٩٩) تقدم تخريجه.

(٣٠٠) سورة البقرة: ٨١.

وَيَقُولُ البَعْضُ: القَلْبُ لَا يَتَفَاضَلُ، لَكِنْ لَاحِظْ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿**قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي**﴾[٣٠١].

وَمِنْ أَعْجَبِ مَا قَرَأْتُ: مَا ذَكَرَهُ القُرْطُبِيُّ أَنَّ بَعْضَ المُتَصَوِّفَةِ يَقُولُونَ: لَيْسَ القَلْبُ هُنَا قَلْبَ إِبْرَاهِيمَ، وَلَكِنْ لَهُ صَاحِبٌ اسْمُهُ «قَلْبِي»، فَخَشِيَ أَنْ يَشُكَّ المِسْكِينُ، فَقَالَ: ﴿**قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي**﴾! فَانْظُرْ كَيْفَ تَلَاعَبُوا بِالآيَةِ؟! وَلِتَعْلَمَ: لَيْسَ الخَبَرُ كَالمُعَايَنَةِ. قَالَ الشَّاعِرُ:

يَا ابْنَ الكِرَامِ أَلَا تَدْنُو فَتُبْصِرْنَا ❊❊❊ قَدْ حَدَّثُوكَ فَمَا رَأَى كَمَنْ سَمِعَ

وَقِيلَ عَنْ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ:

وَلَكِنْ لِلْعِيَانِ لَطِيفُ مَعْنًى ❊❊❊ مِنْ أَجْلِهِ سَأَلَ المُعَايَنَةَ الكَلِيمُ

وَخَيْرٌ مِنْ قَوْلِ الشَّاعِرِ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَيْسَ الخَبَرُ كَالمُعَايَنَةِ**»[٣٠٢]. فَالقَلْبُ يَزِيدُ بِقُوَّةِ البَرَاهِينِ وَالآيَاتِ، وَلَوْ قَالَ قَائِلٌ: هَذِهِ شَهَادَةُ نَجَاحِكَ يَا فُلَانُ، وَمَكْتُوبٌ فِيهَا: فُلَانٌ بْنُ فُلَانٍ بْنِ فُلَانٍ نَاجِحٌ، وَالدَّرَجَاتُ كَذَا. ثُمَّ قَالَ لَهُ: مَبْرُوكٌ. ثُمَّ أَخَذَ الشَّهَادَةَ وَأَرْجَعَهَا إِلَى الكُلِّيَّةِ. فَصَاحِبُ الشَّهَادَةِ سَيَقُولُ: أَعْطِنِي الشَّهَادَةَ. فَسَيَقُولُ: أَتَشُكُّ فِي كَلَامِي؟! تَعَالَ اقْرَأْ مَعِي يَا فُلَانُ. فَيَقْرَأُهَا كُلُّ الطُّلَّابِ وَكُلُّ إِخْوَانِهِ، فَهَلْ يَكْتَفِي بِهَذَا الشَّيْءِ؟ لَا يَكْتَفِي. فَهَلْ هُوَ مُكَذِّبٌ لَهُمْ؟ لَيْسَ بِمُكَذِّبٍ! لَكِنَّهُ أَرَادَ أَنْ يَقْرَأَهَا لِيَزْدَادَ هُوَ. يَقُولُ: أَنَا لَا أَشُكُّ فِي وَاحِدٍ مِنْكُمْ، وَلَكِنْ أُرِيدُ أَنْ أُقِرَّ بِرُؤْيَتِهَا بِعَيْنِي.

إِذَنِ الإِيمَانُ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ، وَهُوَ عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ: قَوْلٌ بِاللِّسَانِ، وَعَمَلٌ بِالأَرْكَانِ. وَعِنْدَ بَعْضِهِمْ: قَوْلٌ وَعَمَلٌ وَاعْتِقَادٌ. يَقُولُ شَيْخُ الإِسْلَامِ: تَغَايُرُ الأَلْفَاظِ يُؤَدِّي إِلَى مَعْنًى وَاحِدٍ. وَلَكِنَّ بَعْضَهُمْ يُجْمِلُ، وَبَعْضُهُمْ يُفَصِّلُ، فَيَقُولُ: الإِيمَانُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ؛ قَوْلُ اللِّسَانِ وَقَوْلُ القَلْبِ -وَهُوَ: الاعْتِقَادُ الجَازِمُ- وَالعَمَلُ: عَمَلُ الجَوَارِحِ، وَعَمَلُ القَلْبِ. وَلِهَذَا بَعْضُهُمْ يُفَصِّلُ وَيَقُولُ: الإِيمَانُ: اعْتِقَادٌ بِالجَنَانِ، وَقَوْلٌ بِاللِّسَانِ، وَعَمَلٌ بِالجَوَارِحِ وَالأَرْكَانِ.

---

(٣٠١) سورة البقرة: ٢٦٠.

(٣٠٢) أخرجه أحمد في «مسنده» (١/ ٢١٥، ٢٧١)، قال شعيب الأرنؤوط: «صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين».

وَمِنَ اللَّطَائِفِ فِي تَعْرِيفِ الإِيمَانِ: وَجَدْتُ أَنَّ بَعْضَهُمْ يَقُولُ: النُّونَاتُ عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ خَمْسُ نُونَاتٍ: اعْتِقَادٌ بِالجَنَانِ، وَقَوْلٌ بِاللِّسَانِ، وَعَمَلٌ بِالجَوَارِحِ وَالأَرْكَانِ، يَزِيدُ بِطَاعَةِ الرَّحْمَنِ، وَيَنْقُصُ بِطَاعَةِ الشَّيْطَانِ. وَأَشَارَ لِهَذَا بَعْضُ أَهْلِ العِلْمِ أَظُنُّهُ الشَّيْخ حَمَّادًا الأَنْصَارِيَّ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى[٣٠٣].

أَمَّا الأَدِلَّةُ عَلَى زِيَادَةِ الإِيمَانِ: فَكَثِيرَةٌ فِي القُرْآنِ الكَرِيمِ، فَفِيهِ آيَاتٌ بِنَصِّ الزِّيَادَةِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿**وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا**﴾[٣٠٤] [. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿**لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ**﴾[٣٠٥]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿**وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا**﴾[٣٠٦]. وَكُلُّ مَا قَبِلَ الزِّيَادَةَ فَهُوَ يَقْبَلُ النُّقْصَانَ، وَشُعَبُ الإِيمَانِ كَثِيرَةٌ؛ فَمَنْ فَعَلَ شُعْبَتَيْنِ مِنَ الشُّعَبِ يَخْتَلِفُ عَمَّنْ فَعَلَ وَاحِدَةً، فَهُوَ أَكْثَرُ إِيمَانًا، وَمَنْ فَعَلَ عَشَرًا فَهُوَ أَفْضَلُ مِمَّنْ فَعَلَ تِسْعَةً... إِلَخْ.

وَقَدْ ذَكَرَ بَعْضُهُمْ أَسْبَابَ زِيَادَةِ الإِيمَانِ، وَحَصَرَهَا فِي أَرْبَعَةٍ، وَهَذَا الحَصْرُ مِنْ بَابِ الإِجْمَالِ، فَقَالَ:

مِنْ أَسْبَابِ زِيَادَةِ الإِيمَانِ: مَعْرِفَةُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ: فَكُلَّمَا عَرَفَ الإِنْسَانُ رَبَّهُ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، وَدَعَا اللهَ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، وَتَوَسَّلَ بِهَا وَعَمِلَ بِمُقْتَضَاهَا، زَادَهُ ذَلِكَ وَرَفَعَهُ دَرَجَاتٍ كَثِيرَةً.

وَمِنْ أَسْبَابِ زِيَادَةِ الإِيمَانِ: النَّظَرُ فِي آيَاتِ اللهِ الكَوْنِيَّةِ، فَقَدْ أَمَرَنَا اللهُ بِالنَّظَرِ فِي آيَاتِهِ كَثِيرًا، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿**أَفَلَا يَنْظُرُونَ**﴾[٣٠٧]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿**فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُرُوا**﴾[٣٠٨]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿**أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ**﴾[٣٠٩]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿**لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ**﴾[٣١٠]... فَالنَّظَرُ فِي الآيَاتِ الكَوْنِيَّةِ الكَثِيرَةِ تَزِيدُ العَبْدَ إِيمَانًا، فَإِذَا رَأَى الإِنْسَانُ الشَّمْسَ -هَذَا

(٣٠٣) هو: الشيخ حماد بن محمد الأنصاري الخزرجي السعدي -نسبة إلى سعد بن عبادة- الصحابي الجليل-. ولد سنة ثلاث وأربعين وثلاث مئة وألف ببلدة يقال لها: (تاد مكة) في مالي بأفريقيا. كانت علامات النجابة بادية عليه منذ الصغر. خرج من بلده مهاجرا بسبب الاستعمار الفرنسي، وتوجه إلى بلاد الحرمين. برع في العلم حتى سُمح له بالتدريس في المسجد الحرام. تتلمذ على يديه كبار أهل العلم المعاصرين؛ كابن جبرين، وبكر أبو زيد -رحمهما الله-. توفي يوم الأربعاء الحادي والعشرين من رجب سنة ثمان عشرة وأربع مئة وألف. انظر: علماء ومفكرون عرفتهم (١/ ٤٩ ترجمة ٣).

(٣٠٤) سورة المدثر: ٣١.

(٣٠٥) سورة الفتح: ٤.

(٣٠٦) سورة الأنفال: ٢.

(٣٠٧) سورة الغاشية: ١٧.

(٣٠٨) سورة آل عمران: ١٣٧.

(٣٠٩) سورة الأنعام: ٨٠.

(٣١٠) سورة الأعراف: ٥٧.

الكَوْكَبُ العَظِيمُ- تُشْرِقُ وَتَغِيبُ، وَهَذَا القَمَرَ، وَتِلْكَ البِحَارَ الَّتِي أَمْسَكَهَا الله، وَلَوْ سَاحَتْ لَأَهْلَكَتِ النَّاسَ، وَهَذِهِ الجِبَالُ كَالأَوْتَادِ لِلْأَرْضِ، وَهَذِهِ النُّجُومُ الهَائِلَةُ العَظِيمَةُ، وَهَذِهِ الكَوَاكِبُ فِي الكَوْنِ، وَ﴿**كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ**﴾(٣١١). ﴿**اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ**﴾(٣١٢).

وَلِهَذَا فَبَعْضُ أَطِبَّاءِ الغَرْبِ وَبَعْضُ المَلَاحِدَةِ مِمَّنْ دَرَسَ الفُلْكَ أَسْلَمُوا، وَعَلِمُوا أَنَّ الطَّبِيعَةَ لَا يُمْكِنُ أَنْ تَتَصَرَّفَ بِنَفْسِهَا، وَكَذَلِكَ عُلَمَاءُ التَّشْرِيحِ لَمَّا رَأَوا خَلْقَ الإِنْسَانِ بِهَذِهِ الكَيْفِيَّةِ، مِنَ الأَعْصَابِ وَالعِظَامِ وَاللَّحْمِ وَالعُرُوقِ وَالشَّرَايِينَ... وَكُلُّهَا بِنِظَامٍ دَقِيقٍ لَا يُمْكِنُ أَنْ يُوجَدَ عَبَثًا، أَسْلَمَ كُثْرٌ.

وَكَمْ سَمِعْنَا بَيْنَ فَيْنَةٍ وَأُخْرَى عَنْ إِسْلَامِ طَبِيبٍ، أَوْ إِسْلَامِ مُهَنْدِسٍ، أَوْ إِسْلَامِ جَرَّاحٍ، أَوْ إِسْلَامِ فَلَكِيٍّ... لِأَنَّهُ مَهْمَا بَلَغَ فِي ضَلَالِهِ، فَفِي الغَالِبِ أَنَّ الإِنْسَانَ إِذَا أَرَادَ اللهُ بِهِ خَيْرًا، ثُمَّ رَأَى تِلْكَ الآيَاتِ العَظِيمَةَ فَإِنَّهُ يَرْجِعُ إِلَى دَائِرَةِ الحَقِّ وَالصَّوَابِ.

وَمِنْ أَسْبَابِ زِيَادَةِ الإِيمَانِ: النَّظَرُ فِي أَحْكَامِ الله الشَّرْعِيَّةِ، وَمَا جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ فِي شَرِيعَتِنَا، مَا حُرِّمَ عَلَيْنَا، وَمَا أُبِيحَ لَنَا، وَمَا أُمِرْنَا بِهِ، وَمَا نُهِينَا عَنْهُ، فَتَجِدُ التَّكَامُلَ الحِسِّيَّ وَالمَعْنَوِيَّ. وَلَاحِظْ مَا حُرِّمَ عَلَيْنَا مِنَ المَأْكَلِ وَالمَشْرَبِ تَجِدُ أَنَّ فِيهِ صَلَاحًا لِلْعُقُولِ وَالأَبْدَانِ، وَلَاحِظْ مَا نُهِينَا عَنْهُ.. فَكُلُّ مَا أُمِرْنَا بِهِ فِيهِ صَلَاحٌ وَسَدَادٌ ،بِخِلَافِ مَا نُهِينَا عَنْهُ.

وَمِنْ أَسْبَابِ زِيَادَةِ الإِيمَانِ: كَثْرَةُ الطَّاعَاتِ وَتَرْكُ المَعَاصِي وَالخَطِيئَاتِ، وَأَعْظَمُ ذَلِكَ: طَلَبُ العِلْمِ بِنِيَّةٍ صَادِقَةٍ، وَالعَمَلُ بِنِيَّةٍ صَادِقَةٍ؛ وَلِهَذَا فَأَكْثَرُ النَّاسِ وَأَقْوَى النَّاسِ إِيمَانًا هُمُ العُلَمَاءُ، فَهُمْ أَكْثَرُ النَّاسِ خَشْيَةً لله؛ لِأَنَّهُمْ أَعْلَمُ النَّاسِ بِاللهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿**إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ العُلَمَاءُ**﴾(٣١٣). قَالَ الحَسَنُ البَصْرِيُّ(٣١٤): العِلْمُ خَشْيَةٌ، وَكُلَّمَا زَادَ عِلْمُ الإِنْسَانِ قَوِيَ إِيمَانُهُ.

---

(٣١١) سورة الأنبياء: ٣٣.

(٣١٢) سورة الزمر: ٦٢.

(٣١٣) سورة فاطر: ٢٨.

(٣١٤) هو: الحسن بن أبي الحسن يسار، أبو سعيد البصري، مولى زيد بن ثابت الأنصاري، ويقال: مولى أبي اليسر كعب بن عمرو السلمي. ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر. كانت أمه مولاة لأم سلمة أم المؤمنين المخزومية، وكانت تبعث أم الحسن في الحاجة فيبكي وهو صبي فتسكته بثديها. ويقال: كان مولى جميل بن قطبة. قال ابن حجر في التقريب: ثقة فقيه فاضل مشهور وكان يرسل كثيرا ويدلس. مات سنة عشر ومئة، وهو ابن نحو من ثمان وثمانين سنة. انظر: تهذيب الكمال (٦/ ٩٥ ترجمة ١٢١٦)، والسير (٤/ ٥٦٣ ترجمة ٢٢٣).

وَأَسْبَابُ نَقْصِ وَذَهَابِ الإِيمَانِ عَكْسُ هَذِهِ؛ وَلِهَذَا لَاحِظْ أَنَّ صَاحِبَ الإِيمَانَ إِذَا فَعَلَ مَعْصِيَةً يَكُونُ أَسْرَعَ تَنَبُّهًا وَتَيَقُّظًا لِنَفْسِهِ مِمَّنْ أَوْحَلَ فِي المَعَاصِي وَالخَطِيئَاتِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ**﴾[٣١٥]. فَإِذَا هُمْ مِثْلُ النَّائِمِ إِذَا أَهْرَقْتَ عَلَيْهِ المَاءَ، فَإِنَّهُ يَسْتَيْقِظُ فَزِعًا.

وَلَاحِظْ حَدِيثَ النَّفَرِ الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ دَخَلُوا الغَارَ؛ فَالأَوَّلُ جَلَسَ عَلَى المَرْأَةِ لَحَظَاتٍ، وَالحَرَامُ بَيْنَ يَدَيْهِ، لَكِنْ لَمَّا جَاءَهُ وَازِعُ الخَيْرِ، وَزَادَ إِيمَانُهُ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ أَقْلَعَ. وَالَّذِي أَخَذَ مَالَ الأَجِيرِ وَكَثُرَ مَالُهُ وَخَيْرَاتُهُ، فَلَمَّا طَالَبَهُ زَادَ إِيمَانُهُ بِاللهِ؛ فَرَدَّ المَالَ إِلَى صَاحِبِهِ..

(وَأُثْبِتُهُ بِالقَوْلِ وَالعَمَلِ الَّذِي * هُمَا سَبَبَانِ لِلنَّجَاةِ مِنَ الغَرَرْ)**

هَذَا تَأْكِيدٌ، وَأُثْبِتُهُ ثُبُوتًا دَائِمًا، فَتَشْعُرُ بِقُوَّةِ العِبَارَةِ، فَلَيْسَ مُجَرَّدَ إِثْبَاتٍ عَادِيٍّ.

(وَأُثْبِتُهُ بِالقَوْلِ وَالعَمَلِ الَّذِي * هُمَا سَبَبَانِ لِلنَّجَاةِ مِنَ الغَرَرْ)

. يُرِيدُ أَنْ يَقُولَ: إِنَّ الإِيمَانَ عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ قَوْلٌ وَعَمَلٌ. خِلَافًا لِلْمُرْجِئَةِ الَّذِينَ يَقُولُونَ: يَكْفِي فِي الإِيمَانِ مَنْ آمَنَ، فَإِيمَانُهُ كَإِيمَانِ جِبْرِيلَ! وَلَا فَرْقَ بَيْنَ إِيمَانِ العَاصِي وَالفَاجِرِ وَإِيمَانِ جِبْرِيلَ! وَبَعْضُهُمْ يَقُولُ: حَتَّى لَوْ لَمْ يَعْمَلْ، بَلْ يَكْفِي التَّصْدِيقُ، فَمُجَرَّدُ أَنَّهُ صَدَّقَ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، حَتَّى لَوْ لَمْ يَعْمَلْ! وَهَذَا عَيْنُ الضَّلَالِ.

أَلَيْسَ إِبْلِيسُ مُؤْمِنًا بِاللهِ، وَمُصَدِّقًا بِوُجُودِهِ، وَأَنَّ اللهَ خَالِقُهُ؟! أَلَمْ يَكُنْ فِرْعَوْنُ يَعْرِفُ أَنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ نَبِيٌّ؟ كَانَ يَعْرِفُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿**وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا**﴾[٣١٦]. فَعِنْدَهُ يَقِينٌ لَا شَكَّ؛ وَلِهَذَا قَالَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿**لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ بَصَائِرَ**﴾[٣١٧]. فَفِرْعَوْنُ لَيْسَ جَاهِلًا، وَكُفَّارُ قُرَيْشٍ كَانُوا يَعْلَمُونَ بِأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ الحَقُّ، وَعِنْدَ بَعْضِهِمْ عِلْمٌ، لَكِنِ الكِبْرُ وَالحَسَدُ هُوَ مَا دَفَعَهُمْ إِلَى ذَلِكَ.

إِذَنْ فَهَذَا القَوْلُ يَضْحَكُ مِنْهُ العُقَلَاءُ، حَتَّى إِنَّ هَؤُلَاءِ لَمْ يَقُولُوا: إِنَّنَا مُؤْمِنُونَ! فَفِرْعَوْنُ وَكُفَّارُ قُرَيْشٍ لَا يَرْضَوْنَ بِمُجَرَّدِ تَصْدِيقِهِمْ بِمُوسَى أَنْ تَقُولُوا أَنْتُمْ عَلَيْهِمْ: آمَنْتُمْ بِاللهِ. فَهُمُ الَّذِينَ فَعَلُوا هَذَا الفِعْلَ، وَيَشْهَدُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ، وَيَفْهَمُونَ أَنَّهُمْ كُفَّارٌ بِدَعْوَةِ مُوسَى لِفِرْعَوْنَ، وَكُفَّارٌ بِدَعْوَةِ مُحَمَّدٍ لِكُفَّارِ قُرَيْشٍ. بَيْنَمَا المُرْجِئَةُ الضُّلَالُ يَقُولُونَ: لَا أَنْتُمْ أَهْلُ إِيمَانٍ! أَرَأَيْتُمْ كَيْفَ التَّنَاقُضُ؟!

---

(٣١٥) سورة الأعراف: ٢٠١.

(٣١٦) سورة النمل: ١٤.

(٣١٧) سورة الإسراء: ١٠٢.

إِذَنِ القَوْلُ بِأَنَّ الإِيمَانَ مُجَرَّدُ التَّصْدِيقِ بِأَنَّ هَذَا نَبِيٌّ، هَذَا قَوْلٌ بَاطِلٌ لَا تَقْبَلُهُ العُقُولُ، فَضْلًا عَنِ النُّصُوصِ الشَّرْعِيَّةِ.

(**هُمَا سَبَبَانِ لِلنَّجَاةِ مِنَ الغَرَرْ**)، وَمَنْ خَالَفَ هَذَا القَوْلَ -أَنَّ الإِيمَانَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ- وَمَنِ اعْتَقَدَ خِلَافَهُ، فَقَدْ غَرَّ نَفْسَهُ وَضَرَّ بِهَا، وَلَا يَضُرُّ اللهُ شَيْئًا.

وَتُلَاحِظُ اضْطِرَابَ المُخَالِفِينَ لِأَهْلِ السُّنَّةِ؛ فَمَنْ فَعَلَ كَبِيرَةً عِنْدَ المُعْتَزِلَةِ فَهُوَ لَا فِي الجَنَّةِ وَلَا فِي النَّارِ، فَأَيْنَ يَذْهَبُ؟! قَالُوا: فِي مَنْزِلَةٍ بَيْنَ المَنْزِلَتَيْنِ. فَأَيْنَ قَوْلُ اللهِ تَعَالَى: ﴿**فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ**﴾[٣١٨] ؟! وَمِنْ أَيْنَ جَاءَتِ المَنْزِلَةُ الثَّالِثَةُ هَذِهِ؟! وَالخَوَارِجُ قَالُوا: هُوَ فِي النَّارِ؛ لِأَنَّهُ صَاحِبُ كَبِيرَةٍ، وَلَيْسَ لَهُ حَظٌّ مِنَ الشَّفَاعَةِ. وَلَكِنْ أَيْنَ شَفَاعَةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلْكَبَائِرِ؟! فَتُلَاحِظُ الاضْطِرَابَ وَالتَّنَاقُضَ.

وَهَذَا فَأَهْلُ الكَلَامِ -كَمَا قَرَأْتُمْ وَعَلِمْتُمْ- يَقَعُ بَعْضُهُمْ فِي الحَيْرَةِ، وَلَا يَهْنَأُ بِعَيْشٍ، وَلَا بِرَاحَةٍ نَفْسِيَّةٍ مِنَ التَّضَارُبِ وَالتَّنَاقُضِ، وَلَوْ سَلَكَ طَرِيقَ التَّسْلِيمِ وَالانْقِيَادِ لَارْتَاحَتْ نَفْسُهُ، وَلَمْ يَجِدْ فِي نَفْسِهِ حَرَجًا وَلَا ضِيقًا.

وَهَذَا كَانَ بَعْضُهُمْ -كَمَا جَاءَ فِي كُتُبِ المِلَلِ وَالنِّحَلِ- يَجْلِسُ عَلَى فِرَاشِهِ، وَيَتَقَلَّبُ يَمْنَةً وَيَسْرَةً حَتَّى يُصْبِحَ، فَسُئِلَ: مَا شَأْنُكَ؟ قَالَ: تَارَةً أُرَجِّحُ هَذَا، وَتَارَةً أُرَجِّحُ هَذَا.. أَيْ: يَسْتَحْسِنُ هَذَا القَوْلَ فَيَعْبُدُهُ، وَيُسْتَحْسِنُ هَذَا فَيَعْبُدُهُ.. وَهَكَذَا فِي حَيْرَةٍ، وَلَوْ جَعَلَ النَّصَّ -الآيَةَ وَالحَدِيثَ الصَّحِيحَ الصَّرِيحَ- قَائِدًا لَهُ، لَمَا احْتَاجَ إِلَى كُلِّ هَذَا، وَلَنَامَ قَرِيرَ العَيْنِ، وَاسْتَيْقَظَ قَرِيرَ العَيْنِ.

يَقُولُ شَيْخُ الإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ عَنْ هَؤُلَاءِ المَسَاكِينِ: إِذَا رَأَيْنَا أَهْلَ الضَّلَالِ بِعَيْنِ الشَّرْعِ نَكْرَهُهُمْ وَنَبْغَضُهُمْ، وَنَتَبَرَّأُ مِنْ أَفْعَالِهِمْ وَأَقْوَالِهِمْ وَكُتُبِهِمْ، وَإِذَا رَأَيْنَاهُمْ بِعَيْنِ القَدْرِ نَرْحَمُهُمْ؛ لِأَنَّهُمْ مَسَاكِينُ، يَشِيبُ رَأْسَ أَحَدِهِمْ فِي الضَّلَالِ، فَلْيَحْمَدِ العَبْدُ رَبَّهُ أَنْ عَافَاهُ مِمَّا ابْتَلَاهُمْ بِهِ. فَأَحْيَانًا يَبْنِي الإِنْسَانُ مَذْهَبَهُ، فَيُشِيبُ رَأْسُهُ، فَيَأْتِي أَحَدُ أَهْلِ السُّنَّةِ بِاعْتِرَاضٍ عَلَيْهِ فَيَهْدِمُ مَا بَنَاهُ.

كَانَ أَحَدُهُمْ يُقَرِّرُ عَدَمَ عُلُوِّ اللهِ تَعَالَى، وَأَنَّ عُلُوَّ اللهِ أَقْسَامٌ ثَلَاثَةٌ: عُلُوُّ القَهْرِ، وَعُلُوُّ القَدْرِ، وَعُلُوُّ الذَّاتِ. فَخَالَفُوا فِي قِسْمٍ وَاحِدٍ وَهُوَ عُلُوُّ الذَّاتِ، فَهُمْ مُتَّفِقُونَ أَنَّ اللهَ عَالٍ فِي قَهْرِهِ وَقَدْرِهِ، لَكِنْ عُلُوُّ الذَّاتِ يَنْفُونَهُ. فَأَحَدُهُمْ يُقَرِّرُ عَدَمَ عُلُوِّ الذَّاتِ، فَأَتَى إِلَيْهِ أَحَدُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَهُوَ الهَمَذَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى[٣١٩] فَقَالَ: دَعْكَ يَا فُلَانُ مَنْ هَذَا كُلِّهِ، مِنْ

---

(٣١٨) سورة الشورى: ٧.

(٣١٩) هو: الشيخ الإمام الحافظ الرحال الزاهد، بقية السلف والأثبات، أبو جعفر محمد بن أبي علي الحسن بن محمد بن عبد الله، الهمذاني. ولد بعد الاربعين وأربع مئة. كان من أئمة أهل الأثر، ومن كبراء الصوفية. وهو الذي قام في مجلس وعظ إمام الحرمين، وأورد عليه في مسألة

هَذِهِ التَّقَارِيرِ وَالبَرَاهِينِ وَالأَدِلَّةِ العَقْلِيَّةِ: لِمَاذَا يَجِدُ أَحَدُنَا فِي نَفْسِهِ ضَرُورَةً إِذَا دَعَا أَنْ يَرْفَعَ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ. أَيْ: وَهُوَ يَدْعُو رَبَّهُ، يَرْفَعُ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ. فَصُدِمَ وَنَزَلَ مِنْ عَلَى كُرْسِيِّهِ فِي مَجْلِسِهِ. وَقَالَ: حَيَّرَنِي الهَمْدَانِيُّ، حَيَّرَنِي الهَمْدَانِيُّ.

وَتِلْكَ العَجُوزُ الَّتِي دَخَلَتِ السُّوقَ، فَقَامَ أَهْلُ السُّوقِ، وَأَصْبَحَ لَهُمْ ضَوْضَاءً، فَقَالَتْ مَا شَأْنُكُمْ؟! قَالُوا: جَاءَ الرَّازِيُّ[٣٢٠] الَّذِي أَثْبَتَ وُجُودَ اللهِ مِنْ سَبْعِينَ طَرِيقًا عَقْلِيًّا. فَقَالَتِ العَجُوزُ بِفِطْرَتِهَا: سُبْحَانَ اللهِ! البَعْرَةُ تَدُلُّ عَلَى البَعِيرِ، وَالأَثَرُ يَدُلُّ عَلَى المَسِيرِ، وَسَمَاءٌ ذَاتُ أَبْرَاجٍ، وَأَرْضٌ ذَاتُ فِجَاجٍ، أَفَلَا تَدُلُّ عَلَى اللَّطِيفِ الخَبِيرِ؟!

ذَكَرْتُ أَنَّ فِي النَّارِ بَرْدًا وَحَرًّا، وَأَنَّ هَذَا مِنْ حِكْمَةِ اللهِ فِي شِدَّةِ حَرِّهَا وَبَرْدِهَا، وَهَذَا الحُرُّ الَّذِي نَحِسُّهُ مِنْ حَرِّ النَّارِ. فَأَحَدُ الحَاضِرِينَ اسْتَشْكَلَ، وَقَالَ: كَيْفَ يَكُونُ جِسْمٌ فِيهِ حَرٌّ وَبَرْدٌ؟! لَا يُمْكِنُ هَذَا الشَّيْءُ! فَقُلْتُ لَهُ: كَيْفَ يَكُونُ الفِرْيُونُ مِنْ دَاخِلِهِ بَارِدًا وَمِنْ خَارِجِهِ حَرًّا؟! هَذَا مَثَلٌ حَقِيقِيٌّ لِلتَّقْرِيبِ! وَهَذِهِ الأَدِلَّةُ العَقْلِيَّةُ يَا إِخْوَانِ مِمَّا تُسَاعِدُ عَلَى هَدْمِ شُبَهِ القَوْمِ، وَتَزِيدُ الإِنْسَانَ ثَبَاتًا؛ لِأَنَّهَا أَدِلَّةٌ تَرَاهَا أَمَامَكَ.

فَالشَّاهِدُ: أَنَّ المُسْلِمَ دَائِمًا عِنْدَهُ التَّسْلِيمُ وَالانْقِيَادُ، وَعِنْدَهُ الرَّاحَةُ النَّفْسِيَّةُ، وَتُلَاحِظُ أَنَّ أَهْلَ السُّنَّةِ عَلَيْهِمْ رَحْمَةُ اللهِ عِنْدَهُمْ فِي حَيَاتِهِمْ وَعِنْدَ مَمَاتِهِمُ اطْمِئْنَانٌ.

ذَكَرَ الذَّهَبِيُّ فِي «السِّيَرِ» أَنَّ سَحْنُونًا[٣٢١] -مِنْ أَئِمَّةِ المَالِكِيَّةِ- دَخَلَ عَلَى ابْنِ القَصَّارِ، وَكَانَ ابْنُ القَصَّارِ مَرِيضًا مَرَضًا شَدِيدًا، فَلَمَّا عَادَهُ -وَانْظُرْ إِلَى زِيَارَةِ العَالِمِ، وَأَثَرِ العِلْمِ- قَالَ لَهُ: مِمَّ تَخْشَى؟ وَلِمَاذَا أَنْتِ خَائِفٌ؟ قَالَ: أَخْشَى المَوْتَ.

العلو، فقال: ما قال عارف قط: يا الله! إلا وقام من باطنه قصد تطلب العلو؛ لا يلتفت يمنة ولا يسرة، فهل لدفع هذه الضرورة من حيلة؟! فقال الجويني: يا حبيبي! ما ثم إلا الحيرة. توفي في نصف ذي القعدة سنة إحدى وثلاثين وخمس مئة. انظر: سير أعلام النبلاء (٢٠/ ١٠١ ترجمة ٦١)، والنجوم الزاهرة (٥/ ٢٦٠).

(٣٢٠) هو: محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين، فخر الدين أبو عبد الله الرازي القرشي البكري، الأصولي المفسر كبير الأذكياء والحكماء والمصنفين. ولد سنة أربع وأربعين وخمس مئة. اشتغل على أبيه الإمام ضياء الدين خطيب الري، وانتشرت تواليفه في البلاد شرقا وغربا، وكان يتوقد ذكاء. من أهم مصنفاته: «مفاتيح الغيب»، و«المحصول». مات بهراة يوم عيد الفطر سنة ست وست مئة، وله بضع وستون سنة. انظر: سير أعلام النبلاء (٢١/ ٥٠٠ ترجمة ٢٦١)، وطبقات الشافعية الكبرى (٨/ ٨١ ترجمة ١٠٨٩).

(٣٢١) هو: الإمام العلامة، فقيه المغرب، أبو سعيد، عبد السلام بن حبيب بن حسان بن هلال بن بكار بن ربيعة بن عبد الله التنوخي، الحمصي الأصل، المغربي القيرواني المالكي، قاضي القيروان، وصاحب «المدونة»، ويلقب بسحنون. ولد سنة ستين ومئة. ارتحل وحج. وسمع من: سفيان بن عيينة، والوليد بن مسلم، وعبد الله بن وهب، وعبد الرحمن بن القاسم، ووكيع بن الجراح، وأشهب، وطائفة. ولم يتوسع في الحديث كما توسع في الفروع. لازم ابن وهب، وابن القاسم، وأشهب، حتى صار من نظرائهم. وساد أهل المغرب في تحرير المذهب، وانتهت إليه رئاسة العلم. وعلى قوله المعول بتلك الناحية، وتفقه به عدد كثير. وكان قد تفقه أولا بإفريقية على ابن غانم وغيره. وكان ارتحاله في سنة

فَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ سَيَمُوتُ حَقًّا. فَقَالَ لَهُ سَحْنُونٌ: أَتَشْهَدُ أَنَّ اللهَ وَاحِدٌ لَا شَرِيكَ لَهُ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: وَتَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: وَأَنَّ الجَنَّةَ حَقٌّ، وَأَنَّ النَّارَ حَقٌّ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: وَأَنَّ اللهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي القُبُورِ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: وَتُحِبُّ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: وَلَا تَرَى الخُرُوجَ عَلَى الأَئِمَّةِ بِالسَّيْفِ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: مُتْ؛ فَأَنْتَ عَلَى خَيْرٍ.

فَإِذَا كُنْتَ بِهَذَا الاعْتِقَادِ، فَلَا خَوْفٌ عَلَيْكَ، وَهَكَذَا مَنْ مَاتَ عَلَى عَقِيدَةٍ نَقِيَّةٍ سَلِيمَةٍ، فَلَنْ يَرَى إِلَّا مَا يَسُرُّهُ -نَسأَلُ اللهُ أَنْ يُحْسِنَ خَاتِمَتَنَا جَمِيعًا.

إِذَنِ الإِيمَانُ عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ: اعْتِقَادٌ بِالجَنَانِ، وَقَوْلٌ بِاللِّسَانِ، وَعَمَلٌ بِالجَوَارِحِ وَالأَرْكَانِ، يَزِيدُ بِالطَّاعَةِ، وَيَنْقُصُ بِالعِصْيَانِ.

وَالمُعْتَرَكُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ المُرْجِئَةِ مَشْهُورٌ، وَقَدْ خَصَّهُ شَيْخُ الإِسْلَامِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى فِي كِتَابٍ سَمَّاهُ «الإِيمَانَ». وَابْنَ القَيِّمُ تَكَلَّمَ عَنْ هَذَا فِي كِتَابِهِ القَيِّمِ «عِدَّةُ الصَّابِرِينَ وَذَخِيرَةُ الشَّاكِرِينَ» بِكَلَامٍ قَيِّمٍ. وَلَا تَجِدُ كِتَابًا مِنْ كُتُبِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ -فِي الغَالِبِ- إِلَّا وَفِيهِ جَانِبٌ عَظِيمٌ لِهَدْمِ مَذْهَبِ أَهْلِ الإِرْجَاءِ.

(وَإِجْمَاعُ أَصْحَابِ الرَّسُولِ وَثِيقَةٌ * لِأَنَّهُمُ أَهْلُ التِّلَاوَةِ وَالبَصَرْ)**

(وَإِجْمَاعُ أَصْحَابِ الرَّسُولِ وَثِيقَةٌ) مِنَ التَّوْثِقَةِ، إِذَا أُوثِقَ الأَسِيرُ شُدَّ بِإِحْكَامٍ، وَهُنَا تَكَلَّمَ عَنْ مَسْأَلَةِ إِجْمَاعِ أَصْحَابِ الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(وَثِيقَةٌ) فَإِجْمَاعُ الأُمَّةِ حُجَّةٌ؛ وَلِهَذَا يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿**وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا**﴾[٣٢٢]. أَيْ: إِجْمَاعُهُمْ وَطَرِيقُهُمْ وَمَسْلَكُهُمْ، فَلَا يُمْكِنُ لِأَحَدٍ أَنْ يَأْتِيَ بِحَقٍّ بِخِلَافِ مَا جَاءَ بِهِ الصَّحَابَةُ، وَمَنْ خَالَفَ طَرِيقَهُمْ وَسَلَكَ غَيْرَ مَسْلَكِهِمْ فَلَا يَضُرُّ إِلَّا نَفْسَهُ، وَلَا يَضُرُّ اللهَ شَيْءٌ.

ثمان وثمانين ومئة، وكان موصوفا بالعقل والديانة التامة والورع، مشهورا بالجود والبذل، وافر الحرمة، عديم النظير. توفي في رجب سنة أربعين ومئتين، وله ثمانون سنة. انظر: سير أعلام النبلاء (١٢/ ٦٣ ترجمة ١٥)، والديباج المذهب (٢/ ٣٢).

(٣٢٢) سورة النساء: ١١٥.

وَلِهَذَا فَفِي هَذِهِ الآيَةِ ﴿**وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ**﴾. نَقَلَ الشَّوْكَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى[٣٢٣] إِجْمَاعَ الْمُفَسِّرِينَ عَلَى لُزُومِ اتِّبَاعِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمْ فِيمَا أَجْمَعُوا عَلَيْهِ. وَلَا يُعْقَلُ أَنْ يُجْمِعَ الصَّحَابَةُ عَلَى أَمْرٍ، فَيَقُولُ أَحَدُ النَّاسِ بَعْدَهُمْ: الحَقُّ فِي خِلَافِهِمْ! إِذَنْ تَقُولُ: الأُمَّةُ عَلَى ضَلَالٍ، وَالحَقُّ مُغَيَّبٌ عَنْهَا وَعَنِ القُرُونِ الذَّهَبِيَّةِ، وَعَنْ عَصْرِ الإِسْلَامِ الذَّهَبِيِّ، وَأَنَّ جِيلَ الصَّحَابَةِ يَخْفَى عَلَيْهِمْ، وَيَظْهَرُ لَكَ أَنْتَ! فَهَذَا عَيْنُ التَّنَاقُضِ وَالضَّلَالِ وَالانْحِرَافِ.

وَجَاءَتْ أَحَادِيثُ عَلَى هَذَا الأَمْرِ تَأْكِيدًا لِلُزُومِ مَا عَلَيْهِ الصَّحَابَةُ وَالأُمَّةُ، فِي قَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**ثَلَاثٌ لَا يَغِلُّ عَلَيْهِنَّ قَلْبُ مُسْلِمٍ: إِخْلَاصُ العَمَلِ لله، وَمُنَاصَحَةُ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ، وَلُزُومُ جَمَاعَتِهِمْ؛ فَإِنَّ الدَّعْوَةَ تُحِيطُ مِنْ وَرَائِهِمْ**»[٣٢٤]. وَقَوْلُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**وَلُزُومُ جَمَاعَتِهِمْ**». هُوَ الشَّاهِدُ.

وَدَائِمًا الشَّاذُّ عَنْ جَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ لَا عِبْرَةَ لَهُ؛ لِأَنَّهُ شَاذٌّ. لِمَاذَا يَكُونُ إِجْمَاعُهُمْ حُجَّةً؟ لِأَنَّهُمْ أَهْلُ التِّلَاوَةِ وَالبَصَرِ، وَأَخَذُوا هَذَا الإِجْمَاعَ لَيْسَ مِنْ عُقُولِهِمْ، بَلْ تِمَاشِيًا مَعَ النُّصُوصِ القُرْآنِيَّةِ وَالنَّبَوِيَّةِ، وَهُمْ أَدْرَى النَّاسِ بِمَوَاقِعِ التَّنْزِيلِ وَفَهْمِهِ، وَأَذْكَى النَّاسِ، وَأَفْصَحُ النَّاسِ، وَأَتْقَى النَّاسِ. فَمَنْ خَالَفَ طَرِيقَهُمْ فَقَدْ سَلَكَ طَرِيقَ الغَوَايَةِ.

(فَمَنْ جَاءَ مِنْ بَعْدِ الرَّسُولِ وَصَحْبِهِ * بِمَا لَمْ يَكُنْ فِي عَصْرِهِمْ كَانَ كَالهَدَرْ)**

هَذَا تَأْكِيدٌ، (**فَمَنْ جَاءَ مِنْ بَعْدِ الرَّسُولِ**) صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، (**وَصَحْبِهِ**) رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ. أَيْ: مَنْ أَتَى بَعْدَ وَقْتِ الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَبَعْدَ وَقْتِ الصَّحَابَةِ.

وَهُنَا يُعَرِّجُ عَلَى لَفْظِ الصَّحَابَةِ، وَالصَّحَابَةُ هُمْ: مَنْ صَحِبَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَاخْتُلِفَ فِي تَعْرِيفِ الصَّحَابِيِّ، وَمَتَى يُطْلَقُ عَلَيْهِ اسْمُ «الصَّحَابِيِّ»؟ فَقَالَ بَعْضُ أَهْلِ العِلْمِ: مَنْ غَزَا مَعَ النَّبِيِّ غَزْوَةً أَوْ غَزْوَتَيْنِ فَهُوَ صَحَابِيٌّ، وَمَنْ لَا، فَلَا. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: مَنْ عَاصَرَهُ سَنَةً أَوْ سَنَتَيْنِ... إِلَخْ. وَهَذِهِ التَّعَارِيفُ عَلَيْهَا مَآخِذُ وَلَا تَسْلَمُ.

---

(٣٢٣) هو: محمد بن على بن محمد بن عبد الله الشوكاني، ثم الصنعاني. الإمام الفقيه، الأصولي. ولد سنة ثلاث وسبعين. انتقل والده إلى صنعاء واستوطنها. فنشأ الشوكاني بها، وقرأ القرآن، وحفظ المتون المختصرات، وأتقن الحديث وعلومه. وكان كثير الاشتغال بكتب التواريخ والأدب. من مصنفاته: «نيل الأوطار»، و«السيل الجرار». توفي سنة خمسين ومئتين وألف. انظر : البدر الطالع (٢/ ٢١٤) ط: دار ابن كثير - سوريا.

(٣٢٤) أخرجه الترمذي في كتاب العلم- باب ما جاء في الحث على تبليغ السماع (٢٦٥٨)، من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وصححه الألباني في «صحيح الترمذي».

وَكَأَنَّهُمُ ارْتَضَوْا تَعْرِيفًا مُفَادُهُ: مَنْ آمَنَ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَقِيَهُ، وَمَاتَ مُؤْمِنًا بِذَلِكَ، وَلَوْ تَخَلَّلَ ذَلِكَ رِدَّةٌ.

وَيُوجَدُ تَعْرِيفٌ مُشَابِهٌ لِهَذَا، وَفِيهِ بَدَلَ «لَقِيَهُ» يُوجَدُ «رَآهُ»، فَلِمَاذَا ارْتَضَوْا لَفْظَةَ «لَقِيَهُ»، وَتَرَكُوا لَفْظَةَ «رَآهُ»؟ قَالُوا: السَّبَبُ فِي ذَلِكَ: مُحْتَرَزَاتُ التَّعْرِيفِ، فَإِذَا قِيلَ: رَآهُ، فَإِنَّهُ لَا يَشْمَلُ الأَعْمَى، أَمَّا إِذَا قِيلَ: لَقِيَهُ، فَإِنَّهُ يَشْمَلُ الجَمِيعَ.

وَمَاتَ مُؤْمِنًا بِذَلِكَ، وَلَوْ تَخَلَّلَ ذَلِكَ رِدَّةٌ، أَيْ: لَوِ ارْتَدَّ بَعْضُهُمْ ثُمَّ رَجَعَ إِلَى دَائِرَةِ الحَقِّ، فَإِنَّهُمْ يُسَمَّوْنَ صَحَابَةً.

وَابْنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى فِي مُقَدِّمَةِ الإِصَابَةِ ذَكَرَ كَلَامًا ذَهَبِيًّا حَوْلَ هَذَا، وَحَوْلَ تَقْسِيمِ كِتَابِهِ إِلَى أَرْبَعَةِ أَقْسَامٍ.

(فَمَنْ جَاءَ مِنْ بَعْدِ الرَّسُولِ). أَيْ: مَنْ أَحْدَثَ شَيْئًا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ بَعْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ أَكَّدَهُ فَقَالَ:

(بِمَا لَمْ يَكُنْ فِي عَصْرِهِمْ كَانَ كَالْهَدَرْ): ذَكَرَ أَهْلُ اللُّغَةِ فِي «القَامُوسِ» وَغَيْرِهِ: الهَدَرُ: مَا يَبْطُلُ مِنْ دَمٍ وَغَيْرِهِ. فَإِذَا قِيلَ: فُلَانٌ دَمُهُ هَدَرٌ. أَيْ: لَمْ يَعُدْ لَهُ حُرْمَةٌ فَيُقْتَلُ.

وَقَوْلُهُ: **(بِمَا لَمْ يَكُنْ فِي عَصْرِهِمْ كَانَ كَالْهَدَرْ)**؛ لِأَنَّ الدِّينَ كَامِلٌ، قَالَ تَعَالَى: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ**﴾[٣٢٥]. انْتَهَى الأَمْرُ. قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: لَا إِكْمَالَ بَعْدَ إِكْمَالِ اللهِ، وَلَا إِتْمَامَ بَعْدَ إِتْمَامِ اللهِ. فَكُلُّ شَيْءٍ تَامٌّ؛ وَلِهَذَا قَالَ مَالِكٌ: مَنِ ابْتَدَعَ فِي الدِّينِ بِدْعَةً يَزْعُمُ أَنَّهَا حَسَنَةٌ، فَقَدْ زَعَمَ أَنَّ مُحَمَّدًا خَانَ الرِّسَالَةَ. فَالدِّينُ كَامِلٌ، وَجَاءَ التَّهْدِيدُ وَالوَعِيدُ لِمَنْ زَادَ أَوْ أَحْدَثَ أَمْرًا مِنْ نَفْسِهِ، فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ**»[٣٢٦]. أَيْ: مَرْدُودٌ عَلَى صِحَابِهِ، وَلَا قِيمَةَ لَهُ. وَفِي لَفْظٍ: «**مِنْ عَمَلٍ**».

وَأَهْلُ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ عَلَيْهِمْ رَحْمَةُ اللهِ مَلَؤُوا هَذَا المَبْحَثَ عِلْمًا وَتَحْقِيقًا وَتَقْرِيرًا وَرَدًّا، وَتُوجَدُ كُتُبٌ خَاصَّةٌ فِي البِدَعِ وَالمُحْدَثَاتِ، مِثْلُ: «السُّنَّةِ» لِلبَرْبَهَارِيِّ[٣٢٧]، وَ«الشَّرِيعَةِ» لِلآجُرِّيِّ[٣٢٨]، وَ«البِدَعِ وَمَا جَاءَ فِيهَا» لِابْنِ وَضَّاحٍ[٣٢٩]. نَاهِيكَ عَنِ الكُتُبِ المُطَوَّلَةِ المُتَضَمِّنَةِ لِمَبَاحِثَ فِي الرَّدِّ عَلَى البِدَعِ.

---

(٣٢٥) سورة المائدة: ٣.

(٣٢٦) أخرجه البخاري في كتاب الصلح- باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود (٢٦٩٧)، ومسلم في كتاب الأقضية- باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور (١٧١٨)، من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٣٢٧) هو: شيخ الحنابلة القدوة الإمام، أبو محمد الحسن بن علي بن خلف البربهاري، الفقيه. كان قوالا بالحق، داعية إلى الأثر، لا يخاف في الله لومة لائم. قال أبو الحسين بن الفراء: كان للبربهاري مجاهدات ومقاومات في الدين، وكان المخالفون يغلظون قلب السلطان عليه. ترك

وَمَا أَصَابَ أُمَّةَ الإِسْلَامِ الوَهَنُ إِلَّا لِإِحْدَاثِ أُمُورٍ فِيهَا لَمْ تَكُنْ مَشْرُوعَةً، أَوْ لِإِهْمَالِ أُمُورٍ، وتَضْخِيمِ أُمُورٍ لَمْ يُضَخِّمْهَا الشَّارِعُ، وَتَهْوِيْنِ أُمُورٍ عَظَّمَهَا الشَّارِعُ.

فَهُنَاكَ أَشْيَاءُ نَهَى الشَّارِعُ عَنْهَا، وَهُنَاكَ أَشْيَاءُ النَّهْيُ عَنْهَا أَعْظَمُ، فَتَجِدُ إِذَا عَكَسَتَ النَّظَرِيَّةَ؛ فَشُدِّدَ فِيمَا لَمْ يُشَدَّدْ فِيهِ، أَوْ أُهْمِلَ مَا شُدِّدَ فِيهِ، تَجِدُ هُنَاكَ التَّبَاغُضَ وَالتَّنَاقُضَ. فَمَثَلًا: فِتَنُ الشُّبُهَاتِ وَالشَّهَوَاتِ، مِمَّا أَصَابَ أُمَّةَ الإِسْلَامِ، وَأَصَابَ كَثِيرًا مِنْ دُعَاةِ الإِسْلَامِ وَالدَّعَوَاتِ الإِصْلَاحِيَّةِ: تَضْخِيمُ فِتَنِ الشَّهَوَاتِ، وَتَهْوِيْنُ فِتَنِ الشُّبُهَاتِ، أَوْ إِهْمَالِ فِتَنِ الشُّبُهَاتِ. وَهَذَا مِنَ التَّنَاقُضِ؛ وَلِهَذَا ذَكَرَ شَيْخُ الإِسْلَامِ فِي «الاسْتِقَامَةِ» عِنْدَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿**وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا**﴾[٣٣٠]. فَالفِتْنَةُ الأُولَى: الشَّهَوَاتُ، وَالثَّانِيَةُ: الشُّبُهَاتُ.

جَاءَ فِي سَبَبِ نُزُولِ الآيَةِ: أَنَّ رَجُلًا يَخْشَى أَنْ يَغْزُوَ، فَيُفْتَنُ بِنِسَاءِ بَنِي الأَصْفَرِ، فَأُمِرَ بِالغَزْوِ، فَقَالَ: أَخْشَى أَنْ أُفْتَنَ. وَمَا عَلِمَ أَنَّ رَدَّ دَعْوَةِ الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالذَّهَابِ أَعْظَمُ مِنْ فِتْنَةِ النِّسَاءِ.

إِذَنْ: فَإِحْدَاثُ أُمُورٍ مَا أَمَرَ بِهَا الشَّرْعُ انْحِرَافٌ، وَتَهْوِيْنُ أُمُورٍ عَظَّمَهَا الشَّرْعُ انْحِرَافٌ، وَإِعْطَاءُ أُمُورٍ شَأْنًا أَعْظَمَ مِمَّا أَعْطَاهَا الشَّرْعُ انْحِرَافٌ كَذَلِكَ.

(وَأَحْتَجُّ بِالمَنْصُوصِ فِي شَرْعِ أَحْمَدٍ * وَمَنْ قَالَ فِيهِ بِالقِيَاسِ فَقَدْ خَسِرْ)**

(المَنْصُوصُ) أَيْ: النُّصُوصُ الشَّرْعِيَّةُ.

ميراث أبيه تورعا، وكان سبعين ألفا. توفي سنة تسع وخمسين وثلاث مئة. انظر: طبقات الحنابلة (٣/ ٣٦ ترجمة ٥٨٨)، وسير أعلام النبلاء (١٥/ ٩٠ ترجمة ٥٢).

(٣٢٨) هو: محمد بن الحسين بن عبد الله، أبو بكر البغدادي الآجري. الإمام المحدث القدوة، شيخ الحرم الشريف، صاحب التصانيف الحسان؛ منها: «الشريعة»، و«الأربعين». توفي سنة ستين وثلاث مئة. انظر: سير أعلام النبلاء (١٦/ ١٣٣ ترجمة ٩٢)، والوافي بالوفيات (٢/ ٢٦٧ ترجمة ٨٤٧).

(٣٢٩) هو: محمد بن وضاح بن بَزِيع، أبو عبد الله المرواني، الإمام الحافظ مولى صاحب الأندلس عبدالرحمن بن معاوية الداخل، صاحب كتاب «البدع والنهي عنها» ولد سنة تسع وتسعين ومئة. قال ابن الفرضي: كان عالما بالحديث، بصيرا بطرقه وعلله، كثير الحكاية عن العباد، ورعا، زاهدا، صبورا على نشر العلم، متعففا، نفع الله أهل الأندلس به. ومات سنة سبع وثمانين ومئتين. انظر: سير أعلام النبلاء (١٣/ ٤٤٥ ترجمة ٢١٩)، وميزان الاعتدال (٤/ ٥٩ ترجمة ٨٢٩٠).

(٣٣٠) سورة التوبة: ٤٩.

(**فِي شَرْعِ أَحْمَدٍ**)، مَنْ أَحْمَدُ؟ هَلْ يُرِيدُ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ أَمِ ابْنَ تَيْمِيَّةَ؟ هُوَ يَقْصِدُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿**وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ**﴾[٣٣١]. فَأَحْمَدُ مِنْ أَسْمَاءِ الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَدْ نَصَّ القُرْآنُ عَلَيْهَا.

(**وَمَنْ قَالَ فِيهِ بِالقِيَاسِ فَقَدْ خَسِرْ**). تَقَدَّمَ لَكُمْ أَنَّ الإِمَامَ ابْنَ طَاهِرٍ نُعِتَ بِسِتَّةِ نُعُوتٍ فِي وَصْفِهِ. وَهِيَ: الشَّيْبَانِيُّ، وَالظَّاهِرِيُّ، وَالصُّوفِيُّ، وَالأَثَرِيُّ، وَالمَقْدِسِيُّ، وَالقَيْصَرَانِيُّ.

وَهْنَا جَرَى عَلَى مَذْهَبِهِ الظَّاهِرِيِّ، فَأَهْلُ الظَّاهِرِ لَا يَرَوْنَ القِيَاسَ، وَيَقُولُونَ: إِنَّ الدِّينَ وَالأَحْكَامَ الشَّرْعِيَّةَ مُتَكَامِلَةٌ لَا تَحْتَاجُ إِلَى قِيَاسٍ. وَاحْتَجُّوا بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿**مَا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ**﴾[٣٣٢]. فَالدِّينُ كُلُّهُ كَامِلٌ.

أَيْضًا يَقُولُونَ: مَنْ قَالَ بِالقِيَاسِ فَقَدْ زَادَ، وَزَعَمَ أَنَّ فِي الدِّينِ نَقْصًا. وَهَذَا لَيْسَ بِصَحِيحٍ؛ لِأَنَّ أَهْلَ العِلْمِ يَقُولُونَ: القِيَاسُ مَقْبُولٌ بِهِ بِشَرْطِ أَنْ يُعْرَفَ آلَاتِ القِيَاسِ وَضَوَابِطُهَا. وَالقِيَاسُ عِنْدَ العِلْمِ مُعْتَبَرٌ، لَكِنْ إِذَا تَحَقَّقَتْ أَرْكَانُهُ، وَهِيَ: الأَصْلُ، وَالفَرْعُ، وَالعِلَّةُ الجَامِعَةُ بَيْنَ الأَصْلِ وَالفَرْعِ. وَهُنَاكَ قِيَاسٌ ثَالِثٌ لَا قِيمَةَ لَهُ، وَهُوَ إِذَا اخْتَلَّتْ فِيهِ شُرُوطُ القِيَاسِ، أَوْ شَرْطٌ مِنْ شُرُوطِ القِيَاسِ. وَهُنَاكَ أَقْيِسَةٌ عَقْلِيَّةٌ مُجَرَّدَةٌ مِنَ المَقَاصِدِ الشَّرْعِيَّةِ. أَمَّا القِيَاسُ الَّذِي قَرَّرَهُ أَهْلُ العِلْمِ فَلَهُ ضَوَابِطُ وَقَوَاعِدُ وَآلَاتٌ، وَهَذَا مَقْبُولٌ بِهِ، بَلِ النُّصُوصُ الشَّرْعِيَّةُ تُؤَيِّدُ هَذَا، حَتَّى أَلَّفَ أَحَدُهُمْ -وَأَظُنُّ أَنَّهُ يُسَمَّى: ابْنَ الحَنْبَلِيِّ[٣٣٣]- كِتَابًا سَمَّاهُ «أَقْيِسَةَ النَّبِيِّ المُصْطَفَى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ».

وَإِذَا قَالَ أَهْلُ العِلْمِ بِالقِيَاسِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ مُجَرَّدَ اسْتِحْسَانٍ مِنْ أَنْفُسِهِمْ، بَلْ بِالنَّظَرِ إِلَى مَقَاصِدِ الشَّرِيعَةِ، وَالنَّظَرِ إِلَى أَدِلَّةِ الشَّرِيعَةِ، فَالقِيَاسُ مَأْطُورٌ عِنْدَهُمْ بِأُطُرٍ أَقَرَّتْهَا الشَّرِيعَةُ؛ وَلِهَذَا تَجِدُ أَنَّهُ مَنْ خَالَفَ شُرُوطَ القِيَاسِ وَضَوَابِطَهُ فَإِنَّهُ يَشِذُّ فِي قَوْلِهِ، وَيَخْرُجُ بِقَوْلٍ شَاذٍّ، أَمَّا مَنْ حَكَّمَ ضَوَابِطَ القِيَاسِ وَآلَاتِهِ وَشُرُوطَهُ المَنْصُوصَ عَلَيْهَا، تَجِدُ أَنَّ أَقْوَالَهُ لَا تَخْرُجُ عَنِ الأَدِلَّةِ، أَوْ عَنْ مَنْحَى الأَدِلَّةِ الشَّرْعِيَّةِ، وَمَقَاصِدِ الشَّرِيعَةِ.

---

(٣٣١) سورة الصف: ٦.

(٣٣٢) سورة الأنعام: ٣٨.

(٣٣٣) هو: ناصح الدين عبد الرحمن بن نجم بن عبد الوهاب بن الحنبلي الدمشقي الواعظ. مولده في سنة أربع وخمسين وخمس مئة. سمع ببغداد من عبد الحق اليوسفي، وشهدة الكاتبة، وجماعة، وبأصبهان من أبي العباس الترك، والحافظ أبي موسى، وطائفة. ووعظ بمصر، ودرس، وصنف، وكان مدرسا بمدرسة جده. مات في ثالث المحرم، سنة أربع وثلاثين وست مئة، وله ثمانون سنة، وله أقارب وذرية علماء. انظر: سير أعلام النبلاء (١٩/ ٥٤ ترجمة ٣٣)، والذيل على طبقات الحنابلة (٣/ ٤٢٣ ترجمة ٣٣٨).

وَلِهَذَا فَالقِيَاسُ العَقْلِيُّ دَاعِيَهُ الاسْتِحْسَانِ بِالشَّهَوَاتِ، فَيَسْمَعُ الإِنْسَانُ حُكْمًا فَيَقِيسُ عَلَيْهِ، وَإِذَا قُلْتُ: أَنَّى لَكَ هَذَا؟ قَالَ: هَذَا قَرِيبٌ مِنْ هَذَا. نَقُولُ: بَلْ قَرِيبٌ بِعَقْلِكَ وَتصَوُّرِكَ القَاصِرِ. فَأَهْلُ السُّنَّةِ لَمْ يَفْتَحُوا بَابَ القِيَاسِ عَبَثًا لِكُلِّ أَحَدٍ، بَلِ القَوْلُ بِأَنَّ هَذَا قِيَاسٌ، بِاسْتِحْسَانِ العَقْلِ المُجَرَّدِ يُعَدُّ مِنَ القَوْلِ عَلَى اللهِ بِلَا عِلْمٍ، وَمِنَ الافْتِرَاءِ عَلَى نُصُوصِ الشَّرِيعَةِ.

يَقُولُ رَحِمَهُ اللهُ: (**وَمَنْ قَالَ فِيهِ بِالقِيَاسِ فَقَدْ خَسِرْ**). يَقُولُ بَعْضُ مَنْ كَتَبَ فِي الرَّدِّ عَلَى القِيَاسِ: حَتَّى الَّذِينَ نَفَوْا القِيَاسَ يَقَعُونَ فِيهِ! لِأَنَّ مَقَاصِدَ الشَّرِيعَةِ تَنْحَى هَذَا المَنْحَى، فَهُنَاكَ أَحْكَامٌ -ذَكَرَهَا أَهْلُ العِلْمِ- لَمْ يَأْتِ فِيهَا نَصٌّ بِعَيْنِهَا، لَكِنِ بِالنَّظَرِ إِلَى أَحْكَامٍ أُخْرَى بِجَامِعِ الأَصْلِ وَالفَرْعِ وَالعِلَّةِ، أَخَذُوا حَكَمَ هَذَا، فَنُقِلَ إِلَى حُكْمِ هَذَا. أَمَّا الحَرْفِيَّةُ عَلَى ظَاهِرِ النَّصِّ فَهَذَا فِيهِ تَعْطِيلٌ لِكَثِيرٍ مِنْ مَقَاصِدِ الشَّرِيعَةِ، يَقُولُ بَعْضُهُمْ -وَقَدْ أَخَذَ بِالظَّاهِرِ، دُونَ النَّظَرِ إِلَى المَقَاصِدِ الشَّرْعِيَّةِ: الإِنْسَانُ نُهِيَ عَنِ البَوْلِ فِي المَاءِ الرَّاكِدِ؛ فَلَا تَبُلْ فِي المَاءِ الرَّاكِدِ، لَكِنْ لَوْ أَنَّ إِنْسَانًا بَالَ فِي إِنَاءٍ ثُمَّ صَبَّهُ فِي المَاءِ، فَإِنَّهُ يَجُوزُ؛ لِأَنَّهُ مَنْهِيٌّ أَنْ يَبُولَ بِنَفْسِهِ، لَكِنْ لَوْ بَالَ فِي إِنَاءٍ وَصَبَّهُ فَلَا حَرَجَ!

فَهَلْ هَذَا سَلِيمٌ؟! بَلِ المُرَادُ مِنَ النَّهْيِ: عَدَمُ تَلْوِيثِ المَاءِ بِالبَوْلِ، سَوَاءٌ أَبَالَ فِي إِنَاءٍ أَمْ بَالَ مُبَاشَرَةً أَمْ بَالَ فِي أُنْبُوبٍ...

(**وَلَسْتُ أَرَى رَأْيَ الرِّجَالِ وَثِيقَةً *** لِأَنَّ رَسُولَ اللهِ عَنْ ذَاكَ قَدْ زَجَرْ**)

يَقُولُ: (**وَلَسْتُ أَرَى رَأْيَ الرِّجَالِ وَثِيقَةً * لِأَنَّ رَسُولَ اللهِ عَنْ ذَاكَ قَدْ زَجَرْ**).

فَأَنْتَ مَأْمُورٌ بِأَنْ تَعْبُدَ اللهَ بِالنَّصِّ الشَّرْعِيِّ مِنَ القُرْآنِ أَوِ السُّنَّةِ، وَأَلَّا تَأْخُذَ قَوْلًا مِنْ غَيْرِ قَوْلِ اللهِ وَرَسُولِهِ، لَكِنْ هَذَا لَا يُفْهَمُ مِنْهُ -كَمَا يَفْهَمُ بَعْضُ النَّاسِ: الإِعْرَاضُ عَنْ كُتُبِ العُلَمَاءِ، وَالتَّزْهِيدُ وَالتَّهْمِيشُ لَهَا، أَوْ أَنَّنَا مَأْمُورُونَ بِالأَخْذِ مِنَ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَلَمْ نُكَلَّفْ بِالنَّظَرِ فِي كَلَامِ أَهْلِ العِلْمِ.

فَالَّذِي يَقُولُ هَذَا الكَلَامَ لَا يَفْقَهُ النَّصَّ الشَّرْعِيَّ، بَلْ نَحْنُ أُمِرْنَا بِسُؤَالِ أَهْلِ العِلْمِ، بَلْ تُعُبِّدْنَا، وَالأَمْرُ لِلْوُجُوبِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿**فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ**﴾[٣٣٤]. فَهُمُ الَّذِينَ شَرَحُوا النُّصُوصَ وَبَيَّنُوهَا لِمَنْ تَخْفَى عَلَيْهِمْ. وَالعَامَّةُ لَا يَسْتَطِيعُونَ النَّظَرَ فِي الأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ، بَلْ تُشْكَلُ عَلَيْهِمْ، وَيَفْهَمُونَ خِلَافَ الظَّاهِرِ، بَلْ قَدْ يَجْعَلُونَ الحَلَالَ حَرَامًا وَالحَرَامَ حَلَالًا إِذَا اعْتَمَدُوا عَلَى أَفْهَامِهِمْ. لَكِنِ الإِنْسَانُ إِذَا كَانَ عَالِمًا، وَعِنْدَهُ الأَوْصَافُ الَّتِي

(٣٣٤) سورة النحل: ٤٣.

اسْتَحَقَّهَا لِلنَّظَرِ فِي النُّصُوصِ، وَقَدْ يُخَالِفُ فُلَانًا وَفُلَانًا مِنْ أَهْلِ العِلْمِ، أَمَّا فَتْحُ البَابِ عَلَى مِصْرَاعَيْهِ فَهَذَا مِنَ الجَهَالَةِ.

وَكَمْ نَسْمَعُ مِنَ الأَفْهَامِ السَّقِيمَةِ؛ لِاعْتِمَادِ أَصْحَابِهَا عَلَى أَفْهَامِهِمْ دُونَ النَّظَرِ فِي كَلَامِ أَهْلِ العِلْمِ؟! يَقُولُ الشَّيْخُ الشِّنْقِيطِيُّ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى[٣٣٥]: وَقَدْ مَرَرْنَا عَلَى بَلَدٍ فِي طَرِيقِنَا إِلَى مَكَّةَ، وَهَذَا البَلَدُ قَرْيَةٌ قَبْلَ السُّودَانِ، فَقَالُوا لَنَا: إِلَى أَيْنَ الطَّرِيقُ؟ فَقُلْنَا: إِلَى السُّودَانِ، ثُمَّ نَسْتَمِرُّ حَتَّى البَحْرِ. فَقَالَ أَحَدُهُمْ: هَنِيئًا لَكُمْ. فَتَوَقَّعْتُ أَنْ يَقُولَ ذَلِكَ بِسَبَبِ الحَجِّ، فَقَالَ: هَنِيئًا لَكُمْ، سَتَمُرُّونَ عَلَى مَكَانٍ مُشْرِفٍ. قُلْتُ: أَيُّ مَكَانٍ؟ قَالَ: الخُرْطُومُ؛ فَقَدْ عَظَّمَهُ اللهُ فِي القُرْآنِ، فَقَالَ: ﴿**سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ**﴾[٣٣٦]! فَانْظُرْ إِلَى الجَهَالَةِ، فَقَدْ أَخَذَ اللَّفْظَ، وَلَمْ يَقْرَأْ وَلَمْ يَعْرِفْ.

(**وَلَسْتُ أَرَى رَأْيَ الرِّجَالِ وَثِيقَةً**). فَإِذَا خَالَفَ كَلَامُ الرَّجُلِ العَالِمِ الدَّلِيلَ انْتَهَيْنَا. وَجَمِيعُ الأَئِمَّةِ -وَخَاصَّةً مَنِ اشْتَهَرَتْ مَذَاهِبُهُمْ: كَأَبِي حَنِيفَةَ وَمَالِكٍ وَالشَّافِعِيِّ وَأَحْمَدَ وَغَيْرِهِمْ عَلَيْهِمْ رَحْمَةُ اللهِ، لَكِنْ خُصَّ هَؤُلَاءِ؛ لِأَنَّهُمْ أَكْثَرُ المَذَاهِبِ أَتْبَاعًا، كُلُّهُمْ يَقُولُ: حَرَامٌ -بِلَفْظِهَا أَوْ بِمَعْنَاهَا- عَلَى مَنْ يَأْخُذُ قَوْلِي بِغَيْرِ دَلِيلٍ. وَقَالُوا: إِذَا رَأَيْتُمْ قَوْلِي يُخَالِفُ الدَّلِيلَ فَلَا تُلْقُوا لَهُ بَالًا. وَلَمَّا قَالَ أَحَدُهُمْ لِلشَّافِعِيِّ: أَتَقُولُ قَوْلًا يُخَالِفُ الدَّلِيلَ؟! فَقَالَ: تَرَانِي خَارِجًا مِنْ كَنِيسَةٍ؟! فَإِذَا خَالَفْتُ الدَّلِيلَ فَإِنِّي مَجْنُونٌ.

وَنَظَمَ بَعْضُهُمْ أَقْوَالَ الأَئِمَّةِ الأَرْبَعَةِ فِي عَدَمِ تَقْلِيدِهِمْ إِذَا خَالَفَ قَوْلُهُمُ الدَّلِيلَ، فَقَالَ:

قَالَ أَبُو حَنِيفَةَ الإِمَامُ *** لَا يَنْبَغِي لِمَنْ لَهُ إِسْلَامُ

أَخَذَ بِأَقْوَالِي حَتَّى تُعْرَضَا *** عَلَى الحَدِيثِ وَالكِتَابِ المُرْتَضَى

وَمَالِكٌ إِمَامُ دَارِ الهِجْرَهْ *** قَالَ وَقَدْ أَشَارَ نَحْوَ الحُجْرَهْ

كُلُّ الكَلَامِ مِنْهُ ذُو قَبُولْ *** وَمِنْهُ مَرْدُودٌ سِوَى الرَّسُولْ

---

(٣٣٥) هو: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي. العلامة المفسر الفقيه الأصولي المالكي. ولد سنة خمس وعشرين وثلاث مئة وألف عند ماء يسمى (تَنْبَه) من أعمال (كيفا) من موريتانيا. نشأ يتيما في بيت علم وفضل. خلف له أبوه ثروة من المال والحيوان. برع في علوم العربية والمنطق وآداب البحث والمناظرة. حباه الله ذكاء مفرطا وحافظة نادرة، مع ورع وزهد. وكان على عقيدة السلف -رحمه الله-. له تواليف ممتعة؛ منها: «أضواء البيان»، و«مذكرة في أصول الفقه». توفي -رحمه الله- ضحى يوم الخميس، السابع عشر من ذي الحجة، عام ثلاث وتسعين وثلاث مئة وألف بمكة، وصلى عليه الشيخ ابن باز -رحمهما الله-.

(٣٣٦) سورة القلم: ١٦.

وَالشَّافِعِيُّ قَالَ: إِنْ رَأَيْتُمْ *** قَوْلِي مُخَالِفًا لِمَا رَوَيْتُمْ

فَاضْرِبُوا بِقَوْلِي الجِدَارْ *** قَوْلِي المُخَالِفِ لِلْأَخْبَارْ

وَأَحْمَدُ قَالَ لَهُمْ: لَا تَكْتُبُوا *** عَنِّي، بَلْ أَصْلُ ذَلِكَ اطْلُبُوا

دِينَكَ لَا تُقَلِّدُ الرِّجَالَا *** حَتَّى تَرَى أُولَاهُمْ مَقَالَا

فَكُلُّهُمْ أَوْصَوْا بِتَرْكِ أَقْوَالِهِمْ إِذَا خَالَفَتِ الدَّلِيلَ.

وَاللهُ أَعْلَمُ، وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَى رَسُولِ اللهِ، وَالحَمْدُ للهِ الَّذِي بِهِ تَتِمُّ الصَّالِحَاتُ.

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَى رَسُولِ اللهِ، أَمَّا بَعْدُ:

قَبْلَ البَدْءِ، قَالَ أَحَدُ الإِخْوَةِ: فِي قَوْلِ النَّاظِمِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى:

(وأَحْتَجُّ بِالمَنْصُوصِ فِي شَرْعِ أَحْمَدٍ * وَمَنْ قَالَ فِيهِ بِالقِيَاسِ فَقَدْ خَسِرْ)**.

فَالقِيَاسُ لَا يَكُونُ فِي العَقَائِدِ؛ لِأَنَّ النَّظْمَ عَقَدِيٌّ.

نَقُولُ: نَعَمْ، لَكِنَّ أَهْلَ المُعْتَقَدِ قَدْ يَذْكُرُونَ فِي كُتُبِ العَقَائِدِ أُمُورًا فِقْهِيَّةً فِي العِبَادَاتِ وَالمُعَامَلَاتِ. وَمِنْ ذَلِكَ -كَمَا فِي «الطَّحَاوِيَّةِ» وَغَيْرِهَا: وَنَرَى المَسْحَ عَلَى الخُفَّيْنِ. فَهَذِهِ مَسْأَلَةٌ فِي الطَّهَارَةِ، وَأَوْرَدَهَا خِلَافًا لِلرَّافِضَةِ. وَفِي بَعْضِ كُتُبِ المُعْتَقَدِ: وَنَرَى صَلَاةَ التَّرَاوِيحِ فِي رَمَضَانَ. فَذَكَرُوا التَّرَاوِيحَ؛ لِأَنَّ الرَّافِضَةَ لَا يُصَلُّونَ التَّرَاوِيحَ -كَمَا فِي كُتُبِهِمْ.

وَمِمَّا ذُكِرَ مِنْ مَسَائِلِ فِقْهِيَّةٍ فِي كُتُبِ الاعْتِقَادِ: وَنَرَى قَصْرَ الصَّلَاةِ فِي السَّفَرِ. رَدًّا عَلَى الخَوَارِجِ الَّذِينَ لَا يَرَوْنَ القَصْرَ إِلَّا مَعَ الخَوْفِ. وَكَذَلِكَ فِي المُعَامَلَاتِ: وَنَرَى البَيْعَ وَالشِّرَاءَ الحَلَالَ.

فَمَا عَلَاقَةُ البَيْعِ وَالشِّرَاءِ بِمَبَاحِثِ الاعْتِقَادِ؟ قَالُوا: رَدًّا عَلَى الصُّوفِيَّةِ الغُلَاةِ الَّذِينَ يَرَوْنَ أَنَّ البَيْعَ وَالشِّرَاءَ يُنَافِي التَّوَكُّلَ. فَأَهْلُ العِلْمِ عَلَيْهِمْ رَحْمَةُ اللهِ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ يُضَمِّنُونَ هَذِهِ المَسَائِلَ مِنْ بَابِ الإِشَارَةِ إِلَى مُخَالَفَةِ فِرَقٍ عَقَدِيَّةٍ ضَالَّةٍ.

وَأَمَّا فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِمَسْأَلَةٍ سَبَقَتْ، وَهِيَ مَسْأَلَةُ نُزُولِ اللهِ تَعَالَى يَوْمَ الفِطْرِ، فَأَنَا حَقِيقَةً أَشْكُرُ الإِخْوَةَ الَّذِينَ كَتَبُوا، وَأَنَا المُسْتَفِيدُ قَبْلَهُمْ؛ لِأَنَّ الفَائِدَةَ لَيْسَتْ قَصْرًا عَلَى السَّامِعِينَ، بَلْ حَتَّى المُتَكَلِّمُ يَسْتَفِيدُ مِنَ السَّامِعِينَ أَدَبًا وَعِلْمًا. وَأَحَدُ الإِخْوَةِ بَحَثَ مَسْأَلَةَ النُّزُولِ المَعْنِيَّةِ، وَنَقَلَ نُقُولَاتٍ جَمِيلَةً عَنْ نُزُولِ اللهِ تَعَالَى فِي يَوْمِ عَرَفَةَ وَالمُبَاهَاةِ. فَذَكَرَ مِنْ ذَلِكَ

حَدِيثَ: «**مَا مِنْ يَوْمٍ أَفْضَلُ عِنْدَ اللهِ مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ، يَنْزِلُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا**»(٣٣٧). وَهُوَ عِنْدَ ابْنِ حِبَّانَ(٣٣٨). وَذَكَرَ مَا رَوَاهُ ابْنُ مَنْدَةَ(٣٣٩) فِي كِتَابِ «التَّوْحِيدِ»: «إِذَا كَانَ يَوْمُ عَرَفَةَ يَنْزِلُ اللهُ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا». وَكَذَا حَدِيثُ أَنَسٍ(٣٤٠): «**يَهْبِطُ اللهُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا عَشِيَّةَ عَرَفَةَ**». وَنَقَلَ تَحْسِينَ بَعْضِ مَا سَبَقَ. وَذَكَرَ الأَخُ أَيْضًا: أَنَّ اللهَ جَلَّ وَعَلَا يَتَجَلَّى لَهُمْ -أَيْ لِأَهْلِ الجَنَّةِ- فِي يَوْمِ الجُمُعَةِ وَيَوْمِ الفِطْرِ وَيَوْمِ الأَضْحَى. كَمَا جَاءَ فِي بَعْضِ الأَحَادِيثِ. وَالَّذِي نُرِيدُهُ نَحْنُ هُوَ حَدِيثُ نُزُولِ اللهِ فِي يَوْمِ الفِطْرِ فِي الدُّنْيَا، فَهَذَا الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ السُّؤَالُ. وَلَكِنْ شَكَرَ اللهُ لِلأَخِ السَّائِلِ عَلِيِّ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ اللهِ مَكِّيٍّ، وَأَثَابَهُ اللهُ.

وَأَيْضًا الأَخُ الكَرِيمُ أَبُو عَبْدِ اللهِ السَّلَمِيُّ، فَقَدْ ذَكَرْتُ بَيْتَيْنِ مِنَ الشِّعْرِ، وَقُلْتُ: إِنَّهُمَا يُنْسَبَانِ لِلشَّافِعِيِّ. فَصَوَّبَ نِسْبَةَ البَيْتَيْنِ وَأَنَّهُمَا لِلعَلَّامَةِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الأَخْضَرِيِّ(٣٤١). وَذَكَرْتُ أَيْضًا أَنَّ ابْنَ القَيِّمِ قَالَ: لَيْسَ فِي الصَّحَابَةِ أَبْكَمُ. فَرَجَعَ -أَثَابَهُ اللهُ- إِلَى «مِفْتَاحُ دَارِ السَّعَادَةِ» فَوَجَدَ العِبَارَةَ: أَطْرَشُ. فَأَشْكُرُهُ شُكْرًا جَزِيلًا عَلَى الفَائِدَةِ.

---

(٣٣٧) أخرجه أبو يعلى الموصلي في «مسنده» (٢٠٩٠)، وابن حبان في «صحيحه» (٣٨٥٣)، من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، وضعفه الألباني في «ضعيف الترغيب والترهيب» (٧٣٨).

(٣٣٨) هو: الإمام العلامة، الحافظ المجود أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن معبد بن سهيد بن هدية بن مرة بن سعد بن يزيد بن مرة بن زيد بن عبد الله بن دارم بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم التميمي البستي. صاحب التصانيف ومن أشهرها الصحيح. ولد سنة بضع وسبعين ومئتين. كان من أوعية العلم في الفقه، واللغة، والحديث، والوعظ، ومن عقلاء الرجال. مات في شوال سنة أربع وخمسين وثلاث مئة، وهو في عشر الثمانين. انظر: سير أعلام النبلاء (١٦/ ٩٢ ترجمة ٧٠)، وطبقات الحفاظ (ص: ٣٧٤).

(٣٣٩) هو: الإمام الحافظ الجوال، محدث الإسلام، أبو عبد الله، محمد ابن المحدث أبي يعقوب إسحاق ابن الحافظ أبي عبد الله محمد بن يحيى بن مندة. مولده في سنة عشر وثلاث مئة، أو إحدى عشرة. قال الذهبي: «ولم أعلم أحدا كان أوسع رحلة منه، ولا أكثر حديثا منه مع الحفظ والثقة، فبلغنا أن عدة شيوخه ألف وسبع مئة شيخ». من تصانيفه: «الإيمان»، و«التوحيد». لم يعمر كثيرا، بل عاش أربعا وثمانين سنة، ومات في سلخ ذي القعدة سنة خمس وتسعين وثلاث مئة. انظر السير (١٧/ ٢٨ ترجمة ١٣)، ومناقب الإمام أحمد (ص: ٥١٨).

(٣٤٠) هو: الصحابي الجليل أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام بن جندب بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار. الإمام، المفتي، المقرئ، المحدث، راوية الإسلام، أبو حمزة الأنصاري الخزرجي النجاري المدني، خادم رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وقرابته من النساء، وتلميذه، وتبعه، وآخر أصحابه موتا، وروى عنه علما جما، وغزا معه غير مرة، وبايع تحت الشجرة. دعا له النبي بالبركة، فرأى من ولَده وولَدِ ولَدِه نحوا من مئة نفْس. مات سنة إحدى وتسعين. انظر: الاستيعاب (ص: ٥٣ ترجمة ٤٣)، والإصابة (١/ ١٢٦ ترجمة ٢٧٧).

(٣٤١) هو: العلامة عبد الرحمن بن محمد الأخضري، صاحب متن «السلم المنورق»، و«الجوهر المكنون». ولد سنة ثمان عشرة وتسع مئة ببسكرة، في الجزائر. توفي سنة ثلاث وثمانين وتسع مئة، وقبره في زاوية بنطيوس من قرى بسكرة. انظر: الأعلام للزركلي (٣/ ٣٣١).

وَنَحْنُ يَا إِخْوَانِ جَمِيعًا طُلَّابُ عِلْمٍ، وَلَيْسَتِ الفَائِدَةُ مَقْصُورَةً عَلَى الْمُسْتَمِعِينَ، فَالشَّيْخُ ابْنُ سَعْدِيٍّ[٣٤٢] لَمَّا سَأَلَهُ بَعْضُهُمْ، وَكَأَنَّ السَّائِلَ أَشَارَ إِلَى أَنَّهُ أَطَالَ فِي السُّؤَالِ عَلَى الشَّيْخِ، فَقَالَ الشَّيْخُ: المِنَّةُ لَكُمْ -يَعْنِي لِمَنْ حَضَرَ وَسَأَلَ- لِأَنَّكُمْ تُعِينُونَ الْمُتَكَلِّمَ عَلَى البَحْثِ وَعَلَى القِرَاءَةِ وَعَلَى التَّدْوِينِ.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

قَالَ الحَافِظُ ابْنُ طَاهِرٍ رَحِمَهُ اللهُ:

(وَلَا أَرْتَضِي فِي الدِّينِ قَوْلَ مُجَادِلٍ * بِمَا زَخْرَفُوهُ مِنْ فُصُولٍ لَهَا كَدَرْ)**

يَقُولُ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: (**وَلَا أَرْتَضِي فِي الدِّينِ**). أَيْ لَا أَرْضَى وَلَا أُقِرُّ وَلَا أُحِبُّ وَلَا أَقُولُ وَلَا أَرَى.. وَكُلُّهَا تَدُلُّ عَلَى النَّبْذِ وَالذَّمِّ، فَمَا الَّذِي لَا يَرْتَضِيهِ؟ (**قَوْلَ مُجَادِلٍ**) فَأَهْلُ الجَدَلِ وَأَهْلُ الحُجَجِ البَاطِلَةِ الدَّاحِضَةِ لَا نَرْتَضِي كَلَامَهُمْ، فَيُسْتَقْبَحُ لِصَاحِبِ الحُجَّةِ الدَّاحِضَةِ فِي أُمُورِ الدُّنْيَا أَنْ يَخُوضَ فِيهَا؛ لِأَنَّهُ يَجْهَلُهَا، فَكَيْفَ بِأُمُورِ الدِّينِ وَالاعْتِقَادِ؟! فَلَا شَكَّ أَنَّ الأَمْرَ أَقْبَحُ وَالذَّنْبَ أَشْنَعُ. يَقُولُ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**مَنْ تَطَبَّبَ وَلَمْ يُعْلَمْ مِنْهُ الطِّبُّ فَمَا أَفْسَدَ فَهُوَ ضَامِنٌ**»[٣٤٣]. فَإِذَا كَانَ هَذَا فِي أَبْدَانِ النَّاسِ، فَيُعْتَبَرُ مَنْ تَطَبَّبَ وَلَبِسَ ثِيَابَ الطِّبِّ وَادَّعَى مِهْنَةَ الطِّبِّ وَهُوَ جَاهِلٌ بِهَا يُعْتَبَرُ أَنَّهُ مُفْتَرٍ، وَأَجْرَمَ فِي حَقِّ النَّاسِ، فَكَيْفَ بِمَنْ جَادَلَ بِالبَاطِلِ فِي أُمُورِ الاعْتِقَادِ فَأَفْسَدَ عَلَى النَّاسِ دِينَهُمْ؟! لَا شَكَّ أَنَّ هَذَا أَقْبَحُ وَأَعْظَمُ جُرْمًا.

فَالْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ يُحَذِّرُ نَفْسَهُ، وَمَنْ يَقْرَأُ كِتَابَهُ مِنْ هَؤُلَاءِ، كَمَا حَذَّرَ اللهُ تَعَالَى مِنْهُمْ فِي كِتَابِهِ الكَرِيمِ، فَقَدْ حَذَّرَ مِنْ أَهْلِ الجَدَلِ بِالبَاطِلِ، وَالْمُجَادِلِينَ فِي دِينِ اللهِ بِغَيْرِ حَقٍّ، وَجَاءَ التَّحْذِيرُ مِنَ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي قَوْلِهِ لَمَّا قَرَأَ فِي سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ فِي قَوْلِهِ جَلَّ وَعَلَا: ﴿**هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الكِتَابِ وَأُخَرُ**

---

(٣٤٢) هو: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر آل سعدي من قبيلة تميم، ولد في القصيم في الثاني عشر من محرم عام سبعة وثلاث مئة وألف. نشأ يتيما، وقرأ القرآن وأتقنه وعمره أحد عشر عاما، ثم اشتغل في التعلم على علماء بلده، فجد حتى نال الحظ الأوفر من كل فن من فنون العلم. من تلاميذه الشيخ محمد بن صالح العثيمين. له مؤلفات حسان؛ منها: «تيسير الكريم الرحمن»، و«القواعد الحسان لتفسير القرآن». توفي سنة ست وسبعين وثلاث مئة وألف. انظر: الشيخ عبدالرحمن السعدي حياته وعلمه، رسالة ماجستير لعبد العزيز العمار.

(٣٤٣) أخرجه أبو داود في كتاب الديات- باب فيمن تطبب بغير علم فأعلنت (٤٥٨٦)، والنسائي في كتاب القسامة- باب صفة شبه العمد، وعلى من دية الأجنة، وشبه العمد (٤٨٣٠)، وابن ماجه في كتاب الطب- باب من تطبب ولم يعلم منه طب (٣٤٦٦)، من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ﴾[٣٤٤]. قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «**أُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَّى اللهُ فَاحْذَرُوهُمْ**»[٣٤٥].

وَقَدْ لَزِمَ السَّلَفُ هَذَا المَسْلَكَ؛ فَحَذَرُوا وَحَذَّرُوا وَجَانَبُوا مَجَالِسَهُمْ، وَجَاءَتْ كُتُبُ الرُّدُودِ عَلَيْهِمْ بِالتَّحْذِيرِ مِنْ شُبَهِهِمْ، وَالتَّحْذِيرِ مِنْ مُجَالَسَتِهِمْ وَمَنْ مَقَالَاتِهِمْ. بَلْ إِنَّ بَعْضَ السَّلَفِ عَلَيْهِ رَحْمَةُ اللهِ كَابْنِ سِيرِينَ[٣٤٦] قَدْ دَخَلَ عَلَيْهِ أَحَدُ أُولَئِكَ -كَمَا ذَكَرَ اللَّالِكَائِيُّ وَغَيْرُهُ- فَقَالَ: أُرِيدُ أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ آيَةً. قَالَ: لَا تَقْرَأْ. قَالَ: إِنَّمَا هِيَ آيَةٌ. قَالَ: وَلَا حَتَّى آيَةٌ. وَابْنُ سِيرِينَ لَمْ يَقُلْ ذَلِكَ نُفُورًا مِنْ كَلَامِ اللهِ -حَاشَاهُ، وَلَكِنْ حَتَّى لَا يَجْعَلَ لِهَذَا الْمُبْتَدِعِ الْمُجَادِلِ بِالبَاطِلِ مَسْلَكًا إِلَى سَمْعِهِ، فَقَدْ يُضَمِّنَ الآيَةَ كَلَامًا أَوْ تَفْسِيرًا يُؤَثِّرُ بِهِ عَلَى سَامِعِيهِ، فَلَمَّا أَصَرَّ وَضَعَ ابْنُ سِيرِينَ إِصْبَعَيْهِ فِي أُذُنَيْهِ.

وَفِي بَعْضِ كُتُبِ السُّنَّةِ: أَنَّ أَحَدَ هَؤُلَاءِ دَخَلَ عَلَى أَحَدِ أَئِمَّةِ السَّلَفِ -قَدْ يَكُونُ ابْنُ سِيرِينَ، وَقَدْ يَكُونُ آخَرُ- فَقَالَ لَهُ صَاحِبُ الدَّارِ الَّذِي هُوَ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ: اخْرُجْ مِنْ دَارِي. فَقَالَ: أَتَيْتُكَ أُعَلِّمُ. قَالَ: اخْرُجْ مِنْ دَارِي. فَلَمَّا عَانَدَ وَأَصَرَّ عَلَى البَقَاءِ قَامَ صَاحِبُ الدَّارِ وَدَخَلَ فِي جَوْفِ بَيْتِهِ. فَقَالَ الحَاضِرُونَ: أَلَا تَسْتَحِي؟! أَلَا تَخْرُجُ مِنْ دَارِهِ؟! وَهَذَا مِنْهُمْ عَلَيْهِمْ رَحْمَةُ اللهِ حِفَاظًا عَلَى سَلَامَةِ الدِّينِ وَالاعْتِقَادِ -وَسَيَأْتِي بَيَانُهُ.

يَقُولُ: (**وَلَا أَرْتَضِي فِي الدِّينِ قَوْلَ مُجَادِلٍ بِمَا زَخْرَفُوهُ**): فَشَأْنُهُمُ الزَّخْرَفَةُ وَالتَّزْيِينُ، وَنَقُولُ: زَخْرَفَ الدَارَ إِذَا زَيَّنَهَا. قَالَ تَعَالَى: ﴿**زُخْرُفَ القَوْلِ غُرُورًا**﴾[٣٤٧].

وَقَوْلُهُ: (**بِمَا زَخْرَفُوهُ مِنْ فُصُولٍ لَهَا كَدَرْ**): الفُصُولُ قِيلَ: النَّظْمُ، وَقِيلَ: مِنْ مَعَانِي الفُصُولِ: أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَ كُلِّ لُؤْلُؤَتَيْنِ خَرَزَةً يُزَيِّنُهُ.

---

(٣٤٤) سورة آل عمران: ٧.

(٣٤٥) أخرجه البخاري في كتاب تفسير القرآن- باب منه آيات محكمات (٤٥٤٧)، ومسلم في كتاب العلم- باب النهي عن اتباع متشابه القرآن والتحذير (٢٦٦٥)، من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٣٤٦) هو: محمد بن سيرين، أبو بكر الأنصاري، الأنسي البصري. مولى أنس بن مالك، خادم رسول الله -صلى الله عليه وسلم-. التابعي الجليل. ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر. كان نسيجَ وحده. لم يكن بالبصرة أعلم منه، وكان حسن العلم بالفرائض، والقضاء، والحساب. قال ابن حجر في التقريب: ثقة ثبت عابد كبير القدر. توفي بعد موت الحسن البصري بمئة يوم، سنة عشر ومئة. انظر: تهذيب الكمال (٢٥/ ٣٤٤ ترجمة ٥٢٨٠)، وسير أعلام النبلاء (٤/ ٦٠٦ ترجمة ٢٤٦).

(٣٤٧) سورة الأنعام: ١١٢.

وَالكَدَرُ: مَا مَالَ إِلَى اللَّوْنِ الأَسْوَدِ وَالغَبَرَةِ.

فَكَلَامُ أَهْلِ البِدَعِ كُلُّهُ مُزَيَّنٌ مُزَخْرَفٌ مِنْ بَابِ خِدَاعِ السَّامِعِينَ؛ وَلِهَذَا يَخْدَعُ كَثِيرًا مِمَّنْ لَمْ يَعْرِفِ المُعْتَقَدَ، وَلَمْ يَعْرِفِ الحَذَرَ، أَوْ لَا يَعْرِفُ شُبَهَ القَوْمِ. فَكَمْ زَلَّتْ مِنْ قِدَمٍ؟! وَكَمْ زَلَّ مِنْ قَلَمٍ؟! وَكَمْ زَلَّ مِنْ كَلْمٍ؟! بِسَبَبِ تَزْيِينِ هَؤُلَاءِ، وَخِدَاعِ أُولَئِكَ مِنْ أَهْلِ البِدَعِ وَالضَلَالِ. إِذَنْ لَا تَرْضَى كَلَامَهُمْ وَاحْذَرْهُ، وَاحْذَرْ كُتُبَهُمْ وَمَجَالِسَهُمْ وَمُجَالَسَتَهُمْ، وَسَيَأْتِي فِي كَلَامِهِ رَحِمَهُ اللهُ النَصُّ عَلَى هَذَا الأَمْرِ وَعَلَى بَعْضِ أَعْيَانِهِ. وَكُتُبُ السَّلَفِ مَلِيئَةٌ، حَتَّى إِنَّكَ لَتَعْجَبُ مِنْ كَثْرَةِ تَحْذِيرِ السَّلَفِ مِنْ أَهْلِ الأَهْوَاءِ، وَفِي الحَقِيقَةِ مَنْ قَرَأَ شُبَهَهُمْ وَعَرَفَ مُعْتَقَدَاتِهِمْ وَمَسَالِكَهُمْ عَلِمَ شِدَّةَ حَذَرِ السَّلَفِ، وَكَثْرَةَ تَحْذِيرِ السَّلَفِ عَلَيْهِمْ رَحْمَةُ اللهِ مِنْ كُتُبٍ وَشُبَهٍ أُولَئِكَ القَوْمِ.

وَهُنَا نَسْتَفِيدُ: إِذَا تَكَلَّمَ أَحَدٌ، وَكَانَ كَلَامُهُ قِمَّةً فِي البَلَاغَةِ وَتَحْسِينِ العِبَارَاتِ بِالْمُحَسَنَاتِ البَلَاغِيَّةِ وَحُسْنَ الخِطَابِ، فَلَا تَغْتَرَّ بِمَا يَقُولُ حَتَّى تُعْرِضَ كَلَامَهُ عَلَى الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ. أَمَّا مُجَرَّدُ البَلَاغَةِ وَالفُحُولَةِ فِي القَوْلِ فَهَذَا لَيْسَ بِمُسَوِّغٍ أَنْ يُقْبَلَ كَلَامُهُ. يَقُولُ ابْنُ الجَوْزِيِّ[٣٤٨] عَنْ كَلَامِ العَامَّةِ عَنِ القُصَّاصِ: كُلُّ مَنْ صَعِدَ المِنْبَرَ فَهُوَ عَالِمٌ. وَهَذِهِ مُصِيبَةٌ، وَمِنَ الأَسْبَابِ الرَّئِيسِيَّةِ فِي غِيَابِ التَّوْحِيدِ وَغِيَابِ مَسَائِلِ الاعْتِقَادِ فِي كَثِيرٍ مِنْ بِلَادِ المُسْلِمِينَ: عَدَمُ تَفْرِيقِ العَامَّةِ بَيْنَ العَالِمِ وَالخَطِيبِ، وَبَيْنَ العَالِمِ وَالشَّاعِرِ، وَبَيْنَ العَالِمِ وَالبَلِيغِ أَوِ المُتَفَصِّحِ.

فَإِذَا قَالَ أَحَدُهُمْ قَصِيدَةً فِي الإِسْلَامِ وَتَبَاكَى عَلَى أَحْوَالِ الأُمَّةِ، فَهُوَ مَشْكُورٌ مَأْجُورٌ، لَكِنِ الحَذَرُ إِنْ يُنَصِّبَ نَفْسَهُ مُفْتِيًا مُقَرِّرًا حَاكِمًا عَلَى أَحْوَالِ المُسْلِمِينَ، وَإِذَا أَعْطَى اللهُ الإِنْسَانَ قَرِيحَةً شِعْرِيَّةً هَذِهِ نِعْمَةٌ، لَكِنَّهَا دَائِرَةٌ فَلَا يَخْرُجُ مِنْهَا إِلَّا إِذَا جَمَعَ اللهُ لَهُ مِنَ الشِّعْرِ وَالعِلْمِ بِالقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ، فَبَعْضُ النَّاسِ إِذَا ارْتَقَى المِنْبَرَ كَأَنَّهُ سَحْبَانُ بْنُ وَائِلٍ[٣٤٩] بِفَصَاحَتِهِ وَبَلَاغَتِهِ، وَهَذِهِ لَا شَكَّ نِعْمَةٌ، وَيَسُدُّ ثَغْرًا عَظِيمًا، لَكِنْ يُقَالُ: أَنْتَ خَطِيبٌ، تَنْقِلُ كَلَامَ أَهْلِ العِلْمِ وَتَقْرَؤُهُ،

---

(٣٤٨) هو: عبد الرحمن بن علي بن محمد. جمال الدين أبو الفرج ابن الجوزي الشيخ الإمام العلامة، الحافظ المفسر، شيخ الإسلام، مفخرة العراق، التيمي البكري البغدادي، الحنبلي، الواعظ، صاحب التصانيف. له مؤلفات جياد؛ منها: زاد المسير، وفنون الأفنان. ولد سنة تسع -أو عشر- وخمس مئة، وتوفي سنة سبع وتسعين وخمس مئة. انظر: سير أعلام النبلاء (٢١/ ٣٦٥ ترجمة ١٩٢)، والذيل على طبقات الحنابلة (٢/ ٤٥٨ ترجمة ٢٢٧).

(٣٤٩) هو: سحبان بن زفر بن إياس، المعروف بسحبان بن وائل الباهلي. خطيب العرب في الجاهلية. ضُرب به المثل في الفصاحة. فيقال: «أخطب من سحبان وائل»، لمن يريدون مدحه وإعطاءه صفة البيان. كان إذا خطب؛ لم يعد حرفا ولم يتلعثم، ولم يتوقف، ولم يتفكر، بل كان يسيل سيلا. أسلم في زمن النبي -صلى الله عليه وسلم- ولم يجتمع به، وأقام في دمشق أيام معاوية، وشك ابن حجر في إدراكه الإسلام. توفي سنة أربع وخمسين. انظر: جمهرة الأمثال (١/ ٢٤٨)، والإصابة (٣/ ٢٥٠ ترجمة ٣٦٦٦)، وأعلام الزركلي (٣/ ٧٩).

فَإِذَا كُنْتَ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَرْتَجِلَ كَلَامَهُمْ ارْتِجَالًا فَنِعْمَ. وَأَمَّا الفُتْيَا وَالقَوْلُ فِي مَسَائِلِ الاعْتِقَادِ وَالحُكْمُ عَلَى المُسْلِمِينَ فَلَيْسَ لَكَ، فَهَذَا لِلرَّاسِخِينَ مِنْ أَهْلِ العِلْمِ.

وَإِذَا مَنَّ اللهُ عَلَيْكَ بِتِلَاوَةٍ جَمِيلَةٍ، وَأَعْطَاكَ اللهُ صَوْتًا نَدِيًّا، فَهَذِهِ نِعْمَةٌ فَسَخِّرْهَا فِي الخَيْرِ، لَكِنْ لَا تَلْبَسْ ثَوْبَ الفُتْيَا، وَثَوْبَ تَخْطِئَةِ النَّاسِ بِدُونِ عِلْمٍ. وَإِذَا جَمَعَ اللهُ لِلإِنْسَانِ بَيْنَ البَلَاغَةِ وَالتِّلَاوَةِ وَالشِّعْرِ وَالعِلْمِ هَذِهِ مِنَّةٌ مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ. لَكِنْ مَنْ سَافَرَ وَرَأَى أَحْوَالَ المُسْلِمِينَ يَرَى أَنَّ هَذَا الأَمْرَ -عَدَمُ التَّفْرِيقِ بَيْنَ العَالِمِ وَغَيْرِ العَالِمِ- مِنْ أَسْبَابِ ضَعْفِ كَثِيرٍ مِنْ بِلَادِ المُسْلِمِينَ، فَالمُسْلِمُونَ يُحِبُّونَ الخَيْرَ، وَإِذَا سَافَرَتَ إِلَيْهِمْ تَجِدُ فِيهِمْ حَبَّ الخَيْرِ وَحُسْنَ الظَّنِّ، لَكِنْ لَا يُفَرِّقُونَ. فَالرَّجُلُ حَسَنُ التِّلَاوَةِ هُوَ الإِمَامُ المُقَدَّمُ عِنْدَهُمْ؛ فَيَفْتِي فِي الاعْتِقَادِ وَفِي العِبَادَاتِ وَفِي المُعَامَلَاتِ، وَتَزْدَادُ المُصِيبَةُ إِذَا كَانَ ذَاكَ المَعْنِيُّ يَرَى نَفْسَهُ أَهْلًا مَعَ عِلْمِهِ بِجَهْلِهِ! لَكِنْ لِجَهْلِ أَصْحَابِهِ الْتَبَسَ الأَمْرُ عَلَيْهِمْ.

وَهَذَا أَمْرٌ طَبِيعِيٌّ؛ وَهُوَ أَنْ يَفْتَحَ اللهُ عَلَى الإِنْسَانِ فِي العِلْمِ، وَلَا يَفْتَحُ عَلَيْهِ فِي عِلْمٍ آخَرَ. هَذَا أَمْرٌ مَعْرُوفٌ. يَقُولُ الإِمَامُ الذَّهَبِيُّ فِي تَرْجَمَتِهِ لِنُوحٍ الجَامِعِ[٣٥٠] فِي «التَّذْكِرَةِ» وَأَنَّهُ ذَكَرَ حَدِيثَ: «**لِخَاتِمِ القُرْآنِ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ**». قَالَ: فِي إِسْنَادِهِ نُوحٌ الجَامِعُ، جَمَعَ كُلَّ شَيْءٍ إِلَّا الصِّدْقَ، فَهُوَ كَذَّابٌ! ثُمَّ قَالَ: فَكَمْ مِنْ إِمَامٍ فِي فَنٍّ مُقَصِّرٌ فِي غَيْرِهِ.

فَسِيبَوَيْهِ[٣٥١] إِمَامٌ فِي النَّحْوِ وَلَا يَدْرِي مَا الحَدِيثُ؟! فَلَوْ جَاءَ شَخْصٌ وَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ قَالَ عَنْهُ سِيبَوَيْهِ: إِنَّهُ صَحِيحٌ. سِيبَوَيْهِ لَمْ يَقُلْ هَذَا؟ وَهُوَ عَلَى الرَّأْسِ وَالعَيْنِ رَحِمَهُ اللهُ لَكِنْ يُحْتَجُّ بِكَلَامِهِ فِي النَّحْوِ. لَكِنْ لَا تَقُلْ: هَذَا الحَدِيثُ صَحَّحَهُ سِيبَوَيْهِ، وَضَعَّفَهُ ابْنُ مَعِينٍ[٣٥٢]! فَمَنْ نُقَدِّمُ؟ المُقَارَنَةُ غَيْرُ وَارِدَةٍ أَصْلًا.

---

(٣٥٠) هو: نوح بن أبي مريم، واسمه مابنة، ويقال: مافنة، وقيل: يزيد بن جعونة. المروزي، أبو عصمة القرشي. قاضي مرو. ويعرف بنوح الجامع؛ لأنه أخذ الفقه عن أبي حنيفة، وابن أبي ليلى، والحديث عن حجاج بن أرطأة، والتفسير عن الكلبي ومقاتل، والمغازي عن ابن إسحاق، وروى عن الزهري، وابن المنكدر. توفي سنة ثلاث وسبعين ومئة. قال ابن حجر في التقريب: «كذبوه في الحديث، وقال ابن المبارك: كان يضع». انظر: تهذيب الكمال (٣٠/ ٥٦ ترجمة ٦٤٩٥)، وميزان الاعتدال (٤/ ٢٧٩ ترجمة ٩١٤٣).

(٣٥١) هو: إمام النحو، حجة العرب، أبو بشر، عمرو بن عثمان بن قنبر، الفارسي، ثم البصري. قد طلب الفقه والحديث مدة، ثم أقبل على العربية، فبرع وساد أهل العصر، وألف فيها كتابه الكبير الذي لا يُدرك شأوه فيه. استملى على حماد بن سلمة، وأخذ النحو عن عيسى بن عمر، ويونس بن حبيب، والخليل ولازمه، وأبي الخطاب الأخفش الكبير. سمي سيبويه؛ لأن وجنتيه كانتا كالتفاحتين. اختلف في وقت وفاته على أقوال، أرجحها أنه مات سنة ثمانين ومئة. انظر: سير أعلام النبلاء (٨/ ٣٥١ ترجمة ٩٧)، وإنباه الرواة (٢/ ٣٤٦ ترجمة ٥١٥).

) هو: الإمام الحافظ الجهبذ، شيخ المحدثين، يحيى بن معين بن عون بن زياد بن بسطام بن عبد الرحمن، وقيل: يحيى بن معين بن غياث 352(بن زياد بن عون بن بسطام وقيل يحيى بن معين بن عون بن زياد بن نهار بن خيار بن بسطام المري الغطفاني، أبو زكريا البغدادي، مولى غطفان.

وَأَبُو نَوَّاسٍ[٣٥٣] رَأْسٌ فِي الشِّعْرِ عَرْيٌ مِنْ غَيْرِهِ. وَعَاصِمُ بْنُ أَبِي النَّجُودِ[٣٥٤] إِمَامٌ فِي القِرَاءَةِ تَالِفٌ فِي الحَدِيثِ. وَمُحَمَّدُ بْنُ الحَسَنِ[٣٥٥] إِمَامٌ فِي الفِقْهِ وَلَا يَدْرِي مَا الطِّبُّ قَطُّ. فَهَذِهِ فُتُوحَاتٌ إِلَهِيَّةٌ، وَالَّذِي أَضَرَّ بِالْمُسْلِمِينَ وَبِصَحْوَةِ الْمُسْلِمِينَ -إِنْ صَحَّتِ العِبَارَةُ- عَدَمُ التَّفْرِيقِ بَيْنَ العُلَمَاءِ وَبَيْنَ غَيْرِ العُلَمَاءِ. وَالإِنْسَانُ الحَرِيصُ عَلَى دِينِهِ بَلْ عَلَى دُنْيَاهُ أَوَّلًا -مِنْ بَابِ تَأْخِيرِ الشَّيْءِ لِأَهَمِّيَّتِهِ- فَفِي الدُّنْيَا مَا عَرَفْنَا أَنَّ أَحَدًا يُرِيدُ أَنْ يَبْنِيَ مَنْزِلًا فَذَهَبَ إِلَى الجَزَّارِ أَوِ الخَبَّازِ.. بَلْ يَذْهَبُ إِلَى الْمُهَنْدِسِينَ. وَمَا عَلِمْنَا أَنَّ أَحَدًا يُرِيدُ أَنْ يَشْتَرِيَ لِمَنْزِلِهِ مَوَادَّ كَهْرُبَائِيَّةً فَذَهَبَ إِلَى النَّجَّارِينَ وَالحَدَّادِينَ..

إِذَنْ فَأُمُورُ الدِّينِ أَعْظَمُ، فَلَا تَسْأَلْ إِلَّا مَنْ تَثِقُ فِي عَقْلِهِ وَدِينِهِ. يَقُولُ شَيْخُ الإِسْلَامِ لَمَّا كَتَبَ إِلَى أَحَدِ سَلَاطِينِ العَجَمِ: فَإِنْ كَانَ عِنْدَ المَلِكِ مَنْ يَثِقُ فِي عَقْلِهِ وَدِينِهِ فَلْيَسْتَشِرْهُ فِي أَمْرِهِ. وَلِهَذَا فَالحَذَرُ مِنْ أَنْ يَتَكَلَّمَ الإِنْسَانُ فِيمَا لَا يَعْلَمُهُ، خَاصَّةً فِي أُمُورِ الاعْتِقَادِ، وَمَا يُؤَثِّرُ فِي صَلَاحِ دِينِ الْمُسْلِمِ.

(وَلَكِنْ بِالآيَاتِ وَالسُّنَنِ الَّتِي * أَتَتْ عَنْ رَسُولِ اللهِ فِي ذَاكَ كَالغَرَرْ)**

ولد سنة ثمان وخمسين ومئة. وطلب العلم وهو ابن عشرين سنة. قال ابن حجر في التقريب: ثقة حافظ مشهور، إمام الجرح والتعديل. توفي سنة ثلاث وثلاثين ومئتين. انظر: تهذيب الكمال (٣١/ ٥٤٣ ترجمة ٦٩٢٦)، والسير (١١/ ٧١ ترجمة ٢٨).

(٣٥٣) هو: أبو نواس، رئيس الشعراء، أبو علي الحسن بن هانئ الحكمي، وقيل: ابن وهب. ولد بالأهواز، ونشأ بالبصرة، وسمع من حماد بن سلمة وطائفة، وتلا على يعقوب، وأخذ اللغة عن أبي زيد الأنصاري وغيره. ومدح الخلفاء والوزراء، ونظمه في الذروة، حتى قال فيه أبو عبيدة شيخه: أبو نواس للمحدثين كامرئ القيس للمتقدمين. قيل: لقب بهذا لضفيرتين كانتا تنوسان على عاتقيه، أي: تضطرب. وهو من موالي الجراح الحكمي أمير الغزاة. مات سنة خمس -أو ست- وتسعين ومئة. وقيل: مات في سنة ثمان وتسعين ومئة. انظر: الأغاني (٢٠/ ٦١ ط: دار الكتب، وسير أعلام النبلاء (٩/ ٢٧٩ ترجمة ٧٧).

(٣٥٤) هو: عاصم بن أبي النجود، الإمام الكبير مقرئ العصر، أبو بكر الأسدي مولاهم الكوفي واسم أبيه بهدلة. مولده في إمرة معاوية بن أبي سفيان. وهو معدود في صغار التابعين. انتهت إليه رئاسة الإقراء بعد أبي عبد الرحمن السلمي شيخه. كان ذا أدب ونسك وفصاحة، وصوت حسن. و ثبتا في القراءة، صدوقا في الحديث. قال ابن حجر في التقريب: صدوق له أوهام، حجة في القراءة، وحديثه في الصحيحين مقرون. توفي في آخر سنة سبع وعشرين ومئة. انظر: تهذيب الكمال (١٣/ ٤٧٣ ترجمة ٣٠٠٢)، والسير (٥/ ٢٥٦ ترجمة ١١٩).

(٣٥٥) هو: محمد بن الحسن بن فرقد، العلامة، فقيه العراق، أبو عبد الله الشيباني، الكوفي، صاحب أبي حنيفة. ولد بواسط، ونشأ بالكوفة. وأخذ عن أبي حنيفة بعض الفقه، وتمم الفقه على القاضي أبي يوسف. وروى عن: أبي حنيفة، ومسعر، ومالك بن مغول، والأوزاعي، ومالك بن أنس. أخذ عنه الشافعي فأكثر جدا. مات سنة تسع وثمانين ومئة بالري. انظر: سير أعلام النبلاء (٩/ ١٣٤ ترجمة ٤٥)، طبقات الفقهاء للشيرازي (ص: ١٣٥).

يَقُولُ: أَنَا لَا أَرْتَضِي قَوْلَ أَهْلِ الجَدَلِ، وَلَا أَرَى رَأْيَ الرِّجَالِ، (**وَلَكِنْ بِالآيَاتِ وَالسُّنَنِ الَّتِي أَتَتْ**).

قَوْلُهُ: (**أَتَتْ عَنْ رَسُولِ اللهِ**). أَيْ: نَسْتَفِيدُ السُّنَنَ الثَّابِتَةَ الصَّحِيحَةَ، وَالصَّحِيحُ أَوِ الثَّابِتُ لَعَلَّهُ أَشْمَلُ؛ فَإِنَّهُ يَشْمَلُ الصَّحِيحَ وَالحَسَنَ بِجَمِيعِ أَنْوَاعِهِ.

(**أَتَتْ عَنْ رَسُولِ اللهِ فِي ذَاكَ كَالغَرَرْ**) جَمْعُ غُرَّةٍ وَهِيَ البَيَاضُ، وَكُلُّ مَا بَدَا لَكَ مِنْ ضَوْءٍ أَوْ صُبْحٍ فَهُوَ غُرَّةٌ.

فَهُوَ يَقُولُ: (**لَا أَرْتَضِي قَوْلَ الرِّجَالِ**) المُخَالِفِ، وَمِنْ بَابٍ أَوْلَى: قَوْلُ أَهْلِ البَاطِلِ مَهْمَا زَيَّنُوهُ وَزَخْرَفُوهُ وَجَعَلُوهُ كَالدُّرَرِ وَكَالعَقْدِ المُنَظَّمِ. إِذَنْ مَاذَا تَرْضَى رَحِمَكَ اللهُ؟ قَالَ: أَرْضَى مَا رَضِيَ أَهْلُ السُّنَّةِ، بَلْ مَا رَضِيَهُ اللهُ لِنَفْسِهِ، وَحَثَّ عَلَيْهِ رَبُّنَا وَنَبِيُّنَا؛ وَهُوَ أَنْ نَأْخُذَ بِالمَصْدِرِينَ: الكِتَابِ ثُمَّ السُّنَّةِ.

(**فَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي ذَاكَ نَصٌّ فَمَا أَتَى *** إِلَيْنَا بِإِجْمَاعٍ عَنِ السَّلَفِ الشُّهَرْ**)

إِذَا لَمْ نَجِدْ آيَةً أَوْ حَدِيثًا، فَيَأْتِي إِجْمَاعُ السَّلَفِ فَيَحْسِمُ الأَمْرَ، فَالكِتَابُ وَالسُّنَّةُ هُمَا المَصْدَرُ، بَعْدَهُمَا إِجْمَاعُ السَّلَفِ، وَلَا يُمْكِنُ إِجْمَاعُهُمْ عَلَى خَطَأٍ أَبَدًا، وَإِلَّا لَقِيلَ: بِأَنَّ الحَقَّ ضَلَّ عَنِ الأُمَّةِ كُلِّهَا، وَهَذَا مُحَالٌ. وَقَدْ تَقَدَّمَ: ﴿**وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا**﴾[٣٥٦].

فَهُوَ يَقُولُ: إِذَا لَمْ نَجِدْ آيَةً وَلَا حَدِيثًا فَيَأْتِي إِجْمَاعُ الأُمَّةِ عَلَى هَذَا، فَهُمْ أَدْرَى بِالحَقِّ، وَمُحَالٌ أَنْ يَكُونَ إِجْمَاعُهُمْ عَلَى بَاطِلٍ.

(**عَنِ السَّلَفِ الشُّهَرْ**) المَشْهُورُونَ بِاتِّبَاعِ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَهُمْ كُثْرٌ وَالحَمْدُ للهِ. فَكُتُبُ التَّرَاجِمِ وَكُتُبُ العَقَائِدِ قَدْ ذَكَرَتْ مِئَاتٍ مِنْ أَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ، وَهُمْ مَنْ كَانَ عَلَى مَنْهَجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابِهِ، وَرَأْسُهُمْ وَإِمَامُهُمُ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ثُمَّ أَصْحَابُهُ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ.

وَلِهَذَا طَعَنَ المُبْتَدِعَةُ فِي الصَّحَابَةِ، وَقَدَحُوا فِي أَئِمَّةِ الصَّحَابَةِ وَفِي أَكَابِرِهِمْ وَفِي آحَادِهِمْ طَعْنًا بِقَصْدِ تَضْيِيقِ فَضْلِ هَذَا الصَّحَابِيِّ، وَلَكِنَّهَا وَسِيلَةٌ إِلَى غَايَةٍ، وَمُقَدِّمَةٌ إِلَى نَتِيجَةٍ، وَمُبْتَدَأٌ إِلَى خَبَرٍ. فَإِذَا طَعَنُوا فِي الصَّحَابَةِ وَهُمْ نَقَلَةُ الدِّينِ؛ فَسَيَنْسَحِبُ الطَّعْنُ عَلَى الدِّينِ، بَلْ عَلَى النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، بَلْ عَلَى اللهِ رَبِّ العَالَمِينَ. وَهَكَذَا بَيَّنَ السَّلَفُ هَذَا المَسْلَكَ الخَبِيثَ؛ وَهُوَ الطَّعْنُ فِي وَاحِدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ وَفِي آحَادِهِمْ.

(**الشُّهَرْ**) أَيْ: المَشْهُورُونَ وَمَنْ وَضَحَ أَمْرُهُمْ وَاشْتُهِرَ ذِكْرُهُمْ، وَسُمِّيَ الشَّهْرُ بِالشَّهْرِ لِاشْتِهَارِهِ بِخُرُوجِ الهِلَالِ.

---

(٣٥٦) سورة النساء: ١١٥.

(وَأَهْجُرُ أَرْبَابَ الكَلَامِ بِأَسْرِهِمْ *** فَكُنْ مِنْهُمُ يَا صَاحِ وَيْكَ عَلَى حَذَرْ)

(**وَأَهْجُرُ أَرْبَابَ الكَلَامِ بِأَسْرِهِمْ**): الهَجْرُ هُوَ التَّرْكُ وَالمُفَارَقَةُ، وَيَكُونُ الهَجْرُ حِسِّيًّا، وَيَكُونَ مَعْنَوِيًّا، وَفِي الحَدِيثِ: «**المُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللهُ عَنْهُ**»[٣٥٧]. فَهَذِهِ هِجْرَةٌ مَعْنَوِيَّةٌ بِتَرْكِ مَا نَهَى اللهُ عَنْهُ، وَفِي الحَدِيثِ: «**فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ**»[٣٥٨]. الحَدِيثُ، فَهَاجَرَ مَنْ مَكَانٍ لِآخَرَ هِجْرَةً حِسِّيَّةً. وَهُنَا يَقُولُ: (**وَأَهْجُرُ أَرْبَابَ الكَلَامِ**). أَيْ: أَهْجُرُهُمْ هِجْرَةً حِسِّيَّةً لِمَجَالِسِهِمْ وَمُجَالَسَتِهِمْ وَكُتُبِهِمْ، وَمَعْنَوِيًّا بِمُفَارَقَةِ وَاعْتِقَادِ خِلَافِ مَا يَقُولُونَ، وَاعْتِقَادِ بُطْلَانِ أَقْوَالِهِمْ.

(**أَرْبَابَ الكَلَامِ**) أَرْبَابُ جَمْعُ رَبٍّ، وَأَرْبَابُ الكَلَامِ هُمْ أَهْلُ التَّأْوِيلِ وَالانْحِرَافِ، وَقِيلَ: أَهْلُ الكَلَامِ؛ لِكَثْرَةِ كَلَامِهِمْ وَجِدَالِهِمْ. وَقِيلَ: لِأَنَّ مَسْأَلَةَ كَلَامِ اللهِ هِيَ المَنْشَأُ، فَضَلُّوا فِيهَا وَأَضَلُّوا كَثِيرًا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ.

(**بِأَسْرِهِمْ**) أَيْ: بِجَمِيعِهِمْ، وَالأَسْرُ فِي لُغَةِ العَرَبِ: الخَلْقُ بِجَمِيعِهِمْ.

(**فَكُنْ مِنْهُمُ يَا صَاحِ وَيْكَ عَلَى حَذَرْ**): (**يَا صَاحِ**) المُرَادُ: يَا صَاحِبِي، وَهَذَا يُسَمَّى التَّرْخِيمَ.

(**وَيْكَ عَلَى حَذَرْ**) وَيْكَ مِثْلَ وَيْحَكَ، مُكَوَّنَةٌ مِنْ: (**وَيْ**)، وَ(**الكَافُ**) لِلخِطَابِ، وَالعَرَبُ تَجْرِي عَلَى أَلْسِنَتِهَا أَلْفَاظٌ تَارَةً لِلعِتَابِ وَالتَّوْبِيخِ وَالذَّمِّ، وَتَارَةً لِلمَدْحِ، وَتَارَةً لِلتَّنْبِيهِ، وَفِي الحَدِيثِ: «**وَيْحَ عَمَّارٍ**[٣٥٩]، **تَقْتُلُهُ الفِئَةُ البَاغِيَةُ**»[٣٦٠]. قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَلِكَ لِلتَّرَحُّمِ.

---

(٣٥٧) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان- باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده (١٠)، ومسلم في كتاب الإيمان- باب بيان تفاضل الإسلام وأي أموره أفضل (٤٠)، من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

(٣٥٨) أخرجه البخاري في كتاب بدء الوحي- باب بدء الوحي (١)، ومسلم في كتاب الإمارة- باب قوله صلى الله عليه وسلم: إنما الأعمال بالنيات (١٩٠٧)، من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٣٥٩) هو: الصحابي الجليل عمار بن ياسر بن عامر بن مالك بن كنانة بن قيس بن الحصين بن الوذيم بن ثعلبة بن عوف بن حارثة بن عامر بن يام بن عنس بن مالك العنسي، أبو اليقظان، حليف بني مخزوم، وأمه سمية مولاة لهم. كان من السابقين الأولين هو وأبوه، وكانا ممن يُعذب في الله. هاجر إلى المدينة، وشهد المشاهد كلها، ثم شهد اليمامة، فقطعت أذنه بها. وتواترت الآثار عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: «تَقْتُلُ عَمَّارًا الْفِئَةُ الْبَاغِيَةُ»، فمات في صفين في ربيع الآخر سنة سبع وثلاثين، ودفنه عليّ في ثيابه ولم يغسله. انظر: الاستيعاب (ص: ٤٨١ ترجمة ١٧٠٥)، والإصابة (٤/ ٥٧٥ ترجمة ٥٧٠٨).

(٣٦٠) أخرجه البخاري في كتاب الصلاة- باب التعاون في بناء المسجد (٤٤٧) واللفظ له، ومسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة- باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل (٢٩١٥)، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

إِذَنْ هَذِهِ عِبَارَاتٌ تُدْرَجُ عَلَى أَلْسِنَةِ العَرَبِ تَارَةً لِلتَّوْبِيخِ وَتَارَةً لِلتَّرَحُّمِ وَتَارَةً لِلتَّنْبِيهِ.

(وَأَهْجُرُ أَرْبَابَ الكَلَامِ بِأَسْرِهِمْ * فَكُنْ مِنْهُمُ يَا صَاحِ وَيْكَ عَلَى حَذَرْ)**.

أَهْجُرُهُمْ وَلَا أُجَالِسُهُمْ، وَالسَّلَفُ قَدْ فَعَلُوا الهَجْرَ، فَهَجَرُوا أَهْلَ البِدَعِ، وَلَهُمْ أُصُولٌ؛ فَالأَوَامِرُ الإِلَهِيَّةُ جَاءَتْ بِمُفَارَقَةِ أَهْلِ المُنْكَرِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿**فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ القَوْمِ الظَّالِمِينَ**﴾[٣٦١]. لِأَنَّكُمْ إِنْ جَالَسْتُمُوهُمْ فَإِنَّكُمْ إِذَنْ مِثْلُهُمْ. وَقَدْ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنِ القَدَرِيَّةِ: «**مَجُوسُ هَذِهِ الأُمَّةِ**»[٣٦٢]. فَإِذَا مَرِضُوا فَلَا تَعُدْهُمْ، وَإِذَا مَاتُوا فَلَا تُشَيِّعْهُمْ؛ إِمْعَانًا فِي هَجْرِ هَذَا المُعْتَقِدِ الضَّالِّ الهَالِكِ.

وَالمُرَادُ: هَجْرُ أَرْبَابِ البِدَعِ، وَعَدَمُ الجُلُوسِ مَعَهُمْ وَالقِرَاءَةُ فِي كُتُبِهِمْ. وَأَيْضًا جَاءَ مِنْ بَابِ التَّحْذِيرِ قَوْلُ الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الدَّجَّالِ: «**مَنْ سَمِعَ بِالدَّجَّالِ فَلْيَنْأَ عَنْهُ، فَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَأْتِيهِ يَحْسِبُ أَنَّهُ مُؤْمِنٌ**»[٣٦٣]. الحَدِيثُ، لِأَنَّ الدَّجَّالَ قَدْ يُغْوِيهُ، وَلَاحِظْ خَوْفَ الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أُمَّتِهِ، فَقَالَ: «**إِذَا سَمِعَ أَحَدٌ مِنْكُمْ بِالدَّجَّالِ فَلَا يَأْتِيهِ**». إِطْلَاقًا؛ لِأَنَّكَ قَدْ تَأْتِيهِ وَأَنْتَ تَثِقُ فِي نَفْسِكَ فَتَزِلَّ.

وَيُؤْخَذُ مِنْ هَذَا الحَدِيثِ أَصْلٌ وَهُوَ: عَدَمُ الاقْتِرَابِ مِنْ أَهْلِ البِدَعِ، وَبِخَاصَّةٍ مَعَ انْتِشَارِ وَسَائِلِ الإِعْلَامِ المَقْرُوءَةِ وَالمَرْئِيَّةِ وَالمَسْمُوعَةِ، فَإِيَّاكَ وَقَنَوَاتِ الشُّبُهَاتِ قَبْلَ الشَّهَوَاتِ. وَالشَّيْخِ ابْنُ بَازٍ عَلَيْهِ رَحْمَةُ اللهِ بَعْدَمَا ظَهَرَتِ القَنَوَاتُ أَكْثَرَ التَّحْذِيرَ مِنْهَا، وَكَانَ مِمَّا تَكَلَّمَ عَنْهُ الشَّيْخُ عَبْدُ العَزِيزِ بْنُ بَازٍ مَسْأَلَةَ التَّبَرُّجِ وَالسُّفُورِ، فَقَالَ فِي فَتْوَى لَهُ: هَذِهِ القَنَوَاتُ تَضِلُّ عَنِ العَقِيدَةِ. فَهَذَا أَهَمُّ شَيْءٍ، وَهُوَ أَنَّ قَنَوَاتِ الشُّبُهَاتِ تُشَكِّكُ فِي العَقَائِدِ. وَكَذَلِكَ القَنَوَاتُ المَاجِنَةُ وَالمَجَلَّاتُ الهَابِطَةُ، فَالشُّبُهَاتُ أَوَّلًا ثُمَّ الشَّهَوَاتُ تَبَعًا، فَلَا تُجَالِسْهُمْ وَلَا تَأْكُلْ وَلَا تَشْرَبْ مَعَهُمْ، وَابْتَعِدْ عَنْ سَمَاعِ قَنَوَاتِهِمْ وَأَشْرِطَتِهِمْ وَقِرَاءَةِ كُتُبِهِمْ.

---

(٣٦١) سورة الأنعام: ٦٨.

(٣٦٢) أخرجه أبو داود في كتاب السنة- باب في القدر (٤٦٩١)، وحسنه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٤٤٤٢).

(٣٦٣) أخرجه أبو داود في كتاب الملاحم- باب خروج الدجال (٤٣١٩)، من حديث عمران بن الحصين رضي الله عنه، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٣٠١).

وَاسْتَعْمَلَ السَّلَفُ مَعَ أُولَئِكَ أُمُورًا؛ فَبَعْضُ السَّلَفِ اسْتَعْمَلَ العِقَابَ البَدَنِيَّ إِذَا كَانَتْ لَهُ سُلْطَةٌ؛ فَالفَارُوقُ عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ بَلَغَهُ أَنَّ صَبِيغَ بْنَ عِسْلٍ[٣٦٤] تَكَلَّمَ فِي مَسَائِلَ عَقَدِيَّةٍ، وَعَلِمَ الفَارُوقُ أَنَّ هَذَا المَذْهَبَ خَبِيثٌ مُضِلٌّ. فَأَمَرَ بِهِ عُمَرُ فَحَضَرَ، فَلَمَّا تَثَبَّتَ مِنْهُ عُمَرُ لَمْ يُنَاقَشْهُ، بَلْ جَلَدَهُ وَضَرَبَهُ، ثُمَّ قَالَ: لَا تُؤَاكِلُوهُ وَلَا تُشَارِبُوهُ وَلَا تُجَالِسُوهُ وَلَا تَشْتَرُوا مِنْهُ وَلَا تَبِيعُوا لَهُ. فَذَهَبَ وَبَقِيَ مُدَّةً حَتَّى شُفِيَ مِنْ أَثَرِ الضَّرْبِ، فَأَخْبَرُوا عُمَرَ فَقَالَ: هَاتُوهُ. ثُمَّ ضَرَبَهُ ثَانِيَةً، ثُمَّ ذَهَبَ فَلَمَّا شُفِيَ قَالَ: هَاتُوهُ. فَضَرَبَهُ ثَالِثَةً، فَلَمَّا شُفِيَ قَالَ: هَاتُوهُ. فَقَالَ: يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ إِنَّ كُنْتَ تُرِيدُ فَأَحْسِنْ قَتْلَتِي، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ إِقْنَاعِي فَقَدْ أَذْهَبَ اللهُ عَنِّي شَيْطَانِي.

فَهَذَا تَعْذِيرٌ بَدَنِيٌّ، وَمَنْ لَيْسَ لَهُ سُلْطَةٌ فَلَهُ الهَجْرُ وَالمُفَارَقَةُ خَوْفًا عَلَى دِينِهِ، ثُمَّ مِنْ مَصْلَحَةِ المُبْتَدِعِ نَفْسِهِ فَلَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ، فَهُوَ مِسْكِينٌ. فَهَجْرُكَ لَهُ فِيهِ مَصْلَحَتَانِ: مَصْلَحَةٌ قَاصِرَةٌ لَكَ أَنْتَ بِالسَّلَامَةِ، وَمُتَعَدِّيَةٌ لَهُ لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى.

(لِأَنَّهُمْ قَدْ أَبْدَعُوا وَتَنَطَّعُوا * وَكَانُوا بِلَا رَيْبٍ عَلَى مَنْهَجٍ خَطَرْ)**

(أَبْدَعُوا): أَحْدَثُوا أُمُورًا مَا أَنْزَلَ اللهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ، بَلْ تُخَالِفُ مَا أَنْزَلَ اللهُ.

(وَتَنَطَّعُوا): فِي الكَلَامِ وَغَالَوا فِيهِ، أَيْ: تَعَمَّقُوا فِي الكَلَامِ، ثُمَّ أَطْلَقَ التَّنَطُّعَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَوْلًا أَوْ فِعْلًا. فَهُمْ يَأْتُونَ بِأَقْوَالٍ مُبْتَدِعَةٍ وَيَتَنَطَّعُونَ وَيَتَكَلَّفُونَ لَفْظًا وَكِتَابَةً فِي تَقْرِيرِهَا، لَكِنْ مَهْمَا زُيِّنَ البَاطِلُ وَمَهْمَا حُسِّنَ فَإِنَّ صَاحِبَ العَقِيدَةِ النَّقِيَّةِ يَشْعُرُ بِاشْمِئْزَازٍ وَبِنَوْعٍ مِنَ النُّفُورِ؛ لِأَنَّهُ كَمَا قِيلَ: كَلَامُ الوَحْيِ عَلَيْهِ نُورٌ حِسِّيٌّ وَمَعْنَوِيٌّ، وَالبَاطِلُ عَلَيْهِ ظَلَامٌ حِسِّيٌّ وَمَعْنَوِيٌّ.

(وَكَانُوا بِلَا رَيْبٍ عَلَى مَنْهَجٍ خَطَرْ)، أَيْ: مَنْهَجٌ مُهْلِكٌ ظَالِمٌ فَاسِدٌ، وَهُنَا -أَيُّهَا الأَكَارِمُ- لَا تَنْبَغِي الشَّمَاتَةُ بِهِمْ، فَيَفْرَحَ الإِنْسَانُ إِذَا هُدَى اللهُ كَافِرًا لِلإِسْلَامِ وَضَالًّا لِلسُّنَّةِ، وَيَسْأَلُ اللهَ الثَّبَاتَ عَلَى دِينِهِ، فَهَؤُلَاءِ -كَمَا قَالَ شَيْخُ الإِسْلَامِ- بِعَيْنِ الشَّرْعِ نُبْغِضُهُمْ، وَبِعَيْنِ القَدْرِ نَرْحَمُهُمْ.

---

(٣٦٤) هو: صبيغ بن عسل الحنظلي. له إدراك. قدم المدينة، فجعل يسأل عن متشابه القرآن، فأرسل إليه عمر، فأعد له عراجين النخل، فقال: من أنت؟ قال: أنا عبد الله صبيغ، قال: وأنا عبد الله عمر، فضربه حتى دمى رأسه، فقال: حسبك يا أمير المؤمنين، قد ذهب الذي كنت أجده في رأسي. انظر: تاريخ دمشق (٢٣/ ٤٠٨)، والإصابة (٣/ ٤٥٨ ترجمة ٤١٢٧).

فَالتَّنَطُّعُ مَذْمُومٌ شَرْعًا وَعَقْلًا، قَالَ تَعَالَى: ﴿**يَا أَهْلَ الكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ**﴾[٣٦٥]. وَفِي حَدِيثِ الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِيَّاكُمْ وَالغُلُوَّ فِي الدِّينِ**»[٣٦٦]. بَلْ جَاءَ النَّصُّ بِالنَّهْيِ عَنِ التَّنَطُّعِ فِي قَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**هَلَكَ المُتَنَطِّعُونَ**». قَالَهَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ[٣٦٧].

وَهُنَا فَائِدَةٌ فِي حَدِيثِ: «**الدِّينُ النَّصِيحَةُ**»[٣٦٨]. الَّذِي أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ، وَلَكِنَّ لَفْظَ: ثَلَاثَ مَرَّاتٍ. لَيْسَتْ عِنْدَ مُسْلِمٍ، بَلْ رَوَاهَا أَبُو دَاوُدَ -هَذَا حَدُّ عِلْمِي، وَقَدْ ذَكَرْتُ هَذِهِ الفَائِدَةَ عِنْدَ ذِكْرِ حَدِيثِ: «**هَلَكَ المُتَنَطِّعُونَ**». لِأَنَّهُ قَالَهَا ثَلَاثًا. فَالتَّنَطُّعُ مَذْمُومٌ شَرْعًا وَعَقْلًا.

(وَلَسْتُ أَرَى شَقَّ العَصَا لَا وَلَا أَرَى * خُرُوجًا عَلَى السُّلْطَانِ وَإِنْ جَارَ أَوْ غَدَرْ)**

(وَلَسْتُ أَرَى شَقَّ العَصَا لَا وَلَا أَرَى). تَأْكِيدًا عَلَى هَذَا المَبْدَأِ، شَقِّ عَصَا الطَّاعَةِ.

(خُرُوجًا عَلَى السُّلْطَانِ وَإِنْ جَارَ أَوْ غَدَرْ) فَالخُرُوجُ عَلَى السَّلَاطِينَ مِنْ أَسْبَابِ الفَسَادِ العَرِيضِ، وَالنَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَضَعَ قُيُودًا شَدِيدَةً، وَحَدَّ حُدُودًا عَظِيمَةً، فَقَالَ: «**مَا أَقَامُوا فِيكُمُ الصَّلَاةَ**»[٣٦٩]. وَقَالَ: «**إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةً؛ فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي**»[٣٧٠]. فَمَنْ لَمْ يَصْبِرْ وَنَزَعَ، فَمَاذَا سَيَقُولُ لِلنَّبِيِّ؟ يَقُولُ شَيْخُ الإِسْلَامِ: إِنَّ هَؤُلَاءِ الخَارِجِينَ عَنِ السَّلَاطِينِ أَكْثَرُهُمْ طُلَّابُ دُنْيَا وَطُلَّابُ مَنَاصِبَ. وَالخُرُوجُ عَلَى السُّلْطَانِ فِيهِ مَفَاسِدُ عَظِيمَةٌ.

وَالنَّاسُ عَلَى أَقْسَامٍ ثَلَاثَةٍ:

فَمِنْهُمْ مَنْ يَرَى الخُرُوجَ وَيَحُثُّ عَلَيْهِ؛ لِإِفْسَادِ الأَحْوَالِ.

---

(٣٦٥) سورة النساء: ١٧١.

(٣٦٦) أخرجه النسائي في كتاب مناسك الحج- التقاط الحصى (٣٠٥٧)، وابن ماجه في كتاب المناسك- باب قدر حصى الرمي (٣٠٢٩)، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٢٦٨٠).

(٣٦٧) أخرجه مسلم في كتاب العلم- باب هلك المتنطعون (٢٦٧٠)، من حديث قيس بن عبد الله رضي الله عنه.

(٣٦٨) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة (٥٥)، من حديث تميم الداري رضي الله عنه.

(٣٦٩) أخرجه مسلم في ((صحيحه)): كتاب الإمارة- باب خيار الأئمة وشرارهم (١٨٥٥)، من حديث عوف بن مالك رضي الله عنه.

(٣٧٠) أخرجه البخاري في كتاب المناقب- باب قول النبي صلى الله عليه وسلم للأنصار ستلقون بعدي أثرة (٣٧٩٢)، ومسلم في كتاب الإمارة- باب الأمر بالصبر عند ظلم الولاة واستئثارهم (١٨٤٥)، من حديث أسيد بن حضير رضي الله عنه.

وَمِنْهُمْ مَنْ يُقَدِّسُ السَّلَاطِينَ تَقْدِيسَ العِصْمَةِ. وَالطَّرَفَانِ عَلَى انْحِرَافٍ. وَالسُّنَّةُ أَنْ نَكُونَ عَلَى السُّنَّةِ؛ فَنُطِيعُ فِي طَاعَةِ اللهِ، وَنَنْصَحُ بِالطُّرُقِ الشَّرْعِيَّةِ، وَنُحَذِّرُ مِنَ الخُرُوجِ كَمَا قَالَ الرَّسُولُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدَكُمْ فِيهِ مِنَ اللهِ بُرْهَانٌ**»(٣٧١).

قَالَ بَعْضُ أَهْلِ العِلْمِ: وَإِذَا رَأَى الإِنْسَانُ الكُفْرَ بَوَاحًا وَعِنْدَهُ بَرَاهِينُ، وَكَانَ فِي الخُرُوجِ مُفْسِدَةٌ أَكْبَرُ فَيَحْرُمُ الخُرُوجُ. فَيَنْبَغِي الحَذَرُ مِنْ هَذَا الأَمْرِ، وَأَهْلُ العِلْمِ عَلَيْهِمْ رَحْمَةُ اللهِ مِنْ عِنَايَتِهِمْ بِهَذَا الأَمْرِ -لِعِلْمِهِمْ بِأَنَّ الإِمَامَةَ الكُبْرَى إِذَا اهْتَزَّ أَمْرُهَا حَصَلَ فَسَادٌ عَرِيضٌ- قَدْ ضَمَّنُوا كُتُبَ العَقَائِدِ هَذَا الأَمْرَ بِقُيُودِهِ الشَّرْعِيَّةِ، بَلْ أَفْرَدَ بَعْضُهُمْ كُتُبًا مُسْتَقِلَّةً فِي هَذَا الأَمْرِ.

وَلِلشَّيْخِ عَبْدِ السَّلَامِ بْنِ بَرْجَسٍ آلِ عَبْدِ الكَرِيمِ رَحِمَهُ اللهُ كِتَابٌ أَجَادَ فِيهِ تَلْخِيصَ نُقُولَاتِ أَهْلِ العِلْمِ بِتَخَارِيجَ مُوَفَّقَةٍ، وَسَمَّاهُ «الأَمْرُ بِلُزُومِ جَمَاعَةِ المُسْلِمِينَ وَإِمَامِهِمْ وَالتَّحْذِيرُ مِنْ مُفَارَقَتِهِمْ». وَهُوَ كِتَابٌ عَصْرِيٌّ أَلَّفَهُ قَبْلَ مَوْتِهِ رَحِمَهُ اللهُ بِسَنَوَاتٍ، لَكِنْ أَجَادَ فِي نَقْلِ العِبَارَاتِ وَتَرْتِيبِهَا وَتَوْثِيقِهَا. وَكُتُبُ السَّلَفِ جَمِيعًا فِي «الطَّحَاوِيَّةِ» وَ«الشَّرِيعَةِ» وَاللَّالِكَائِيِّ وَ«السُّنَّةِ» لِلبَرْبَهَارِيِّ، وَابْنِ أَبِي شَامَةَ، وَ«الإِبَانَةِ» لِابْنِ بَطَّةَ العُكْبُرِيِّ(٣٧٢) فَكُلُّ كُتُبِ السَّلَفِ نَصَّتْ عَلَى هَذَا، وَأَفْرَدَ بَعْضُهُمْ -أَظُنُّهُ أَبَا نُعَيْمٍ(٣٧٣)- كِتَابًا فِي الإِمَامَةِ، وَالآجُرِّيُّ فِيمَا أَذْكُرُ.

(وَأَبْرَأُ مِنْ رَأْيِ الخَوَارِجِ إِنَّهُمْ * أَرَاقُوا دِمَاءَ المُسْلِمِينَ كَمَا اشْتُهِرْ)**

---

(٣٧١) أخرجه البخاري في كتاب الأحكام- باب كيف يبايع الإمام الناس (٧١٩٩)، ومسلم في كتاب الإمارة- باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية(١٧٠٩)، من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه.

) هو: الإمام القدوة، العابد الفقيه المحدث، شيخ العراق عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان أبو عبد الله العكبري الحنبلي، ابن بطة. 372(إمام لكنه ذو أوهام. لحق البغوي، وابن صاعد. كان أمّارا بالمعروف، ولم يبلغه خبر منكر؛ إلا غيره. من تصانيفه: «الإبانة الكبرى»، و«الإبانة الصغرى»، مات سنة سبع وثمانين وثلاث مئة. انظر: سير أعلام النبلاء (١٦/ ٥٢٩ ترجمة ٣٨٩)، وميزان الاعتدال (٣/ ١٥ ترجمة ٥٣٩٤).

(٣٧٣) هو: أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الإمام الحافظ، الثقة العلامة، شيخ الإسلام، أبو نعيم، المهراني، الأصبهاني، الصوفي، الأحول، سبط الزاهد محمد بن يوسف البناء. ولد سنة ست وثلاثين وثلاث مئة. وكان أبوه من علماء المحدثين والرحالين، فاستجاز له جماعة من كبار المسندين. له مصنفات كثيرة؛ منها: «الحلية». مات في العشرين من المحرم سنة ثلاثين وأربع مئة، وله أربع وتسعون سنة. انظر السير (١٧/ ٤٥٣ ترجمة ٣٠٥)، وتذكرة الحفاظ (٣/ ١٠٩٢ ترجمة ٩٩٣).

وَضَعَ النَّاظِمُ هَذَا البَيْتَ فِي هَذَا المَكَانِ لِمُنَاسَبَةِ المَقَامِ؛ لِأَنَّهُمْ خَرَجُوا عَلَى السُّلْطَانِ وَعَلَى الإِمَامِ، وَأَرَاقُوا دِمَاءَ المُسْلِمِينَ.. وَقَدْ جَاءَ فِي الحَدِيثِ أَنَّ ابْنَ أَبِي أَوْفَى[٣٧٤] قَالَ: سَمِعْتُ الرَّسُولَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ عَنِ الخَوَارِجِ: «**الخَوَارِجُ كِلَابُ النَّارِ**»[٣٧٥]. وَالحَدِيثُ عِنْدَ ابْنِ مَاجَهْ. وَجَاءَتِ الأَحَادِيثُ الصَّرِيحَةُ الصَّحِيحَةُ فِي التَّحْذِيرِ مِنَ الخُرُوجِ عَلَى جَمَاعَةِ المُسْلِمِينَ، وَانْظُرُوا فِي وَاقِعِ المُسْلِمِينَ، وَمَاذَا حَصَلَ مِنَ الخُرُوجِ عَلَى الحُكَّامِ؟! ثُمَّ انْظُرُوا مَا الَّذِي يَحْصُلُ إِذَا غَابَ أَوْ إِذَا عَاشَتِ البَلَدُ بِلَا حَاكِمٍ؟!

يَقُولُ بَعْضُ السَّلَفِ: سِتُّونَ سَنَةً بِإِمَامٍ جَائِرٍ أَفْضَلُ مِنْ لَيْلَةٍ بِلَا إِمَامٍ. يَعْنِي: لِأَنَّهُ يَحْصُلُ فِيهَا مِنَ الفَسَادِ فِي عَدَمِ وُجُودِ سُلْطَةٍ، يَحْصُلُ مِنَ الفَسَادِ العَرِيضِ مَا اللهُ بِهِ تَعَالَى عَلِيمٌ، وَالوَاقِعُ يَشْهَدُ بِهَذَا.

(وَلَسْتُ بِرَاضٍ أَنْ يُكَفَّرَ مُسْلِمٌ * بِذَنْبٍ جَنَاهُ عَلَى اللهِ قَدْ غَفَرْ)**

لِهَذَا القَوْلِ قَدْ يَقُولُ بَعْضُهُمْ: نُغْلِقُ بَابَ التَّكْفِيرِ! يُقَالُ: إِنَّ النَّاسَ فِي التَّكْفِيرِ عَلَى أَقْسَامٍ ثَلَاثَةٍ، وَهِيَ قِسْمٌ عَقْلِيَّةٌ لَازِمَةٌ: فَقِسْمٌ يُكَفِّرُ بِأَسْهَلِ الأُمُورِ بِخِلَافِ الأَدِلَّةِ الشَّرْعِيَّةِ. وَقِسْمٌ يَمْنَعُ التَّكْفِيرَ مُطْلَقًا وَيَزْعُمُ أَنَّ فِي ذَلِكَ ظُلْمًا، وَالطَّرَفَانِ عَلَى جَهَالَةٍ وَضَلَالٍ. وَالصَّحِيحُ أَنَّ الإِنْسَانَ لَا يُكَفَّرُ إِلَّا بِدَلِيلٍ شَرْعِيٍّ. فَتَتَعَبَّدُ اللهَ بِتَكْفِيرِ مَنْ كَفَّرَ بِالنَّصِّ الشَّرْعِيِّ، وَبِعَدَمِ تَكْفِيرِ مَنْ لَمْ يُكَفِّرْهُ الشَّرْعُ.

لَكِنْ أَهْلُ العِلْمِ يَذْكُرُونَ هَذَا البَيْتَ -كَمَا أَشَارَ شَيْخُ الإِسْلَامِ- إِلَى أَنَّ عِبَارَةَ التَّكْفِيرِ تُذْكَرُ عِنْدَ ذِكْرِ الخَوَارِجِ؛ لِأَنَّهُمْ يُكَفِّرُونَ بِالكَبَائِرِ، وَالَّذِي يَقْرَأُ فِي كُتُبِ أَهْلِ السُّنَّةِ فِي المُعْتَقَدِ يَرَى هَذَا فِي الغَالِبِ -إِنْ لَمْ يَكُنْ دَوْمًا- وَهُوَ أَنَّ هَذِهِ العِبَارَةَ تَأْتِي عِنْدَ ذِكْرِ الخَوَارِجِ، وَكَذَلِكَ الجُمْلَةَ الَّتِي قَبْلَهَا: الخُرُوجَ عَلَى السَّلَاطِينِ وَالتَّكْفِيرَ، فَمَا خَرَجَ الخَوَارِجُ إِلَّا بَعْدَ أَنْ كَفَّرُوا؛ وَلِهَذَا وَلَا نُكَفِّرُ أَحَدًا بِذَنْبٍ مَا لَمْ يَسْتَحِلَّهُ.

---

(٣٧٤) هو: الصحابي عبد الله بن أبي أوفى واسمه علقمة بن خالد بن الحارث بن أبي أسيد بن رفاعة بن ثعلبة بن هوازن بن أسلم بن أفصى بن حارثة الأسلمي أبو إبراهيم، وقيل: أبو محمد، وقيل: أبو معاوية. أخو زيد بن أبي أوفى. لهما ولأبيهما صحبة. شهد بيعة الرضوان، وروى عن النبي -صلى الله عليه وسلم-. نزل الكوفة وكان آخر من مات بها من الصحابة سنة ست -وقيل: سبع- وثمانين. انظر: الاستيعاب (ص: ٣٨٢ ترجمة ١٣٠٩)، والإصابة (٤/ ١٨ ترجمة ٤٥٥٨).

(٣٧٥) أخرجه ابن ماجه في كتاب المقدمة- باب في ذكر الخوارج (١٧٣)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٣٤٧).

فَهُنَاكَ مَنْ يُسَارِعُ فِي التَّكْفِيرِ، وَبَعْضُ النَّاسِ عِنْدَهُمُ التَّكْفِيرُ وَالتَّبْدِيعُ عَلَى قَدَمٍ وَسَاقٍ، فَكُلُّ مَنْ ذَكَرَ شَيْئًا قَالُوا: هَذَا مُبْتَدِعٌ، وَهَذَا كَافِرٌ... وَفِي الْمُقَابِلِ الغُلُوُّ وَالإِفْرَاطُ فِي الاحْتِيَاطِ؛ فَلَا يُكَفِّرُ أَحَدًا وَلَا يُبَدِّعُ أَحَدًا، فَهُوَ عَلَى النَّقِيضِ. فَهَذَا يَفْتَحُ بَابًا مُغْلَقًا، وَذَاكَ يُغْلِقُ بَابًا مَفْتُوحًا. وَالصَّوَابُ: أَلَّا تَفَتَّحَ إِلَّا بِعِلْمٍ، وَأَلَّا تُغْلِقَ إِلَّا بِعِلْمٍ.

(وَقَالَ رَسُولُ اللهِ يَوْمًا مُحَذِّرًا * مِنَ الخَبَرِ المَشْهُورِ عَنْهُ الَّذِي انْتَشَرْ**

سَتَفْتَرِقُوا مِثْلَ الَّذِي كَانَ قَبْلَكُمْ * ثَلَاثًا وَسَبْعِينَ فَكَانَ كَمَا ذَكَرْ)**

يُشِيرُ رَحِمَهُ اللهُ إِلَى حَدِيثِ الافْتِرَاقِ، (**وَقَالَ رَسُولُ اللهِ**) صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، (**يَوْمًا مُحَذِّرًا مِنَ الخَبَرِ المَشْهُورِ**)، المَشْهُورُ مِنْ مُصْطَلَحَاتِ أَهْلِ العِلْمِ، وَهُوَ مَا لَهُ طُرُقٌ مَحْصُورَةٌ بِأَكْثَرَ مِنْ اثْنَيْنِ. وَبَعْضُهُمْ يَقُولُ: مَا اسْتَفَاضَ عَلَى أَلْسِنَةِ النَّاسِ، وَمَا اشْتَهَرَ عَلَى أَلْسِنَةِ النَّاسِ. فَالأَحَادِيثُ الَّتِي يَكْثُرُ اسْتِعْمَالُهَا أَوْ يَكْثُرُ الاسْتِشْهَادُ بِهَا فِي المَدَارِسِ وَفِي المَوَاعِظِ وَفِي الخُطَبِ، تَكُونُ مَشْهُورَةً.

وَنُشِيرُ إِلَى أَنَّ بَعْضَ الأَحَادِيثِ الضَّعِيفَةِ مِنْ شُهْرَتِهَا أَصْبَحَتْ رَاسِخَةً، حَتَّى إِنَّ بَعْضَ النَّاسِ قَدْ يَحْفَظُهَا مِنْ كَثْرَةِ سَمَاعِهَا. وَتُوجَدُ أَحَادِيثُ أَجْزِمُ -بَلْ أُقْسِمُ- أَنَّنَا جَمِيعًا نَحْفَظُهَا، مِثْلُ حَدِيثِ: «إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى الصَّفِّ الأَعْوَجِ». فَهَذَا لَيْسَ بِحَدِيثٍ أَصْلًا، بَلْ ذُكِرَ فِي الأَزْمِنَةِ المُتَأَخِّرَةِ. وَحَدِيثُ: يَخْلُقُ مِنَ الشَّبَهِ سَبْعِينَ أَوْ خَمْسِينَ. أَوْ أَرْبَعِينَ. فَهَذَا مَثَلٌ شَعْبِيٌّ لَيْسَ بِحَدِيثٍ. وَحَدِيثٌ قَرَأْتُهُ عَلَى حَائِطِ مَسْجِدٍ قَدِيمًا عَلَى أَنَّهُ حَدِيثٌ شَرِيفٌ وَهُوَ: «النَّظَافَةُ مِنَ الإِيمَانِ».

أَقُولُ: أَنْتُمْ طُلَّابُ عِلْمٍ، وَيَنْبَغِي أَنْ تَحْذَرُوا مِنَ الاسْتِشْهَادِ بِأَحَادِيثٍ لَا تَعْلَمُونَ صِحَّتَهَا. وَفِي القَرْنِ العَاشِرِ كَانَ يُوجَدُ خَطِيبُ جُمُعَةٍ، وَيُذْكُرُ أَحَادِيثَ ضَعِيفَةً مَكْذُوبَةً، فَرُفِعَ أَمْرُهُ إِلَى أَحَدِ عُلَمَاءِ الشَّافِعِيَّةِ، فَقَالَ: هَذَا يُعْزَلُ؛ لِأَنَّهُ يُنْشَرُ الكَذِبَ عَلَى المِنْبَرِ! وَعَامَّةُ النَّاسِ إِذَا سَمِعُوا طَالِبَ العِلْمِ يَذْكُرُ أَحَادِيثَ ضَعِيفَةً اقْتَدُوا بِكَلَامِهِ، وَإِذَا قُلْتُ: هَذَا لَا يَصِحُّ. قَالَ لَكَ: إِمَامُنَا يَقُولُهُ، وَخَطِيبُنَا يَقُولُهُ! فَطَالِبُ العِلْمِ يَنْبَغِي أَنْ يُحَذِّرَ النَّاسَ مِنَ الضَّعِيفِ، وَأَنْ يَلْتَزِمَ ذِكْرَ الصَّحِيحِ.

(**الخَبَرِ المَشْهُورِ**): الَّذِي يُشِيرُ إِلَيْهِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى هُوَ حَدِيثُ: «**افْتَرَقَتِ اليَهُودُ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَافْتَرَقَتُ النَّصَارَى عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَسَتَفْتَرِقُ هَذِهِ الأُمَّةُ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً**». قَالُوا:

مَنْ هُمْ؟ قَالَ: «**مَا كُنْتُ عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي**»(٣٧٦). رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمْ. وَهَذَا الحَدِيثُ لَهُ أَلْفَاظٌ كَثِيرَةٌ، وَرُوِيَ عَنْ جَمْعٍ مِنَ الصَّحَابَةِ، وَقَدْ ذَكَرَ بَعْضَ طُرُقِهِ الشَّيْخُ الأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى فِي السِّلْسِلَةِ، وَأَذْكُرُ أَنِّي وَقَفْتُ عَلَى كِتَابٍ مُفْرَدٍ مُسْتَقِلٍّ فِي هَذَا الحَدِيثِ، أَظُنُّ اسْمُهُ «حَدِيثُ الافْتِرَاقِ رِوَايَةً وَدِرَايَةً».

وَعَلَى كُلِّ حَالٍ فَالفِرَقُ مَوْجُودَةٌ، وَهِيَ لَيْسَتْ عَلَى كِتَابِ اللهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَلَيْسَتْ عَلَى مَنْهَجِ السَّلَفِ. لِمَاذَا يُقَالُ: عَلَى مَنْهَجِ السَّلَفِ؟ لِأَنَّ أَهْلَ البِدَعِ لَا يَأْتُونَ بِكَلَامٍ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلَا مِنَ الإِنْجِيلِ، بَلْ يَأْتُونَ بِأَدِلَّةٍ مِنَ القُرْآنِ وَالسُّنَّةِ، فَيَقُولُونَ: كُتُبُنَا مَمْلُوءَةٌ بِالأَدِلَّةِ الشَّرْعِيَّةِ مِنَ القُرْآنِ وَالسُّنَّةِ، وَأَنْتُمْ تَتَحَدَّثُونَ بِآيَاتٍ وَأَحَادِيثَ، فَأَنْتُمْ عَلَى حَقٍّ وَنَحْنُ عَلَى حَقٍّ! فَإِذَا قُلْتُ لَهُمْ: عَلَى مَنْهَجِ السَّلَفِ. كَانُوا كَالسَّامِرِيِّ لَا مِسَاسَ، فَهُمْ لَا يُرِيدُونَ هَذِهِ الكَلِمَةَ الَّتِي تُمَيِّزُ مَنْهَجَ السَّلَفِ مِنَ الخَلَفِ، وَمَنْهَجَ نَبِيِّنَا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَمَنْ تَبِعَهُ بِإِحْسَانٍ.

وَلِهَذَا تَقْرَأُ فِي كُتُبِ الأَشَاعِرَةِ قَوْلَ بَعْضِهِمْ: قَالَ أَئِمَّتُنَا مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ. فَإِذَا قَرَأْتَ أَوْ رَأَيْتَ مَذْهَبًا فَاعْرِضْهُ عَلَى الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَعَلَى مَنْهَجِ السَّلَفِ. بَلْ وَمِنْ عَلَامَاتِ الفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ مَحَبَّةُ عُلَمَاءِ السَّلَفِ؛ حَتَّى جَعَلُوهَا فَاصِلًا فَقَالُوا: إِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَحْمَدَ وَالشَّافِعِيَّ وَسُفْيَانَ(٣٧٧) وَوَكِيعًا(٣٧٨)؛ فَاعْلَمْ أَنَّهُ صَاحِبُ سُنَّةٍ، وَإِذَا رَأَيْتَهُ يَطْعَنُ فِيهِمْ فَاعْلَمْ أَنَّهُ صَاحِبُ بِدْعَةٍ. فَهَذَا مَنْهَجٌ دَقِيقٌ، حَتَّى كَانَ بَعْضُ السَّلَفِ يَضَعُونَ عَلَى مَدَاخِلِ البُلْدَانِ رِجَالًا فَيَسْأَلُونَ القَادِمِينَ إِلَيْهِمْ؛ لِيَتَأَكَّدُوا أَنَّهُمْ لَيْسُوا مِنْ دُعَاةِ البِدَعِ.

---

(٣٧٦) أخرجه أبو داود في كتاب السنة- باب شرح السنة (٤٥٩٦)، والترمذي في كتاب الإيمان- باب ما جاء في افتراق هذه الأمة (٢٦٤٠)، وابن ماجه في كتاب الفتن- باب افتراق الأمة (٣٩٩٣)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١٤٩٢).

(٣٧٧) هو: سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري أبو عبد الله الكوفي. من ثور. إمام الحفاظ، سيد العلماء العاملين في زمانه. ولد سنة سبع وتسعين. قال ابن حجر في التقريب: ثقة حافظ فقيه عابد إمام حجة، وكان ربما دلس. مات بالبصرة سنة إحدى وستين ومئة. انظر: تهذيب الكمال (١١/ ١٥٤ ترجمة ٢٤٠٧)، والسير (٧/ ٢٢٩ ترجمة ٨٢).

(٣٧٨) هو: وكيع بن الجراح، بن مليح، بن عدي، بن فرس، بن جمجمة، بن سفيان، بن الحارث، بن عمرو، بن عبيد، بن رؤاس، الإمام الحافظ، محدث العراق، أبو سفيان الرؤاسي، الكوفي، أحد الأعلام. قال أحمد بن حنبل: ما رأيت أحدا أوعى للعلم ولا أحفظ من وكيع. قال ابن حجر في التقريب: ثقة حافظ عابد. له من المؤلفات: «أخبار القضاة». ولد سنة تسع وعشرين ومئة، ومات سنة سبع وتسعين ومئة. انظر: تهذيب الكمال (٣٠/ ٤٦٢ ترجمة ٦٦٩٥)، والسير (٩/ ١٤٠ ترجمة ٤٨).

فَالافْتِرَاقُ وَاقِعٌ فِي الأُمَّةِ لَا مَحَالَةَ، لَكِنْ نَحْنُ كَطُلَّابِ عِلْمٍ لَا نَكُونُ عَوْنًا عَلَى الافْتِرَاقِ، بَلْ لِنَكُنْ عَوْنًا فِي الائْتِلَافِ وَذَمِّ الافْتِرَاقِ، وَدَلَالَةُ النَّاسِ عَلَى الحَقِّ. وَمِنْ شُكْرِ نِعْمَةِ الحَقِّ الَّتِي أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْكَ أَنْ تُزَكِّيَهُ بِتَعْلِيمِ النَّاسِ أَيَّاهُ، وَالصَّبْرِ عَلَى دَعْوَتِهِمْ وَتَحَمُّلِ الأَذَى مِنْهُمْ.

(فَوَاحِدَةٌ تَنْجُو وَهُمْ أَهْلُ سُنَّتِي * فَأَبْشِرْ بِذِي الحُسْنَى مِنَ اللهِ وَاصْطَبِرْ)**

النَّجَاةُ طَرِيقُهَا وَاحِدٌ؛ وَلِهَذَا يَأْتِي التَّعْبِيرُ بِالجَمْعِ فِي طُرُقِ الضَّلَالِ، وَبِالإِفْرَادِ فِي طَرِيقِ النَّجَاةِ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿**قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي**﴾[٣٧٩]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿**وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ**﴾[٣٨٠]. فَطَرِيقُ الحَقِّ وَاحِدٌ: ﴿**لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ**﴾[٣٨١]. فَالنَّجَاةُ تَرُدُّ الهَلَاكَ، وَالفَوْزُ يَرُدُّ الخُسْرَانَ.

قَوْلُهُ: (**وَهُمْ أَهْلُ سُنَّتِي**)، أَيْ وَهُمْ أَهْلُ السُّنَّةِ اعْتِقَادًا وَلُزُومًا لَهَا فِي مُعْتَقَدِهِمْ وَعِبَادَاتِهِمْ وَمُعَامَلَاتِهِمْ، وَتَعْظِيمًا لَهَا فِي قُلُوبِهِمْ مُمْتَثِلِينَ لَهَا، وَهَذَا فِي الدُّنْيَا، وَأَمَّا فِي الآخِرَةِ (**فَأَبْشِرْ بِذِي الحُسْنَى مِنَ اللهِ وَاصْطَبِرْ**)، كَأَنَّهُ يُشِيرُ إِلَى بِشَارَةٍ، فَقَالَ: (**أَبْشِرْ**)، وَالبِشَارَةُ قَدْ تَكُونُ فِي الشَّرِّ وَقَدْ تَكُونُ فِي الخَيْرِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿**وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ**﴾[٣٨٢]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿**فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ**﴾[٣٨٣]. فَسُمِّيَتْ بِشَارَةً؛ لِأَنَّ البَشْرَةَ تَتَغَيَّرُ إِذَا سَمِعَتِ الخَيْرَ أَوِ الشَّرَّ.

فَبَيَّنَ هُنَا رَحِمَهُ اللهُ أَنَّ الفِرْقَةَ النَّاجِيَةَ وَاحِدَةٌ، وَهُمْ أَهْلُ السُّنَّةِ، ثُمَّ بَشَّرَ صَاحِبَهَا بِالفَوْزِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ. فَمَنْ فَازَ فِي الجَنَّةِ يَكُونُ فَائِزًا فِي الآخِرَةِ، وَمَنْ فَازَ فِي الآخِرَةِ يَكُونُ لُزُومًا فَائِزًا فِي الدُّنْيَا.

ثُمَّ قَالَ: (**وَاصْطَبِرْ**): يُشِيرُ إِلَى الصَّبْرِ؛ لِأَنَّ صَاحِبَ الحَقِّ يُؤْذَى، قَالَ تَعَالَى: ﴿**وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللهِ**﴾[٣٨٤]. وَقَالَ: ﴿**إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا**﴾[٣٨٥]. وَهُوَ أَيُّوبُ عَلَيْهِ السَّلَامُ. فَمِنْ أَخْلَاقِ الأَنْبِيَاءِ الصَّبْرُ، وَأَهْلُ السُّنَّةِ تَوَاصَوْا

---

(٣٧٩) سورة يوسف: ١٠٨.

(٣٨٠) سورة الأنعام: ١٥٣.

(٣٨١) سورة ق: ٣٧.

(٣٨٢) سورة الصافات: ١١٢.

(٣٨٣) سورة الجاثية: ١٢.

(٣٨٤) سورة النحل: ١٢٧.

(٣٨٥) سورة ص: ٤٤.

بِالخَيْرِ، وَتَوَاصَوْا بِالحَقِّ، وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿**إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ**﴾(٣٨٦). وَقَالَ أَيْضًا: ﴿**إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا**﴾(٣٨٧).

فَيُشِيرُ رَحِمَهُ اللهُ إِلَى الصَّبْرِ وَمُجَاهَدَةِ النَّفْسِ، وَالصَّبْرِ عَلَى الأَذَى الحِسِّيِّ وَالمَعْنَوِيِّ؛ فَقَدْ يُؤْذَى المُسْلِمُ فِي بَدَنِهِ... لَكِنْ لَا يَضُرُّكَ فَأَنْتَ عَلَى حَقٍّ، وَاصْبِرْ بِصِدْقٍ، قِيلَ لِلإِمَامِ أَحْمَدَ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: كَيْفَ صَبَرْتَ عَلَى مَا أُوذِيتَ؟ فَقَالَ: لَوْ وُضِعَ الصِّدْقُ عَلَى جُرْحٍ لَبَرَأَ.

وَكَذَلِكَ لَا تَهْتَمُّ بِكَثْرَةِ المُخَذِّلِينَ وَالمُخَالِفِينَ، فَقَدْ جَاءَ رَجُلٌ يَسْأَلُ ابْنَ المُبَارَكِ(٣٨٨) فَقَالَ: اخْتَلَفَ النَّاسُ. فَقَالَ: كُنْ مَعَ الجَمَاعَةِ. قَالَ: لَا جَمَاعَةَ! قَالَ: هَلْ عِنْدَكُمْ أَبُو حَمْزَةَ السُّكَّرِيُّ(٣٨٩) إِمَامُ أَهْلِ السُّنَّةِ. قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: الْزَمْهُ فَإِنَّهُ جَمَاعَةٌ. فَمَنْ كَانَ عَلَى الحَقِّ لَا يَهُمُّهُ مَنْ خَالَفَهُ، وَلَوْ كَانَ أَفْصَحَ لِسَانًا وَأَبْلَغَ بَيَانًا وَأَكْثَرَ جَاهًا... المُهِمُّ: هَلْ هُوَ عَلَى حَقٍّ أَمْ لَا؟ وَإِنْ جَمَعَ اللهُ لَهُ بَيْنَ الجَاهِ وَالحَقِّ هَذِهِ نِعَمٌ تُتْرَى، لَكِنِ الأَصْلُ أَنْ تَنْظُرَ إِلَى المَنْهَجِ.

قَوْلُهُ: (**فَأَبْشِرْ بِذِي الْحُسْنَى مِنَ اللهِ وَاصْطَبِرْ**): أَيْ اصْبِرْ عَلَى مَا يُصِيبُكَ مِنَ المُخَالِفِينَ؛ فَأَنْتَ مِنَ الفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ، أَمَّا بَقِيَّةُ القَوْمِ فَتَقَدَّمَ أَنَّهُمْ عَلَى ضَلَالَةٍ، وَسَيُؤَكِّدُ هَذَا بِقَوْلِهِ.

(**وَسَائِرُهُمْ هَلْكَى لِقُبْحِ انْتِحَالِهِمْ *** وَخُبْثِ اعْتِقَادٍ عَنْهُمُ الْيَوْمَ قَدْ ظَهَرْ**)

---

(٣٨٦) سورة الزمر: ١٠.

(٣٨٧) سورة الأحزاب: ٣٥.

(٣٨٨) هو: عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي التميمي مولاهم، أبو عبد الرحمن المروزي. أحد الأئمة الأعلام وحفاظ الإسلام، أمير المؤمنين في الحديث. له تواليف؛ منها «الزهد». قال ابن حجر في التقريب: ثقة ثبت فقيه عالم جواد. ولد سنة ثمان عشرة ومئة، وتوفي سنة إحدى وثمانين ومئة. انظر: تهذيب الكمال (١٦/ ٥ ترجمة ٣٥٢٠)، وسير أعلام النبلاء (٨/ ٣٧٨ ترجمة ١١٢).

(٣٨٩) هو: الحافظ الإمام الحجة، محمد بن ميمون، المروزي، أبو حمزة السكري، عالم مرو. قال عباس الدوري: كان أبو حمزة من الثقات، وكان إذا مرض عنده من قد رحل إليه، ينظر إلى ما يحتاج إليه من الكفاية، فيأمر بالقيام به، ولم يكن يبيع السكر، وإنما سمي السكري لحلاوة كلامه. مات سنة سبع وستين ومئة. قال ابن حجر في التقريب: ثقة فاضل. انظر: تهذيب الكمال (٢٦/ ٥٤٤ ترجمة ٥٦٥٢)، وسير أعلام النبلاء (٧/ ٣٨٥ ترجمة ١٤١).

وَصَفَهُمْ بِأَنَّهُمْ كُلُّهُمْ (**هَلْكَى**)، مِنَ الهَلَاكِ وَالخَسَارَةِ وَالبَوَارِ وَالقُبْحِ، فَهَلَكُوا وَقُبِّحُوا لِمَا فَعَلُوا مِنْ انْتِحَالِ تِلْكَ المَذَاهِبِ، وَخُبْثِ أَوْصَافٍ تُنَفِّرُ المَرْءَ مِنْهُمْ؛ لِأَنَّ الفَسَادَ العَقَدِيَّ أَشَدُّ مِنَ الفِسَادِ فِي الأَمْوَالِ وَفِي الأَوْلَادِ وَفِي الزُّرُوعِ وَفِي الثِّمَارِ، فَهُوَ هَدْمٌ لِلدِّيَانَةِ، وَخَسَارَةٌ فِي الآخِرَةِ.

(**وَخُبْثِ اعْتِقَادٍ عَنْهُمُ اليَوْمَ قَدْ ظَهَرْ**)، هَلْ ظَهَرَ اليَوْمَ فَقَطْ أَمِ الأَمْسَ أَمِ الغَدَ؟ يَتَكَلَّمُ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى مِنْ بَابِ النَّظْمِ، فَكَأَنَّهُ يَقُولُ: إِنَّ هَؤُلَاءِ مُوجِدُونَ فِي كُلِّ يَوْمٍ، فَأَحْيَانًا تَأْتِي بَعْضُ الأَفْعَالِ أَوْ بَعْضُ الصِّيَغِ فِي الكَلَامِ لِتُبَيِّنَ أَنَّ المَشْهَدَ مُسْتَمِرٌّ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿**تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ**﴾[٣٩٠]. كَأَنَّكَ تَرَاهُمُ الآنَ؛ لِأَنَّ الفِعْلَ مُضَارِعٌ.

(**وَخُبْثِ اعْتِقَادٍ عَنْهُمُ اليَوْمَ قَدْ ظَهَرْ**)، أَي اليَوْمَ وَأَمْسِ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ، وَهُمْ عَلَى خُبْثِهِمْ وَهَلَاكِهِمْ.

(**فَمَعْبَدٌ مِنْ قَبْلُ الَّذِي خَالَفَ الوَرَى *** بِسِحْرٍ سَيُجْزَى فِي المَعَادِ بِمَا سَحَرْ**)

مَعْبَدُ بْنُ عُوَيْمِرٍ الجُهَنِيُّ[٣٩١] أَوَّلُ مَنْ تَكَلَّمَ بِالقَدَرِ فِي عَهْدِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمْ، وَقَدْ حَذَّرَ مِنْهُ الصَّحَابَةُ. وَقَدْ مَرَّ مَعْبَدٌ فِي المَسْجِدِ فَشَاهَدَهُ عَبْدُ المَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ[٣٩٢] فَقَالَ: ﴿**إِنَّ هَذَا لَهُوَ البَلَاءُ المُبِينُ**﴾[٣٩٣]. فَكَانَ خَالِدُ بْنُ

(٣٩٠) سورة الفيل: ٤.

(٣٩١) هو: معبد بن عبد الله بن عويمر، وقيل: ابن عبد الله بن عكيم الجهني. نزيل البصرة، وهو أول من تكلم بالقدر في زمن الصحابة. حدث عن عمران بن حصين، ومعاوية، وابن عباس، وابن عمر، وحمران بن أبان، وطائفة. وكان من علماء الوقت على بدعته. حدث عنه معاوية بن قرة، وزيد بن رفيع، وقتادة، ومالك بن دينار، وعوف الأعرابي، وسعد بن إبراهيم، وآخرون. قال ابن حجر في التقريب: صدوق مبتدع. مات قبل التسعين. انظر: تهذيب الكمال (٢٨/ ٢٤٤ ترجمة ٦٠٧٩)، وسير أعلام النبلاء (٤/ ١٨٥ ترجمة ٧٦).

(٣٩٢) هو: عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية، الخليفة الفقيه، أبو الوليد الأموي. ولد سنة ست وعشرين. تملك بعد أبيه الشام ومصر، ثم حارب ابن الزبير الخليفة، وقتل أخاه مصعبا في وقعة مسكن، واستولى على العراق، وجهز الحجاج لحرب ابن الزبير، فقتل ابن الزبير سنة اثنتين وسبعين، واستوسقت الممالك لعبد الملك. قال ابن سعد: كان قبل الخلافة عابدا ناسكا بالمدينة. شهد مقتل عثمان وهو ابن عشر. قال ابن حجر في التقريب: كان طالب علم قبل الخلافة ثم اشتغل بها فتغير حاله. توفي في شوال سنة ست وثمانين عن نيف وستين سنة. انظر: تهذيب الكمال (١٨/ ٤٠٨ ترجمة ٣٥٥٩)، وسير أعلام النبلاء (٤/ ٢٤٦ ترجمة ٨٩).

(٣٩٣) سورة الصافات: ١٠٦.

مَعْدَانَ[٣٩٤] يَسْمَعُ، فَقَالَ: إِنَّ البَلَاءَ المُبِينَ إِذَا كَانَ هَؤُلَاءِ هُمُ الأَئِمَّةُ. فَهُوَ الآنَ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مَتْبُوعًا فَهُوَ بَلَاءٌ، مَا بَالُكَ إِذَا كَانَ مَتْبُوعًا؟! وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا**»[٣٩٥].

فَمَعْبَدٌ أَوَّلُ مَنْ تَكَلَّمَ بِالقَدَرِ، وَتِلْمِيذُهُ الَّذِي أَخَذَ عَنْهُ هُوَ غَيْلَانُ القَدَرِيُّ[٣٩٦]، وَانْتَشَرَ ذَلِكَ المَذْهَبُ الضَّالُّ، وَابْنُ عُمَرَ لَمَّا سَمِعَ بِهِمْ قَالَ: أَخْبِرُوهُمْ أَنَّ ابْنَ عُمَرَ بَرِيءٌ مِنْهُمْ، وَلَوْ تَمَكَّنْتُ مِنْ أَحَدٍ لَعَضَضْتُ أَنْفَهُ. مِنْ بَابِ البُغْضِ وَالشَّنَاعَةِ لِفِعْلِهِمْ.

قَوْلُهُ: (**فَمَعْبَدٌ مِنْ قَبْلُ الَّذِي خَالَفَ الوَرَى**) أَي الخَلَفُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿**فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ**﴾[٣٩٧]. فَسُمِّيَ النَّاسَ بِالوَرَى. أَيْ يَأْتِي بَعْضُهُمْ وَرَاءَ بَعْضٍ.

قَوْلُهُ: (**بِسِحْرٍ**)، بَلْ مَذْهَبُهُ الَّذِي قَالَ بِهِ أَشَدُّ مِنَ السِّحْرِ؛ فَالسِّحْرُ يَأْتِي فِي العَقْلِ وَيَأْتِي فِي البَدَنِ، وَقَدْ يَزُولُ بِالدَّوَاءِ، لَكِنْ فِي الغَالِبِ أَنَّ البِدْعَةَ لَا تُنْزَعُ مِنْ صَاحِبِهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ؛ وَلِهَذَا جَاءَ فِي الحَدِيثِ: «**إِنَّ اللهَ حَجَزَ التَّوْبَةَ عَنْ كُلِّ صَاحِبِ بِدْعَةٍ**»[٣٩٨]. فَكَيْفَ ذَلِكَ وَالمُشْرِكُ قَدْ يَتُوبُ؟! نَقُولُ: لَيْسَ المُرَادُ أَنَّ اللهَ لَا يَتُوبُ عَلَيْهِ إِذَا تَابَ، لَكِنَّ الغَالِبَ أَنَّ مَنْ لَزِمَ البِدْعَةَ فَقَلَّمَا يَنْزَعُ عَنْهَا؛ لِأَنَّهُ يَتَعَبَّدُ بِهَا.

(**بِسِحْرٍ**) خَفِيٌّ، فَالبِدْعَةُ تَكُونُ فِي أَوَّلِهَا خَفِيَّةً ثُمَّ تَزْدَادُ كَالحَرْبِ.

فَالحَرْبُ أَوَّلُ مَا تَكُونُ فَتِيَّةً *** تَسْعَى بِزِينَتِهَا لِكُلِّ جَهُولِ

) هو: خالد بن معدان بن أبي كرب، الإمام، شيخ أهل الشام، أبو عبد الله الكلاعي، الحمصي. حدث عن خلق من الصحابة وأكثر ذلك 394(مرسل. وهو معدود في أئمة الفقه، وثقه ابن سعد والعجلي، ويعقوب بن شيبة، وابن خراش، والنسائي. قال ابن حجر في التقريب: ثقة عابد يرسل كثيرا. مات سنة ثلاث ومئة. انظر: تهذيب الكمال (٨/ ١٦٧ ترجمة ١٦٥٣)، وسير أعلام النبلاء (٤/ ٥٣٦ ترجمة ٢١٦).

(٣٩٥) أخرجه البخاري في كتاب العلم- باب كيف يقبض العلم (١٠٠)، ومسلم في كتاب العلم- باب رفع العلم وقبضه وظهور الجهل والفتن (٢٦٧٣)، من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

(٣٩٦) هو: غيلان بن أبي غيلان، وهو غيلان بن يونس، ويقال: ابن مسلم، أبو مروان القدري. مولى عثمان بن عفان. المقتول في القدر، ضال مسكين. حدث عنه يعقوب بن عتبة. كان من بلغاء الكتاب. أمر بقتله هشام بن عبد الملك. انظر: تاريخ دمشق (٤٨/ ١٨٦ ترجمة ٥٥٦٧)، وميزان الاعتدال (٣/ ٣٣٨ ترجمة ٦٦٧٨).

(٣٩٧) سورة هود: ٧١.

(٣٩٨) أخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٤/ ٢٨١/ ٤٢٠٢)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٧/ ٥٩/ ٩٤٥٧)، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (١٦٢٠).

حَتَّى إِذَا اشْتَعَلَتْ وَشَبَّ ضِرَامُهَا *** وَلَّتْ عَجُوزًا غَيْرَ ذَاتِ حَلِيلِ

شَمْطَاءَ يُنْكَرُ لَوْنُهَا وَتَغَيَّرَتْ *** مَكْرُوهَةً لِلشَّمِّ وَالتَّقْبِيلِ

فَالحَرْبُ أَوَّلُ مَا تَبْدَأُ يَسِيرَةً، فَكَمَا أَنَّ أَوَّلَ الغَيْثِ قَطْرَةٌ، فَأَوَّلُ النَّارِ شَرَارَةٌ، فَالبِدْعَةُ تَأْتِي خَفِيَّةً حَتَّى تَتَمَكَّنَ.

وَقَوْلُهُ: (**سَيُجْزَى فِي المَعَادِ بِمَا سَحَرْ**)؛ لِأَنَّ الجَزَاءَ مِنْ جِنْسِ العَمَلِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿**وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلعَبِيدِ**﴾(٣٩٩).

وَقَالَ: ﴿**إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا**﴾(٤٠٠). وَفِي الحَدِيثِ: «**مَنْ سَنَّ سُنَّةً حَسَنَةً**».. وَفِي المُقَابِلِ: «**مَنْ سَنَّ سُنَّةً سَيِّئَةً فَعَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا**»(٤٠١). وَجَاءَ فِي الحَدِيثِ لَمَّا قَتَلَ ابْنُ آدَمَ أَخَاهُ: «**لَا تُقْتَلُ نَفْسٌ ظُلْمًا إِلَّا كَانَ عَلَى ابْنِ آدَمَ الْأَوَّلِ كِفْلٌ مِنْ دَمِهَا؛ لِأَنَّهُ كَانَ أَوَّلَ مَنْ سَنَّ الْقَتْلَ**»(٤٠٢).

(**وَأَمَّا ابْنُ كُلَّابٍ**(٤٠٣) **فَجَاءَ بِبِدْعَةٍ *** وَجَعْدٌ وَجَهْمٌ وَالمَرِيسِيُّ**(٤٠٤) **ذَوُو الدُّبُرْ**)

(**ابْنُ كُلَّابٍ**) اسْمُهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ سَعِيدِ بْنِ كُلَّابٍ، وَيَظُنُّ بَعْضُهُمْ أَنَّهُ أَخٌ لِيَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ الأَنْصَارِيِّ(٤٠٥) شَيْخِ البُخَارِيِّ. وَالسُّبْكِيُّ(٤٠٦) يَقُولُ : تَتَبَّعْتُ ذَلِكَ، فَلَمْ أَجِدْ لِيَحْيَى أَخًا اسْمُهُ عَبْدُ اللهِ. نَقُولُ: حَتَّى لَوْ كَانَ لَهُ أَخًا؛ فَلَا يَضُرُّهُ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ.

---

(٣٩٩) سورة فصلت: ٤٦.

(٤٠٠) سورة الإسراء: ٧.

(٤٠١) أخرجه مسلم في كتاب الزكاة- باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة أو كلمة طيبة (١٠١٧)، من حديث جرير بن عبد الله رضي الله عنه.

(٤٠٢) أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب خلق آدم صلوات الله عليه وذريته(٣٣٣٦)، ومسلم في كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديات، باب بيان إثم من سن القتل (١٦٧٧)، من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٤٠٣) هو: رأس المتكلمين بالبصرة في زمانه، أبو محمد، عبد الله بن سعيد بن كلاب القطان البصري، صاحب التصانيف في الرد على المعتزلة، وربما وافقهم. أخذ عنه الكلام داودُ الظاهري. وقيل: إن الحارث المحاسبي أخذ علم النظر والجدل عنه أيضا. وكان يلقب كلابا؛ لأنه كان يجر الخصم إلى نفسه ببيانه وبلاغته. وأصحابه هم الكلابية، لحق بعضهم أبو الحسن الاشعري، وكان يرد على الجهمية. صنف في التوحيد، وإثبات الصفات، وأن علو الباري على خلقه معلوم بالفطرة والعقل على وفق النص، وكذلك قال المحاسبي. من مصنفاته: كتاب «الصفات»، و«خلق الأفعال». كان حيا قبل الأربعين ومئتين. انظر: السير (١١/ ١٧٤ ترجمة ٧٦)، وطبقات الشافعية الكبرى (٢/ ٢٩٩ ترجمة ٦٥).

(٤٠٤) هو: المتكلم المناظر البارع بشر بن غياث بن أبي كريمة، أبو عبد الرحمن مولى زيد بن الخطاب؛ هو بشر المريسي. كان من أعيان أصحاب الرأي، أخذ عن أبي يوسف، وبرع في الفقه، ونظر في الفلسفة، وجرد القول بخلق القرآن، وناظر عليه، ودعا إليه. وكان رأس الجهمية، كان أبوه يهوديا قصارا. توفي سنة ثمان عشرة ومئتين. انظر: سير أعلام النبلاء (١٠/ ١٩٩ ترجمة ٤٥)، وميزان الاعتدال (١/ ٣٢٢ ترجمة ١٢١٤).

وَابْنُ كُلَّابٍ -عَبْدُ اللهِ بْنُ سَعِيدِ بْنِ كُلَّابٍ- صَاحِبُ تَصَانِيفَ فِي الرَّدِّ عَلَى الْمُعْتَزِلَةِ، لَكِنْ مَعَ تَـأَثُّرٍ بِهِـمْ أَوْ بِـبَعْضِ بِدَعِهِمْ، فَقَالَ بِهَا لَمَّا أَفْحَمُوهُ. وَلُقِّبَ بِالكُلَّابِ لِشِدَّةِ جَذْبِ خَصْمِهِ إِلَيْهِ؛ لِقُوَّةِ فَصَاحَتِهِ وَبَلَاغَتِهِ. يَقُولُ بَعْضُهُمْ: إِنَّهُ كَانَ نَصْرَانِيًّا، وَكَانَتْ أُخْتُهُ عَالِمَةً فِي النَّصْرَانِيَّةِ، فَلَمَّا تَنَصَّرَ هَجَرَتْهُ أُخْتُهُ، فَحَاوَلَ الوُصُولَ لَهَا بِكُلِّ طَرِيقٍ، فَأَبَتْ عَلَيْهِ هِجْرَانًا لَهُ، فَتَسَلَّطَ عَلَيْهَا وَقَالَ: اسْمَعِي يَا أُخْتَاهُ كَلِمَةً، ثُمَّ لَكِ مَا تَفْعَلِينَ. قَالَـتْ: قُـلْ. قَـالَ: إِنَّنِـي دَخَلْـتُ عَـلَى الْمُسْلِمِينَ بِنَصْرَانِيَّةٍ خَفِيَّةٍ حَتَّى أَبُثَّهَا بَيْنَهُمْ! فَرَضِيَتْ نَفْسَهَا وَطَابَتْ عَلَيْهِ.

وَهَذِهِ القِصَّةُ مَشْهُورَةٌ فِي تَرْجَمَةِ ابْنِ كُلَّابٍ، وَأَنَّهُ كَانَ نَصْرَانِيًّا فَأَسْلَمَ لِيُفْسِدَ. يَقُـولُ شَـيْخُ الإِسْـلَامِ: هَـذَا كَـذِبٌ وَاخْتِلَاقٌ، فَالرَّجُلُ عِنْدَهُ عِلْمٌ وَعِنْدَهُ دِينٌ. لَكِنِ الجَهْمِيَّةُ وَالمُعْتَزِلَةُ لَمَّا رَدَّ عَلَيْهِمْ أَرَادُوا تَشْوِيهَ صُورَتِهِ، وَهُمْ شَرٌّ مِنْهُ وَأَقْبَحُ، وَهُوَ خَيْرٌ مِنْهُمْ مَعَ ضَلَالِهِ. وَهَذِهِ مِنْ طُرُقِ أَهْلِ الضَّلَالِ -وَالعِيَاذُ بِاللهِ- فَبَعْضُ أَهْلِ الأَهْوَاءِ وَالتَّوَجُّهَاتِ الخَبِيثَةِ يُشَوِّهُ صُورَةَ أَهْلِ السُنَّةِ أَوْ بَعْضِ أَهْلِ السُّنَّةِ، بِثِيَابِ الغَيْرَةِ عَـلَى السُّـنَّةِ. فَاحْـذَرُوا؛ فَهَـذَا مِـنَ المَـدَاخِلِ لَا يَفْهَمُهَا كُلَّ أَحَدٍ! فَهُوَ يَبْكِي عَلَى السُّنَّةِ لَيْسَ لِذَاتِ السُّنَّةِ، بَلْ جَعَلَهَا مَطِيَّةً وَوَسِيلَةً لِغَايَةٍ، كَمَا فَعَلَ هَؤُلَاءِ! فَالحَـذَرَ مِنْ هَذِهِ التَّلْبِيسَاتِ وَالمُضَلِّلَاتِ!

وَبِدْعَةُ ابْنِ كُلَّابٍ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: لَيْسَ للهِ كَلَامٌ مَسْمُوعٌ! وَهَذِهِ البِدْعَةُ الَّتِي قَالَهَا: إِنَّ اللهَ لَا يَتَكَلَّمُ، وَإِنَّمَا جِبْرِيلُ نَزَلَ بِحِكَايَةِ مَعْنَى كَلَامِ اللهِ. بِدْعَةٌ لَهَا أَنْصَارٌ يُسَمَّوْنَ الكُلَّابِيَّةَ. وَقَدْ رَدَّ أَهْلُ السُّنَّةِ -كَمَا تَقَدَّمَ- عَلَى هَذِهِ البِدْعَةِ، وَأَهْـلُ البِدَعِ دَائِمًا يُجَزِّؤُونَ بِدَعِهِمْ حَتَّى تَكْثُرَ فِي زَعْمِهِمْ، مَعَ أَنَّهَا كُلَّهَا تَرِدُ وَتَصْدُرُ مِنْ مَوْرِدٍ وَاحِدٍ.

---

(٤٠٥) هو: يحيى بن سعيد بن قيس بن عمرو، وقيل: يحيى بن سعيد بن قيس بن قهد. الإمام العلامة المجود، عالم المدينة في زمانه، وشيخ عالم المدينة، وتلميذ الفقهاء السبعة. أبو سعيد الأنصاري الخزرجي النجاري المدني القاضي. مولده قبل السبعين زمن ابن الزبير. قال ابن حجر في التقريب: ثقة ثبت. توفي بالهاشمية بقرب الكوفة، وله بضع وسبعون سنة، سنة ثلاث وأربعين ومئة. انظر: تهذيب الكمال (٣١/ ٣٤٦ ترجمة ٦٨٣٦)، وسير أعلام النبلاء (٥/ ٤٦٨ ترجمة ٢١٣).

(٤٠٦) هو: الإمام المؤرخ تاج الدين عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي، أبو نصر السبكي. قاضي القضاة. ولد في القاهرة سنة سبع وعشرين وسبع مئة. انتقل إلى دمشق مع والده، فسكنها وتوفي بها. نسبته إلى سبك من أعمال المنوفية بمصر. كان طلق اللسان، قوي الحجة، انتهى إليه القضاء في الشام وعُزل، وتعصب عليه شيوخ عصره، وأتوا به مقيدا مغلولا من الشام إلى مصر. ثم أفرج عنه، وعاد إلى دمشق. قال ابن كثير: جرى عليه من المحن والشدائد ما لم يجر على قاض مثله. من مؤلفاته: «طبقات الشافعية الكبرى»، و«معيد النعم ومبيد النقم». توفي بالطاعون سنة إحدى وسبعين وسبع مئة. انظر: النجوم الزاهرة (١١/ ١٠٨)، وكتاب «البيت السبكي» لمحمد الصادق حسين.

وَبِدْعَتُهُ هِيَ قَوْلُهُ: إِنَّ اللهَ لَمْ يَتكَلَّمْ، وَأَنَّ جِبْرِيلَ لَمْ يَسْمَعِ الكَلَامَ مِنَ اللهِ، وَإِنَّمَا نَزَلَ جِبْرِيلُ بِمَعْنَى أَوْ بِحِكَايَةِ كَلَامِ اللهِ. وَكُلُّ هَذَا مِنْ بَابِ نَفْيِ كَلَامِ اللهِ؛ لِأَنَّهُ وَقَعَ فِي التَّشْبِيهِ، فَقَالَ: الْمُتَكَلِّمُ يَحْتَاجُ إِلَى حَنْجَرَةٍ...إِلَخْ. وَكُلُّ هَذَا بَاطِلٌ، فَاللهُ جَلَّ وَعَلَا وَصَفَ نَفْسَهُ بِأَنَّهُ يَتَكَلَّمُ، وَلِسَانُ حَالِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَقَالُهُمْ: ﴿**سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ**﴾[٤٠٧].

أَمَّا الجَعْدُ بْنُ دِرْهَمٍ[٤٠٨] فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ، وَهُوَ شَيْخُ الجَهْمِ بْنِ صَفْوَانَ[٤٠٩]، وَهُوَ الَّذِي ابْتَدَعَ مَقُولَةً: مَا اتَّخَذَ اللهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا، وَلَا كَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيمًا. فَصَلَّى خَالِدٌ القَسْرِيُّ[٤١٠] صَلَاةَ عِيدِ الأَضْحَى، ثُمَّ قَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ، ضَحُّوا تَقَبَّلَ اللهُ مِنْكُمْ، فَإِنِّي مُضَحٍّ بِالجَعْدِ؛ فَإِنَّهُ زَعَمَ أَنَّ اللهَ لَمْ يَتَّخِذْ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا، وَلَمْ يُكَلِّمْ مُوسَى تَكْلِيمًا. ثُمَّ نَزَلَ فَذَبَحَهُ، فَقَالَ ابْنُ القَيِّمِ فِي النُّونِيَّةِ:

شَكَرَ الضَّحِيَّةَ كُلُّ صَاحِبِ سُنَّةٍ ❊❊❊ للهِ دَرُّكَ مِنْ أَخِي قُرْبَانِ!

وَأَمَّا الجَهْمُ بْنُ صَفْوَانَ بْنِ مُحْرِزٍ الرَّاسِبِيُّ رَأْسُ الجَهْمِيَّةِ وَإِمَامُهُمْ، فَنَفَى صِفَاتِ اللهِ بِزَعْمِ التَّنْزِيهِ، فَقَالَ: أَنَا أَنْفِي جَمِيعَ الصِّفَاتِ حَتَّى لَا أُشَبِّهَ اللهَ بِخَلْقِهِ! وَقَالَ بِخَلْقِ القُرْآنِ، وَأَنَّ اللهَ جَبَرَ المَخْلُوقِينَ عَلَى الكُفْرِ وَالضَّلَالِ! وَهَذَا عَيْنُ الضَّلَالِ.

---

(٤٠٧) سورة البقرة: ٢٨٥.

(٤٠٨) هو: الجعد بن درهم، عداده في التابعين. مبتدع ضال. زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلا، ولم يكلم موسى، فقتل على ذلك بالعراق يوم النحر، على يد أميرها خالد القسري، نحو سنة ثمان عشرة ومئة. انظر: ميزان الاعتدال (١/ ٣٩٩ ترجمة ١٤٨٢)، والنجوم الزاهرة (١/ ٣٢٢).

(٤٠٩) هو: جهم بن صفوان، أبو محرز الراسبي، مولاهم، السمرقندي، الكاتب المتكلم، أس الضلالة، ورأس الجهمية. كان صاحب ذكاء وجدال. كتب للأمير حارث بن سريج التميمي. وكان ينكر الصفات. وينزه الباري عنها بزعمه، ويقول بخلق القرآن. ويقول: إن الله في الأمكنة كلها. قال ابن حزم: كان يخالف مقاتلا في التجسيم، وكان يقول: الإيمان عقد بالقلب، وإن تلفظ بالكفر. قيل: إن سلم بن أحوز قتل الجهم؛ لإنكاره أن الله كلم موسى. قتل سنة ثمان وعشرين ومئة. انظر: سير أعلام النبلاء (٦/ ٢٦ ترجمة ٨)، وتاريخ الجهمية والمعتزلة (ص: ١٠) وما بعدها للقاسمي.

(٤١٠) هو: الأمير الكبير أبو الهيثم خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد بن كرز البجلي القسري الدمشقي. أمير العراقين لهشام، وولي قبل ذلك مكة للوليد بن عبد الملك، ثم لسليمان. روى عن أبيه، وعنه سيار أبو الحكم، وإسماعيل بن أوسط البجلي وإسماعيل بن أبي خالد، وحميد الطويل. وقلما روى. كان جوادا ممدحا معظما، عالي الرتبة، من نبلاء الرجال، لكنه فيه نصب معروف. قتل سنة ست وعشرين ومئة. قال ابن حجر في التقريب: مقبول. انظر: تهذيب الكمال (٨/ ١٠٧ ترجمة ١٦٢٧)، وسير أعلام النبلاء (٥/ ٤٢٥ ترجمة ١٩١).

أَمَّا بِشْرُ المَرِّيسِيُّ فَابْتَدَعَ القَوْلَ بِخَلْقِ القُرْآنِ، وَلَهُ مَقَالَاتٌ مُنْكَرَةٌ.

يَقُولُ الذَّهَبِيُّ: بِشْرٌ بِشْرَانِ، وَأَحْمَدُ أَحْمَدَانِ؛ بِشْرُ السُّنَّةِ وَبِشْرُ البِدْعَةِ، فَبِشْرُ السُّنَّةِ هُوَ بِشْرٌ الحَاكِمُ، وَبِشْرُ البِدْعَةِ هُوَ بِشْرٌ المَرِّيسِيُّ، وَأَحْمَدُ أَحْمَدَانِ؛ أَحْمَدُ السُّنَّةِ هُوَ الإِمَامُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ، وَأَحْمَدُ البِدْعَةِ هُوَ ابْنُ أَبِي دُؤَادَ[٤١١].

وَلَمَّا سَمَّاهُمُ النَّاظِمُ قَالَ: (**ذَوُو الدُّبُرْ**). أَوْ (**الدَّبَرْ**)، وَالدُّبُرُ الخَلَفُ، فَهُمْ فِي الخَلْفِ وَفِي الوَرَاءِ وَفِي التَّأَخُّرِ. وَمَنْ مَعَانِي الكَلِمَةِ: الخُسْرَانُ وَالهَزِيمَةُ وَالهَلَاكُ، فَهُمْ أَهْلُ الهَلَاكِ وَالتَّأَخُّرِ وَالخُسْرَانِ، وَأَفْرَدَ الدَّارِمِيُّ سَعِيدُ بْنُ عُثْمَانَ[٤١٢] كِتَابًا فِي الرَّدِّ عَلَى بِشْرٍ المَرِيسِيِّ العَنِيدِ.

وَقَدْ سَمَّاهُ أَهْلُ السُّنَّةِ فِي كُتُبِهِمْ، وَنَصُّوا عَلَى اسْمِهِ فِي التَّحْرِيرِ؛ لِهَذَا فَالنَّصُّ عَلَى المُبْتَدِعَةِ مِنَ مَنْهَجِ السَّلَفِ، حَتَّى قَالَ الشَّاطِبِيُّ[٤١٣] فِي «الاعْتِصَامِ»: لَا يَنُصُّ عَلَى التَّسْمِيَةِ إِلَّا فِي أَمْرَيْنِ: الأَوَّلِ: إِذَا ظَهَرَتْ بِدْعَتُهُمْ وَاشْتَهَرَتْ، وَكَانَ فِي تَرْكِ أَسْمَائِهِمْ مَضَرَّةٌ. وَالثَّانِي: إِذَا نَصَّ الشَّرْعُ عَلَى تَسْمِيَتِهِمْ كَالخَوَارِجِ وَالقَدَرِيَّةِ.

(وَجَاءَ ابْنُ كَرَّامٍ بِمَيْنٍ وَفِرْيَةٍ * عَلَى اللهِ وَالمَبْعُوثِ مِنْهُ وَمَا شَعَرْ)**

(**ابْنُ كَرَّامٍ**) هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ كَرَّامٍ[٤١٤] بِالفَتْحِ وَالتَّشْدِيدِ عَلَى الأَشْهَرِ، وَلَعَلَّهُ يُقَالُ: كَـرَامٌ -بِـالتَّخْفِيفِ- لَكِـنِ الأَشْـهُرُ وَالمَعْرُوفُ (**كَرَّامٌ**)، وَهُوَ مِنَ العِرَاقِ، وَكَانَ عَابِدًا لَكِنَّهُ يَرْوِي المَوْضُوعَاتِ وَيَتَدِينُ بِكَذِبِ الرِّوَايَةِ وَالمَوْضُـوعَاتِ

(٤١١) هو: القاضي الكبير، أبو عبد الله، أحمد بن فرج بن حريز الإيادي البصري ثم البغدادي، الجهمي، عدو أحمد بن حنبل. ولد سنة ستين ومئة بالبصرة. كان داعية إلى خلق القرآن، له كرم وسخاء وأدب وافر ومكارم. وكان شاعرا مجيدا فصيحا بليغا. رُمي بالفالج، ومات في المحرم سنة أربعين ومئتين، ودفن بداره ببغداد. انظر: وفيات الأعيان (١/ ٨١ ترجمة ٣٢)، وسير أعلام النبلاء (١١/ ١٦٩ ترجمة ٧١).

(٤١٢) هو: أبو سعيد عثمان بن سعيد بن خالد السجستاني، الحافظ الإمام الحجة، صاحب التصانيف. ولد قبل المئتين بيسير. أكثر من الترحال والتطواف في طلب الحديث. أخذ علم الحديث وعلله على علي بن المديني، ويحيى بن معين، وأحمد بن حنبل، وفاق أهل زمانه، وكان لهجًا بالسنة، بصيرًا بالمناظرة، جذعًا في أعين المبتدعة. توفي -رحمه الله- سنة ثمانين ومئتين. له مصنفات؛ منها: «السنن»، و«الرد على المريسي»، وكتاب «الرد على الجهمية». انظر: السير (١٣/ ٣١٩ ترجمة ١٤٨)، وتذكرة الحفاظ (٢/ ٦٢١ ترجمة ٦٤٨).

(٤١٣) هو: أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي. الإمام الأصولي، اللغوي، النحوي البارع. ألف «الاعتصام»، و«الموافقات»، و«المقاصد الشافية». توفي سنة تسعين وسبع مئة. انظر: الأعلام للزركلي (١/ ٧٥) ط: دار العلم للملايين، ومقدمة الدكتور/ محمد أبو الأجفان لكتاب «الإفادات والإنشادات».

(٤١٤) هو: محمد بن كرام السجستاني المبتدع، شيخ الكرامية. كان زاهدا عابدا ربانيا، بعيد الصيت، كثير الأصحاب، ولكنه يروي الواهيات كما قال ابن حبان. خُذل حتى التقط من المذاهب أرداها، ومن الأحاديث أوهاها. كان يقول: الإيمان هو نطق اللسان بالتوحيد، مجرد عن عقد قلب، وعمل جوارح. وقال خلق من أتباعه بأن الباري جسم لا كالأجسام، وأن النبي تجوز منه الكبائر سوى الكذب. وقد سجن، ثم نفي.

عَنِ الرَّسُولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ حَتَّى عُدَّ مِنَ أَقْسَامِ الوَضَّاعِينَ. وَالكَرَّامِيَّةُ نِسْبَةً إِلَى هَذَا الرَّجُلِ. وَكَانَ يَقُولُ: إِنَّ مَنْ أَقَرَّ بِلِسَانِهِ، وَيَثْبُتُ مِنْهُ التَّوْحِيدُ فَهُوَ مُؤْمِنٌ. وَعَلَى زَعْمِهِ فَالْمُنَافِقُونَ مُؤْمِنُونَ -عِيَاذًا بِاللهِ- فَهُوَ يَقُولُ: بِأَنَّهُمْ أَهْلُ إِيمَانٍ.

يَقُولُ: (**وَجَاءَ ابْنُ كَرَّامٍ بِمَيْنٍ**). المَيْنُ هُوَ: الكَذِبُ وَالافْتِرَاءُ وَالاخْتِلَاقُ عَلَى اللهِ عَلَى رَبِّ العَالَمِينَ، وَعَلَى رَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَقَدْ أَعْجَبَتْنِي كَلِمَةٌ قَالَهَا مُحَمَّدُ بْنُ أَسْلَمَ الطُّوسِيُّ[٤١٥] قَالَ: مَا عُرِجَ إِلَى السَّمَاءِ أَقْبَحُ مِنْ ثَلَاثِ كَلِمَاتٍ:

الأُولَى: لِفِرْعَوْنَ حَيْثُ قَالَ: ﴿**أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى**﴾[٤١٦].

وَالثَّانِيَةُ: قَوْلُ بِشْرٍ المَرِّيسِيِّ: القُرْآنُ مَخْلُوقٌ.

وَالثَّالِثَةُ: قَوْلُ ابْنِ كَرَّامٍ: يَكْفِي الإِقْرَارُ بِاللِّسَانِ فَقَطْ فِي الإِيمَانِ.

فَهَذِهِ كَلِمَاتٌ يُبْنَى عَلَيْهَا مَذَاهِبُ بَاطِلَةٌ تُفْسِدُ أُمُورَ الدِّينِ وَالدُّنْيَا وَالآخِرَةِ لِمَنِ اعْتَقَدَهَا.

فَبِشْرٌ وَالجَعْدُ وَمَعْبَدٌ وَالجَهْمُ وَابْنُ كَرَّامٍ مِنْ أَئِمَّةِ الضَّلَالِ، وَقَدْ أَفْسَدُوا بِهَذِهِ المَذَاهِبِ الضَّالَّةِ، لَكِنَّ أَهْلَ العِلْمِ رَفَعُوا رُؤُوسَهُمْ، وَرَدُّوا شُبُهَاتِهِمْ وَفَنَّدُوهَا، وَكُتُبُ الاعْتِقَادِ لِأَهْلِ السُّنَّةِ مَشْهُورَةٌ وَمَعْرُوفَةٌ بِالرَّدِّ عَلَى هَؤُلَاءِ.

(**فَهُمْ أَحْدَثُوا هَذَا الكَلَامَ بِعَقْلِهِمْ *** وَكُلُّهُمْ عَنْ مَنْهَجِ الحَقِّ قَدْ عَبَرْ**)

هَذَا الكَلَامُ قَالُوا بِهِ وَأَحْدَثُوهُ مِنْ أَنْفُسِهِمْ، وبِعُقُولِهِمِ المُجَرَّدَةِ عَنِ الأَدِلَّةِ الشَّرْعِيَّةِ وَعَنْ مَنْهَجِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ السَّلَامُ وَأَصْحَابِهِ. وَكُلُّ قَوْلٍ ضَالٍّ يَنْطَبِقُ عَلَيْهِ هَذَا البَيْتُ، فَأَيُّ حَدَثٍ أُحْدِثَتْ مِنْهُ بِدَعٌ يَنْطَبِقُ عَلَيْهَا هَذَا البَيْتُ؛ لِأَنَّ مَصْدَرَهُمُ العُقُولُ. وَالنَتِيجَةُ: أَنَّهُمْ خَالَفُوا وَعَبَرُوا عَنْ مَنْهَجِ الحَقِّ، فَلَمْ يَعْبُرُوا إِلَيْهِ، بَلْ عَبَرُوا عَلَيْهِ وَأَعْرَضُوا

وكان ناشفا عابدا، قليل العلم. قال الحاكم: مكث في سجن نيسابور ثماني سنين، ومات بأرض بيت المقدس سنة خمس وخمسين ومئتين. انظر: سير أعلام النبلاء (١١/ ٥٢٣ ترجمة ١٤٦)، والنجوم الزاهرة (٣/ ٢٤).

(٤١٥) هو: محمد بن أسلم بن سالم بن يزيد، الإمام الحافظ الرباني، شيخ الإسلام، أبو الحسن، الكندي مولاهم الخراساني الطوسي.

مولده في حدود الثمانين ومئة. كان من الأبدال المتتبعين للآثار. مات لثلاث بقين من المحرم سنة اثنتين وأربعين ومئتين بنيسابور. انظر: سير أعلام النبلاء (١٢/ ١٩٥ ترجمة ٧٠)، والنجوم الزاهرة (٢/ ٣٠٨).

(٤١٦) سورة النازعات: ٤.

عَنْهُ. وَكُلُّ بِدْعَةٍ صَغِيرَةً كَانَتْ أَمْ كَبِيرَةً فَقَدْ أَحْدَثَهَا أَصْحَابُهَا بِعُقُولِهِمْ، وَهُمْ فِي ذَلِكَ عَابِرُونَ عَنْ مَنْهَجِ السَّلَفِ مُخَالِفُونَ لَهُ.

(أَرَادُوا بِهِ تَشْوِيشَ شَرْعِ مُحَمَّدٍ * فَمَا بَلَغُوا مَا أَمَّلُوهُ مِنَ الغَرَرْ)**

(التَّشْوِيشُ) يَقُولُ ابْنُ مَنْظُورٍ[٤١٧] عَنْ أَبِي مَنْصُورٍ[٤١٨]: إِنَّهَا كَلِمَةٌ مُوَلَّدَةٌ، وَأَصْلُهَا التَّهْوِيشُ، أَي الخَلْطُ، فَأَرَادُوا بِهَذَا الخَلْطِ التَّلْبِيسَ عَلَى شَرْعِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الشَّرِيعَةِ الَّتِي بَلَّغَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ رَبِّ العَالَمِينَ. وَكُلُّ هَذَا لِقَصْدِ الإِفْسَادِ فِي الدِّينِ، لَكِنْ لَمْ يَبْلُغُوا الأَغْرَاضَ الَّتِي أَرَادُوهَا. نَعَمْ قَدْ ضَلَّ مَنْ ضَلَّ، وَلَكِنِ اللهُ قَيَّضَ لِلحَقِّ أَنْصَارًا، وَقَيَّضَ لِلحَقِّ مَنْ يَرْفَعُ رَايَتَهُ، فَرَدُّوا عَلَى الشُّبَهِ وَبَيَّنُوا خُسْرَانَهَا، فَهَدَى اللهُ مَنْ هَدَى بِفَضْلِهِ، وَضَلَّ مَنْ ضَلَّ بِعَدْلِهِ، ﴿**وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا**﴾[٤١٩].

(مَحَالٌ كَقِيعَانِ السَّرَابِ تَخَالُهُ * دَلِيلًا وَلَكِنَّ فِي الحِجَاجِ قَدِ انْكَسَرْ)**

(مَحَالٌ) المَحْلُ: الجَدْبُ الأَرْضِ الَّتِي انْقَطَعَ عَنْهَا المَطَرُ.

(كَقِيعَانِ السَّرَابِ) القَاعُ: المَكَانُ الوَاسِعُ المُسْتَوِي، وَالسَّرَابُ: مَا نَرَاهُ فِي السَّفَرِ وَفِي الطُّرُقِ وَسَطَ النَّهَارِ مِثْلُ المَاءِ، وَقَدْ ذَكَرَهُ اللهُ فِي القُرْآنِ: ﴿**كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا**﴾. أَيْ يَخَالُهُ وَيَظُنُّهُ. فَقَوْلُنَا: مَا إِخَالُكَ. أَيْ مَا أَظُنُّكَ. **(دَلِيلًا)** أَيْ تَظُنُّهُ بُرْهَانًا.

---

(٤١٧) هو: محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي، الإمام اللغوي الحجة. من نسل رويفع بن ثابت الأنصاري. ولد بمصر سنة ثلاثين وست مئة. خدم في ديوان الإنشاء بالقاهرة. ثم ولي القضاء في طرابلس. وعاد إلى مصر. وقد ترك بخطه نحو خمس مئة مجلد، وعمي في آخر عمره. قال ابن حجر: كان مغرى باختصار كتب الأدب المطولة. وقال الصفدى: لا أعرف في كتب الأدب شيئا إلا وقد اختصره. من كتبه: معجم «لسان العرب»، و«مختار الأغاني». توفي بمصر سنة إحدى عشرة وسبع مئة. انظر: فوات الوفيات (٤/ ٣٦ ترجمة ٤٩٦) ت: إحسان عباس، وحسن المحاضرة (١/ ٥٣٤ ترجمة ١٧) ت: محمد أبو الفضل إبراهيم.

(٤١٨) هو: العلامة، أبو منصور، محمد بن أحمد بن الأزهر بن طلحة الأزهري الهروي اللغوي الشافعي. ارتحل في طلب العلم بعد أن سمع ببلده من الحسين بن إدريس، ومحمد بن عبد الرحمن السامي وعدة، وسمع ببغداد من أبي القاسم البغوي، وابن أبي داود، وترك ابن دريد تورعا؛ فإنه قال: دخلت داره، فألفيته على كبر سنه سكران. روى عنه: أبو عبيد الهروي مؤلف «الغريبين»، وأبو يعقوب القراب، وآخرون. وكان رأسا في اللغة والفقه. ثقة، ثبتا، دينا. من أشهر مؤلفاته: «تهذيب اللغة»، و«علل القراءات». مات في ربيع الآخر سنة سبعين وثلاث مئة، عن ثمان وثمانين سنة. انظر: سير أعلام النبلاء (١٦/ ٣١٥ ترجمة ٢٢٢)، طبقات الشافعية الكبرى (٣/ ٦٣ ترجمة ١٠٨).

(٤١٩) سورة الكهف: ٤٩.

(**وَلَكِنْ فِي الحِجَاجِ**) يُرِيدُ الحُجَجَ.

(**قَدِ انْكَسَر**) أَيْ بَطُلَ وَزَالَ.

وَهَذَا وَاضِحٌ؛ فَحُجَجُهُمْ تَتَهَافَتُ، وَلَا تَنْهَضُ فِي مُقَابِلِ الأَدِلَّةِ الشَّرْعِيَّةِ إِلَّا مَنِ الْتَبَسَ الأَمْرُ عَلَيْهِ وَاغْتَرَّ، أَمَّا هَذِهِ الأَدِلَّةُ وَهَذِهِ الشُّبَهُ الَّتِي عِنْدَهُمْ فَلَا تَقِفُ أَمَامَ الأَدِلَّةِ، وَلَا تَنْهَضُ أَبَدًا، بَلْ هِيَ كَسِيحَةٌ عَلِيلَةٌ عَمْيَاءُ بَكْمَاءُ، لَكِنَّهَا تَنْهَضُ وَتَقْوَى عِنْدَ الضُّعَفَاءِ فِي العِلْمِ، وَمَنْ يَغْتَرُّ بِكُلِّ مَا يُقَالُ. وَإِلَّا فَلَوْ كَانَ الإِنْسَانُ عَلَى بَصِيرَةٍ عَلِمَ أَنَّهُمْ عَلَى جَهَالَةٍ.

أَذْكُرُ فَائِدَةً عِنْدَ قَوْلِهِ: (**تَخَالُهُ**) أَخْتِمُ بِهَا، وَإِنْ كَانَ لَيْسَ لَهَا عَلَاقَةٌ بِالمَجْلِسِ، لَكِنْ مِنْ بَابِ الفَائِدَةِ: مَا أَخَالُ عَرَفْنَا أَنَّ مَعْنَاهَا: مَا أَظُنُّ. وَقَدْ قَرَأْتُ فِي البُخَارِيِّ أَنَّ رَجُلَيْنِ أَتَيَا إِلَى وَحْشِيٍّ[٤٢٠]، فَسَأَلَاهُ عَنْ قَتْلِ حَمْزَةَ[٤٢١]، وَأَحَدُهُمَا كَانَ مُتَلَثِّمًا؛ لِأَنَّ وَحْشِيًّا كَانَ عَبْدًا عِنْدَ أَهْلِ بَيْتِهِ، فَسَأَلَهُ الَّذِي هُوَ كَاشِفٌ عَنْ وَجْهِهِ عَنْ قِصَّةِ حَمْزَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ جَمِيعًا.

فَلَمَّا سَاقَ وَحْشِيٌّ القِصَّةَ، قَالَ المُتَلَثِّمُ: يَا وَحْشِيُّ، أَتَعْرِفُنِي؟ فَصَعَّدَ النَّظَرَ فِيهِ مِنْ أَعْلَى رَأْسِهِ إِلَى أَخْمَصِ قَدَمَيْهِ، فَوَقَعَتْ عَيْنُهُ عَلَى قِطْعَةٍ مِنْ قَدَمِهِ، فَقَالَ: عَرَفْتُكَ، كُنْتُ مَوْلَى هَذَا الشَّابِّ مِنْ بَنِي الخِيَارِ -قَبِيلَةٍ عَرَبِيَّةٍ- عِنْدَ امْرَأَةٍ مِنْهُمْ، وَكَانَتْ مَوْلَاتُهُ عَلَى الرَّاحِلَةِ أَوِ النَّاقَةِ، فَقَالَتْ: يَا وَحْشِيُّ، ارْفَعْ لِيَ الرَّضِيعَ. فَرَفَعْتُهُ، فَلَاحَتِ الشَّمْسُ فِي قَدَمِهِ، وَلَا إِخَالُهَا إِلَّا هَذِهِ القَدَمَ. فَأَنْتَ فُلَانٌ! قَالَ: نَعَمْ!.

قَالَ ابْنُ حَجَرٍ: وَكَانَ بَيْنَ الرُّؤْيَتَيْنِ خَمْسُونَ سَنَةً! وَهَذَا مِنْ قُوَّةِ الفِرَاسَةِ. فَهَذِهِ فَائِدَةٌ عَارِضَةٌ. وَفَّقَ اللهُ الجَمِيعَ.

---

(٤٢٠) هو: الصحابي وحشي بن حرب الحبشي مولى بني نوفل. يكنى أبا سلمة، وقيل: أبا حرب. قيل: كان مولى طعيمة بن عدي، وقيل: مولى أخيه مطعم. وهو قاتل حمزة، قتله يوم أحد. وأمره -حين قدم مسلما- النبي -صلى الله عليه وسلم- أن يغيب وجهه عنه. وكان قدومه عليه مع وفد أهل الطائف، شارك في قتل مسيلمة. وشهد اليرموك، ثم سكن حمص ومات بها. انظر: الاستيعاب (ص: ٧٥٧ ترجمة ٢٧٢٥)، والإصابة (٦/ ٦٠١ ترجمة ٩١١٥).

(٤٢١) هو: الصحابي الجليل حمزة بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب. الإمام البطل الضرغام أسد الله، أبو عمارة، وأبو يعلى القرشي الهاشمي المكي، ثم المدني، البدري الشهيد. عم رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وأخوه من الرضاعة.

قال ابن إسحاق: لما أسلم حمزة؛ علمت قريش أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قد امتنع، وأن حمزة سيمنعه، فكفوا عن بعض ما كانوا ينالون منه. قتله وحشي -رضي الله عنهما- يوم أحد. انظر: الاستيعاب (ص: ١٣٥ ترجمة ٣٨٧)، والإصابة (٢/ ١٢١ ترجمة ١٨٢٨).

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحَمْدُ لله رَبِّ العَالَمِينَ، وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارِكَ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَمَّا بَعْدُ:

قَالَ الحَافِظُ مُحَمَّدُ بْنُ طَاهِرٍ رَحِمَهُ اللهُ:

(أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ سَلَّطَ بَعْضَهُمْ * يُكَفِّرُ بَعْضًا بِالدَّلِيلِ وَبِالنَّظَرْ)**

بَعْدَمَا سَاقَ النَّاظِمُ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى بَعْضَ أَسْمَاءِ رُءُوسِ البِدَعِ وَالضَلَالِ، ذِكْرَ أَنَّ مَذَاهِبَهُمْ وَحُجَجَهُمْ كَالجَدْبِ مُحَالٌ، وَكَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ، وَأَنَّهُمْ مُتَهَافِتُونَ، وَأَنَّ هَذَا التَّهَافُتَ وَالضَّلَالَ لَمْ يَقِفْ ضَرَرُهُ عَلَى بَثِّهِ فِيمَا بَيْنَ النَّاسِ، بَلْ رَجَعَ الأَمْرُ عَلَيْهِمْ فِيمَا بَيْنَهُمْ، فَتَسَلَّطَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ، وَالتَسَلُّطُ تَارَةً يَكُونُ حِسِّيًّا وَتَارَةً يَكُونُ مَعْنَوِيًّا، بِالقَوْلِ وَالفِعْلِ، وَتَارَةً يَكُونُ بِالتَّضْيِيقِ.

وَهَكَذَا أَهْلُ البِدَعِ يَعُودُونَ عَلَى بَعْضِهِمْ، وَكَمَا جَاءَ فِي القُرْآنِ الكَرِيمِ فِيمَا ذَكَرَ اللهُ عَنْ قَوْلِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَعَ قَوْمِهِ لَمَّا أَمَرَهُمْ بِالتَّوْحِيدِ: ﴿**وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللهِ أَوْثَانًا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ القِيامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا**﴾(٤٢٢).

وَذُكِرَ فِيمَا سَبَقَ أَنَّ سَبْعَةً مِنْ زُعَمَاءِ القَدَرِيَةِ تُنَاظَرُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ فِي قَدَرِ اللهِ، وَمَا يَتَعَلَّقُ بِالظُّلْمِ، فَخَرَجُوا مِنْ مَجْلِسِهِمْ وَقَدْ كَفَّرَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا! وَهَكَذَا إِنْ اتَّفَقَ أَهْلُ الضَّلَالِ فِي الظَّاهِرِ، فَإِنَّهُمْ يَتَّفِقُونَ مَعَ بَعْضِهِمْ تَارَةً فِي الظَّاهِرِ، أَمَّا فِي البَاطِنِ فَهُمْ مُخْتَلِفُونَ، وَإِمَامَهُمُ الهَوَى وَالتَّعَصُّبُ لِلْبَاطِلِ؛ وَلِهَذَا مَنْ قَرَأَ فِي كُتُبِ العَقَائِدِ وَالمَقَالَاتِ الإِسْلَامِيةِ وَالْمُنَاظَرَاتِ الكَلَامِيةِ يَجِدْ أَنَّ هَذَا يُكَفِّرُ هَذَا، وَهَذَا يَتَّهِمُ هَذَا، فَهَذَا مَرَّةً مَعَ هَذَا، وَمَرَّةً عَلَيْهِ، وَمُرَّةً بَيْنَ بَيْنَ؛ لِأَنَّ أُصُولَهُمْ وَحُجَجَهُمْ مَبْنِيَّةٌ عَلَى العَقْلِ الْمُجَرَّدِ مِنْ نُورِ الوَحْيِ مِنَ القُرْآنِ وَالسُّنَّةِ، وَهَذِهِ الحُجَجُ فِي الغَالِبِ لَا تَثْبُتُ، فَتَكُونُ دَائِمًا مُضْطَرِبَةً، بَلْ تَعُودُ دَائِمًا عَلَى صَاحِبِهَا بِالتَّنَاقُضِ، وَمَنْ لَيْسَ لَهُ أَصْلٌ ثَابِتٌ مِنَ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ فَإِنَّ مَرَدَّهُ إِلَى التَّرَدُّدِ وَالتَذَبْذُبِ.

(أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ سَلَّطَ بَعْضَهُمْ * يَكْفُرُ بَعْضًا بِالدَّلِيلِ وَبِالنَّظَرْ)**

بِالدَّلِيلِ الشَّرْعِي؛ فَيَأْخُذُ دَلِيلًا مِنَ القُرْآنِ الكَرِيمِ ثُمَّ يُحَرِّفُ الكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ، فَيَحْتَجُّ بِالدَّلِيلِ فِي غَيْرِ مَحَلِّهِ، أَوْ يَأْخُذُ بَعْضَ الدَّلِيلِ دُونَ بَعْضٍ، فَأَدِلَّتُهُمْ أَحْيَانًا تَكُونُ مِنَ الشَّرْعِ؛ كَأَصْحَابِ الأَهْوَاءِ وَالشُّبُهَاتِ وَالشَّهَوَاتِ فِي هَذَا الوَقْتِ، فَإِذَا أَرَادُوا بَثَّ شُبْهَةٍ أَوْ شَهْوَةٍ، أَخَذُوا أَدِلَّةً فَأَجْرَوْهَا عَلَى عُمُومِهَا، دُونَ النَّظَرِ إِلَى كَلَامِ أَهْلِ العِلْمِ.

فَمَثَلًا: إِذَا تَكَلَّمُوا عَنِ الحِجَابِ، فَإِنَّهُمْ لَا يَقُولُونَ: إِنَّ الشَّرْعَ أَخْطَأَ؛ لِأَنَّهُمْ يَعْرِفُونَ أَنَّ هَذِهِ الجُمْلَةَ تُثِيرُ عَلَيْهِمُ البَلَاءَ، وَلَكِنْ يَقُولُونَ: الشَّرْعُ أَمَرَ بِالْمُسَاوَاةِ، وَالإِسْلَامُ دِينُ العَدْلِ، وَالإِسْلَامُ دِينُ السَّمَاحَةِ ... وَهَذَا الكَلَامُ صَحِيحٌ فِي ظَاهِرِهِ، لَكِنَّهُ يُخْفِي فِي بَاطِنِهِ السُّمَّ. فَقَائِلُ هَذَا الكَلَامَ فِي الظَّاهِرِ -إِذَا كَانَ صَاحِبَ شُبْهَةٍ- لَا يُرِيدُ بِهَذَا الكَلَامِ إِلَّا مَا يُبْطِنُهُ هَوَاهُ فِي نَفْسِهِ.

وَيَقُولُ: كَيْفَ نُعْطِي الرَّجُلَ ضِعْفَ المَرْأَةِ فِي المِيرَاثِ، وَقَدْ يَكُونُ الرَّجُلُ ثَرِيًّا وَالبِنْتُ فَقِيرَةً؟! فَكَيْفَ نُعْطِيهَا النِّصْفَ؟! لَا نُعْطِي أَخَاهَا فِي هَذِهِ الحَالَةِ!

(٤٢٢) سورة العنكبوت: ٢٥.

فَإِذَا مَاتَ عَنْ زَوْجَةٍ وَابْنٍ وَبِنْتٍ،فَالزَّوْجَةُ لَهَا الثُّمُنُ لِوُجُودِ الفَرْعِ الوَارِثِ، وَمَا بَقِيَ ﴿**فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنْثَيَيْنِ**﴾[٤٢٣]. يَقُولُ: كَيْفَ وَالإِسْلَامُ دِينُ المُسَاوَاةِ وَدِينُ الإِنْصَافِ وَدِينُ الرَّحْمَةِ وَدِينُ الرَّأْفَةِ؟! كَيْفَ نُعْطِي المَرْأَةَ نِصْفَ الرَّجُلِ؟! أَلَيْسَ الابْنُ وَالبِنْتُ بِأَخَوَيْنِ؟!

وَإِذَا تَكَلَّمَ عَنِ المَحْرَمِيةِ قَالَ: لِمَاذَا نُقَيِّدُ المَرْأَةَ المِسْكِينَةَ؟! لِمَاذَا نُقَيِّدُ الأُمَّ وَالزَّوْجَةَ وَالبِنْتَ عَنِ الخُرُوجِ، وَلَا تُسَافِرُ إِلَا بِمَحْرَمٍ؟! أَلَيْسَ هَذَا مِنَ التَّضْيِيقِ عَلَيْهَا، وَالإِسْلَامُ يَبْحَثُ عَنِ السَّعَادَةِ الحِسِّيةِ وَالمَعْنَوِيةِ؟!

هَكَذَا يَدَرُسُونَ الشُّبْهَةَ بِالعَقِلِ، وَكَذَلِكَ أَهْلُ الاعْتِقَادِ البَاطِلِ (**يُكَفِّرُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِالدَّلِيلِ**)، فَيَأْخُذُ مِنَ الأَدِلَّةِ مَا يُوَافِقُ بِدْعَتَهِ، ثُمَّ يُكَفِّرُ مَنْ خَالَفَهُ سَوَاءٌ أَكَانَ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ أَمْ مِنْ أَصْحَابِ البِدْعَةِ. وَبِالنَّظَرِ وَالقِيَاسُ العَقْلِي وَالآرَاءِ المُجَرَّدَةِ مِنْ أَرْكَانِ القِياسِ، وَالمُجَرَّدَةِ مِنَ النَّظَرِ الشَّرْعِي قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ.

(وَجَنَّبَ أَهْلَ الحَقِّ سُوءَ كَلَامِهِمْ * وَأَيَّدَهُمْ بِالنَّصْرِ مِنْهُ وَبِالظَّفَرْ)**

(**وَجَنَّبَ أَهْلِ الحَقِّ**)، وَهُمْ أَهْلُ الاتِّبَاعِ لَا الابْتِدَاعِ، وَهُمْ أَهْلُ السُّنَّةِ لَا البِدْعَةِ، وَأَهْلُ الصِّدْقِ وَالحِرْصَ عَلَى اتِّبَاعِ الدَّلِيلِ، وَالصِدْقِ فِي اتِّبَاعِ الدَّلِيلِ. (**سُوءَ كَلَامِهِمْ**)، أَيْ: سُوءُ انْحِرَافِهِمْ وَسُوءِ مَذَاهِبِهِمُ البَاطِلَةِ.

(**وَأَيَّدَهُمْ**) أَيْ: أَيَّدَ أَهْلَ الحَقِّ بِالدَّلِيلِ، وَ(**بِالنَصْرِ مِنْهُ وَبِالظَّفَرِ**) أَيْ: نَصَرَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَنَصَرَهُمْ فِي الآخِرَةِ.

لِأَنَّ صَاحِبَ السُّنَّةِ وَالاتِّبَاعِ دَائِمًا مَنْصُورٌ، وَمَعَادِي السُّنَّةِ دَائِمًا مَدْحُورٌ، قَالَ تَعَالَى: ﴿**إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ**﴾[٤٢٤].

قَالَ بَعْضُ المُفَسِّرِينَ: وَهَكَذَا كُلُّ مَنْ شَنَأَ السُّنَّةَ وَعَادَى النَّبِيَّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فَهُوَ مَبْتُورٌ؛ إِمَّا حِسًّا؛ فَيُنْسَى وَتَطْوِيهِ الأَيَّامُ فَلَا يُذْكَرُ، أَوْ أَنْ يَبْقَى مَذْكُورًا لَكِنْ بِسُوءٍ؛ إِمَّا بِوَصْفِهِ بِخَصْلَةٍ قَبِيحَةٌ كَمُسَيْلِمَةَ الكَذَّابِ[٤٢٥]، أَوْ

---

(٤٢٣) سورة النساء: ١٦٧.

(٤٢٤) سورة الكوثر: ٣.

(٤٢٥) هو: الكذاب مسيلمة بن ثمامة بن كبير بن حبيب الحنفي الوائلي، أبو ثمامة: متنبئ، من المعمرين. وفي الأمثال: «أكذب من مسيلمة». ولد ونشأ باليمامة. ادعى النبوة على عهد النبي -صلى الله عليه وسلم-، وتوفي النبي -صلى الله عليه وسلم- قبل القضاء على فتنته. فلما انتظم الأمر لأبي بكر؛ انتدب له أعظم قواده سيف الله المسلول؛ خالد بن الوليد -رضي الله عنه- على رأس جيش قوي، فهاجم ديار بني حنيفة، وانتهت المعركة بظفر خالد ومقتل مسيلمة سنة اثنتي عشرة على يد وحشي بن حرب، وعبد الله بن زيد -رضي الله عنهما-. انظر: تاريخ الإسلام للذهبي (٢/ ٢٧)، والبداية والنهاية (٩/ ٤٦٥) ط: دار عالم الكتب.

بِالابْتِدَاعِ كَبَشْرٍ المَرِيسِي[٤٢٦] وَجَهْمٍ[٤٢٧] وَالجَعْدِ[٤٢٨]، فَهَؤُلَاءِ مَذْكُورُونَ لَكِنْ بِالسُوءِ، أَمَّا أَهْلُ العِلْمِ بِالسُّنَّةِ وَالاتْبَاعِ فَمَذْكُورُونَ بِالخَيْرِ، وَيُدْعَى لَهُمْ عَلَى المَنَابِرِ وَفِي المَحَارِيبِ، وَيُتَرَحَّمُ عَلَيْهِمْ.

(**وَأَيَّدَهُمْ بِالنَصْرِ مِنْهُ**)، أَيْ: أَيَّدَهَمَ اللهُ عَلَى مَنْ خَالَفَهُمْ بِالنَصْرِ، فَانْتَصَرُوا عَلَى مَنْ خَالَفَهُمْ، وَظَفَرُوا بِمَنْ خَالَفَهُمْ؛ فَكَسَرُوا حُجَجَ المُخَالِفِينَ، وَرَفَعُوا رَايَةَ السُّنَّةِ لِلمُتَّبِعِينَ.

وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي النَّظْمِ: أَنْ سَائِرَ هَذِهِ الفِرَقِ المُخَالِفَةِ هَلْكَى، وَنَجَّى اللهُ أَهْلَ الاتِّبَاعِ وَالسَّنَةِ؛ مِصْدَاقُ قَوْلِ النَّبِي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الحَقِّ ظَاهِرِينَ**»، أَيْ: لَا تَزَالُ تَسْتَمِرُّ عَلَى الحَقِّ وَلَيْسَ عَلَى البَاطِلِ، ظَاهِرِينَ وَلَيْسُوا مُخْتَفِينَ لَا فِي سَرَادِيبِ وَلَا فِي أَنْفَاقٍ، بَلْ ظَاهِرِينَ لِلْعَيَانِ، وَيَنْشُرُونَ العِلْمَ وَالسُّنَّةَ بِأَلْسِنَتِهِمْ وَأَقْلَامِهِمْ وَأَفْعَالِهِمْ، «**لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ**»، فَيُوجَدُ مُخَذِّلُونَ لَهُمْ، «**وَلَا مَنْ خَالَفَهُمْ**» فَلَهُمْ مُخَالِفُونَ لَكِنْ لَا يَضُرُونَهُمْ، «**حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ**»[٤٢٩]. «**حَتَّى**» غَائِيَةٌ، وَ«**يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ**»، أَيْ: قِيَامُ السَّاعَةِ.

فَأَهْلُ الضَّلَالِ مُخْتَلِفُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ، وَأَهْلُ الضَّلَالِ يُكَفِّرُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَيُسَلِّطُ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ، وَجَنَّبَ اللهُ أَهْلَ الحَقِّ سُوءَ هَذِهِ المَذَاهِبِ الرَّدِيئَةِ، وَنَصَرَهُمْ عَلَى مَنْ خَالَفَهُمْ.

---

(٤٢٦) هو: المتكلم المناظر البارع بشر بن غياث بن أبي كريمة، أبو عبد الرحمن مولى زيد بن الخطاب؛ هو بشر المريسي. كان من أعيان أصحاب الرأي، أخذ عن أبي يوسف، وبرع في الفقه، ونظر في الفلسفة، وجرد القول بخلق القرآن، وناظر عليه، ودعا إليه. وكان رأس الجهمية، كان أبوه يهوديا قصارا. توفي سنة ثمان عشرة ومئتين. انظر: سير أعلام النبلاء (١٠/ ١٩٩ ترجمة ٤٥)، وميزان الاعتدال (١/ ٣٢٢ ترجمة ١٢١٤).

(٤٢٧) هو: جهم بن صفوان، أبو محرز الراسبي، مولاهم، السمرقندي، الكاتب المتكلم، أس الضلالة، ورأس الجهمية. كان صاحب ذكاء وجدال. كتب للأمير حارث بن سريج التميمي. وكان ينكر الصفات. وينزه الباري عنها بزعمه، ويقول بخلق القرآن. ويقول: إن الله في الأمكنة كلها. قال ابن حزم: كان يخالف مقاتلا في التجسيم، وكان يقول: الإيمان عقد بالقلب، وإن تلفظ بالكفر. قيل: إن سلم بن أحوز قتل الجهم؛ لإنكاره أن الله كلم موسى. قتل سنة ثمان وعشرين ومئة. انظر: سير أعلام النبلاء (٦/ ٢٦ ترجمة ٨)، وتاريخ الجهمية والمعتزلة (ص: ١٠) وما بعدها للقاسمي.

(٤٢٨) هو: الجعد بن درهم، عداده في التابعين. مبتدع ضال. زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلا، ولم يكلم موسى، فقتل على ذلك بالعراق يوم النحر، على يد أميرها خالد القسري، نحو سنة ثمان عشرة ومئة. انظر: ميزان الاعتدال (١/ ٣٩٩ ترجمة ١٤٨٢)، والنجوم الزاهرة (١/ ٣٢٢).

(٤٢٩) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة- باب قوله صلى الله عليه وسلم: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم» (١٩٢٠)، من حديث ثوبان رضي الله عنه.

(فَلَمْ تَرَ بِدْعِيًّا يُزَنُّ بِبِدْعَةٍ * عَلَى الأَرْضِ إِلَا أَخْرَجُوهُ مِنَ القَفَرْ)**

قَوْلُهُ: (**فَلَمْ تَرَ**)، فِي النُّسْخَةِ الأُخْرَى: (**فَلَنْ تَرَى بِدْعِيًّا صَاحِبَ**)، الرُّؤْيَةِ هُنَا قَدْ تَكُونُ بَصَرِيةً، وَقَدْ تَكُونُ عِلْمِيـةً، بِمَعْنَى العِلْمِ، وَالعُرْبُ تُسْتَعْمَلُ هَذَا وَهَذَا، وَقَدْ يَجْتَمِعُ الأَمْرَانِ، فَأَنْتَ لَنْ تَرَى بِدْعِيًّا صَاحِبَ بِدْعَةٍ، إِمَّا دَاعِيًا لَهَا، أَوْ مُتَّبِعًا لَهَا، (**يُزَنُّ بِبِدْعَةٍ**) أَيْ: مُتَّهَمٌ بِهَا، وَمِنْهُ قَوْلُ حَسَّانٍ[٤٣٠] فِي عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ جَمِيعًا:

حَصَانٌ رَزَانٌ مَا تُزَنُّ بِرِيبَةٍ * وَتُصْبِحُ غَرْثَى مِنْ لُحُومِ الغَوَافِلِ**

«حِصَانٌ» أَيْ: حَصِينَةٌ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا «رَزَانٌ» أَيْ: مُسْتَقِرَّةٌ وَقَارَّةٌ، «مَا تُـزَنُّ» أَيْ: مَـا تُـتَّهَمُ، «بِرِيبَـةٍ» أَيْ: بِتُهْمَـةٍ وَسُوءٍ، «وَتُصْبِحُ غَرْثَى» أَيْ: جَائِعَةٌ «مِنْ لُحُومِ الغَوَافِلِ».

وَالشَّاهِدُ هُنَا أَنَّ كُلَّ صَاحِبِ بِدْعَةٍ وَيُتَّهَمُ بِبِدْعَةٍ، وَدَعَا لَهَا عَلَى الأَرْضِ، (**إِلَا أَخْرَجُوهُ مِنَ القَفْرِ**) أَيْ: قَامَ لَهُ أَهْـلُ السُّنَّةِ وَرَفَعُوا رُءُوسِهَمْ لَهُ بَـأَقْلَامِهِمَ، وَتَـارَةً بِسُـيُوفِهِمْ إِذَا كَـانَ لَهُـمْ سُـلْطَانٌ، أَوْ مَعَهُـمْ سُـلْطَانٍ يَنْصُرُـ السُّـنَّةِ.

(**وَأَخْرَجُوهُ مِنَ القَفْرِ**)، أَيْ: الأَرْضُ، وَهَكَذَا مَصِيرُ أَهْلِ البِدَعِ؛ فَمِنْهُمْ مَنْ طُرِدَ وَنُفِيَ؛ لأَنَّ قُطَاعَ الطُّرُقِ إِذَا كَـانَ عِقَابُهُمْ الشَّرْعِيُّ النَّفْيَ مِنَ الأَرْضِ وَالتَّغْرِيبِ، فَإِنَّ أَصْحَابَ البِدَعِ أَشَدُّ ضَرَرًا مِنْ قُطَّاعِ الطُّرُقِ؛ لأَنَّ قُطَاعَ الطُّرُقِ يَسْلُبُونَ الأَمْوَالَ، وَلَا يَسْلُبُونَ صِحَّةَ الاعْتِقَادِ بِالتَّشْكِيكِ، فَمِنْهُمْ مَنْ طُرِدَ، وَمِنْهُمْ مَنْ سُـجِنَ، وَمِـنْهُمْ مَـنْ قُتِـلَ ﴿**جَزَاءً وِفَاقًا**﴾[٤٣١].

وَ(**أَخْرَجُوهُ**) إِخْرَاجًا حِسِّيًا أَوْ مَعْنَوِيًّا؛ فَمِنْهُمْ مَنْ هُجِرَ وَلَمْ يُكَلَّمْ وَلَمْ يُجَالَسْ وَلَمْ يُشَارَبْ...

(فَقُلْ لِذَوِي التَّحْصِيلِ هَلْ يَبْلُغُ الَّذِي * ذَكَرْتُهُمُ مِقْدَارَ قَوْمٍ عَلَى خَطَرْ)**

فِي النُّسْخَةِ الأُخْرَى: (**لِذَوِي التَّفْصِيلِ**). أَيْ: قُلْ لِذَوِي التَّفْصِيلِ وَالتَّحْصِيلِ العِلْمِي وَأَهْلُ الخَيْرِ: هَلْ يَبْلُغُ الَّذِي ذَكَرْتُهُمْ مِنْ أَئِمَّةِ البِدَعِ وَالانْحِرَافِ، مِقْدَارَ قَوْمٍ عَلَى خَطَرٍ؟ وَقَوْلُهُ: (**عَلَى خَطَرْ**). هَذِهِ تَأْتِي بِمَعَانٍ كَثِيرَةٍ، مِنْهَا: عُلُوٌّ

---

(٤٣٠) هو: الصحابي الجليل حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام بن عمرو بن زيد مناة بن عدي بن عمرو بن مالك بن النجار الأنصاري الخزرجي، ثم النجاري، شاعر رسول الله -صلى الله عليه وسلم-. اختلف في وفاته على أقوال؛ انظرها في: الاستيعاب (ص: ١٦٣ ترجمة ٥١٨)، والإصابة (٢/ ٦٢ ترجمة ١٧٠٦).

(٤٣١) سورة النبأ: ٢٦.

الرُّتْبَةِ وَعُلُوُّ المَكَانَةِ وَالشَّرَفُ الرَّفِيعُ. فَقَدْ ذَكَرَ النَّاظِمُ أَئِمَّةَ البِدَعِ كَالجَهْمِ وَالجَعْدِ وَمَعْبَدٍ[٤٣٢] وَابْنِ كَرَّامٍ[٤٣٣]، وَسيُعَرِّجُ الآنَ بِالْمُقَارَنَةِ وَالْمُفَارَقَةِ.

(كَمَالِكٍ وَالثَّوْرِي[٤٣٤] وَابْنِ عُيَيْنَةٍ[٤٣٥] * وَلَيْثٍ[٤٣٦] وَحَمَّادِ بْنِ زَيْدٍ[٤٣٧] ذَوِي الغُرَرْ)**

(٤٣٢) هو: معبد بن عبد الله بن عويمر، وقيل: ابن عبد الله بن عكيم الجهني. نزيل البصرة، وهو أول من تكلم بالقدر في زمن الصحابة. حدث عن عمران بن حصين، ومعاوية، وابن عباس، وابن عمر، وحمران بن أبان، وطائفة. وكان من علماء الوقت على بدعته. حدث عنه معاوية بن قرة، وزيد بن رفيع، وقتادة، ومالك بن دينار، وعوف الأعرابي، وسعد بن إبراهيم، وآخرون. قال ابن حجر في التقريب: صدوق مبتدع. مات قبل التسعين. انظر: تهذيب الكمال (٢٨/ ٢٤٤ ترجمة ٦٠٧٩)، وسير أعلام النبلاء (٤/ ١٨٥ ترجمة ٧٦).

(٤٣٣) هو: محمد بن كرام السجستاني المبتدع، شيخ الكرامية. كان زاهدا عابدا ربانيا، بعيد الصيت، كثير الأصحاب، ولكنه يروي الواهيات كما قال ابن حبان. خُذل حتى التقط من المذاهب أرداها، ومن الأحاديث أوهاها. كان يقول: الإيمان هو نطق اللسان بالتوحيد، مجرد عن عقد قلب، وعمل جوارح. وقال خلق من أتباعه بأن الباري جسم لا كالأجسام، وأن النبي تجوز منه الكبائر سوى الكذب. وقد سجن، ثم نفي. وكان ناشفا عابدا، قليل العلم. قال الحاكم: مكث في سجن نيسابور ثماني سنين، ومات بأرض بيت المقدس سنة خمس وخمسين ومئتين. انظر: سير أعلام النبلاء (١١/ ٥٢٣ ترجمة ١٤٦)، والنجوم الزاهرة (٣/ ٢٤).

(٤٣٤) هو: سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري أبو عبد الله الكوفي. من ثور. إمام الحفاظ، سيد العلماء العاملين في زمانه. ولد سنة سبع وتسعين. قال ابن حجر في التقريب: ثقة حافظ فقيه عابد إمام حجة، وكان ربما دلس. مات بالبصرة سنة إحدى وستين ومئة. انظر: تهذيب الكمال (١١/ ١٥٤ ترجمة ٢٤٠٧)، والسير (٧/ ٢٢٩ ترجمة ٨٢).

(٤٣٥) هو: سفيان بن عيينة بن أبي عمران ميمون، أبو محمد الهلالي، الكوفي، ثم المكي، الإمام الكبير، حافظ العصر، شيخ الإسلام. مولده بالكوفة، في سنة سبع ومئة. طلب الحديث وهو حدث، بل غلام، ولقي الكبار، وحمل عنهم علما جما، وأتقن، وجود، وجمع، وصنف، وعمر دهرا، وازدحم الخلق عليه، وانتهى إليه علو الإسناد، ورحل إليه من البلاد، وألحق الأحفاد بالأجداد. قال ابن حجر في التقريب: ثقة حافظ، إلا أنه تغير حفظه بأخرة، وكان ربما دلس، لكن عن الثقات. وتوفي سنة ثمان وتسعين ومئة بالْحَجُونِ -جبل بأعلى مكة-. انظر: تهذيب الكمال (١١/ ١٧٧ ترجمة ٢٤١٣)، وسير أعلام النبلاء (٨/ ٤٥٤ ترجمة ١٢٠).

(٤٣٦) هو: الإمام الحافظ شيخ الإسلام، وعالم الديار المصرية في زمانه الليث بن سعد بن عبد الرحمن أبو الحارث الفهمي. مولده بقرقشندة قرية من أسفل أعمال مصر في سنة أربع وتسعين. كان -رحمه الله- فقيه مصر، ومحدثها، ومحتشمها، ورئيسها، ومن يفتخر بوجوده الإقليم، بحيث إن متولي مصر وقاضيها وناظرها من تحت أوامره، ويرجعون إلى رأيه، ومشورته، ولقد أراده المنصور على أن ينوب له على الإقليم، فاستُعفي من ذلك. قال ابن حجر في التقريب: ثقة ثبت فقيه إمام مشهور. مات سنة نيف وسبعين ومئة. انظر: تهذيب الكمال (٢٤/ ٢٥٥ ترجمة ٥٠١٦)، وسير أعلام النبلاء (٨/ ١٣٦ ترجمة ١٢).

بَدَأَ يُعَدِّدُ بَعْضِ أَسْمَاءِ أَهْلِ السُّنَّةِ، وَكَّلْنَا جَمِيعًا قَدْ قَرَأْنَا سِيَرَهُمْ، وَكُلُّكُمْ قَدْ عَرَفْتُمْ سِيَرَهُمْ، وَحَفِظْتُمْ أَكْثَرَ تَرَاجِمِهُمْ. فَمَالِكٌ إِمَامٌ مَشْهُورٌ، صَاحِبُ المَذْهَبِ المَتْبُوعِ، وَهُوَ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ الأَصْبَحِي عَالِمُ المَدِينَةِ. وَقِيلَ: إِنَّ الحَدِيثَ الَّذِي رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ بِإِسْنَادٍ حَسَّنَهُ بَعْضُهُمْ: «**يُوشِكُ أَنْ يَضْرِبَ النَّاسُ أَكْبَادَ الإِبِلِ يَطْلُبُونَ العِلْمَ، فَلَا يَجِدُونَ أَحَدًا أَعْلَمَ مِنْ عَالِمِ المَدِينَةِ**»(٤٣٨). قِيلَ: إِنَّ المُرَادَ بِهِ: الإِمَامُ مَالِكٌ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى. وَهُوَ صَاحِبُ الكِتَابِ المَشْهُورِ «المُوَطَّأ»، وَلَهُ جَلَالَةٌ فِي النُّفُوسِ وَهَيْبَةٌ فِي القُلُوبِ.

وَهَذَا الإِمَامِ رَحِمَهُ اللهُ قَدْ تُرْجِمَ لَهُ فِي جَمِيعِ كُتُبِ التَّرَاجِمِ، بَلْ أُفْرِدَ فِي حَقِّهِ تَرَاجِمِ مُفْرَدَةٍ، وَالمَالِكِيَّةُ عَلَيْهِمْ رَحْمَةُ اللهِ أَفْرَدُوا فِي تَرْجَمَةِ الإِمَامِ مَالِكٍ كُتُبًا كَثِيرَةً، حَتَّى ذَكَرَ ابْنُ عَبْدِ البَرِّ النَّمَرِيُّ القُرْطُبِيُّ صَاحِبُ «الاسْتِيعَابِ» وَ«التَّمْهِيدِ» أَنَّهُ أَلَّفَ فِي فَضَائِلِهِ كُتُبٌ، وَهَذَا قَبْلَ ابْنِ عَبْدِ البَرِّ، وَأُلِّفَ بَعْدَ ابْنِ عَبْدِ البَرِّ أَئِمَّةٌ كَثُرٌ عَنْهُ، رَحِمَ اللهُ الإِمَامَ مَالِكًا. وَمِمَّنْ أَلَّفَ فِيهِ ابْنُ حَجَرٍ وَابْنُ عَبْدِ البَرِّ وَالسُّيُوطِيُّ وَالزوَاوِيُّ(٤٣٩). وَقَدْ ذَكَرَ صَاحِبُ «أَوْجَزِ المَسَالِكِ» فِي مُقَدِّمَةِ الكِتَابِ شَيْئًا مِنْ تَرْجَمَةِ الإِمَامِ مَالِكٍ، وَذَكَرَ بَعْضُ مَنْ صَنَّفَ فِيهِ اسْتِقْلَالًا. وَمَنْ قَرَأَ تَرْجَمَتَهُ فِي «سِيرِ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ» رَأَى العَجَبَ.

وَأَمَّا الثَّوْرِيُّ، فَهُوَ سُفْيَانُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ مَسْرُوقٍ الثَّوْرِيُّ أَبُو عَبْدِ اللهِ الكُوفِيُّ، هَذَا الإِمَامُ العَلَمُ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى لَقَّبَهُ الذَّهَبِيُّ بِشَيْخِ الإِسْلَامِ وَإِمَامِ الحُفَّاظِ، وَكَانَ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى مِنْ أَئِمَّةِ السُّنَّةِ وَالحَدِيثِ.

---

(٤٣٧) هو: حماد بن زيد بن درهم، العلامة، الحافظ الثبت، محدث الوقت، أبو إسماعيل الأزدي، مولى آل جرير بن حازم البصري، الأزرق الضرير، أحد الأعلام، أصله من سجستان، سُبي جده درهم منها. مولده في سنة ثمان وتسعين، ومات في سنة تسع وسبعين ومئة. قال ابن حجر في التقريب: ثقة ثبت ربما دلس. انظر: تهذيب الكمال (٧/ ٢٣٩ ترجمة ١٤٨١)، والسير (٧/ ٤٥٦ ترجمة ١٦٩).

(٤٣٨) أخرجه الترمذي في كتاب العلم- باب ما جاء في عالم المدينة (٢٦٨٠)، وضعفه الألباني في «ضعيف الترمذي».

(٤٣٩) هو: عيسى بن مسعود بن منصور بن يحيى بن يونس الزواوي المالكي. ولد سنة أربع وستين وست مئة بزواوة، وتفقه على أبي يوسف الزواوي، ثم قدم الإسكندرية، فتفقه بها، ثم رجع إلى قابس وولي القضاء بها، ثم رجع إلى الإسكندرية ثم دخل مصر، فقرأ عليه الناس بالجامع الأزهر، وسمع من جماعة. كان يذكر أنه حفظ مختصر ابن الحاجب في ستة أشهر، وأنه حفظ الموطأ. ثم دخل دمشق وناب عن حاكمها المالكي، ورجع إلى مصر، وناب أيضا عن حاكمها المالكي، ثم أعرض عن ذلك، وأقبل على التصنيف، فصنف شرحا لمسلم في اثني عشر مجلدا، جمع فيه بين المعْلِم وإكماله وشرح النووى عليه، وسماه «إكمال الإكمال»، وزاد فيه فوائد ومسائل من كلام الباجي وابن عبد البر، وأبدى فيه سؤالات مفيدة، وأجاب عنها. وشرح مختصر ابن الحاجب الفرعي، فوصل إلى الصيد في سبعة أسفار، وشرح مختصر ابن يوسف في ستة أسفار، وله كتاب في المناسك، وشرع في جمع تاريخ كَتَبَ منه عشرة أسفار. مات في مستهل رجب سنة ثلاث وأربعين وسبع مئة. انظر: الدرر الكامنة (٣/ ٢١٠ ترجمة ٥١٠)، والبدر الطالع (ص: ٥٥٨ ترجمة ٣٥٥) ط: دار ابن كثير.

ذِكْرَ يَاقُوتٌ[٤٤٠] فِي «مُعْجَمِ البُلْدَانِ» قَالَ: إِنَّ الثَّوْرِيَّ مَاتَ وَلَيْسَ لَهُ كَفَنٌ! فَمَا وُجِدَ لَهُ كَفَنٌ، لَكِنْ بَقِيَ عِلْمُهُ وَاسْمُهُ مَشْهُورَيْنِ، وَهَذَا الإِمَامُ رَحِمَهُ اللهُ مَاتَ سَنَةَ مِائَةٍ وَوَاحِدٍ وَسِتِينَ مِنَ الهِجْرَةِ، وَهُوَ مِنْ أَشْهَرِ المُحَدِّثِينَ، وَإِذَا قَلَّبْتَ صَفَحَاتِ «الصَّحِيحَيْنِ» وَالسُّنَنِ وَ «المُسْنَدِ» فَإِنَّ اسْمَهُ سَيَمُرُّ عَلَيْكَ دَوْمًا، وَهُنَاكَ القَرِينُ الآخَرُ لَهُ، وَسَيَأْتِي بَعْدَ قَلِيلٍ وَهُوَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ.

وَقَوْلُهُ: (**وَابْنُ عُيَيْنَةَ**)، هُوَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ بْنِ أَبِي عِمْرَانَ الهِلَالِيُّ أَبُو مُحَمَّدٍ. مَاتَ سَنَةَ ثَمَانٍ وَتِسْعِينَ وَمِائَةٍ مِنَ الهِجْرَةِ، وَكَمَا يُقَالُ: السُّفْيَانَانِ قَرِينَانِ، كَذَلِكَ يُقَالُ: وَالحَمْدَانَ. وَالإِمَامُ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ مِنْ أَكَابِرِ أَئِمَّةِ الدِّينِ وَالسُّنَّةِ، فَتَارَةً يُقَالُ: إِمَامٌ فِي الحَدِيثِ، وَتَارَةً يُقَالُ: إِمَامٌ فِي السُّنَّةِ، وَتَارَةً يُقَالُ: إِمَامٌ فِي الحَدِيثِ وَفِي السُّنَّةِ. فَقَدْ يَكُونُ عِنْدَ الرَّجُلِ عِلْمٌ بِالحَدِيثِ رِوَايَةً، وَقَدْ يَكُونُ عِنْدَ الرَّجُلِ اتِّبَاعٌ لِلسُّنَّةِ وَلَكِنْ لَيْسَ لَهُ حَظٌّ فِي العِلْمِ، وَقَدْ يَجْمَعُ اللهُ لِبَعْضِ لِلنَّاسِ بَيْنَهُمَا فَيَكُونُ إِمَامًا فِي الحَدِيثِ رِوَايَةً وَدِرَايَةً، وَمُتَّبِعًا لِلسُّنَّةِ كَالإِمَامِ أَحْمَدَ وَالثَّوْرِيِّ وَابْنِ عُيَيْنَةَ وَالبُخَارِيِّ وَهُمْ كُثْرٌ.

(**وَلَيْثُ**) اللَّيْثُ بْنُ سَعْدٍ الفَهْمِيُّ المِصْرِيُّ إِمَامُ مِصْرَ، وَكَانَ أَهْلُ مِصْرَ يُفَاخِرُونَ بِهِ، حَتَّى إِنَّ الخَلِيفَةَ العَبَّاسِيَّ الدَّاهِيَةَ المَنْصُورَ[٤٤١] أَرَادَ أَنْ يُوَلِّيَهُ عَلَى مِصْرَ، فَامْتَنَعَ رَحِمَهُ اللهُ، وَكَانَ كَرِيمًا مَشْهُورًا. قِيلَ بِأَنَّ رِبْحَهُ فِي العَامِ قَارَبَ

---

(٤٤٠) هو: أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله. الأديب الأريب الأوحد شهاب الدين الرومي، مولى عسكر الحموي، السفار النحوي الأخباري المؤرخ. أعتقه مولاه فنسخ بالأجرة، وكان ذكيا، ثم سافر مضاربة إلى كيش، وكان من المطالعة قد عرف أشياء، وتكلم في بعض الصحابة، فأهين، وهرب إلى حلب، ثم إلى إربل وخراسان، وتجر بمرو وبخوارزم، فابتلي بخروج التتار فنجا برقبته، وتوصل فقيرا إلى حلب، وقاسى شدائد، وله كتاب «معجم الأدباء» ، و«معجم البلدان». وكان شاعرا متفننا جيد الإنشاء، وتواليفه حاكمة له بالبلاغة، والتبحر في العلم. توفي في العشرين من رمضان سنة ست وعشرين وست مئة، عن نيف وخمسين سنة. انظر: وفيات الأعيان (٦/ ١٢٧ ترجمة ٧٩٠)، وسير أعلام النبلاء (٢٢/ ٣١٢ ترجمة ١٨٨).

(٤٤١) هو: الخليفة المنصور عبد الله بن محمد بن علي بن العباس، أبو جعفر الهاشمي، العباسي. وأمه سلامة البربرية. ولد في سنة خمس وتسعين أو نحوها. ضرب في الآفاق ورأى البلاد، وطلب العلم. قيل: كان في صباه يلقب بمدرك التراب. وكان أسمر طويلا نحيفا مهيبا، خفيف العارضين، معرق الوجه، رحب الجبهة، كأن عينيه لسانان ناطقان، تخالطه أبهة الملك بزي النساك، تقبله القلوب، وتتبعه العيون، أقنى الأنف، بيّن القنا، يخضب بالسواد. وكان فحل بني العباس هيبة وشجاعة، ورأيا وحزما، ودهاء وجبروتا، وكان جماعا للمال، حريصا، تاركا للهو واللعب، كامل العقل، بعيد الغور، حسن المشاركة في الفقه والأدب والعلم. أباد جماعة كبارا حتى توطد له الملك، ودانت له الأمم على ظلم فيه وقوة نفس، ولكنه يرجع إلى صحة إسلام وتدين في الجملة، وصلاة وخير، مع فصاحة وبلاغة وجلالة. توفي سنة ثمان وخمسين ومئة. انظر: تاريخ الطبري (٧/ ٤٦٩)، وسير أعلام النبلاء (٧/ ٨٣ ترجمة ٣٧).

سَبْعِينَ أَلْفًا، وَلَكِنْ لَا يَحُولُ العَامُ وَعِنْدَهُ مِنْهَا دِرْهَمٌ؛ لِإِنْفَاقِهِ وَبِخَاصَةٍ عَلَى أَهْلِ العِلْمِ، وَمَاتَ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى سَنَةَ خَمْسٍ وَسَبْعِينَ وَمِائَةٍ لِلْهِجْرَةِ النَّبَوِيَّةِ.

(**حَمَّادُ**) ابْنُ زَيْدِ بْنِ دِرْهَمٍ، أَحَدُ الْمُحَدِّثِينَ المَشَاهِيرِ، وَأَحَدُ أَهْلِ السُّنَّةِ المَشَاهِيرِ، وَلَهُ كَلِمَاتٌ فِي الاعْتِقَادِ يَتَنَاقَلُهَا كَثِيرٌ مِنْ كُتُبِ التَّصْنِيفِ العَقَدِيِّ. وَكَانَ الإِمَامُ أَحْمَدُ يُجِلُّهُ وَيُعَظِّمُهُ؛ حَتَّى قَالَ ابْنُ مَهْدِيٍّ[٤٤٢]: لَمْ أَرَ قَطُّ أَعْلَمَ بِالسُّنَّةِ وَالحَدِيثِ مِنْ حَمَّادٍ. مَاتَ سَنَةَ تِسْعٍ وَسَبْعِينَ وَمِائَةٍ مِنَ الهِجْرَةِ النَّبَوِيةِ.

قَوْلُهُ: (**ذَوِي الغُرَرِ**) جَمْعُ غُرَّةٍ، وَقَدْ تَقَدَّمَ بَيَانُ أَنَّ الغُرَّةَ كُلُّ ضَوْءٍ مِنَ صُبْحٍ أَوْ نَهَارٍ أَوْ غَيْرِهِ.

(وَمَنْ فَقَرَتْ أَرْضُ الشَّامِ بِكَوْنِهِ * بِبَيْرُوتَ جَمْعٌ عِدَادُهُمُ المَطَرْ)**

(**وَمَنْ فَقَرَتْ أَرْضُ الشَّامِ بِكَوْنِهِ**) هَذَا الشَّطْرُ الأَوَّلُ، (**بِبَيْرُوتَ جَمْعٌ عِدَادُهُمُ المَطَرُ**). يَعْنِي بِهَذَا الشَّطْرُ الإِمَامَ الأَوْزَاعِيَّ[٤٤٣]، أَبَا عَمْرٍو عَبْدِ الرَّحْمَنِ الأَوْزَاعِيَّ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى إِمَامُ أَهْلِ الشَّامِ. وَذَكَرُوا أَنَّهُ كَانَ لَهُ مَذْهَبٌ مُتَّبَعٌ فِي حِقْبَةٍ زَمَنِيةٍ، وَانْتَشَرَ مَذْهَبُهُ وَاتَّبَعَهُ عُلَمَاءِ الشَّامِ ثُمَّ عُلَمَاءُ الأَنْدَلُسِ، ثُمَّ انْقَرَضَ مَذْهَبُهُ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى. هَذَا الإِمَامُ العَظِيمُ مِنْ أَعْلَمِ عُلَمَاءِ الشَّامِ وَأَبْرِزْهم، وَقَدْ مَاتَ سَنَةَ مِائَةٍ وَسَبْعٍ وَخَمْسِينَ مِنَ الهِجْرَةِ النَّبَوِيَّةِ.

ثُمَّ قَالَ بَعْدَهَا: (**فِي جَمْعٍ عِدَادِهِمُ المَطَرُ**). ذَكَرَ أَنَّ فِي الشَّامِ عُلَمَاءٌ، وَفِي الشَّرْحِ أَشَارَ إِلَى أَنَّ عُلَمَاءَ الشَّامِ كَانُوا عَلَى السُّنَّةِ، وَعَلَى مَنْهَجِ السَّلَفِ الصَّالِحِ، وَلَنْ تَخْلُوَ الأَرْضُ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ فِي كُلِّ مَكَانٍ.

ثُمَّ قَالَ: (**بِبَيْرُوتَ**): المَدِينَةُ المَعْرُوفَةُ عَاصِمَةُ لُبْنَانَ. وَقَدْ ذَكَرُوا فِي اشْتِقَاقِ اسْمِهَا أَسْمَاءَ كَثِيرَةً، قِيلَ: مِنْ بَعْلِ بِيرَةٍ، وَهَذَا مَعْبُودٌ عِنْدَ الكَنْعَانِيِّينَ. وَقِيلَ: إِنَّ أَصْلَ الكَلِمَةِ بِئْرُوتٍ؛ جَمْعِ بِئْرُوتٍ بِالعِبْرَانِيةِ؛ لِأَنَّ بَيْرُوتَ كَثِيرَةُ الآبَارِ. وَقِيلَ: مِنْ بَيْرُوتَا، وَهِيَ شَجَرَةُ الصَّنَوْبَرِ، وَبَيْرُوتُ مَعْرُوفَةٌ وَمَشْهُورَةٌ بِهَذَا الشَّجَرِ.

---

(٤٤٢) هو: عبد الرحمن بن مهدي بن حسان، بن عبد الرحمن، الإمام الناقد المجود، سيد الحفاظ، أبو سعيد العنبري، وقيل: الأزدي، مولاهم البصري اللؤلؤي. توفي بالبصرة في جمادى الآخرة سنة ثمان وتسعين ومئة، وهو ابن ثلاث وستين سنة. قال ابن حجر في التقريب: ثقة ثبت حافظ. انظر: تهذيب الكمال (١٧/ ٤٣٠ ترجمة ٣٩٦٩)، وسير أعلام النبلاء (٩/ ١٩٢ ترجمة ٥٦).

(٤٤٣) هو: عبد الرحمن بن عمرو بن يُحْمَد، شيخ الإسلام، وعالم أهل الشام، أبو عمرو الأوزاعي. مولده في حياة الصحابة. كان يسكن بمحلة الأوزاع، وهي العقيبة الصغيرة ظاهر باب الفراديس بدمشق، ثم تحول إلى بيروت مرابطا بها إلى أن مات. كان خيرا، فاضلا، مأمونا كثير العلم والحديث والفقه، حجة. قال ابن حجر في التقريب: ثقة جليل. توفي سنة سبع وخمسين ومئة. وقيل: كان مولده ببعلبك. انظر: تهذيب الكمال (١٧/ ٣٠٧ ترجمة ٣٩١٨)، وسير أعلام النبلاء (٧/ ١٠٧ ترجمة ٤٨).

(وَمِثْلُ ابْنِ طَهْمَانَ[٤٤٤] الإِمَامِ وَبَعْدَهُ *** يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ[٤٤٥] الَّذِي خَصْمَهُ زَبَرْ)

(ابْنُ طَهْمَانَ) إِبْرَاهِيمُ بْنُ طَهْمَانَ الخُرَسَانِيُّ، كَانَ مِنْ أَنْبَلِ أَهْلِ خُرَاسَانَ وَمِنْ أَعْلَمِهِمْ وَمَنْ أَجَلِّهِمْ، قَالَ يَحْيَى بْنُ أَكْثَمَ[٤٤٦]: كَانَ إِبْرَاهِيمُ أَنْبَلَ النَّاسِ بِخُرَاسَانَ وَالعِرَاقِ وَالحِجَازِ وَأَوْثَقَهُمْ وَأَوْسَعَهُمْ عِلْمًا. مَاتَ سَنَةَ مِائَةٍ وَثَمَانٍ وَسِتِينَ لِلْهِجْرَةِ النَّبَوِيَّةِ.

(وَبَعْدَهُ يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ) أَبُو خَالِدٍ الوَاسِطِيُّ، مِنْ وَاسِطٍ وَهِيَ بَلَدٌ فِي العِرَاقِ، وَهُوَ مِنْ أَئِمَّةِ المُحَدِّثِينَ وَمِنْ أَئِمَّةِ رُوَاةِ الحَدِيثِ، وَهُوَ ثِقَةٌ مُتْقِنٌ عَابِدٌ، مَاتَ سَنَةَ مِائَتَيْنِ وَسِتٍّ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى.

قَوْلُهُ: (الَّذِي خَصْمَهُ زَبَرْ)، زَبَرَ خَصْمِهِ، أَيْ: قَطَعَهُ بِالحُجَجِ وَهَزَمَهُ وَرَدَّ بِدْعَتَهُ، وَهَذَا شَأْنُ جَمِيعِ عُلَمَاءِ السُّنَّةِ، فَكُلُّهُمْ زَبَرُوا خُصُومَ السُّنَّةِ، وَرُدُّوا حُجَجَهُمْ عَلَيْهِمْ.

(وَمِثْلُ وَكِيعٍ وَابْنِ مَهْدِيٍّ وَبَعْدَهُ *** سَلِيلُ دُكَيْنٍ[٤٤٧] كُلُّهُمْ سَادَةٌ زُهَرْ)

---

(٤٤٤) هو: إبراهيم بن طهمان بن شعبة الإمام، عالم خراسان، أبو سعيد الهروي، نزيل نيسابور، ثم حرم الله -تعالى-. ولد في آخر زمن الصحابة الصغار، وارتحل في طلب العلم. كان مرجئا شديدا على الجهمية. مات سنة ثلاث -وقيل: ثمان- وستين ومئة قال ابن حجر في التقريب: ثقة يغرب، وتكلم فيه للإرجاء، ويقال: رجع عنه. انظر: تهذيب الكمال (٢/ ١٠٨ ترجمة ١٨٦)، وسير أعلام النبلاء (٧/ ٣٧٨ ترجمة ١٤٠).

(٤٤٥) هو: الإمام القدوة، شيخ الإسلام الحافظ يزيد بن هارون بن زاذي، ويقال: بن زاذان بن ثابت السلمي، أبو خالد الواسطي. كان رأسا في العلم والعمل، ثقة حجة، كبير الشأن. قال ابن حجر في التقريب: ثقة متقن عابد. انظر: تهذيب الكمال (٣٢/ ٢٦١ ترجمة ٧٠٦١)، وسير أعلام النبلاء (٩/ ٣٥٨ ترجمة ١١٨).

(٤٤٦) هو: يحيى بن أكثم بن محمد بن قطن، قاضي القضاة، الفقيه العلامة، أبو محمد، التميمي المروزي، ثم البغدادي. ولد في خلافة المهدي. له رحلة ومعرفة. وكان من أئمة الاجتهاد، وله تصانيف؛ منها كتاب «التنبيه». كان واسع العلم بالفقه، كثير الأدب، حسن العارضة، قائما بكل معضلة. غلب على المأمون، حتى لم يتقدمه عنده أحد مع براعة المأمون في العلم. مات بالربذة منصرفه من الحج يوم الجمعة في ذي الحجة سنة اثنتين وأربعين ومئتين، وهو ابن ثلاث وثمانين سنة. قال ابن حجر في التقريب: فقيه صدوق، إلا أنه رمي بسرقة الحديث، ولم يقع ذلك له، وإنما كان يرى الرواية بالإجازة والوجادة. انظر: تهذيب الكمال (٣١/ ٢٠٧ ترجمة ٦٧٨٨)، وسير أعلام النبلاء (١٢/ ٥ ترجمة ١).

(٤٤٧) هو: الحافظ الكبير، شيخ الإسلام، أبو نعيم الفضل بن عمرو بن حماد بن زهير بن درهم التيمي الطلحي القرشي، مولاهم الكوفي الملائي، الأحول، مولى آل طلحة بن عبيد الله. ولد في آخر سنة ثلاثين ومئة. كان من أئمة علماء الحديث وأثباتهم. حدث عنه: البخاري كثيرا، وهو من كبار مشيخته. مات يوم الشك من رمضان سنة تسع عشرة ومئتين. قال ابن حجر في التقريب: ثقة ثبت. انظر: تهذيب الكمال (٢٣/ ١٩٧ ترجمة ٤٧٣٢)، وسير أعلام النبلاء (١٠/ ١٤٢ ترجمة ٢١).

(**وَكِيعٌ**) أَبُو سُفْيَانَ وَكِيعُ بنُ الجَرَّاحِ. وَمَعْنَى وَكِيعٍ أَيْ: شَدِيدٌ وَغَلِيظٌ، وَكَانَ الإِمَامُ أَحْمَدُ يُعَظِّمُ وَكِيعًا، وَكَانَ الإِمَامُ وَكِيعٌ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى مِنْ أَشْهَرِ العُلَمَاءِ فِي الحَدِيثِ وَالسُّنَّةِ.

وَكَانَ إِذَا حَلَّ فِيّ بَلَدٍ اجْتَمَعَ النَّاسُ حَوْلَهُ، قِيلَ: إِنَّ أَحَدَ المُحَدِّثِينَ كَانَ يَطُوفُ بِالكَعْبَةِ، فَكَانَ كُلَّمَا زَارَ مَكَّةَ التَفَّ النَّاسُ حَوْلَهُ، فَزَارَ مَكَّةَ مَرَّةً فَلَمْ يَأْتِهِ إِلَّا القَلِيلُ، فَكَانَ يَطُوفُ بِالكَعْبَةِ وَيَقُولُ: يَا رَبِّ، هَلْ تَرَكَ النَّاسُ حَدِيثِي؟ هَلْ أَنَا بَقِيَّةُ بْنُ الوَلِيدِ[٤٤٨] -أَحَدُ المُتَكَلِّمِ فِيهِمْ؟- فَقِيلَ لَهُ: يَا فُلَانُ، أَنْتَ لَسْتَ بَقِيَ بْنَ الوَلِيدِ، وَلَكِنَّ مَكَّةَ قَدْ دَخَلَهَا وَكِيعٌ، فَإِذَا ذَهَبَ وَكِيعٌ جَاءَكَ النَّاسُ! وَوَكِيعٌ هُوَ شَيْخُ الشَّافِعِيِّ الَّذِي قَالَ عَنْهُ:

شَكَوْتُ إِلَى وَكِيعٍ سُوءَ حِفْظِي * فَأَرْشَدَنِي إِلَى تَرْكِ المَعَاصِي**

وَقَالَ: اعْلَمْ بِأَنَّ العِلْمَ نُورٌ * وَنُورُ اللهِ لَا يُؤْتَاهُ عَاصِي**

قَالَ ابْنُ خَشْرَمٍ[٤٤٩]: كُنَّا نُحْضِرُ مَجَالِسَ العِلْمِ، وَكَانَ وَكِيعٌ يَحْفَظُ وَلَا نَحْفَظُ، مَعَ أَنَّنَا نَكْتُبُ! فَسَأَلْنَاهُ فَقَالَ: أَلَّا أَدُلُّكَ عَلَى دَوَاءِ النِّسْيَانِ؟ قُلْتُ: بَلَى. فَقَالَ: ادْنُ مِنِي. -أَيْ: قَرِّبْ أُذُنَكَ مِنِّي- فَقَرَّبَتْ أُذُنِي لَهُ، فَقَالَ: عَلَيْكَ بِتَرْكِ المَعَاصِي.

وَلِلْفَائِدَةِ: فَالبَيْتَانِ المَشْهُورَانِ الآنِفَانِ: شَكَوْتُ إِلَى وَكِيعٍ... رَدَّهَا بَعْضُهُمْ بِقَوْلِهِ: هَذَانِ البَيْتَانِ لَا يَصِحُّ نِسْبَتُهُمَا لِلشَّافِعِيِّ؛ لِأَنَّ الشَّافِعِيَّ لَيْسَ مِنْ طُلَّابِ وَكِيعٍ، وَلَمْ يُرْوِ عَنْ وَكِيعٍ؛ وَعَلَيْهِ فَلَا يَكُونُ وَكِيعٌ شَيْخًا لِلشَّافِعِيِّ. وَهَذَا القَوْلُ مَرْدُودٌ؛ فَفِي كِتَابِ «الأُمِّ» وَأَظُنُّ فِي كِتَابِ الصَّدَقَاتِ، يَقُولُ الشَّافِعِيُّ: حَدَّثَنَا وَكِيعٌ... وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى: حَدَّثَنَا وَكِيعٌ أَوْ ثِقَةٌ غَيْرُهُ. فَدَلَّ عَلَى أَنَّ الشَّافِعِيَّ رَوَى عَنِ وَكِيعٍ رَحِمَ اللهُ الجَمِيعَ.

وَكَانَ الإِمَامُ أَحْمَدُ يُعَظِّمُ وَكِيعًا وَيُضَخِّمُهُ؛ لِجَلَالَةِ قَدْرِهِ. وَمَاتَ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى سَنَةَ سِتٍّ وَتِسْعِينَ وَمِائَةٍ مِنَ الهِجْرَةِ.

---

(٤٤٨) هو: بقية بن الوليد بن صائد بن كعب بن حريز، الحافظ العالم، محدث حمص أبو يحمد الحميري، الكلاعي، ثم الميتمي الحمصي، أحد المشاهير الأعلام. ولد سنة عشر ومئة. كان من أوعية العلم، لكنه كدر ذلك بالإكثار عن الضعفاء والعوام، والحمل عمن دب ودرج. مات سنة سبع وتسعين وله سبع وثمانون سنة. قال ابن حجر في التقريب: صدوق، كثير التدليس عن الضعفاء. انظر: تهذيب الكمال (٤/ ١٩٢ ترجمة ٧٣٨)، وسير أعلام النبلاء (٨/ ٥١٨ ترجمة ١٣٩).

(٤٤٩) هو: علي بن خشرم بن عبد الرحمن بن عطاء بن هلال، الإمام الحافظ الصدوق، أبو الحسن المروزي، ابن أخت بشر الحافي. ولد سنة ستين ومئة. انتهى إليه علو الاسناد بما وراء النهر، وبمرو، وهراة. مات في رمضان سنة سبع وخمسين ومئتين. قال ابن حجر في التقريب: ثقة. انظر: تهذيب الكمال (٢٠/ ٤٢١ ترجمة ٤٠٦٤)، وسير أعلام النبلاء (١١/ ٥٥٢ ترجمة ١٦٥).

(**عَبْدُ الرَّحْمَنِ**) هُوَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيِّ بْنِ حَسَّانٍ العَنْبَرِيِّ مَوْلَاهُمْ، مِنْ مَشَايِخِ الإِمَامِ أَحْمَدَ، وَكَانَ مِنْ أَئِمَّةِ الدِّينِ وَالسُّنَّةِ وَالاتِّبَاعِ، وَمَاتَ سَنَةَ ثَمَانٍ وَتِسْعِينَ وَمِائَةٍ مِنَ الهِجْرَةِ.

ثُمَّ قَالَ النَّاظِمُ: (**وَبَعْدَهُ سَلِيلُ دُكَيْنٍ**) الفَضْلُ بْنُ دُكَيْنٍ أَبُو نُعَيْمٍ، مِنْ أَكْبَرِ مَشَايِخِ البُخَارِيِّ، قِيلَ: كَانَ البُخَارِيُّ يَرْوِي كَثِيرًا عَنْ هَذَا الرَّجُلِ، وَهُوَ الإِمَامُ المَشْهُورُ الَّذِي رُحِلَ إِلَيْهِ.

وَفِي القِصَّةِ المَشْهُورَةِ -فِيمَا أَذْكُرُ- عِنْدَمَا رَحَلَ الإِمَامُ أَحْمَدُ وَابْنُ مَعِينٍ[٤٥٠] وَالإِمَامُ أَحْمَدُ بْنُ مَنْصُورٍ الرَّمَادِيُّ[٤٥١] إِلَى الفَضْلِ بْنُ دُكَيْنٍ... وَفِي القِصَّةِ أَنَّ الفَضْلَ بْنَ دُكَيْنٍ رَكَلَ ابْنَ مُعَيَّنْ بِقَدَمِهِ لَمَّا دَلَّسَ عَلَيْهِ مِنْ بَابِ الاخْتِبَارِ... وَالقِصَّةُ مَشْهُورَةٌ، فَقَدْ أَرَادَ الأَئِمَّةُ الثَّلَاثَةُ اخْتِبَارَ الفَضْلِ بْنُ دُكَيْنٍ فِي ضَبْطِهِ وَحِفْظِهِ، فَرَحَلُوا إِلَى اليَمَنِ... وَأَرْجُو أَنْ لَا أَكُونَ قَدْ وُهِمْتُ فِي رِجَالِ القِصَّةِ.

مَاتَ أَبُو نُعَيْمٍ فِي سَنَةِ ثَمَانِ عَشْرَةَ وَمِائَتَيْنِ لِلْهِجْرَةِ، وَقِيلَ: تِسْعَ عَشْرَةَ وَمِائَتَيْنِ. وَذَكَرَهُ الذَّهَبِيُّ، وَنَعَتَهُ بِالحَافِظِ الكَبِيرِ شَيْخِ الإِسْلَامِ.

وَهُنَا وِقْفَةٌ مَعَ لَقَبِ شَيْخِ الإِسْلَامِ، فَكَثِيرًا مَا يَمُرُّ هَذَا اللَّقَبُ، وَفِي قِرَاءَاتِي القَاصِرَةِ رَأَيْتُ أَنَّ أَكْثَرَ مَنْ يَسْتَعْمِلُ هَذَا اللَّقَبَ هُوَ الإِمَامُ الذَّهَبِيُّ فِي «تَذْكِرَةِ الحُفَّاظِ» وَفِي «السِّيَرِ»، فَمَا المُرَادُ بِلَقَبِ شَيْخِ الإِسْلَامِ؟

عَقَدَ ابْنُ نَاصِرِ الدِّينِ[٤٥٢] فِي كِتَابِ «الرَّدِّ الوَافِرِ» فَصْلًا فِي أَوَّلِ الكِتَابِ فِي مَعْنَى لَقَبِ شَيْخِ الإِسْلَامِ، وَذَكَرَ أَنَّهُ مَنْ شَاخَ فِي الإِسْلَامِ وَفَارَقَ أَتْرَابَهُ، أَيْ: مَاتَ أَتْرَابُهُ وَبَقِيَ هُوَ حَتَّى شَاخَ. وَقِيلَ: مَنْ تَرَكَ سَفَهَ الشَبَابِ وَلَزِمَ السُّنَّةَ فِي

---

(٤٥٠) هو: الإمام الحافظ الجهبذ، شيخ المحدثين، يحيى بن معين بن عون بن زياد بن بسطام بن عبد الرحمن، وقيل: يحيى بن معين بن غياث بن زياد بن عون بن بسطام وقيل يحيى بن معين بن عون بن زياد بن نهار بن خيار بن بسطام المري الغطفاني، أبو زكريا البغدادي، مولى غطفان. ولد سنة ثمان وخمسين ومئة. وطلب العلم وهو ابن عشرين سنة. قال ابن حجر في التقريب: ثقة حافظ مشهور، إمام الجرح والتعديل. توفي سنة ثلاث وثلاثين ومئتين. انظر: تهذيب الكمال (٣١/ ٥٤٣ ترجمة ٦٩٢٦)، والسير (١١/ ٧١ ترجمة ٢٨).

(٤٥١) هو: الإمام الحافظ الضابط، أبو بكر، أحمد بن منصور بن سيار بن معارك، الرمادي البغدادي. حدث عن عبد الرزاق بكتبه، وخلق كثير بالحجاز واليمن، والعراق والشام ومصر. وكان من أوعية العلم. قال ابن مخلد: كان الرمادي إذا مرض يستشفي بأن يسمعوا عليه الحديث. توفي لأربع بقين من ربيع الآخر سنة خمس وستين ومئتين. وقد استكمل ثلاثا وثمانين سنة. قال ابن حجر في التقريب: ثقة حافظ، طعن فيه أبو داود لمذهبه في الوقف في القرآن. انظر: تهذيب الكمال (١/ ٤٩٢ ترجمة ١١٣)، وسير أعلام النبلاء (١٣/ ٣٨٩ ترجمة ١٧٠).

(٤٥٢) هو: محمد بن عبد الله بن محمد بن أحمد بن مجاهد بن يوسف بن محمد بن أحمد بن علي الشمس، أبو عبد الله الحموي الأصل، الدمشقي الشافعي. المعروف بابن ناصر الدين. ولد في العشر الأول من المحرم سنة سبع وسبعين وسبع مئة بدمشق، ونشأ بها، فحفظ عدة مختصرات،

نَفْلِهِ وَفَرْضِهِ. وَقِيلَ: عِنْدَ العَامَّةِ هُوَ مَنْ يَفْزَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ عِنْدَ المُعْضِلَاتِ وَيَسْتُشِيرُونَهُ.. ثُمَّ ذَكَرَ أَنَّ المُعْتَبَرَ بِهَذَا اللَّقَبِ هُوَ المُتَقَدِّمَ فِي العُلُومِ الشَّرْعِيةِ؛ كَعِلْمِ العَقِيدَةِ وَالقِرَاءَاتِ وَاللُّغَةِ وَالنَّاسِخِ وَالمَنْسُوخِ...

وَالشَّيْخُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ القَاسِمِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى[٤٥٣] فِي «حَاشِيتِهِ عَلَى الرَّوْضِ» لَمَّا ذَكَرَ صَاحِبُ «الرَّوْضِ» عِبَارَةَ شَيْخِ الإِسْلَامِ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِتَحْرِيمِ قَصِّ اللِّحْيَةِ وَصَبْغِهَا إِلَى آخِرِهِ.. قَالَ الشَّيْخُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ القَاسِمِ: وَالسَّلَفُ لَا يُطْلِقُونَ شَيْخَ الإِسْلَامِ إِلَّا عَلَى المُتَّبِعِ لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، مَعَ التَبَحُّرِ فِي العُلُومِ النَّقْلِيةِ وَالعَقْلِيةِ..

ثُمَّ قَالَ النَّاظِمُ: (**كُلُّهُمْ سَادَةٌ زَهْرُ**) فَكُلُّ هَؤُلَاءِ سَادَةٌ فِي العِلْمِ وِسَادَةٌ فِي الدِّيانَةِ، وَمِنْ أَهْلِ الرُّتَبِ الرَّفِيعَةِ وَالمَرَاتِبِ المُنِيفَةِ. (**زُهَرُ**) مِنَ الحُسَنِ وَالبَيَاضِ النَّاصِعِ، وَكُلُّ أَئِمَّةِ السُّنَّةِ سَادَةٌ فِي المَنْزِلَةِ، لَكِنْ يَتَفَاوَتُونَ؛ فَهُنَاكَ أَئِمَّةٌ كِبَارٌ، وَقِلَّةٌ مُقَدَّمَةٌ عَلَى غَيْرِهِمْ، إِلَا أَنَّ الجَامِعُ لَهُمْ نُصْرَةُ السُّنَّةِ وَاتِّبَاعُهَا وَالرَدُّ عَلَى مَنْ خَالَفَهَا. وَالنَّاظِمُ اخْتَارَ الزُّهْرَ مِنْ بَابِ أَحْسَنِ الأَلْوَانِ؛فَالزُّهْرُ يَجْمَعُ بَيْنَ البَيَاضِ النَّاصِعِ الَّذِي لَا يَكُونُ فَاقِعًا، وَهَكَذَا كَانَ لَوْنُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْسَ بِالأَبْيَضِ الأَمْهَقِ، بَلْ بَيْنَ البَيَاضِ وَالحُمْرَةِ.

وَهُنَا فَائِدَةٌ، وَهِي لَقَبُ فَاطِمَةَ بِالزَّهْرَاءِ رَضِي اللهُ تَعَالَى عَنْهَا، فَقَدْ قَرَأْتُ فِي بَعْضِ كُتُبِ أَهْلِ الرَّفْضِ أَنَّهَا سُمِّيتِ الزَّهْرَاءَ؛ لَأَنَّ العَادَةَ الشَّهْرِيةَ لَمْ تَكُنْ تَأْتِيهَا، وَهَذَا مِمَّا يَضْحَكُ مِنْهُ السُّفَهَاءُ قَبْلَ العُقَلَاءِ. وَإِنَّمَا هَذَا اللَّقَبُ مِنْ بَابِ أَنَّ بَشَرَتَهَا كَانَتْ مِنَ بَشَرَةِ أَبِيهَا؛ وَلِهَذَا يُقَالُ فِي بَعْضِ الخُطَبِ الوَعْظِيةِ القَدِيمَةِ: صَاحِبُ الجِبِينِ الأَزْهَرِ.

(وَمَنْ أَشْرَقَ الإِسْلامُ مِنْ نُورِ عِلْمِهِ * إِمَامُ قُرَيْشٍ الشَّافِعِيُّ الَّذِي قَهَرْ)**

وحمل عن شيوخ بلده والقادمين إليها بقراءته وقراءة غيره، وارتحل إلى بعلبك وحلب ومكة وغيرها. كان إماما حافظا مفيدا للطلبة، وقد أثنى عليه جماعة من معاصريه؛ كابن حجر والبرهان الحلبي والمقريزي، ومات في ربيع الثاني سنة اثنتين وأربعين وثمان مئة. انظر: الضوء اللامع (٨/ ١٠٣ ترجمة ٢١٥)، والبدر الطالع (ص: ٧٥١ ترجمة ٤٦٧).

(٤٥٣) هو: الشيخ العالم العلامة العامل المحقق المدقق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، أبو عبد الله العاصمي، نسبة إلى عاصم، وهو جد القبيلة المشهورة بنجد من قبائل قحطان. فقيه حنبلي من أعيان نجد. ولد سنة تسع عشرة وثلاث مئة وألف بقرية «البير» من قرى المحمل قرب الرياض. وأولع في أوليته بالتاريخ والأنساب والجغرافية. جمع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، وسافر من أجل البحث عنها إلى بلاد كثيرة. وكان قد عمل في مطبعة الحكومة بمكة ثم تولى إدارة المكتبة السعودية في الرياض. واعتزل العمل في مزرعة له قرب العمارية. من مؤلفاته: «السيف المسلول على عابد الرسول»، وجمع «الدرر السنية في الأجوبة النجدية». توفي سنة ثنتي عشرة وثلاث مئة وألف متأثرا من حادث سيارة سابق وقع له -رحمه الله-. انظر: الأعلام للزركلي (٣/ ٣٣٦)، وللباحث عمار بن عبد الرحمن الجبرين مؤلف في ترجمة الشيخ.

(**أَشْرَقَ الإِسْلَامُ**)، الإِسْلَامُ مُشْرِقٌ وَشَرُفَ بِهِ أَصْحَابُهُ، وَأَشْرَقَتِ سِيَرُهُمْ بِالإِسْلَامِ؛ وَلِهَذَا لَمَّا قِيلَ لِلْإِمَامِ أَحْمَدَ رَحِمَهُ اللهُ: جَزَاكَ اللهُ عَنِ الإِسْلَامِ خَيْرًا. قَالَ: لَا، بَلْ جَزَى اللهُ الإِسْلَامَ عَنِّي خَيْرًا. وَمُرَادُ النَّاظِمِ رَحِمَهُ اللهُ أَنَّ الشَّافِعِيَّ مِنْ أَشْهَرِ أَئِمَّةِ الدُّنْيَا، وَظَهَرَتِ السُّنَنُ بِسَبَبِ نُصْرَتِهِ وَتَدْوِينِهِ لَهَا، وَبِخَاصَّةٍ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِتَقْرِيرِهِ لِلاعْتِقَادِ، وَالفِقْهِ المُؤَصَّلِ بِالدَّلِيلِ مِنَ القُرْآنِ وَالسُّنَّةِ وَفْقًا لِمَنْهَجِ السَّلَفِ الصَّالِحِ، فَظَهَرَ لَهُ مَذْهَبٌ مَشْهُورٌ، وَهُوَ أَحَدُ المَذَاهِبِ الأَرْبَعَةِ المَشْهُورَةِ فِي الاتِّبَاعِ.

(**وَمَنْ أَشْرَقَ الإِسْلامُ مِنْ نُورِ عِلْمِهِ**) فَأَظْهَرَ رَحِمَهُ اللهُ الدِينَ بَعْدَ أَنْ طُمِسَ بِالجَهْلِ وَالعَدَاءِ مِنْ مُخَالِفِي السُّنَّةِ، وَمِنَ المُقَلِّدَةِ لآرَاءِ الرِّجَالِ دُونَ الدَّلِيلِ، فَظَهَرَ العِلْمُ وَأَشْرَقَ، وَكَانَ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى مِمَّنْ آتَاهُ اللهُ عِلْمًا رَاسِخًا وَقُوَّةً فِي المُنَاظَرَةِ. قَالَ أَحَدُهُمْ: أَنْقَذَنِي اللهُ مِنَ البِدَعِ بِمَجْلِسٍ وَاحِدٍ مَعَ الشَّافِعِيِّ.

ثُمَّ يَقُولُ: (**إِمَامُ قُرَيْشٍ الشَّافِعِيُّ**). المُطَّلِبِيُّ القُرَشِيُّ، فَهُوَ مِنْ قَبِيلَةِ قُرَيْشٍ الَّتِي شَرُفَتْ بِأَنَّ مِنْهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقُرَيْشٌ سُمِّيتْ قُرَيْشًا قِيلَ: مِنَ التَقَرُّشِ وَالتَّقْرِيشِ. وَقِيلَ: كَانَ الحُجَّاجُ إِذَا أَتَوْا إِلَى مَكَّةَ يَتَقَرَّشُ أَهْلُ قُرَيْشَ أَحَدِ الحُجَّاجِ، فَمَنْ كَانَ مُعْدِمًا وَفَقِيرًا مِنَ الحُجَّاجِ أَعْطَوْهُ الطَّعَامَ وَالشَّرَابَ. وَقِيلَ: مِنَ البَيْعِ وَالشِّرَاءِ، فَكَانُوا يَبِيعُونَ لِلْحُجَّاجِ وَيَشْتَرُونَ مِنْهُمْ. وَقِيلَ: لِأَنَّ جَدَّهُمْ تَقَرَّشَ فِي ثَوْبِهِ –أَيْ: اجْتَمَعَ– فَسُمِّيَ بِقُرَيْشٍ. وَقِيلَ: مِنْ دَابَّةِ البَحْرِ القِرْشِ؛ لِأَنَّهَا أَقْوَى دَوَابِّ البَحْرِ، وَقُرَيْشٌ أَقْوَى القَبَائِلِ العَرَبِيَةِ، فَكَانَتْ تَهَابُهَا العَرَبُ لِسِيادَتِهَا لِلْبَيْتِ الحَرَامِ.

(**الَّذِي قَهَرْ**) فَالشَّافِعِيُّ قَهَرَ وَغَلَبَ بِالحُجَّةِ مَنْ نَاظَرَهُ وَخَاصَمَهُ، وَمِنْ مَنَاقِبِ الشَّافِعِيِّ رَحِمَهُ اللهُ أَنَّ الإِمَامَ أَحْمَدَ كَانَ يَقُولُ لِابْنِ الشَّافِعِيِّ: إِنَّ أَبَاكَ أَحَدُ النَّفَرِ السِّتَّةِ أَوِ السَّبْعَةِ، الَّذِينَ أَدْعُوا لَهُمْ عِنْدَ السَّحَرِ. وَقَالَ عَنْهُ الإِمَامُ أَحْمَدُ: وَحَسْبُكَ بِالْمُزَكِّي وَالْمُزَكَّى: الشَّافِعِيُّ كَالشَّمْسِ الأَرْضِ العَافِيَةِ لِلنَّاسِ، فَهَلْ لِهَذَيْنِ مِنْ عِوَضٍ؟! وَقَدْ مَاتَ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى سَنَةَ مِائَتَيْنِ وَأَرْبَعٍ مِنَ الهِجْرَةِ.

(**وَمِنْ عُصْبَةِ ابْنِ الْمُبَارَكِ**[٤٥٤] **فِيهِمُ *** بِمَرْوٍ وَنَيْسَابُورَ وَالرَّيِّ ذِي العِبَرْ**)

(٤٥٤) هو: عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي التميمي مولاهم، أبو عبد الرحمن المروزي. أحد الأئمة الأعلام وحفاظ الإسلام، أمير المؤمنين في الحديث. له تواليف؛ منها «الزهد». قال ابن حجر في التقريب: ثقة ثبت فقيه عالم جواد. ولد سنة ثمان عشرة ومئة، وتوفي سنة إحدى وثمانين ومئة. انظر: تهذيب الكمال (١٦/ ٥ ترجمة ٣٥٢٠)، وسير أعلام النبلاء (٨/ ٣٧٨ ترجمة ١١٢).

عَبْدُ اللهِ بْنُ الْمُبَارَكِ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ، إِمَامٌ ذَكَرَهُ النَّاظِمُ فِي شَرْحِهِ فَقَالَ: الْمُجْمَعُ عَلَى مَحَبَّتِهِ. وَيَقُولُ الذَّهَبِيُّ: وَاللهُ إِنِّي لَأُحِبُّهُ وَأَتَقَرَّبُ إِلَى اللهِ بِحُبِّهِ. وَفِي «تَقْرِيبِ التَّهْذِيبِ» لَمْ أَجِدْ بَعْدَ الصَّحَابَةِ مَدْحًا لِأَحَدٍ أَوْ ثَنَاءً جَمْعَ أَوْصَافًا كَمَا جَمَعَهَا ابْنُ الْمُبَارَكِ، فَقَدْ قَالَ فِيهِ -فِيمَا أَذْكُرُ: ثِقَةٌ ثَبْتٌ جَوَادٌ مُجَاهِدٌ، جُمِّعَتْ فِيهِ خِصَالُ الْخَيْرِ. وَكَانَ ابْنُ الْمُبَارَكِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى جَامِعًا بَيْنَ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ وَالتَّعَبُّدِ وَالسَّخَاءِ، وَكَانَ إِمَامًا إِذَا حَلَّ وَإِمَامًا إِذَا رَحَلَ، حَتَّى جَعَلُوا مَحَبَّتَهُ وَمَحَبَّةَ أَئِمَّةِ السُّنَّةِ مِقْيَاسًا وَمِيزَانًا لِأَهْلِ الْبِدَعِ. وَكَانَ فِي مَرْوٍ إِمَامًا مُصَدَّرًا، إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ فِي مُعْضَلَاتِهِمْ؛ وَلِهَذَا يَقُولُ الشَّاعِرُ:

إِذَا صَارَ عَبْدَ اللهُ مِنْ مَرْوٍ لِلَيْلَةٍ * فَقَدْ صَارَ مِنْهَا نَجْمُهَا وَهِلَالُهَا**

إِذَا ذُكِرَ الْأَحْبَارَ فِي كُلِّ بَلْدَةٍ * فَهُمْ أَنْجُمٌ فِيهَا وَأَنْتُمْ هِلَالُهَا**

ثُمَّ قَالَ: (**بِمَرْوٍ**)، وَهِيَ بَلَدٌ مَشْهُورٌ، وَأَخْرَجَتْ عُلَمَاءَ كُثُرًا، وَهُنَاكَ بُلْدَانٍ: مَرْوِ الرَّوْذِ، وَمَرْوِ الشَّاهِجَانِ، وَمَرْوٌ مَعْنَاهَا الْحِجَارَةُ الْبَيْضَاءُ، وَالرَّوْذُ قِيلَ: اسْمُ نَهَرٍ. وَيُنْسَبُ إِلَى مَرْوِ الرَّوْذِ فَيُقَالُ: الْمَرْوَزِيُّ، وَالْأَشْهَرُ الْأَكْبَرُ مَرْوُ الشَّاهِجَانِ الَّتِي أَخْرَجَتِ الْإِمَامَ أَحْمَدَ وَالثَّوْرِيَّ وَكَثِيرِينَ، وَأَطْنَبَ يَاقُوتُ الْحَمَوِيُّ فِي وَصْفِهَا، وَوَصَفَ بَعْضَ مَكْتَبَاتِهَا فَقَالَ: إِنَّ بَعْضَ مَكْتَبَاتِهَا أَلْهَتْنِي عَنْ أَهْلِي وَوَلَدِي وَمَالِي. ثُمَّ ذَكَرَ يَاقُوتُ رَحِمَهُ اللهُ أَنَّ مُصَنَّفَهُ «مُعْجَمَ الْبُلْدَانِ» كَانَ مِنْ مَكْتَبَاتِ مَرْوٍ الشَّاهِجَانِ.

(**بِمَرْوٍ وَنَيْسَابُورَ**) نَيْسَابُورَ مِنَ الْبُلْدَانِ الَّتِي أَنْجَبَتْ عُلَمَاءَ كَثِيرِينَ، قِيلَ فِي سَبَبِ تَسْمِيَتِهَا بِنَيْسَابُورَ: «سَابُورُ» مَلِكٌ وَ«نِي» قِيلَ: مَعْنَاهُ قَصَبِ السُّكَّرِ الَّذِي زَرَعَهُ الْمَلِكُ فَنُسِبَ إِلَيْهِ، وَذُكِرَتْ أَقْوَالٌ أُخْرَى غَيْرِ هَذَا.

وَالرَّيُّ أَيْضًا مِنَ الْبُلْدَانِ الَّتِي أَخْرَجَتْ عُلَمَاءَ كَثِيرِينَ، وَيُنْسَبُ إِلَيْهَا الرَّازِيُّ -بِتَخْفِيفِ الزَّايِ- وَمَنْ قَرَأَ فِي كُتُبِ «الْأَنْسَابِ» لِلسَّمْعَانِيِّ[٤٥٥] أَوْ تَهْذِيبِهِ «اللُّبَابِ» لِابْنِ الْأَثِيرِ[٤٥٦] أَوْ «مُعْجَمِ الْبُلْدَانِ» لِيَاقُوتٍ يَرَى فِي كَلَامِهِمْ عَنْ هَذِهِ الْبُلْدَانِ أَنَّهُمْ ذَكَرُوا أَئِمَّةً كَثِيرِينَ مَلَئُوا الدُّنْيَا عِلْمًا.

---

(٤٥٥) هو: الإمام الحافظ الكبير الأوحد الثقة، محدث خراسان، أبو سعد عبد الكريم ابن الإمام الحافظ الناقد أبي بكر محمد ابن العلامة مفتي خراسان أبي المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار، التميمي السمعاني الخراساني المروزي، صاحب المصنفات الكثيرة. ولد بمرو في شعبان سنة ست وخمس مئة. توفي الوالد وأبو سعد صغير، فكفله عمه وأهله، وحبب إليه الحديث، ولازم الطلب من الحداثة، ولا يوصف كثرة البلاد والمشايخ الذين أخذ عنهم. توفي سنة ثنتين وستين وخمس مئة. انظر: وفيات الأعيان (٣/ ٢٠٩ ترجمة ٣٩٥)، وسير أعلام النبلاء (٢٠/ ٤٥٦ ترجمة ٢٩٢).

(لِلْعِبَرْ) هَكَذَا فِي نُسْخَةٍ، وَفِي الأُخْرَى: (لِلغُبَرْ)، أَوْ: (الغَبَرْ)، وَلَا أَدْرِي مَا المُرَادُ؟ وَجَاءَ فِي بَعْضِ كُتُبِ اللُّغَةِ العِبَرُ قِيلَ: مِنَ الاعْتِبَارِ وَالتَّدَبُّرِ وَالاتِّعَاظُ، وَقِيلَ: العَبِيرُ: أَخْلَاطُ الطِيبِ. فَلَعَلَّهُ مُرَاعَاةً لِلنَّظْمِ -كَمَا تَقَدَّمَ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ- اخْتَارَ هَذَا اللَّفْظَ (العِبَرْ) وَقَصْدُهُ العَبِيرُ، أَيْ أَنَّ هَؤُلَاءِ كَالطِّيبِ وَالرِّيحِ الحَسَنَةِ، وَكَالرَّيَاحِينَ، وَهُمْ عُلَمَاءُ الرَّيِّ وَمَنْ سَبَقَهُمْ.

(وَيَحْيَى وَإِسْحَاقُ[٤٥٧] وَأَحْمَدُ الَّذِي * بِهِ نُظِمَ التَّقْوَى كَمَا يُنْظَمُ الدُّرَرْ**

إِمَامٌ لِأَهْلِ النَّقْلِ وَالمُقْتَدَى بِهِ * فِي السُّنَّةِ الغَرَّا إِمَامُ الَّذِي صَبَرْ)**

(يَحْيَى) ابْنُ مَعِينٍ الغَطَفَانِيُّ أَبُو زَكَرِيا، مِنْ أَئِمَّةِ الحَدِيثِ وَالسُّنَّةِ، شَيْخُ المُحَدِّثِينَ، يَقُولُ: كَتَبْتُ بِيَدِي سِتَّمِائَةِ أَلْفِ حَدِيثٍ. هَذَا الإِمَامُ مَاتَ رَحِمَهُ اللهُ سَنَةَ مِائَتَيْنِ وَثُلَاثٍ وَثَلَاثِينَ لِلْهِجْرَةِ.

وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ المَرْوَزِيُّ الإِمَامُ المَشْهُورُ، وَكُلُّ هَؤُلَاءِ مَشَاهِيرُ، وَلَكِنْ -كَمَا قُلْتُ لَكُمْ- يَخْتَلِفُونَ مِنْ حَيْثُ التَّقَدُّمِ وَالمَشْيَخَةِ، وَبَعْضُهُمْ تَلَامِيذُ عِنْدَ بَعْضٍ، وَهَذَا الإِمَامُ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى يَقُولُ عَنْهُ ابْنُ خُزَيْمَةَ: لَوْ كَانَ مَعَ التَّابِعِينَ لَعُدَّ مِنْ أَوْسَعِهِمْ عِلْمًا وَمَنْ أَفْقَهِهِمْ وَأَحْفَظِهِمْ.

وَأَحْمَدُ هُوَ الإِمَامُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى مِنْ أَشْهَرِ أَئِمَّةِ السُّنَّةِ، وَهُوَ مِنَ الأَئِمَّةِ الأَرْبَعَةِ مِمَّنْ اشْتَهَرَتْ مَذَاهِبُهُمْ، وَكَثُرَ أَتْبَاعُهُمْ.

---

(٤٥٦) هو: الشيخ الإمام العلامة المحدث الأديب النسابة عز الدين أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الجزري الشيباني، ابن الشيخ الأثير أبي الكرم. مولده بجزيرة ابن عمر في سنة خمس وخمسين وخمس مئة. ونشأ هو بها وأخواه العلامة مجد الدين والوزير ضياء الدين، ثم تحول بهم أبوهم إلى الموصل فسمعوا بها، واشتغلوا، وبرعوا، وسادوا. كان إماما، علامة، أخباريا، أديبا، متفننا، رئيسا، محتشما، كان منزله مأوى طلبة العلم، ولقد أقبل في آخر عمره على الحديث إقبالا تاما، وسمع العالي والنازل. توفي في الخامس والعشرين من شعبان سنة ثلاثين وست مئة. انظر: وفيات الأعيان (٣/ ٣٤٨ ترجمة ٤٦٠)، وسير أعلام النبلاء (٢٢/ ٣٥٣ ترجمة ٢٢٠).

(٤٥٧) هو: إسحاق بن إبراهيم بن مخلد بن إبراهيم بن مطر الحنظلي. أبو يعقوب المروزي، المعروف بابن راهويه. نزيل نيسابور، أحد أئمة المسلمين وعلماء الدين. مولده في سنة إحدى وستين ومئة. اجتمع له الحديث، والفقه، والحفظ، والصدق، والورع، والزهد. ورحل إلى العراق والحجاز واليمن والشام، وعاد إلى خراسان، فاستوطن نيسابور إلى أن مات بها وانتشر علمه عند أهلها. قال ابن حجر في التقريب: ثقة حافظ مجتهد، قرين أحمد ابن حنبل. ذكر أبو داود أنه تغير قبل موته بيسير. مماته سنة ثمان وثلاثين ومئتين. له مسائل جمعها الكوسج مع مسائل الإمام أحمد. انظر: تهذيب الكمال (٢/ ٣٧٣ ترجمة ٣٣٢)، والسير (١١/ ٣٥٨ ترجمة ٧٩).

وَكَانَ يَحْفَظُ رَحِمَهُ اللهُ سِتَّمِائَةِ أَلْفِ حَدِيثٍ كَمَا حَكَى أَبُو زُرْعَةَ[٤٥٨]، وَلَمَّا سَأَلُوا أَبَا زُرْعَةَ عَنْ ذَلِكَ قَالَ: ذَاكَرْتُهُ الأَسَانِيدَ وَمِائَةَ أَلْفِ حَدِيثٍ. يَقُولُ الذَّهَبِيُّ: أَيْ بِالْمُكَرَّرِ، وَكَانُوا يَتَوَسَّعُونَ فِي إِطْلَاقِ هَذَا اللَّفْظِ، وَيَعْنُونَ بِهِ آثَارَ الصَّحَابَةِ، وَمَا يَذْكُرُهُ أَهْلُ القِرَاءَاتِ مِنَ الآثَارِ لِلتَّكْرَارِ، وَأَقْوَالِ التَّابِعِينَ وَأَتْبَاعِ التَّابِعِينَ، لَكِنْ يَتَجَوَّزُونَ فَيُسَمُّونَهَا حَدِيثًا. وَإِنَّمَا خُصَّ أَحْمَدُ، (**بِهِ نُظِمَ التَّقْوَى كَمَا يُنْظَمُ الدُّرَرْ**)؛ لِمَا أَصَابَهُ مِنَ المِحْنَةِ الْعَظِيمَةِ مِنَ القَوْلِ بِالقَوْلِ بِخَلْقِ القُرْآنِ، وَالرَدِّ عَلَى مَنْ قَالَ بِهِ.

وَهُوَ أَيْضًا مِنْ أَئِمَّةِ السُّنَّةِ وَالحَدِيثِ، وَمِمَّنْ جَمَعَ بَيْنَ ذَا وَذَاكَ، (**إِمَامٌ لِأَهْلِ النَّقْلِ وَالْمُقْتَدَى بِهِ**) وَالاقْتِدَاءِ يَتَنَوَّعُ، وَالْمُرَادُ: أَنَّ صَبْرَهُ وَتَقْرِيرَهُ لِلسُّنَّةِ فِي وَقْتِهِ فَكَانَ قُدْوَةً لِلنَّاسِ؛ فَاقْتَدُوا بِكَلَامِهِ لَعَلِمَهُ وَدِيانَتِهُ وَوَرَعِهِ وَاتْبَاعِهِ لِلدَّلِيلِ. (**الَّذِي صَبَرْ**) يُشِيرُ إِلَى الفِتْنَةِ، فَقَدْ قِيلَ لِلْإِمَامِ أَحْمَدَ: كَيْفَ صَبَرْتَ عَلَى عَذَابِهِمْ؟ قَالَ: لَوْ وُضِعَ الصِّدْقُ عَلَى الجُرْحِ -وَفِي بَعْضِ الرِّوَايَاتِ: عَلَى جِرَاحٍ- لَبَرِئَ.

وَقَدْ أُلِّفَ فِي تَرْجَمَةِ هَذَا الإِمَامِ كُتُبٌ مُسْتَقِلَّةٌ،فَأَلَّفَ ابْنُهُ صَالِحٌ[٤٥٩] سِيرَةً فِي وُرَيْقَاتٍ طُبِعَتْ، وَأَلَّفَ الإِمَامُ ابْنُ الجَوْزِيِّ كِتَابًا سَمَّاهُ «مَنَاقِبِ الإِمَامِ أَحْمَدَ»، وَذَكَرَ الدُّكْتُورْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ العُثَيْمِينَ[٤٦٠] فِي تَحْقِيقِهِ لِـ «طَبَقَاتِ الحَنَابِلَةِ» كَثِيرِينَ مِمَّنْ أَفْرَدُوا تَرْجَمَةَ الإِمَامِ أَحْمَدَ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى.

---

(٤٥٨) هو: الإمام، سيد الحفاظ، أبو زرعة الرازي، عبيد الله بن عبد الكريم بن يزيد بن فروخ، محدث الري. مولده بعد نيف ومئتين. طلب علم الحديث وهو حَدَث، وارتحل إلى الحجاز والشام، ومصر والعراق والجزيرة وخراسان، وكتب ما لا يوصف كثرة. وكان إماما ربانيا، حافظا متقنا مكثرا. وهو أحد الأئمة المشهورين، والأعلام المذكورين، والجوالين المكثرين، والحفاظ المتقنين. قال ابن حجر في التقريب: إمام حافظ ثقة مشهور. توفي سنة أربع وستين ومئتين، وله أربع وستون سنة. انظر: تهذيب الكمال (١٩/ ٨٩ ترجمة ٣٦٦٠)، وسير أعلام النبلاء (١٣/ ٦٥ ترجمة ٤٨).

(٤٥٩) هو: الإمام المحدث الحافظ الفقيه القاضي صالح بن أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد، أبو الفضل، الشيباني، البغدادي، قاضي أصبهان. ولد سنة ثلاث ومئتين، وهو أكبر إخوته. سمع أباه، وتفقه عليه، وسمع عفان، وأبا الوليد، وإبراهيم بن أبي سويد، وعلي بن المديني، وطبقتهم. قال الخلال: كان صالح سخيا جدا. وكان صالح يقول: كان أبي يبعث خلفي إذا جاء رجل زاهد أو متقشف لأنظر إليه؛ يحب أن أكون مثله. توفي بأصبهان في رمضان سنة ست وستين ومئتين. انظر: سير أعلام النبلاء (١٢/ ٥٢٩ ترجمة ٢٠٤)، وطبقات الحنابلة (١/ ٤٦٢ ترجمة ٢٣٢).

(٤٦٠) هو: الأستاذ المحقق الفاضل عبد الرحمن بن سليمان العثيمين. الدكتور بجامعة أم القرى. له شغف بتحقيق كتب تراجم الحنابلة، واللغة والنحو. من تحقيقاته: «طبقات الحنابلة» لابن أبي يعلى، و«الذيل» عليه لابن رجب، وغيرهما كثير. وهو ابن عم الشيخ محمد بن صالح العثيمين -رحمه الله-.

مِنَ العِبَارَاتِ الَّتِي اشْتَهَرَتْ عَنِ الإِمَامِ أَحْمَدَ عِبَارَةُ ابْنُ المَدِينِي[٤٦١]: أَعَزَّ اللهُ الدِينَ بِرَجُلَيْنِ: أَبُو بَكْرٍ يَوْمَ الرِّدَّةِ، وَأَحْمَدُ يَوْمَ المِحْنَةِ. حَتَّى قَالَ: أَبُو بَكْرٍ كَانَ لَهُ أَنْصَارٌ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ وَأَحْمَدُ لَمْ يَكُنْ لَهُ أَنْصَارٌ. وَهَذَا مِنْ بَابِ أَنَّ الإِمَامَ أَحْمَدَ رَحِمَهُ اللهُ ابْتُلِيَ فِي فِتْنَتِهِ، وَالصِّدِّيقُ أَعْظَمُ بَلَاءً؛ لِأَنَّهُ رَأْسُ الأُمَّةِ وَخِيرَةُ المُسْلِمِينَ، فَوَقَفَ الصَّدِيقُ فِي الفِتْنَةِ العَظِيمَةِ وِرْدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا، كَمَا وَفَّقَ اللهُ أَحْمَدَ رَحِمَهُ اللهُ فَرُدَّ تِلْكَ الفِتْنَةَ.

وَمَاتَ الإِمَامُ أَحْمَدُ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى سَنَةَ مِائَتَيْنِ وَوَاحِدٍ وَأَرْبَعِينَ لِلْهِجْرَةِ.

(وَمَنْ حَلَّ فِي مِصْرَ وَدَانَ بِسُنَّةٍ * وَحَجَّ إِلَى البَيْتِ المُحَرَّمِ وَاعْتَمَرْ)**

يُشِيرُ إِلَى أَنَّ عُلَمَاءَ السُّنَّةِ مُنْتَشِرُونَ، فَفِي مِصْرَ عُلَمَاءُ كَثِيرُونَ، وَمَنْ تَتَبَّعَ تَوَارِيخَ مِصْرَ أَوْ تَرَاجِمَ العُلَمَاءِ سَيَجِدُ المِصْرِيَّ وَالمَكِّيَّ وَالمَدَنِيَّ وَالشَّامِيَّ وَالعِرَاقِيَّ وَاليَمَنِيَّ.. فَيَجِدُ هُنَاكَ مِئَاتٌ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ مُتَفَرِّقُونَ فِي كُلِّ مَكَانٍ.

(وَمَنْ بِالعِرَاقِ المُسْتَنِيرِ كَشُعْبَةَ[٤٦٢] * وَابْنِ بَشِيرٍ[٤٦٣] وَابْنِ طِرْخَانَ[٤٦٤] مُعْتَمَرْ)**

ذَكَرَ النَّاظِمُ عُلَمَاءَ فِي الشَّامِ وَفِي الحِجَازِ وَفِي غَيْرِهِمَا، ثُمَّ عَرَّجَ عَلَى العِرَاقِ **(وَمَنْ بِالعِرَاقِ المُسْتَنِيرِ كَشُعْبَةَ)** كَشُعْبَةَ بْنِ الحَجَّاجِ، وَهُوَ مِنْ أَئِمَّةِ الحَدِيثِ وَالرِّوَايَةِ، وَهُوَ إِمَامٌ مَشْهُورٌ، وَإِذَا قَرَأْتَ فِي «الصَّحِيحَيْنِ» وَالسُّنَنِ سَتَجِدُ شُعْبَةَ

---

(٤٦١) هو: علي بن عبد الله بن جعفر بن نجيح السعدي، أبو الحسن ابن المديني البصري، مولى عروة بن عطية السعدي. الإمام المبرز في هذا الشأن، صاحب التصانيف الواسعة والمعرفة الباهرة. قال ابن حجر في التقريب: ثقة ثبت إمام أعلم أهل عصره بالحديث وعلله. مات سنة أربع وثلاثين ومئتين. انظر: تهذيب الكمال (٢١/ ٥ ترجمة ٤٠٩٦)، والسير (١١/ ٤١ ترجمة ٢٢).

(٤٦٢) هو: شعبة بن الحجاج بن الورد العتكي الأزدي، أبو بسطام الواسطي مولى عبدة بن الأغر مولى يزيد بن المهلب بن أبي صفرة. الإمام الحافظ، أمير المؤمنين في الحديث، عالم أهل البصرة وشيخها، سكن البصرة من الصغر، ورأى الحسن، وأخذ عنه مسائل. كان من أوعية العلم، لا يتقدمه أحد في الحديث في زمانه. قال ابن حجر في التقريب: ثقة حافظ متقن. ولد سنة ثمانين، في دولة عبد الملك بن مروان، ومات سنة ستين ومئة. انظر: تهذيب الكمال (١٢/ ٤٧٩ ترجمة ٢٧٣٩)، والسير (٧/ ٢٠٢ ترجمة ٨٠).

(٤٦٣) هو: هشيم بن بشير بن القاسم بن دينار السلمي، أبو معاوية بن أبي خازم، وقيل: أبو معاوية بن بشير بن أبي خازم الواسطي. قيل: إنه بخاري الأصل. الإمام، شيخ الإسلام محدث بغداد، وحافظها. ولد سنة أربع ومئة. قال ابن حجر في التقريب: ثقة ثبت كثير التدليس والإرسال الخفي. توفي سنة ثلاث وثمانين ومئة. انظر: تهذيب الكمال (٣٠/ ٢٧٢ ترجمة ٦٥٩٥)، والسير (٨/ ٢٨٧ ترجمة ٧٦).

(٤٦٤) هو: سليمان بن طرخان الإمام شيخ الإسلام، أبو المعتمر التيمي البصري. نزل في بني تيم فقيل التيمي. قال يحيى بن معين، والنسائي وغيرهما: ثقة. قال ابن حجر في التقريب: ثقة عابد. مات سنة ثلاث وأربعين ومائة، وهو ابن سبع وتسعين سنة. انظر: تهذيب الكمال (١٢/ ٥ ترجمة ٢٥٣١)، والسير (٦/ ١٩٥ ترجمة ٩٢).

يَمُرُّ عَلَيْكَ تِكْرَارًا وَمِرَارًا. قِيلَ: إِنَّهُ أَوَّلُ مَنْ فَتَّشَ عَنِ الحَدِيثِ فِي العِرَاقِ، وَكَانَ رَحِمَهُ اللهُ شَدِيدًا عَلَى المُدَلِّسِينَ وَالضُّعَفَاءِ، وَمَاتَ رَحِمَهُ اللهُ سَنَةَ مِائَةٍ وَسِتِّينَ مِنَ الهِجْرَةِ النَّبَوِيَّةِ.

(**ابْنِ بَشِيرٍ**): هُشَيْمُ بْنُ بَشِيرٍ الوَاسِطِيُّ بْنِ مُعَاوِيَةَ، مِنْ أَئِمَّةِ الحَدِيثِ وَالدِّيَانَةِ وَالسُّنَّةِ. مُحَدِّثُ بَغْدَادَ، مَاتَ سَنَةَ مِائَةٍ وَثَلَاثٍ وَثَمَانِينَ لِلْهِجْرَةِ النَّبَوِيَّةِ.

(**ابْنِ طِرْخَانَ**): سُلَيْمَانُ بْنُ طِرْخَانَ التَّيْمِيُّ مَوْلَى بَنِي تَيْمٍ. مِنْ أَئِمَّةِ الدِّيَانَةِ وَالعِلْمِ وَرُوَاةِ الحَدِيثِ المُكْثِرِينَ. مَاتَ سَنَةَ مِائَةٍ وَثَلَاثٍ وَأَرْبَعِينَ لِلْهِجْرَةِ النَّبَوِيةِ.

(وَمِثْلُ ابْنِ سَلَّامٍ[٤٦٥] **وَمَنْ سَارَ سَيْرَهُ *** كَلَيْثٍ لَدَى الغَابَاتِ عَنْ عِرْسِهِ هَدَرْ)**

(**ابْنِ سَلَّامٍ**): أَبُو عُبَيْدٍ القَاسِمُ بْنُ سَلَّامٍ المَشْهُورُ. قَالَ إِسْحَاقُ: إِنَّ اللهَ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الحَقِّ، أَبُو عُبَيْدٍ أَعْلَمُ مِنِّي وَمَنْ إِسْحَاقَ وَمِنْ أَحْمَدَ وَمَنَ الشَّافِعِيِّ. وَقَرَأْتُ فِي بَعْضِ كُتُبِ التَّرَاجِمِ: ثَلَاثَةٌ عَقِمَتْ بُطُونِ النِّسَاءِ أَنْ تَلِدَ مَثَلُهُمْ – وَهَذَا مِنْ بَابِ تَعْظِيمِ الشَّأْنِ: بَشِّرٌ الحَافِي[٤٦٦] مُلِئَ عَقْلًا مِنْ قَرْنِهِ إِلَى قَدَمِهِ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ جَبَلٌ مِنْ عِلْمٍ نُفِخَتْ فِيهِ الرُّوحُ، وَالإِمَامُ أَحْمَدُ.

وَأَبُو عُبَيْدٍ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى مَشْهُورٌ فِي عُلُومٍ كَثِيرَةٍ، حَتَّى قَالَ بَعْضُهُمْ: نَحْنُ نُتْقِنُ عِلْمًا وَاحِدًا، وَأَتْقَنَ أَبُو عُبَيْدٍ سِتَّةً وَعِشْرِينَ عِلْمًا، وَأَثْنَى عَلَيْهِ أَكَابِرُ العُلَمَاءِ كَالدَّارَقُطْنِيِّ وَغَيْرِهِ. مَاتَ أَبُو عُبَيْدٍ سَنَةَ مِائَتَيْنِ وَأَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ، وَمِنْ كُتُبِهِ المَشْهُورَةِ «الأَمْوَالُ».

(وَمَنْ سَارَ سَيْرِهِ كَلَيْثٍ لَدَى الغَابَاتِ عَنْ عِرْسِهِ هَدَرْ). اللَّيْثُ: شِبْلُ الأَسَدِ، وَمَنْ أَسْمَاءِ الأَسَدُ، (**عَنْ عِرْسِهِ**) المُرَادُ بِالعِرْسِ: امْرَأَةُ الرَّجُلِ، وَلَبُؤَةُ الأَسَدِ، (**هَدَرَ**) أَيْ: صَوَّتَ وَدَافِعَ إِذَا أَرَادَ أَحَدٌ أَنْ يَعْتَدِيَ عَلَيْهَا.

---

(٤٦٥) هو: أبو عبيد، القاسم بن سلام بن عبد الله. الإمام الحافظ المجتهد، الفقيه القاضي الأديب المشهور صاحب التصانيف المشهورة والعلوم المذكورة. ولد سنة سبع وخمسين ومئة. قال ابن حجر في التقريب: ثقة فاضل مصنف. ومات سنة أربع وعشرين ومئتين. له تواليف حسان؛ منها: «الإيمان»، و«الأمثال»، و«الأموال». انظر: تهذيب الكمال (٢٣/ ٣٥٤ ترجمة ٤٧٩٢)، والسير (١٠/ ٤٩٠ ترجمة ١٦٤).

(٤٦٦) هو: بشر بن الحارث بن عبد الرحمن بن عطاء، الإمام العالم المحدث الزاهد الرباني القدوة، شيخ الإسلام، أبو نصر المروزي، ثم البغدادي، المشهور بالحافي، ابن عم المحدث علي بن خشرم. ولد سنة اثنتين وخمسين ومئة. ارتحل في العلم، فأخذ عن: مالك، وشريك، وحماد بن زيد، وعدة. حدث عنه: أحمد الدورقي، ومحمد بن يوسف الجوهري، ومحمد بن مثنى السمسار، وخلق سواهم. قال ابن حجر في التقريب: ثقة قدوة. مات سنة سبع وعشرين ومئتين. انظر: تهذيب الكمال (٤/ ٩٩ ترجمة ٦٨٢)، والسير (١٠/ ٤٦٩ ترجمة ١٥٣).

(وَمِثْلُ ابْنِ وَهْبٍ[٤٦٧] وَابْنِ يَحْيَى[٤٦٨] وَبَعْدَهُ *** إِمَامُ بُخَارَى الَّذِي فَضْلُهُ غَمَرْ)

(ابْنِ وَهْبٍ): عَبْدُ اللهِ بْنُ وَهْبِ بْنِ مُسْلِمِ القُرَشِيُّ مَوْلَاهُمُ، مِنْ أَئِمَّةِ الدِّيَانَةِ وَالعِلْمِ وَالسُّنَّةِ. يَقُولُ ابْنُ عَبْدِ البَرِّ بِإِسْنَادِهِ: إِنَّ لِابْنِ وَهْبٍ لَطِيفَةٌ، فَقَدْ شَكَا إِلَى أَحَدِ أَشْيَاخِهِ شَيْئًا فِي خُلُقِ عِيسَى. فَقَالَ: يَا ابْنَ وَهْبٍ، اطْلُبِ العِلْمَ. قَالَ: فَطَلَبْتُهُ، فَأَذْهَبَ اللهُ مَا فِي نَفْسِي. وَهَكَذَا فالعِلْمُ نُورٌ، وَأَصْبَحَ ابْنُ وَهْبٍ إِمَامًا مِنْ أَئِمَّةِ الدِّيَانَةِ. مَاتَ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى سَنَةَ مِائَةٍ وَسَبْعٍ وَتِسْعِينَ مِنَ الهِجْرَةِ النَّبَوِيَّةِ.

(ابْنِ يَحْيَى) يُرِيدُ بِهِ أَبَا عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدَ بْنَ يَحْيَى الذُّهْلِيَّ شَيْخَ البُخَارِيِّ وَإِمَامَ عَصْرِهِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى كَانَ مِنْ عُلَمَاءِ السُّنَّةِ وَالحَدِيثِ، مَاتَ سَنَةَ مِائَتَيْنِ وَثَمَانٍ وَخَمْسِينَ مِنَ الهِجْرَةِ النَّبَوِيَّةِ.

(وَبَعْدَهُ إِمَامُ بُخَارَى الَّذِي فَضْلُهُ غَمَرَ): الإِمَامُ البُخَارِيُّ: مَشْهُورٌ وَكِتَابِهِ «الصَّحِيحُ» أَصْبَحَ شَامَةً مُشْرِقَةً غُرَّةً لِأَهْلِ الإِسْلَامِ، حَتَّى عُدَّ أَنَّهُ الكِتَابُ الأَوَّلُ فِي الإِسْلَامِ بَعْدَ القُرْآنِ الكَرِيمِ. ذَكَرَهُ فِي «التَّقْرِيبِ» بِوَصْفٍ جَمِيلٍ فَقَالَ: جَبَلُ الحِفْظِ وَإِمَامُ الدُّنْيَا. مَاتَ سَنَةَ مِائَتَيْنِ وَستٍّ وَخَمْسِينَ مِنَ الهِجْرَةِ النَّبَوِيَّةِ. وَيُلَقَّبُ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فِي الحَدِيثِ، وَهَذَا اللَّقَبُ أُطْلِقَ عَلَى غَيْرِهِ، فَأُطْلِقَ هَذَا اللَّقَبُ عَلَى الإِمَامِ أَحْمَدَ، وَعَلَى ابْنِ مَعِينٍ، وَعَلَى الثَّوْرِيِّ.

وَ ذَكَرَ أَحْمَدُ شَاكِرٍ[٤٦٩] فِي تَعْلِيقِهِ عَلَى كِتَابِ «عُلُومِ الحَدِيثِ» لِابْنِ كَثِيرٍ: أَنَّ لِلْمُحَدِّثِينَ أَلْقَابًا يُطْلِقُونَهَا عَلَى الْمُحَدِّثِينَ، أَرْفَعُهَا وَأَشْهَرُهَا: أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فِي الحَدِيثِ، وَلَا يُطْلَقُ إِلَّا عَلَى النَّابِغِينَ، وَمِنْهُمُ البُخَارِيُّ.

---

(٤٦٧) هو: عبد الله بن وهب بن مسلم القرشي الفهري، أبو محمد المصري الفقيه، مولى يزيد بن زمانة مولى يزيد بن أنيس أبي عبد الرحمن الفهري. قال ابن حجر في التقريب: ثقة حافظ عابد. ولد سنة خمس وعشرين ومئة، وتوفي سنة سبع وتسعين ومئة. انظر: تهذيب الكمال (١٦/ ٢٧٧ ترجمة ٣٦٤٥)، وسير أعلام النبلاء (٩/ ٢٢٣ ترجمة ٦٣).

(٤٦٨) هو: محمد بن يحيى بن عبد الله بن خالد بن فارس بن ذؤيب، الإمام العلامة الحافظ البارع، شيخ الإسلام، وعالم أهل المشرق، وإمام أهل الحديث بخراسان، أبو عبد الله الذهلي مولاهم، النيسابوري. مولده سنة بضع وسبعين ومئة. كتب العالي والنازل. وكان بحرا لا تكدره الدلاء. جمع علم الزهري، وصنفه، وجوده؛ من أجل ذلك يقال له: الزهري، ويقال له: الذهلي. وانتهت إليه رئاسة العلم والعظمة، والسؤدد ببلدة. كانت له جلالة عجيبة بنيسابور، من نوع جلالة الإمام أحمد ببغداد، ومالك بالمدينة. وروى عنه الخلائق. مات في سنة ثمان وخمسين ومئتين. قال ابن حجر في التقريب: ثقة حافظ جليل. انظر: تهذيب الكمال (٢٦/ ٦١٧ ترجمة ٥٦٨٦)، وسير أعلام النبلاء (١٢/ ٢٧٣ ترجمة ١٠٤).

(٤٦٩) هو: أحمد بن محمد شاكر بن أحمد بن عبد القادر. من آل أبي علياء، ونسبه ينتهي إلى الحسين بن علي بن أبي طالب. لقّبَه والده «شمس الأئمة أبا الأشبال». ولد في القاهرة بعد فجر الجمعة، في التاسع والعشرين من شهر جمادى الآخر، سنة تسع وثلاث مئة وألف الموافق سنة اثنتين وتسعين وثمان مئة وألف ميلادية. تلقى تعليمه الأول في السوادن، حيث كان يعمل والده قاضيا. التحق بمعهد الإسكندرية طالبا.

(وَمِثْلُ ابْنِ إِدْرِيسَ وَمَنْ دَانَ دِينَهُ *** أَبُو زُرْعَةَ الرَّازِيُّ فِي حِفْظِهِ نَدَرْ)

مُحَمَّدُ بْنُ إِدْرِيسَ الأَوَّلُ هُوَ الشَّافِعِيُّ، وَهَذَا الرَّازِيُّ الإِمَامُ فِي الحَدِيثِ وَالسُّنَّةِ وَالعِلَلِ، الحَافِظُ النَّاقِدُ لَشُّيُوخُ المُحَدِّثِينَ وَبُحُورِ العِلْمِ. (وَمَنْ دَانَ دِينِهِ أَبُو زُرْعَةَ الرَّازِيُّ) كِلَاهُمَا مِنَ الرَّيِّ، وَأَبُو زُرْعَةَ اسْمُهُ عُبَيْدُ اللهِّ بْنُ عَبْدِ الكَرِيمِ الرَّازِيُّ، وَهُوَ مِنْ أَئِمَّةِ المُحَدِّثِينَ، وَقَدْ تَقَدَّمَ أَنَّهُ ذَاكِرَ الإِمَامَ أَحْمَدَ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى، وَكَانَ بَعْضُ أَهْلِ العِلْمِ كَابْنِ أَبِي شَيْبَةَ[٤٧٠] وَالصَّاغَانِيُّ[٤٧١] يُشَبِّهُونَ أَبَا زُرْعَةَ بِالإِمَامِ أَحْمَدَ فِي حِفْظِهِ وَسَرْدِهِ الأَحَادِيثَ.

(فِي حِفْظِهِ نَدَرْ) فَكَانَ مِنْ أَنْدَرِ الحُفَّاظِ، فالحُفَاظُ كَثِيرُونَ، لَكِنْ يَتَمَايَزُونَ فِي قُوَّةِ الحَافِظَةِ، فَبَعْضُ النَّاسِ إِذَا حَفِظَ قَلَّمَا يَنْسَى. سُمِعَتُ فَائِدَةً لِلْشَّيْخِ ابْنِ جِبْرِينَ عَلَيْهِ رَحْمَةُ اللهِّ تَعَالَى يَقُولُ: النَاسُ فِي الحِفْظِ وَالنِّسْيَانِ عَلَى أَقْسَامٍ أَرْبَعَةٍ: فَمِنْهُمْ مَنْ يَحْفَظُ بِسُرْعَةٍ وَيَنْسَى بِسُرْعَةٍ، فَهَذِهِ بِهَذِهِ. وَمِنْهُمْ مَنْ حِفْظُهُ بَطِيءٌ وَنِسْيَانُهُ بَطِيءٌ، فَهَذِهِ بِهَذِهِ. وَمِنْهُمْ مَنْ حِفْظُهُ سَرِيعٌ وَنِسْيَانُهُ بَطِيءٌ، وَهَذَا أَحْسَنُهُمْ. وَمِنْهُمْ مَنْ حِفْظُهُ بَطِيءٌ وَنِسْيَانُهُ سَرِيعٌ، وَهَذَا أَدْنَاهُمْ.

ظهرت عليه علامات النباهة والنبوغ منذ صباه، وأحب الشعر وكتب الأدب. توجه إلى دراسة علم الحديث، ودراية فنونه بهمة عالية، وهو دون العشرين من عمره.حصل على العالمية من الأزهر سنة سبع عشرة وتسع مئة وألف، ثم عين موظفا قضائيا، ثم قاضيا، وعضوا في المحكمة العليا. أحيى الكثير من كتب السنة؛ كمسند الإمام أحمد، والمحلى لابن حزم، وتفسير الطبري. توفي صبيحة يوم السبت السادس والعشرين من ذي القعدة سنة سبع وسبعين وثلاث مئة وألف الموافق سنة ثمان وخمسين وتسع مئة وألف. انظر: مقدمة أخيه على تفسير الطبري (١٣/ ٤) ط: دار المعارف – مصر، والباعث الحثيث (ص: ٢٧) ط: مكتبة المعارف – مصر.

(٤٧٠) هو: عبد الله بن محمد أبو بكر العبسي، الكوفي، الإمام، العلم، سيد الحفاظ، وصاحب الكتب الكبار، وهو من أقران: أحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه، وعلي بن المديني في السن والمولد والحفظ، ويحيى بن معين أسن منهم بسنوات. طلب أبو بكر العلم وهو صبي، وأكبر شيخ له هو شريك بن عبد الله القاضي. قال أبو زرعة: ما رأيت أحفظ منه. قال ابن حجر في التقريب: ثقة حافظ صاحب تصانيف. ولد سنة خمس وستين ومئة، وتوفي سنة خمس وثلاثين ومئتين. من مؤلفاته: «الإيمان»، و«المصنف». انظر: تهذيب الكمال (١٦/ ٣٤ ترجمة ٣٥٢٦)، وسير أعلام النبلاء (١١/ ١٢٢ ترجمة ٤٤).

(٤٧١) هو: الإمام الحافظ المجود الحجة، أبو بكر، محمد بن إسحاق بن جعفر. وقيل: اسم جده محمد الصاغاني، ثم البغدادي. ولد في حدود الثمانين ومئة. وكان ذا معرفة واسعة، ورحلة شاسعة. قال أبو بكر الخطيب: كان الصغاني أحد الأثبات المتقنين، مع صلابة في الدين، واشتهار بالسنة، واتساع في الرواية. قال أحمد بن كامل: توفي في سابع صفر سنة سبعين ومئتين. قال ابن حجر في التقريب: ثقة ثبت. انظر: تهذيب الكمال (٢٤/ ٣٩٦ ترجمة ٥٠٥٣)، وسير أعلام النبلاء (١٢/ ٥٩٢ ترجمة ٢٢٤).

مِنْ عَجَائِبِ الحِفْظِ قَرَأْتُ أَنَّ ابْنَ سِيرِينَ كَانَ يَطُوفُ بِالكَعْبَةِ فَكَانَ فِي الحَرَمِ فَيَقُولُ: فَلَقِيتُ أَعْرَابِيًا فِي الحَرَمِ، فَقُلْتُ: يَا أَعْرَابِيُّ، مَا أَفْضَلُ طَعَامِكُمْ؟ قَالَ: اللَّحْمُ. ثُمَّ دَفَعَهُ النَّاسُ عَنِّي، فَلَمَّا قَدِمَ فِي العَامِ القَابِلِ فَإِذَا بِهِ، فَقُلْتُ؟ مَعَ مَاذَا؟! مَعَ اللَّبَنِ!

وَبِكُلِّ حَالٍ، فَفِي الحِفْظِ نَوَادِرُ، وَالَّذِي يَقْرَأُ فِي كِتَابِ «تَذْكِرَةِ الحُفَّاظِ» وَفِي تَرَاجِمِ الحُفَّاظِ يَرَى العَجَبُ، يُقَالُ: إِنَّ أَحَدَ الأَئِمَّةِ -رُبَّمَا ابْنُ أَبِي ذِئْبٍ[٤٧٢] أَوْ وَاحِدٌ آخَرُ- كَانَ يَسْرُدُ الأَحَادِيثَ سَرْدًا، فَقَامَ أَحَدُ الحَاضِرِيْنِ وَرَفَعَ ثَوْبَ هَذَا الحَافِظِ، وَنَظَرَ إِلَى سَاقَيْهِ! فَاسْتَقْبَحَ النَاسُ ذَلِكَ، فَهَذَا الإِمَامُ يَتَكَلَّمُ، وَتَأْتِي أَنْتَ فَتَكْشِفُ عَنْ سَاقَيْهِ! قَالَ: نَعَمْ، كُنْتُ أَتَأَكَّدُ أَهُوَ إِنْسِيٌّ أَمْ جِنِّيٌّ؟! فَكَانَ يَتَعَجَّبُ مِنْ هَذَا الحِفْظِ السَّرِيعِ.

(وَمِثْلُ أَبِي دَاوُدَ وَابْنِ خُزَيْمَةَ[٤٧٣] * وَيَحْيَى بْنِ يَحْيَى[٤٧٤] وَالحُمَيْدِيِّ[٤٧٥] قَدْ وَزَرْ)**

أَبُو دَاوُدَ: صَاحِبُ السُّنَنِ، سُلَيْمَانُ بْنُ أَشْعَثَ السِّجِسْتَانِيُّ مِنْ أَئِمَّةِ العِلْمِ وَالسُّنَّةِ، وَكِتَابُهُ «السُّنَنُ» مِنْ أَشْهَرِ كُتُبِ السُّنَنِ الأَرْبَعَةِ، وَيُقَدَّمُ عَلَيْهَا عِنْدَ جَمْعٍ مِنْ أَهْلِ العِلْمِ، وَقَدْ جَمَعَ فِيهِ أَحَادِيثَ كَثِيرَةً، وَعَرَضُهَا عَلَى أَئِمَّةِ السُّنَّةِ، وَكَانَ

---

(٤٧٢) هو: محمد بن عبد الرحمن بن المغيرة بن الحارث ابن أبي ذئب -واسم أبي ذئب: هشام بن شعبة- الإمام، شيخ الإسلام، أبو الحارث القرشي، العامري، المدني، الفقيه. ولد سنة ثمانين. كان من أوعية العلم، ثقة، فاضلا، قوالا بالحق، مهيبا. توفي سنة تسع وخمسين ومئة. قال ابن حجر في التقريب: ثقة فقيه فاضل. انظر: تهذيب الكمال (٢٥/ ٦٣٠ ترجمة ٥٤٠٨)، وسير أعلام النبلاء (٧/ ١٣٩ ترجمة ٥٠).

(٤٧٣) هو: الحافظ الحجة الفقيه، شيخ الإسلام، إمام الأئمة، محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر. أبو بكر السلمي النيسابوري الشافعي، صاحب التصانيف. ولد سنة ثلاث وعشرين ومئتين، وعني في حداثته بالحديث والفقه، حتى صار يضرب به المثل في سعة العلم والإتقان. توفي في ثاني ذي القعدة سنة إحدى عشرة وثلاث مئة، عن تسع وثمانين سنة. انظر: السير (١٤/ ٣٦٥ ترجمة ٢١٤)، وطبقات الشيرازي (ص: ١٠٥).

(٤٧٤) هو: عبد الله بن الزبير بن عيسى بن عبيد الله بن أسامة بن عبد الله بن حميد ابن زهير بن الحارث بن أسد بن عبد العزى. الإمام الحافظ الفقيه، شيخ الحرم، أبو بكر القرشي الأسدي الحميدي المكي، صاحب «المسند». قال أحمد بن حنبل: الحميدي عندنا إمام. كان يقول: جالست سفيان بن عيينة تسع عشرة سنة أو نحوها. قال ابن حجر في التقريب: ثقة حافظ فقيه، أجل أصحاب ابن عيينة. مات بمكة سنة تسع عشرة ومئتين. انظر: تهذيب الكمال (١٤/ ٥١٢ ترجمة ٣٢٧٠)، والسير (١٠/ ٦١٦ ترجمة ٢١٢).

(٤٧٥) هو: عبد الله بن الزبير بن عيسى بن عبيد الله بن أسامة بن عبد الله بن حميد ابن زهير بن الحارث بن أسد بن عبد العزى. الإمام الحافظ الفقيه، شيخ الحرم، أبو بكر القرشي الأسدي الحميدي المكي، صاحب «المسند». قال أحمد بن حنبل: الحميدي عندنا إمام. كان يقول: جالست سفيان بن عيينة تسع عشرة سنة أو نحوها. قال ابن حجر في التقريب: ثقة حافظ فقيه، أجل أصحاب ابن عيينة. مات بمكة سنة تسع عشرة ومئتين. انظر: تهذيب الكمال (١٤/ ٥١٢ ترجمة ٣٢٧٠)، والسير (١٠/ ٦١٦ ترجمة ٢١٢).

مِنْ أَشْيَاخِهِ الإِمَامُ أَحْمَدُ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى. بَلْ قَدْ رَوَى عَنْهُ الإِمَامُ أَحْمَدُ حَدِيثًا، وَكَانَ أَبُو دَاوُدَ يُفَاخِرُ بِهِ، وَحُقَّ لَـهُ أَنْ يُفَاخِرَ، وَهُوَ مَا يُسَمَّى بِرِوَايَةِ الأَكَابِرِ عَنِ الأَصَاغِرِ. مَاتَ أَبُو دَاوُدَ سَنَةَ مِائَتَيْنِ وَخَمْسٍ وَسَبْعِينَ لِلْهِجْرَةِ النَّبَوِيَّةِ.

(**وَابْنِ خُزَيْمَةَ**): الإِمَامُ المَشْهُورُ العَلَمُ صَاحِبُ «الصَّحِيحِ» وَ«التَّوْحِيدِ»، وَكَـانَ إِمَامًـا فِي العِلْـمِ وَالكَـرَمُ وَالجُـودِ وَالشِّدَّةِ عَلَى المُخَالِفِينَ مِنْ أَهْلِ البِدَعِ، وَلَهُ جَلَالَتُهُ فِي النُّفُوسِ. مَاتَ سَنَةَ ثَلَاثِمِائَةٍ وَإِحْدَى عَشْرَةَ مِنَ الهِجْرَةِ النَّبَوِيَّةِ.

(**وَيَحْيَى بْنُ يَحْيَى**) الحَافِظُ التَّمِيمِيُّ، يَقُولُ الإِمَامُ أَحْمَدُ: لَوْ كَانَتْ لِي نَفَقَةٌ لَرَحَلْتُ إِلَيْهِ. وَحَسْبُكَ بِهَذَا مِـنْ وَصْـفٍ. مَاتَ سَنَةَ مِائَتَيْنِ وَسِتٍّ وَعِشْرِينَ.

(**وَالحُمَيْدِيُّ**) أَبُو بَكْرٍ عَبْدُ اللهِ بْنُ الزُّبَيْرِ شَيْخُ البُخَارِيِّ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى، كَانَ الإِمَامُ البُخَارِيُّ إِذَا وَجَدَ الحَدِيثَ عِنْدَ الحُمَيْدِيِّ لَمْ يَعْزُهُ إِلَى غَيْرِهِ. وَتُلَاحِظُونَ أَنَّ أَوَّلَ رَجُلٍ ذَكَرَهُ البُخَـارِيُّ رَحِمَـهُ اللهُ فِي «صَـحِيحِهِ» هُـوَ الحُمَيْـدِيُّ، فِي حَدِيثِ: «**الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ**»[٤٧٦]. وَهَذَا الحَدِيثُ رَوَاهُ البُخَارِيُّ عَنْ غَيْرِ الشَّيْخِ، لَكِنْ أَوَّلَ شَيْخٍ فِي البُخَارِيِّ هُوَ أَبُـو بَكْرٍ عَبْدُ اللهِ بْنُ الزُّبَيْرِ الحُمَيْدِيُّ القُرَشِيُّ. قِيلَ بِأَنَّ البُخَارِيَّ قَدَّمَ رِوَايَتَهُ مِنْ بَابِ: قَدِّمُوا قُرَيْشًا وَلَا تَقَدَّمُوهَا. وَمَاتَ رَحِمَهُ اللهُ سَنَةَ مِائَتَيْنِ وَتِسْعَ عَشْرَةَ.

(**قَدْ وَزَرْ**) هَذِهِ كَلِمَةٌ مَطْمُوسَةٌ فِي المَخْطُوطِ، لَكِنَّ هَذَا أَقْرَبُ مَا لَهَا. وَالوَزَرُ مِنْ: وَزَرَ السُّلْمَةَ إِذَا سَدَّهَا، جَاءَ بِمَعْنَى الحِصْنِ وَالجَبَلِ. وَلَعَلَّ الوَزِيرَ سُمِّيَ بِالوَزِيرِ؛ لِأَنَّ السُّلْطَانَ يَتَقَوَّى بِهِ، فَيَسْتَعِينُ بِهِ وَيُعِينُهُ عَلَى أُمُورِهِ.

وَالنَّاظِمُ رَحِمَهُ اللهُ ذَكَرَ أَنَّ هُنَاكَ أَئِمَّةً، وَذَكَرَ أَنَّهُ يُوجَدُ كَثِيرُونَ غَيْرِ هَؤُلَاءِ، لَكِنْ تَرَكَهُمْ وَاكْتَفَـى بِالمَشَـاهِيرِ مُرَاعَـاةً لِلنَّظْمِ، وَإِلَّا فَإِحْصَاءُ الأَئِمَّةِ لَا يُحْصِيهِ دِيوَانٌ، وَاقْرَأْ فِي كِتَابِ اللَّالْكَائِيِّ «شَرَحِ اعْتِقَادِ أُصُولِ السُّنَّةِ»، وَفِي «العُلُوِّ» لِلذَّهَبِيِّ، تَجِدْ أَنَّ هُنَاكَ عَشَرَاتٍ بَلْ مِئَاتٌ مِنْ أَئِمَّةِ السُّنَّةِ لَهُمْ أَقْوَالٌ مَشْهُورَةٌ، وَلَهُمْ مَوَاقِفُ مَشْهُودَةٌ فِي نُصْرَةِ السُّنَّةِ، وَلَكِنَّهُ اكْتَفَى بِهَؤُلَاءِ، مِنْ بَابِ أَنَّهُمْ مِنَ السُّنَّةِ المُقَدَّمَيْنِ وَالمَشَاهِيرِ فِي هَذَا.

(فَمَنْ فَارَقَ الإِجْمَاعَ ثُمَّ اقْتَدَى بِمَنْ * تَقَدَّمَ ذِكْرُنَا لَهُمْ كَانَ قَدْ خَسَرْ)**

فَمَنْ فَارَقَ إِجْمَاعَ هَؤُلَاءِ وَكَلَامِهِمْ وَاقْتَدَى بِمَنْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ -مَعْبَدٍ وَالجَهْمِ وَالجَعْدِ وَابْـنِ كِـرَامٍ، وَمَـنْ كَـانَ عَـلَى شَاكِلَتِهِمْ- فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا فِي الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ، أَتَتْرُكُ أَئِمَّةَ الدِّيَانَةِ المُعَوَّلَ عِنْدَهُمْ عَلَى الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَمَـنْهَجِ

(٤٧٦) أخرجه البخاري في كتاب بدء الوحي- باب بدء الوحي (١)، ومسلم في كتاب الإمارة- باب قوله صلى الله عليه وسلم: إنما الأعمال بالنيات (١٩٠٧)، من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

سَلَفِ الأُمَّةِ وَتُذْهِبُ إِلَى غَيْرِهِمْ؟! أَتَسْتَبْدِلُ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ؟! لَا شَكَّ أَنَّ هَذَا مِنَ الخُسْرَانِ وَمِنَ الضَّلالِ وَمِنَ الانْحِرَافِ.

(فَأَسْأَلُ رَبِّي إِذْ هَدَانِي لِهَدْيِهِمْ * رِفَاقَتَهُمْ فِي الخُلْدِ مَعْ صَالِحِ الزُّمَرْ)**

يَسْأَلُ رَبَّهُ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى إِذْ هَدَاهُ لِهَدْيِهِمْ وَاعْتِقَادِ مَا اعْتَقَدُوهُ أَنَّ يُرَافِقَهُمْ **(فِي الخُلْدِ فِي صَالِحِ الزُّمَرْ)** أَيْ: الجَمَاعَاتِ مِنَ النَّاسِ، مُفْرَدُهَا: زُمْرَةٍ. وَهَذَا مِنْ حِرْصِهِ رَحِمَهُ اللهُ عَلَى الخَيْرِ.

فَهَؤُلَاءِ الأَئِمَّةُ الَّذِينَ ذُكِرَتْ أَسْمَاؤُهُمْ يَنْبَغِي أَنْ يُرَبِّيَ طَالِبُ العِلْمِ نَفْسَهُ عَلَى مَنْهَجِهِمْ، وَإِذَا ذُكِرُوا تَرَحَّمَ عَلَيْهِمْ، وَمَنْ وَاجِبِنَا تِجَاهَ أُولَئِكَ الأَبْرَارِ عَلَيْهِمْ رَحْمَةُ اللهِ الَّذِينَ أَنْفَقُوا أَوْقَاتَهُمْ فِي التَّدْوِينِ وَفِي الدِّفَاعِ وَفِي الاتِّبَاعِ وَفِي بَيَانِ الحَقِّ لَهُمْ وَلِلنَّاسِ مَنْ مَعَهُمْ وَمَنْ بَعْدَهُمْ، وَنَحْنُ مِمَّنْ يَجْنِي خَيْرَهُمْ وَيَنْهَبُ مِنْ مَعِينِهِمْ -أَنْ نَتَرَحَّمَ عَلَيْهِمْ، وَمِنْ وَاجِبِنَا تِجَاهَ أُولَئِكَ الأَئِمَّةِ أَنْ نَقْرَأَ سِيَرَهُمْ، وَأَنْ نُحَبِّبَهُمْ إِلَى النَّاسِ، وَأَنْ نُدَافِعَ عَنْهُمْ، وَأَنْ نُعَلِّمَ سِيَرَهُمْ أَبْنَاءَنَا؛ لأَنَّ تَعْلِيمَ الأَبْنَاءِ سِيَرَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ بَعْدَهُمْ يَغْرِسُ فِي قُلُوبِ الصِّغَارِ حُبَّ هَذَا الحَقِّ، وَحُبَّ أَهْلِ الحَقِّ. وَفِي المُقَابِلِ يَصْرِفُ عَنْهُمُ البِدَعَ وَأَهْلَ البِدَعِ. قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: كُنَّا نُعَلِّمُ أَبْنَاءَنَا حُبَّ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ.

فَأُوصِي الإِخْوَةَ جَمِيعًا بِقِرَاءَةِ سِيَرِ هَؤُلَاءِ، فَسِيَرُ العُلَمَاءِ فَضْلًا عَلَى أَنَّهَا تَشْحَذُ الهِمَمَ، تَزِيدُ الإِنْسَانَ ثَبَاتًا وَاتِّبَاعًا وَاسْتِغْلَالًا لِأَوْقَاتِهِ فِي تَحْصِيلِ مَا حَصَّلُوهُ.

سُؤَالٌ: فِي الأَبْيَاتِ الأَخِيرَةِ مَدَحَ النَّاظِمُ الأَئِمَّةَ، وَمِنْهُمُ الشَّافِعِيُّ وَأَحْمَدُ وَإِسْحَاقُ وَمَالِكٌ، مَعَ أَنَّ كُلَّهُمْ يَرَوْنَ القِيَاسَ.

الجَوَابُ: لَيْسَ هُنَاكَ تَعَارُضٌ، فَإِذَا قَالَ: يُوجَدُ قِيَاسٌ فِي الفُرُوعِ، فَهَذَا اجْتِهَادُهُ. وَالشَّافِعِيُّ يَقُولُ: لَا قِيَاسَ إِلَا مَعَ الضَّرُورَاتُ. وَوَفَّقَ اللهُ الجَمِيعَ.

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَى رَسُولِ اللهِ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَقَدْ ذَكَرْتُ مِنْ قَبْلُ أَنَّ بَعْضَهُمْ ذَكَرَ أَنَّ الإِمَامَ أَحْمَدَ كَانَ يَحْفَظُ سِتَّمِائَةِ أَلْفِ حَدِيثٍ، وَأَحَدُ الإِخْوَةِ ذَكَرَ أَنَّهُ قِيلَ: يَحْفَظُ أَلْفَ أَلْفَ حَدِيثٍ. وَأَذْكُرُ أَنَّ الشَّيْخَ ابْنَ قَاسِمٍ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى[٤٧٧] فِي مُقَدِّمَةِ كِتَابِ «الزُّهْدِ» لِلإِمَامِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ ذَكَرَ قَصِيدَةً لِلصَّرْصَرِيِّ[٤٧٨]، وَفِيهَا أَنَّهُ كَانَ يَحْفَظُ أَلْفَ أَلْفَ حَدِيثٍ.

وَهَذِهِ الأَعْدَادُ إِمَّا أَنْ يُعَدَّ بَعْضُهُمُ الْمُكَرَّرَ، وَيُعَدُّ الآثَارَ وَتَفَاسِيرَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ، مَا صَحَّ وَمَا ضَعُفَ، وَقَدْ يَقْصُرُهَا بَعْضُهُمْ عَلَى تَفَاسِيرِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ، دُونَ مَنْ بَعْدِهِمْ، وَقَدْ يَقْصُرُهَا بَعْضُهُمْ عَلَى مَا ثَبَتَ مِنْ صِحَّةٍ أَوْ حُسْنٍ دُونَ مَا لَمْ يَثْبُتْ.

وَجَاءَنِي -أَيْضًا- أَنَّ بَعْضَ الْمُحَدِّثِينَ يُضَعِّفُ حَدِيثَ: «**الْقَدَرِيَّةُ مَجُوسُ هَذِهِ الأُمَّةِ**»[٤٧٩]. وَأُحِبُّ التَّنْبِيهَ عَلَى أَنَّ طَالَبَ الْعِلْمِ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَنْقُلَ تَضْعِيفَ حَدِيثٍ، فَلْيَكُنْ عَلَى تَثَبُّتٍ فِيمَا يَنْقُلُ، قَدْ يَكُونُ مُصِيبًا فِي ذَاتِ النَّقْلِ، لَكِنْ قَدْ لَا يَكُونُ مُصِيبًا فِي ذَاتِ الْحُكْمِ، وَبِالْمِثَالِ يَتَّضِحُ الْمَقَالُ.

---

(٤٧٧) هو: الشيخ العالم العلامة العامل المحقق المدقق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، أبو عبد الله العاصمي، نسبة إلى عاصم، وهو جد القبيلة المشهورة بنجد من قبائل قحطان. فقيه حنبلي من أعيان نجد. ولد سنة تسع عشرة وثلاث مئة وألف بقرية «البير» من قرى المحمل قرب الرياض. وأولع في أوليته بالتاريخ والأنساب والجغرافية. جمع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، وسافر من أجل البحث عنها إلى بلاد كثيرة. وكان قد عمل في مطبعة الحكومة بمكة ثم تولى إدارة المكتبة السعودية في الرياض. واعتزل العمل في مزرعة له قرب العمارية. من مؤلفاته: «السيف المسلول على عابد الرسول»، وجمع «الدرر السنية في الأجوبة النجدية». توفي سنة ثنتي عشرة وثلاث مئة وألف متأثرا من حادث سيارة سابق وقع له -رحمه الله-. انظر: الأعلام للزركلي (٣/ ٣٣٦)، وللباحث عمار بن عبد الرحمن الجبرين مؤلف في ترجمة الشيخ.

(٤٧٨) هو: يحيى بن يوسف بن يحيى بن منصور بن المعمر بن عبد السلام. الشيخ الإمام العلامة البارع الفاضل في أنواع من العلوم، جمال الدين أبو زكريا الصرصري. الفاضل المادح الحنبلي الضرير البغدادي. ولد سن ثمان وثمانين وخمس مئة. معظم شعره في مدح رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وديوانه في ذلك مشهور معروف غير منكر. يقال: إنه كان يحفظ صحاح الجوهري بتمامه في اللغة. كان حسان وقته. قتله التتار سنة ست وخمسين وست مئة. انظر: تاريخ الإسلام (١٤/ ٨٥١ ترجمة ٣٤٢)، والذيل على طبقات الحنابلة (٤/ ٣٢ ترجمة ٤٠٢).

(٤٧٩) أخرجه أبو داود في كتاب السنة- باب في القدر (٤٦٩١)، وحسنه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٤٤٤٢).

لَوْ أَنَّ قَائِلًا ذَكَرَ حَدِيثًا فَقَالَ أَحَدُهُمْ: هَذَا حَدِيثٌ ضَعِيفٌ. فَهَذَا القَوْلُ: حَدِيثٌ ضَعِيفٌ. فِيهِ تَفْصِيلٌ، نَعَمْ نَقَلَ مِنْ كِتَابِ أَحَدِ الأَئِمَّةِ أَنَّهُ ضَعَّفَهُ كَالدَّارَقُطْنِيِّ أَوْ كَالمُتَأَخِرِينَ كَالشَّيْخِ الألبَانِيِّ أَوِ الشَّيْخِ ابْنِ بَازٍ[٤٨٠]. لَكِنِ الحَدِيثُ قَدْ يَكُونُ ثَابِتًا مِنْ طَرِيقٍ آخَرَ.

مَثَلًا أَذْكُرُ حَدِيثَ عُمَرَ: صَلَاةُ السَّفَرِ رَكْعَتَانِ وَصَلَاةُ الجُمُعَةِ رَكْعَتَانِ وَالفِطْرُ وَالأَضْحَى رَكْعَتَانِ تَمَامٌ غَيْرُ قَصْرٍ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّكُمْ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. أَوْ: تَمَامٌ غَيْرُ قَصْرٍ، عَلَى لِسَانِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[٤٨١]. هَذَا الحَدِيثُ فِيمَا أَذْكُرُ رَوَاهُ الإِمَامُ أَحْمَدُ وَالإِمَامُ ابْنُ مَاجَهْ، وَمِنْ طَرِيقِ الإِمَامِ أَحْمَدَ فِيهِ ضَعْفٌ؛ لِمَا يَرْوِيهِ عَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي لَيْلَى[٤٨٢] عَنْ عُمَرَ، وَابْنُ أَبِي لَيْلَى لَمْ يُدْرِكْ عُمَرَ، بَيْنَمَا جَاءَ عِنْدَ ابْنِ مَاجَهْ وَغَيْرِهِ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى[٤٨٣] عَنْ كَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ[٤٨٤] عَنْ عُمَرَ[٤٨٥]، فَزَالَ الِانْقِطَاعُ وَثَبَتَ الاتِّصَالُ.

---

(٤٨٠) هو: عبد العزيز عبد الله بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن باز. الشيخ العلامة الداعية الفقيه الزاهد. ولد في الثاني عشر من ذي الحجة سنة ثلاثين وثلاث مئة وألف بمدينة الرياض، وكان بصيرا ثم أصابه مرض الجدري المنتشر في تلك الفترة، وضعف بصره ثم فقده عام خمسين وثلاث مئة وألف. حفظ القرآن الكريم قبل سن البلوغ، ثم جد في طلب العلم على العلماء في الرياض، ولما برز في العلوم الشرعية واللغة؛ عُين في القضاء. وشغل الإفتاء إلى أن مات -رحمه الله- قبيل فجر الخميس في السابع والعشرين من المحرم سنة عشرين وأربع مئة وألف. من مؤلفاته: «الفوائد الجلية في المباحث الفرضية»، و«التحقيق والإيضاح لكثير من مسائل الحج والعمرة والزيارة»، وغيرها كثير. انظر: علماء ومفكرون عرفتهم لمحمد المجذوب (١/ ٧٧)، وله ترجمة موعبة في موقعه على الشبكة العنكبوتية.

(٤٨١) أخرجه أحمد في «مسنده» (١/ ٣٧)، والنسائي في كتاب الجمعة- باب عدد صلاة الجمعة (١٤٢٠)، وابن ماجه في كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها- باب تقصير الصلاة في السفر (١٠٦٣).

(٤٨٢) هو: عبد الله بن عيسى بن عبد الرحمن بن أبي ليلى الأنصاري أبو محمد الكوفي. قال ابن حجر في التقريب: ثقة فيه تشيع. توفي سنة ثلاثين ومئة. انظر: ثقات ابن حبان (٧/ ٣٢ ترجمة ٨٨٧٤)، وتهذيب الكمال (١٥/ ٤١٢ ترجمة ٣٤٧٣).

(٤٨٣) هو: عبد الرحمن بن أبي ليلى، أبو عيسى الأنصاري، الكوفي، الإمام، العلامة، الفقيه. ويقال: أبو محمد، من أبناء الأنصار. ولد في خلافة الصديق، أو قبل ذلك. وقيل: بل ولد في وسط خلافة عمر، ورآه يتوضأ، ويمسح على الخفين. وقيل: إنه قرأ القرآن على علي. قال ابن حجر في التقريب: ثقة، اختلف في سماعه من عمر. قُتل بوقعة الجماجم سنة اثنتين وثمانين. انظر: تهذيب الكمال (١٧/ ٣٧٢ ترجمة ٣٩٤٣)، وسير أعلام النبلاء (٤/ ٢٦٢ ترجمة ٩٦).

(٤٨٤) هو: الصحابي كعب بن عجرة الأنصاري، أبو محمد، وقيل: أبو عبد الله، وقيل: أبو إسحاق، المدني، صحابي، من أصحاب الشجرة. نزل الكوفة، ومات بالمدينة سنة ثلاث -أو إحدى- وخمسين. وقيل: سنة اثنتين وخمسين. وهو ابن خمس -أو سبع- وسبعين سنة. انظر: الاستيعاب (ص: ٦٢٦ ترجمة ٢١٧٣)، والإصابة (٥/ ٥٩٩ ترجمة ٧٤٢٤).

(٤٨٥) أخرجه ابن ماجه في كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها- باب تقصير الصلاة في السفر (١٠٦٤).

فَإِذَا نَقَلَ أَحَدُكُمْ تَضْعِيفَ حَدِيثٍ فَلْيَكُنْ فِي لُغَتِهِ العِلْمُ وَطَالِبُ العِلْمِ. فَيَقُولُ: هَذَا الحَدِيثُ ضَعَّفَهُ بَعْضُ أَهْلِ العِلْمِ. نَقُولُ: لَا مَانِعَ مِن ذَلِكَ، لَكِنْ يَجْزِمُ بِأَنَّهُ لَمْ يَصِحَّ مِنْ أَيِّ طَرِيقٍ، فَقَدْ يَكُونُ فِي هَذَا نَوْعٌ مِن التَّعْدِيَةِ.

وَأَذْكُرُ فِي حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ -فِيمَا أَذْكُرُ- فِي التَّشَهُّدِ الأَوْسَطِ وَمَتَى يَنْتَهِي، جَاءَ فِي المُسْنَدِ نَفْسِهِ أَوْ فِي نَفْسِ المُسْنَدِ -مَا الأَصَحُّ: أَنْ يُقَالَ: فِي المُسْنَدِ نَفْسِهِ أَمْ فِي نَفْسِ المُسْنَدِ؟ يَجُوزُ الأَمْرَانِ. فَيَجُوزُ هَذَا وَيَجُوزُ هَذَا. وَفِي كِتَابِ سِيبَوَيْهِ: رَأَيْتُ الجَبَلَ نَفْسِهِ، وَرَأَيْتُ نَفْسَ الجَبَلِ- فَفِي المُسْنَدِ فِي رِوَايَةِ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّ الحَدِيثَ فِيهِ عَنْعَنَةُ ابْنِ إِسْحَاقَ[٤٨٦]، وَفِي المُسْنَدِ نَفْسِهِ فِيهِ أَنَّهُ صَرَّحَ بِالاتِّصَالِ، فَأَنَا أَقْصِدُ أَنَّ طَالَبَ العِلْمِ إِذَا نَقَلَ نَقْلًا يَنْبَغِي أَنْ يَعْرِفَ فِي لُغَتِهِ وَفِي نَقْلِهِ الأُسْلُوبَ العِلْمِيَّ.

قَالَ المُصَنِّفُ عَلَيْهِ رَحْمَةُ اللهِ تَعَالَى:

(وَأُثْبِتُ مِنْ بَعْدِ الرَّسُولِ خَلِيفَةً * إِمَامًا بِهِ الإِسْلَامُ مِنْ بَعْدِهِ افْتَخَرْ**

أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ أَوْلَاهُمُ بِهَا * وَمِنْ بَعْدِهِ الفَارُوقُ أَعْنِي بِهِ عُمَرْ)**

شَرَعَ النَّاظِمُ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى فِي بَيَانِ أَمْرِ الخِلَافَةِ، فَقَالَ: (**وَأُثْبِتُ**)، وَلَاحِظْ تَعْبِيرَاتِهِ العَقَدِيَّةَ، فَكُلُّهَا مَبْنِيَّةٌ عَلَى الجَزْمِ وَاليَقِينِ لَا الشَّكِّ وَالرِّيبَةِ وَالظَّنِّ، بَلِ القَوْلُ القَطْعِيُّ، فَأُثْبِتُ وَأَجْزِمُ وَلَا أَتَرَدَّدُ، ثُبُوتًا رَاسِخًا.

(**مِنْ بَعْدِ الرَّسُولِ خَلِيفَةً**)، مِنَ بَعْدَ مَوْتِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، أُثْبِتُ الخِلَافَةَ الشَّرْعِيَّةَ، خِلَافًا لِمَنْ زَعَمَ أَنَّهَا خِلَافَةٌ بِدْعِيَّةٌ أَوْ مَطْعُونٌ فِيهَا كَشُرَّازِمِ الرَّفْضِ وَمَنْ حَذَا حَذْوَهُمْ، (**خَلِيفَةً إِمَامًا**) مِنْ بَابِ التَّأْكِيدِ.

(**بِهِ الإِسْلَامُ مِنْ بَعْدِهِ افْتَخَرْ**). هَذَا الإِمَامُ وَالخَلِيفَةُ هُوَ الرَّجُلُ الأَوَّلُ بَعْدَ الأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ، فَهُوَ أَفْضَلُ البَشَرِ بَعْدَ الأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ؛ لِأَنَّ نَبِيَّنَا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَفْضَلُ الأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ، وَأَصْحَابُهُ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمْ أَفْضَلُ أَصْحَابِ الأَنْبِيَاءِ، وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَيَكُونُ الصِّدِّيقُ أَفْضَلُ النَّاسِ بَعْدَ الأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ؛ لِأَنَّهُ أَفْضَلُ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمْ جَمِيعًا.

---

(٤٨٦) هو: الإمام محمد بن إسحاق بن يسار بن خيار، ويقال: ابن كوثان، المدني، أبو بكر، ويقال: أبو عبد الله القرشي المطلبي. مولى قيس بن مخرمة بن المطلب بن عبد مناف، وكان جده يسار من سبي عين التمر، قال علي بن المديني: مدار حديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- على ستة، فذكرهم، ثم قال: فصار علم الستة عند اثني عشر؛ أحدهم محمد بن إسحاق، وكان أولَ من جمع مغازي رسول الله -صلى الله عليه وسلم-. مات سنة خمسين مئة، وقيل: سنة إحدى، وقيل: اثنتين، وقيل: ثلاث وخمسين. قال ابن حجر في التقريب: صدوق، يدلس، ورُمي بالتشيع والقدر. انظر: تهذيب الكمال (٢٤/ ٤٠٥ ترجمة ٥٠٥٧)، وسير أعلام النبلاء (٧/ ٣٣ ترجمة ١٥).

(**أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ**)، فَنَصَّ عَلَى تَسْمِيَتِهِ وَهُوَ مَعْرُوفٌ بَدِيهَةً، لَكِنْ كُلُّ مَا جَاءَتِ الإِيضَاحَاتُ فَإِنَّهَا تَقْطَعُ دَابِرَ الشُّبُهَاتِ وَالشَّهَوَاتِ، يَقُولُ بَعْضُ المَارِقِينَ وَمَنْ حَذَا حَذْوَهُمْ أَنَّ الخِلَافَةَ لَيْسَتْ لِأَبِي بَكْرٍ -وَلَا يَقُولُونَ: لِلصِّدِّيقِ- وَلَا لِعُمَرَ وَلَا لِعُثْمَانَ، بَلْ هِيَ لَعَلِيٍّ! وَلَوْ أَنَّ عَلِيًّا خَرَجَ مِنْ قَبْرِهِ لَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ، بَلْ لَقَدْ تَبَرَّأَ مِنْهُمْ فِي حَيَاتِهِ، بِمَا صَحَّ مِنْ قَوْلِهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: مَنْ فَضَّلَنِي عَلَى أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ جَلَدْتُهُ حَدَّ المُفْتَرِينَ. وَلَمَّا غُسِّلَ الصِّدِّيقُ وَسُجِّيَ قَالَ عَلِيٌّ: وَاللهِ مَا أُحِبُّ أَنْ أَلْقَى اللهَ بِعَمَلٍ إِلَّا بِمِثْلِ عَمَلِ هَذَا الرَّجُلِ. يَقْصِدُ الصِّدِّيقَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(**أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ أَوْلَاهُمُ بِهَا**) لَاحِظِ العِبَارَاتِ فِي مَقَامَاتِ التَّأْكِيدِ وَالتَّقْرِيرِ وَالرَّدِّ، وَأَهْلُ السُّنَّةِ مِنَ العُلَمَاءِ عَلَيْهِمْ رَحْمَةُ اللهِ إِذَا ذَكَرُوا المَسَائِلَ العَقَدِيَّةَ -وَبِخَاصَّةٍ المُخَالَفَ فِيهَا، أَوِ الَّتِي فِيهَا شَغَبٌ مِنْ أَهْلِ الشُّبُهَاتِ- تُلَاحِظْ أَنَّ فِي عِبَارَاتِهِمْ قُوَّةً، وَكُلُّ حَرْفٍ أَوْ كُلُّ جُمْلَةٍ أَوْ كُلُّ كَلِمَةٍ تَتَضَمَّنُ طَرْدًا لِأَقْوَالِ المُخَالِفِينَ، وَثُبُوتًا وَتَرْسِيخًا لِأَقْوَالِ الصَّادِقِينَ.

فَقَوْلُهُ: (**أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ أَوْلَاهُمُ بِهَا**)، أَوْلَاهُمْ بِالخِلَافَةِ بِنَصِّ القُرْآنِ وَالسُّنَّةِ وَالإِجْمَاعِ؛ فَالقُرْآنُ الكَرِيمُ ذَكَرَ الصِّدِّيقَ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ، تَارَةً بِالنَّصِّ عَلَى شَخْصِهِ، وَتَارَةً بِالنَّصِّ عَلَى وَصْفِهِ؛ فَبِالنَّصِّ عَلَى شَخْصِهِ فِي: ﴿**إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ**﴾[٤٨٧]. العَجِيبُ أَنَّ هَذِهِ الآيَةَ هِيَ الآيَةُ الوَحِيدَةُ الَّتِي نَصَّتْ عَلَى صُحْبَةِ أَحَدِ الصَّحَابَةِ، وَهَذَا أَقْوَى رَدٍّ عَلَى هَؤُلَاءِ المُشَاغِبِينَ فِي شَأْنِ الصَّحَابَةِ، فَمَنْ أَنْكَرَ صُحْبَةَ الصِّدِّيقِ فَهُوَ كَافِرٌ؛ لِأَنَّهُ كَذَّبَ القُرْآنَ، لَكِنْ أَهْلُ الرَّفْضِ يَقُولُونَ: إِنَّمَا يَقُولُ لِصَاحِبِهِ: ﴿**لَا تَحْزَنْ**﴾؛ لِأَنَّهُ شَكَّ وَتَرَدَّدَ فِي الإِيمَانِ، فَثَبَّتَهُ فَقَالَ لَهُ: ﴿**لَا تَحْزَنْ**﴾! وَهَذَا مِمَّا يَضْحَكُ مِنْهُ السُّفَهَاءُ فَضْلًا عَنِ العُقَلَاءِ!

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿**فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى**﴾[٤٨٨]. قَالُوا: هُوَ الصِّدِّيقُ. وَقَوْلُهُ: ﴿**وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ**﴾[٤٨٩]. قَالُوا: الَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ هُوَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَالَّذِي صَدَّقَ بِهِ هُوَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ.

وَأَمَّا السُّنَّةُ فَالأَحَادِيثُ فِي فَضْلِهِ وَتَقَدُّمِهِ فَكَثِيرَةٌ، مِنْهَا: «**إِنَّ أَمَنَّ النَّاسِ عَلَيَّ فِي مَالِهِ وَصُحْبَتِهِ أَبُو بَكْرٍ**»[٤٩٠]. وَلَمَّا سَأَلَ عَمْرُو بْنُ العَاصِ[٤٩١] قَالَ: «يَا رَسُولَ اللهِ، مَنْ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيْكَ؟ قَالَ: «**عَائِشَةُ**». قَالَ: وَمِنَ الرِّجَالِ؟ قَالَ:

(٤٨٧) سورة التوبة: ٤٠.

(٤٨٨) سورة الليل: ٥.

(٤٨٩) سورة الزمر: ٣٣.

«**أَبُوهَا**»[٤٩٢]. وَلَمَّا آذَوْا الصِّدِّيقَ فِي مَسْأَلَةٍ، قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**هَلْ أَنْتُمْ تَارِكُو لِي صَاحِبِي، قُلْتُمْ: كَذَبْتَ. وَقَالَ الصِّدِّيقُ: صَدَقْتَ**»[٤٩٣]. وَفِي قَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ**». فَلَمَّا أَرَادُوا تَقْدِيمَ عُمَرَ قَالَ: «**يَأْبَى اللهُ وَالْمُؤْمِنُونَ، مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ**». وَخَرَجَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَالصِّدِّيقُ يُصَلِّي بِالنَّاسِ، فَجَلَسَ بِجَانِبِهِ، فَأَصْبَحَ الصِّدِّيقُ يَأْتَمُّ بِالنَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَالنَّاسُ يَأْتَمُّونَ بِتَكْبِيرَاتِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ[٤٩٤].

وَلَمَّا جَاءَتِ امْرَأَةٌ إِلَى النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِذَا أَتَيْتُكَ فِي العَامِ القَابِلِ وَلَمْ أَجِدْكَ. قَالَ: «**ائْتِ أَبَا بَكْرٍ**»[٤٩٥]. وَكَانَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ دَائِمًا يَقُولُ: «**جِئْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ**»[٤٩٦]. وَقَالَ: «**اقْتَدُوا بِاللَّذَيْنِ مِنْ بَعْدِي: أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ**». **وَقَالَ: «إِنْ يُطِعِ القَوْمُ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ يَرْشُدُوا**»[٤٩٧].

---

(٤٩٠) أخرجه البخاري في كتاب الصلاة- باب الخوخة والسمر في المسجد (٤٦٦)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة - باب فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه (٢٣٨٢)، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٤٩١) هو: الصحابي الجليل عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد -بالتصغير- ابن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي القرشي السهمي. أمير مصر. يكنى أبا عبد الله، وأبا محمد. أمه النابغة من بني عنزة -بفتح المهملة والنون-. داهية قريش ورجل العالم، ومن يضرب به المثل في الفطنة، والدهاء، والحزم. هاجر إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- مسلما في أوائل سنة ثمان، مرافقا لخالد بن الوليد، وحاجب الكعبة عثمان بن طلحة، ففرح النبي -صلى الله عليه وسلم- بقدومهم وإسلامهم، وأمَّر عمرا على بعض الجيش، وجهزه للغزو. مات سنة ثلاث وأربعين على الصحيح، وعاش نحو تسعين، وقيل: تسع تسعين سنة. انظر: الاستيعاب (ص: ٤٩٦ ترجمة ١٧٦٧)، والإصابة (٤/ ٦٥٠ ترجمة ٥٨٨٦).

(٤٩٢) أخرجه البخاري في كتاب المغازي- باب غزوة ذات السلاسل وهي عزوة لخم وجذام (٤٣٥٨)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة- باب من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه (٢٣٨٤)، من حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه.

(٤٩٣) أخرجه البخاري في كتاب المناقب- باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: «لو كنت متخذًا خليلًا» (٣٦٦١)، من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه.

(٤٩٤) أخرجه البخاري في كتاب الأذان- باب إنما جعل الإمام ليؤتم به (٦٨٧)، ومسلم في كتاب الصلاة- باب استخلاف الإمام إذا عرض له عذر من مرض وسفر (٤١٨)، من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٤٩٥) أخرجه البخاري في كتاب المناقب- باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: «لو كنت متخذًا خليلًا» (٣٦٥٩)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة- باب من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه (٢٣٨٦)، من حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه.

(٤٩٦) أخرجه البخاري في كتاب المناقب- باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: «لو كنت متخذًا خليلًا» (٢٦٧٧)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة- باب من فضائل عمر رضي الله عنه (٢٣٨٩)، من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

وَكَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَدْرَى النَّاسِ وَأَفْهَمُهُمْ بِخِطَابِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؛ وَمِنْ شَوَاهِدِ ذَلِكَ: مَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ[٤٩٨] قَالَ: خَطَبَنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي آخِرِ قِيَامِهِ وَعَلَيْهِ مِلْحَفَةٌ صَفْرَاءُ، فَقَالَ: «**إِنَّ اللهَ خَيَّرَ عَبْدًا بَيْنَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، فَاخْتَارَ مَا عِنْدَ اللهِ**». يَقُولُ أَبُو سَعِيدٍ: فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ، وَكَانَ أَبُو سَعِيدٍ شَابًّا، فَقَالَ: مَا لِلشَّيْخِ يَبْكِي؟! إِنِ كَانَ اللهُ خَيَّرَ عَبْدًا بَيْنَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ فَاخْتَارَ مَا عِنْدَ اللهِ[٤٩٩]. فَقَالَ أَبُو سَعِيدٍ -لَمَّا بَدَا لَهُ الأَمْرُ: فَكَانَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ هُوَ الْمُخَيَّرُ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ أَعْلَمَنَا بِهِ. وَأَيْضًا يَقُولُ شَيْخُ الإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ يُفْتِي بِمَحْضَرِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَّا الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ.

وَأَمَّا ثُبُوتُ خِلَافَتِهِ عِنْدَ الصَّحَابَةِ فَلَا إِشْكَالَ فِي ذَلِكَ، فَكُلُّهُمْ يَعْرِفُ مَنْزِلَتَهُ وَتَقَدُّمَهُ، وَلَعَلَّكُمْ قَرَأْتُمْ مَا حَصَلَ فِي سَقِيفَةِ بَنِي سَاعِدَةَ بَعْدَ مَوْتِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَهُوَ حَدِيثٌ جَلِيلٌ عَظِيمٌ ذَكَرَهُ الْبُخَارِيُّ فِي كِتَابِ الْحُدُودِ، بَابُ رَجْمِ الْحُبْلَى بَعْدَ الزِّنَا، أَوْ قَرِيبٌ مِنْ هَذَا التَّبْوِيبِ. وَذَلِكَ لَمَّا اخْتَلَفَ بَعْضُ الأَنْصَارِ وَبَعْضُ الْمُهَاجِرِةِ، فَقَالَ عُمَرُ: فَزَوَّرْتُ فِي نَفْسِي مَقَالَةً. يَعْنِي: هَيَّأْتُ مَقَالَةً أُرِيدُ أَنْ أَطْرَحَهَا بَيْنَ يَدَيْ أَبِي بَكْرٍ، فَأَوْمَأَ الصِّدِّيقُ فَجَلَسْتُ. فَقَامَ الصِّدِّيقُ وَتَكَلَّمَ ثُمَّ قَالَ: قَدْ رَضِيتُ لَكُمْ أَحَدَ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ. فَأَخَذَ بِيَدِ عُمَرَ، وَبِيَدِ أَبِي عُبَيْدَةَ[٥٠٠]،

---

(٤٩٧) أخرجه الترمذي في كتاب المناقب- باب مناقب أبي بكر وعمر رضي الله عنهما (٣٦٦٢)، وابن ماجه في كتاب المقدمة- باب فضل أبي بكر الصديق رضي الله عنه (٩٧)، من حديث حذيفة رضي الله عنه، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١١٤٢).

(٤٩٨) هو: الصحابي سعد بن مالك بن سنان بن ثعلبة بن عبيد بن الأبجر بن عوف بن الحارث بن الخزرج، أبو سعيد الخدري، الإمام المجاهد، مفتي المدينة. واسم الأبجر: خدرة، وقيل: بل خدرة هي أم الأبجر. استشهد أبوه مالك يوم أحد، وشهد أبو سعيد الخندق، وبيعة الرضوان. وحدث عن النبي -صلى الله عليه وسلم-، فأكثر وأطاب، وعن أبي بكر، وعمر، وطائفة، وكان أحد الفقهاء المجتهدين. مات سنة أربع وسبعين. انظر: الاستيعاب (ص: ٢٨٦ ترجمة ٩١٥)، وأسد الغابة (٢/ ٤٥١ ترجمة ٢٠٣٦).

(٤٩٩) أخرجه البخاري في كتاب الصلاة- باب الخوخة والسمر في المسجد (٤٦٦)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة- باب فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه (٢٣٨٢)، من أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٥٠٠) هو: الصحابي الجليل عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال بن أهيب بن ضبة بن الحارث بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة القرشي الفهري أبو عبيدة غلبت عليه كنيته. أحد السابقين الأولين، ومن عزم الصديق على توليته الخلافة، وأشار به يوم السقيفة. يجتمع في النسب هو والنبي -صلى الله عليه وسلم- في فهر. شهد له النبي -صلى الله عليه وسلم- بالجنة، وسماه أمين الأمة، ومناقبه شهيرة جمة. روى أحاديث معدودة، وغزا غزوات مشهودة. مات -رضي الله عنه- بالطاعون سنة ثمان عشرة. انظر: الاستيعاب (ص: ٥١١ ترجمة ١٨١٩)، والإصابة (٣/ ٥٨٦ ترجمة ٤٤٠٣).

مِنْ بَابِ أَنَّهُ لَمْ يَطْلُبْهَا لِنَفْسِهِ مَعَ فَضْلِهِ وَتَقَدُّمِهِ، فَكَأَنَّ عُمَرَ قَالَ: وَاللهِ لَئِنْ أَقْدِمَ فَتُضْرَبَ عُنُقِي، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَتَأَمَّرَ عَلَى قَوْمٍ فِيهِمْ أَبُو بَكْرٍ. ثُمَّ قَالَ عُمَرُ: ابْسُطْ يَدَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ. فَبَايَعَهُ عُمَرُ ثُمَّ الْمُهَاجِرُونَ ثُمَّ الأَنْصَارُ وَتَمَّ الأَمْرُ.

وَشَاغَبَ مَنْ شَاغَبَ مِنْ أَهْلِ الرَّفْضِ وَمِنَ الْمُؤَرِّخِينَ الْمُعَاصِرِينَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ حَظٌّ فِي التَّحْقِيقِ وَلَا فِي النَّظَرِ السَّلِيمِ، وَبِكُلِّ حَالٍ فَالإِجْمَاعُ مُنْعَقِدٌ، وَالفِطَرُ مُطْمَئِنَّةٌ، وَالعُقُولُ تَقْبَلُ هَذَا التَّرْتِيبَ.

أَمَّا أَبُو بَكْرٍ فَهُوَ: أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ بْنُ أَبِي قُحَافَةَ التَّيْمِيُّ القُرَشِيُّ، وَاسْمُهُ عَبْدُ اللهِ، وَكَانَ يُلَقَّبُ بِعَتِيقٍ. وَابْنُ الأَعْرَابِيِّ[501] يَقُولُ: العَتِيقُ عِنْدَ العَرَبِ: كُلُّ مَا غَلَا ثَمَنُهُ وَزَادَتْ قِيمَتُهُ. وَتَوَلَّى الصِّدِّيقُ سَنَتَيْنِ وَأَشْهُرًا، وَكَانَتْ فِي خِلَافَتِهِ أُمُورٌ عَظِيمَةٌ، وَثَبَّتَ اللهُ بِهِ أَهْلَ الإِسْلَامِ، وَمَنْ قَرَأَ مَا حَصَلَ وَقْتَ الصِّدِّيقِ فِي حُرُوبِ أَهْلِ الرِّدَّةِ، وَانْتِقَاضِ الأَمْرِ فِي كَثِيرٍ مِنَ البِلَادِ عَلِمَ أَنَّ الْمُؤَرِّخِينَ ظَلَمُوا أَبَا بَكْرٍ.

وَمَعَ الأَسَفِ فَفِي كَثِيرٍ مِنَ الكُتُبِ المَدْرَسِيَّةِ فِي العَالَمِ الإِسْلَامِيِّ يَظْهَرُ الصِّدِّيقُ بِصُورَةِ الرَّجُلِ الضَّعِيفِ، بِالْمُقَارَنَةِ مَعَ عُمَرَ، وَمَا عَلِمُوا أَنَّ عُمَرَ تِلْمِيذٌ مِنْ تَلَامِيذِ أَبِي بَكْرٍ، وَأَنَّهُ يَهَابُ الصِّدِّيقَ.. وَقَدْ وَقَعَتْ فِي زَمَنِ الصِّدِّيقِ أُمُورٌ وَعُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ لَمْ يَتَحَمَّلَهَا، وَكَانَ الصِّدِّيقُ هُوَ الرَّجُلُ الأَوَّلُ ثَبَاتًا وَعِلْمًا وَقَرَارًا، وَالكَلَامُ يُطُولُ فِي هَذَا الأَمْرِ.

مَاتَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمْرُهُ ثَلَاثٌ وَسِتُّونَ سَنَةً، ثُمَّ أَوْصَى لِلْخِلَافَةِ مِنْ بَعْدِهِ لِلْفَارُوقِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ، وَهُوَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ بْنِ نُفَيْلٍ العَدَوِيُّ القُرَشِيُّ أَبُو حَفْصٍ، أُمُّهُ حَنْتَمَةُ بِنْتُ هِشَامٍ أُخْتُ أَبِي جَهْلٍ، أَسْلَمَ وَلَهُ سَبْعٌ وَعِشْرُونَ سَنَةً. يَقُولُ بَعْضُ الصَّحَابَةِ: لَمْ نُصَلِّ جِهَارًا عِنْدَ البَيْتِ إِلَّا بَعْدَ أَنْ أَسْلَمَ عُمَرُ.

وَفَضَائِلُ عُمَرَ كَثِيرَةٌ مَشْهُورَةٌ، وَهُوَ فِي الرُّتْبَةِ الثَّانِيَةِ بَعْدَ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَكَانَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ تَارَةً يَذْكُرُهُمَا جَمِيعًا، فَيَقُولُ: «**اقْتَدُوا بِاللَّذَيْنِ مِنْ بَعْدِي**»[502]. يَعْنِي: الصِّدِّيقَ وَعُمَرَ. وَقَالَ: «**هَذَانِ سَيِّدَا كُهُولِ أَهْلِ**

---

(٥٠١) هو: إمام اللغة، أبو عبد الله، محمد بن زياد بن الأعرابي الهاشمي مولاهم الأحول النسابة. ولد بالكوفة سنة خمسين ومئة. يروي عن: أبي معاوية الضرير، والقاسم بن معن، وأبي الحسن الكسائي. وعنه: إبراهيم الحربي، وعثمان الدارمي، وثعلب، وأبو شعيب الحراني، وشمر بن حمدويه، وآخرون. له مصنفات كثيرة أدبية، وتاريخ القبائل، وكان صاحب سنة واتباع. مات بسامرا في ثالث عشر شعبان سنة إحدى وثلاثين ومئتين. انظر: إنباه الرواة (٣/ ١٢٨ ترجمة ٦٤٥)، وسير أعلام النبلاء (١٠/ ٦٨٧ ترجمة ٢٥٤).

(٥٠٢) تقدم تخريجه.

الجَنَّةِ»[٥٠٣]. وَالمُرَادُ: الصِّدِّيقُ وَعُمَرُ. وَقَالَ: «**إِنْ يُطِعِ القَوْمُ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ يَرْشُدُوا**»[٥٠٤]. وَقَالَ: «**فَإِنِّي أُومِنُ بِهَذَا أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ**»[٥٠٥]. وَلِهَذَا وَلَّاهُ الصِّدِّيقُ وَنَصَّ عَلَيْهِ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمْ.

وَقَدْ أَعَزَّ اللهُ الإِسْلَامَ فِي وَقْتِ عُمَرَ، وَقَدْ أَجَابَ اللهُ دَعْوَةَ نَبِيِّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ السَّلَامُ قَبْلَ إِسْلَامِ عُمَرَ، فَقَالَ: «**اللَّهُمَّ أَعِزَّ الإِسْلَامَ بِأَحَدِ العُمَرَيْنِ**»[٥٠٦]. وَهُمَا: الحَكَمُ بْنُ هِشَامٍ، وَعُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ. فَكَانَتِ الدَّعْوَةُ النَّبَوِيَّةُ، وَأَجَابَ اللهُ ذَلِكَ فَأَسْلَمَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ، وَكَانَتْ خِلَافَتُهُ عَرِيضَةً فَتَحَ اللهُ فِيهَا فُتُوحًا لِلْمُسْلِمِينَ، وَامْتَدَّتْ قِيلَ: عَشْرُ سِنِينَ، وَقِيلَ: اثْنَتَا عَشْرَةَ سَنَةً.

وَكَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ صَاحِبُ فِرَاسَةٍ، فَلَمَّا حَجَّ آخِرَ حَجَّةٍ اسْتَلْقَى عَلَى الحَصْبَاءِ فِي الأَبْطَحِ فِي مَكَّةَ، وَدَعَا رَبَّهُ: اللَّهُمَّ إِنَّهُ قَدْ كَبُرَتْ سِنِّي وَضَعُفَتْ قُوَّتِي وَانْتَشَرَتْ رَعِيَّتِي... وَجَاءَ فِي بَعْضِ الرِّوَايَاتِ أَنَّهُ قَالَ: اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي شَهَادَةً فِي بَلَدِ رَسُولِكَ. وَكَانَتْ فِي بَعْضِ الأَلْفَاظِ تَسْمَعُهُ حَفْصَةُ، فَقَالَتْ: أَنَّى لَكَ هَذَا؟! فَقَالَ: يَأْتِي بِهَا اللهُ إِنْ شَاءَ. فَكَانَ الأَمْرُ أَنْ حَصَلَتِ الشَّهَادَةُ فِي بَلَدِ رَسُولِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ السَّلَامُ وَفِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفِي مُصَلَّى رَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَكَانَ -كَمَا قَالَ المُؤَرِّخُونَ- ذَا فِرَاسَةٍ؛ فَقَدْ قَرَأْتُ فِي كِتَابِ «الأَحْكَامِ السُّلْطَانِيَّةِ» إِمَّا لِلْمَاوَرْدِيِّ[٥٠٧] أَوْ لِأَبِي يَعْلَى[٥٠٨]: أَنَّ عُمَرَ احْتَارَ فِي الأَمْرِ بَعْدَمَا يَذْهَبُ، فَقِيلَ لَهُ: فُلَانٌ.. حَتَّى قَالُوا: عُثْمَانُ. فَقَالَ: وَاللهِ إِنَّ عَيْنَيَّ لَعَلَيْهِ، وَلَكِنْ أَهْلُ الفِتَنِ لَا يَتْرُكُونَ أَحَدًا، وَأَخْشَى أَنْ يَثُورَ أَهْلُ مِصْرَ.. وَكَذَا فَيَقْتُلُونَهُ فِي دَارِهِ! أَوْ كَمَا قَالَ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ.

---

(٥٠٣) أخرجه الترمذي في كتاب المناقب- باب مناقب أبي بكر وعمر رضي الله عنهما (٣٦٦٥)، وابن ماجه في كتاب المقدمة- باب فضل أبي بكر الصديق رضي الله عنه (٩٥)، من حديث علي رضي الله عنه، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥١).

(٥٠٤) أخرجه البخاري في كتاب مواقيت الصلاة- باب الأذان بعد ذهاب الوقت (٥٩٥)، مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب قضاء الصلاة الفائتة واستحباب تعجيل قضائها (٦٨١)، من حديث أبي قتادة رضي الله عنه.

(٥٠٥) أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء- باب حديث الغار (٣٤٧١)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة- باب من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه (٢٣٨٨)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٥٠٦) أخرجه أبو داود في كتاب الأشربة- باب النهي عن المسكر (٣٦٨١)، والترمذي في كتاب الأشربة- باب ما جاء ما أسكر كثيره فقليله حرام (١٨٦٥)، وابن ماجه في كتاب الأشربة- باب ما أسكر كثيره فقليله حرام (٣٣٩٣).

(٥٠٧) هو: الإمام العلامة، أقضى القضاة، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري، الماوردي، الشافعي، صاحب التصانيف. ولد سنة أربع وستين وثلاث مئة. تفقه على أبي القاسم الصيمري بالبصرة، وارتحل إلى الشيخ أبي حامد الإسفراييني، ودرس بالبصرة وبغداد سنين، وله

وَكَانَ مُهَابًا، وَإِذَا رَآهُ الشَّيْطَانُ فَرَّ مِنْ طَرِيقِهِ، حَتَّى قِيلَ لِلشَّيْخِ ابْنِ بَازٍ عَلَيْهِ رَحْمَةُ الله: هَلْ يَفِرُّ الشَّيْطَانُ يَا شَيْخَ عَبْدِ العَزِيزِ مِنْ طَرِيقٍ غَيْرِ طَرِيقِ عُمَرَ، أَوْ مِنْ رَجُلٍ غَيْرِ عَمْرَ؟ قَالَ: نَعَمْ، إِذَا جَاءَنَا رَجُلٌ إِيمَانُهُ كَإِيمَانِ عُمَرَ؛ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ سَيَفِرُّ مِنْ طَرِيقِهِ.

وَقَرَأْتُ مِنَ هَيْبَةِ عُمَرَ -ذَكَرَهَا بَعْضُ المُؤَرِّخِينَ وَفِيهَا نَوْعُ دُعَابَةٍ- قَالُوا: كَانَ حَاجًّا، فَأَرَادَ أَنْ يَحْلِقَ شَعْرَ الرَّأْسِ، فَكَأَنَّ الحَلَّاقَ تَهَيَّبَ الخَلِيفَةَ عُمَرَ، وَمَعَهُ كُبَرَاءُ الصَّحَابَةِ وَوُفُودُ المُسْلِمِينَ تَفِدُ لِلسَّلَامِ عَلَيْهِ، فَتَهَيَّبَ الحَلَّاقُ، فَأَمَرُوهُ وَزَجَرُوهُ لِيَحْلِقَ لِلْخَلِيفَةِ. فَلَمَّا رَأَى عُمَرُ وَرَائِي هَيْئَةً تَخَوُّفُهُ، وَرَأَى أَنَّ المِسْكِينَ مُرْتَبِكٌ، فَأَدَارَ لَهُ ظَهْرَهُ حَتَّى يَحْلِقَ وَلَا يَرَى وَجْهَهُ! فَأَخَذَ الحَلَّاقُ يَحْلِقُ.

اسْتُشْهِدَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ وَعُمْرُهُ ثَلَاثٌ وَسِتُّونَ سَنَةً، فِي السَّنَةِ الرَّابِعَةِ وَالعِشْرِينَ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ مِنَ الهِجْرَةِ.

وَالعَجِيبُ أَنَّ الصِّدِيقَ وَعُمَرَ لَمْ يَنْقَطِعْ عَنْهُمُ الأَجْرُ بَعْدَ مَوْتِهِمَا، قِيلَ لِعَائِشَةَ: يَا أُمَّاهُ، إِنَّ بِالبَابِ أَقْوَامٌ يَسُبُّونَ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ. فَقَالَتْ: أُولَئِكَ قَوْمٌ أَحَبَّهُمُ اللهُ، قَطَعَ عَنْهُمُ العَمَلَ وَلَمْ يُقْطَعْ عَنْهُمُ الأَجْرَ. فَمَهْمَا سَبُّوا الصِّدِّيقَ وَعُمَرَ فَلَا يَرْجِعُ السَّابُّ إِلَّا بِالخَسَارَةِ عَلَى نَفْسِهِ، وَبِالرِّبْحِ عَلَى الشَّيْخَيْنِ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمَا.

قِيلَ لِابْنِ أَبْزَى[٥٠٩]: أَتُجِيزُ شَهَادَةَ مَنْ يَشْتِمُ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ. قَالَ: لَا، بَلْ أَضْرِبُ عُنُقَهُ. أَيْ: أَحْكُمُ عَلَيْهِ وَأَقْتُلُهُ.

(وَعُثْمَانُ ذُو النُّورَيْنِ تَالٍ وَبَعْدَهُ * عَلِيٌّ أَبُو السِّبْطَيْنِ أَفْضَلُ مَنْ غَبَرْ**

مصنفات كثيرة في الفقه والتفسير، وأصول الفقه والأدب، وكان حافظا للمذهب. من طالع كتاب «الحاوي» له؛ يشهد له بالتبحر ومعرفة المذهب. مات في ربيع الأول سنة خمسين وأربع مئة، وقد بلغ ستا وثمانين سنة. انظر: سير أعلام النبلاء (١٨/ ٦٤ ترجمة ٢٩)، وطبقات الشافعية الكبرى (٥/ ٢٦٧ ترجمة ٥١١).

(٥٠٨) هو: محمد بن الحسين بن محمد بن خلف بن أحمد، أبو يعلى البغدادي، الحنبلي، ابن الفراء، القاضي، الإمام العلامة، شيخ الحنابلة. صاحب التعليقة الكبرى، والتصانيف المفيدة في المذهب. ولد في أول سنة ثمانين وثلاث مئة، وتوفي سنة ثمان وخمسين وأربع مئة. انظر: سير أعلام النبلاء (١٨/ ٨٩ ترجمة ٤٠)، وطبقات الحنابلة (٣/ ٣٦١ ترجمة ٦٦٦).

(٥٠٩) هو: الصحابي عبد الرحمن بن أبزى الخزاعي. له صحبة، ورواية، وفقه، وعلم. وهو مولى نافع بن عبد الحارث. وكان نافع مولاه استنابه على مكة حين تلقى عمر بن الخطاب إلى عسفان، فقال له: من استخلفت على أهل الوادي- يعني مكة -؟ قال: ابن أبزى. قال: ومن ابن أبزى؟ قال: إنه عالم بالفرائض، قارئ لكتاب الله. ويروى عن عمر بن الخطاب أنه قال: «ابن أبزى ممن رفعه الله بالقرآن». قال الذهبي: عاش إلى سنة نيف وسبعين فيما يظهر لي. انظر: الاستيعاب (ص: ٤٥٤ ترجمة ١٥٧٤)، والإصابة (٤/ ٢٨٢ ترجمة ٥٠٧٨).

فَهُمْ خُلَفَاءُ اللهِ بَعْدَ نَبِيِّهِ * سَفِينَةُ[٥١٠] يَرْوِيهِ مِنَ الصَّادِقِ الخَبَرْ)**

(**وَعُثْمَانُ ذُو النُّورَيْنِ**) ابْنُ أَبِي العَاصِ الأُمَوِيُّ القُرَشِيُّ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ وَأَرْضَاهُ أَحَدُ العَشَرَةِ المُبَشَّرِينَ بِالجَنَّةِ، وَأَحَدُ السِّتَّةِ الَّذِينَ أَشَارَ بِهِمْ عُمَرُ، وَزَوْجُ ابْنَتَيِّ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتَزَوَّجَ رُقَيَّةَ ثُمَّ مَاتَتْ، فَتَزَوَّجَ بِأُمِّ كُلْثُومٍ، وَلُقِّبَ بِذِي النُّورَيْنِ، وَكَانَ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ كَرِيمًا قَارِئًا لِلْقُرْآنِ حَيِيًّا، وَمَنْ مَنَاقِبِهِ: اسْتِحْيَاءُ المَلَائِكَةِ مِنْهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَلَا اسْتَحِي مِنْ رَجُلٍ تَسْتَحِي مِنْهُ المَلَائِكَةُ**»[٥١١]. يَعْنِي: عُثْمَانَ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ.

تَوَلَّى الخِلَافَةَ بَعْدَ عُمَرَ بِإِجْمَاعِ السِّتَّةِ الَّذِينَ وُكِلَ إِلَيْهِمْ أَمْرُ الخِلَافَةِ، وَسَيَأْتِي ذِكْرُهُمْ بَعْدَ قَلِيلٍ، وَفَتَحَ اللهُ فِي وَقْتِ عُثْمَانَ الفُتُوحَاتِ، وَزَادَتْ رُقْعَةُ الإِسْلَامِ، وَكَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مِنْ أَكْرَمِ النَّاسِ وَأَرْحَمِ النَّاسِ وَأَحْلَمِ النَّاسِ، فَقَامَ عَلَيْهِ أَهْلُ الفِتَنِ وَأَهْلُ الشُّبُهَاتِ وَأَهْلُ القَلَاقِلِ مِنْ زُعَمَاءِ اليَهُودِ، وَمَنْ ضُعَفَاءِ النُّفُوسِ، وَمَنْ لَهُمْ طَمَعٌ فِي الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ الإِسْلَامِ، فَكَانَ مَا كَانَ مِنْ قَتْلِهِ ظُلْمًا رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ وَكَانَتْ خِلَافَتُهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ سَنَةً، وَزَادَ بَعْضُهُمْ، وَقَلَّلَ بَعْضُهُمْ.

وَكَانَ أَكْبَرَ الخُلَفَاءِ مَوْتًا، فَقَدْ قَارَبَ الثَّمَانِينَ أَوْ بَعْدَ الثَّمَانِينَ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ وَأَرْضَاهُ وَمَاتَ فِي السَّنَةِ الخَامِسَةِ وَالثَّلَاثِينَ.

أَمَّا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ الهَاشِمِيُّ القُرَشِيُّ، أَبُو السِّبْطَيْنِ الحَسَنِ[٥١٢] وَالحُسَيْنِ[٥١٣] أَبْنَاءِ فَاطِمَةَ، وَلِلْفَائِدَةِ: فَنَسْلُ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ انْقَطَعَ، وَلَمْ يَبْقَ نَسْلُهُ إِلَّا مِنْ فَاطِمَةَ، وَلَيْسَ فِي بَنَاتِهِ مَنْ أَنْجَبَ إِلَّا البَتُولُ، طَابَتْ أُمًّا وَبِنْتًا، فَتَنَاسَلَ النَّسْلُ النَّبَوِيُّ مِنَ الحَسَنِ وَالحُسَيْنِ أَبْنَاءِ عَلِيٍّ وَأَبْنَاءِ فَاطِمَةَ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمْ جَمِيعًا.

---

(٥١٠) هو: الصحابي سفينة أبو عبد الرحمن، و يقال: أبو البختري، مولى رسول الله -صلى الله عليه وسلم-. يقال: كان اسمه مهران. كان أصله من فارس فاشترته أم سلمة ثم أعتقته واشترطت عليه أن يخدم النبي -صلى الله عليه وسلم-. قال عنه ابن حجر في التقريب: لقب سفينة لكونه حمل شيئا كثيرا فى السفر. مشهور، له أحاديث. انظر: الاستيعاب (ص: ٣٢٥ ترجمة ١١٣٠)، والإصابة (٣/ ١٣٢ ترجمة ٣٣٣٧).

(٥١١) أخرجه مسلم في كتاب فضائل الصحابة- باب من فضائل عثمان بن عفان رضي الله عنه (٢٤٠١)، من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٥١٢) هو: الحسن بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، الإمام السيد، ريحانة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وسبطه، وسيد شباب أهل الجنة، أبو محمد القرشي الهاشمي المدني الشهيد. مولده في شعبان سنة ثلاث من الهجرة. وقيل: في نصف رمضانها. وعق عنه جده بكبش. وحفظ عن جده أحاديث، وعن أبيه، وأمه. قال عنه جده -عليه السلام-: «إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ، وَلَعَلَّ اللهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ

وَانْعَقَدَ لَهُ الأَمْرُ بَعْدَ عُثْمَانَ، وَحَصَلَ مَا حَصَلَ مِمَّا ذَكَرَهُ التَّارِيخُ، لَكِنْ تَمَّ الأَمْرُ بِفَضْلِ اللهِ تَعَالَى لِعَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ فَكَانَ الخَلِيفَةَ الرَّابِعَ؛ وَهَذَا هُوَ التَّرْتِيبُ الصَّحِيحُ، وَكَانَ بَعْضُ أَئِمَّةِ السَّلَفِ -قَلِيلٌ مِنْهُمْ- يُتَوَقَّفُ فِي تَفْضِيلِ عُثْمَانَ عَلَى عَلِيٍّ، لَكِنَّ الأَمْرَ اسْتَقَرَّ بِأَنَّ تَرْتِيبَهُمْ فِي الفَضْلِ كَتَرْتِيبِهِمْ فِي الخِلَافَةِ: أَبُو بَكْرٍ ثُمَّ عُمَرُ ثُمَّ عُثْمَانُ ثُمَّ عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ.

تُوُفِّيَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ سَنَةَ أَرْبَعِينَ، وَكَانَتْ خِلَافَتُهُ قُرَابَةَ خَمْسِ سِنِينَ رَضِيَ اللهُ عَنِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ.

ثُمَّ قَالَ: (**فَهُمْ خُلَفَاءُ اللهِ بَعْدَ نَبِيِّهِ**)، وَلَفْظُ (**خُلَفَاءُ اللهِ**)، أَوْ خَلِيفَةُ اللهِ عَلَيْهِ مَآخِذُ، فَبَعْضُ أَهْلِ العِلْمِ يَمْنَعُ مِنْ إِطْلَاقِ قَوْلِ: خَلِيفَةُ اللهِ. وَيَقُولُ: الخَلِيفَةُ يَخْلُفُ غَائِبًا، وَاللهُ لَا يَغِيبُ عَزَّ وَجَلَّ وَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ. وَمَنْ مَنَعَ يَقُولُ أَيْضًا: لَمَّا قِيلَ لِلصِّدِّيقِ: يَا خَلِيفَةَ اللهِ. قَالَ: لَا تَقُولُوا هَكَذَا، إِنَّمَا أَنَا خَلِيفَةُ رَسُولِ اللهِ.

وَمَنِ احْتَجَّ بِجَوَازِهَا قَالَ: بَعْضُ الصَّحَابَةِ خُلَفَاءُ اللهِ كَمَا أَشَارَ النَّاظِمُ، وَفِي آيَةِ البَقَرَةِ: ﴿**إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً**﴾[٥١٤].

وَالقَوْلُ الصَّحِيحُ: التَّوَسُّطُ، فَإِذَا قِيلَ: خَلِيفَةُ اللهِ، وَالمُرَادُ: مَنْ جَعَلَهُ اللهُ خَلِيفَةً بَعْدَ غَيْرِهِ. فَهَذَا يَجُوزُ وَالإِضَافَةُ لِلتَّشْرِيفِ، وَأَمَّا مَنْ أَخَذَ بِالقَوْلِ الأَوَّلِ -وَهَذَا لَا يُتَصَوَّرُ- فَهُوَ مَمْنُوعٌ. وَقَدْ أَشَارَ إِلَى هَذَا الشَّيْخُ بَكْرُ أَبُو زَيْدٍ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى[٥١٥] فِي كِتَابِ «مُعْجَمِ المَنَاهِي اللَّفْظِيَّةِ».

بَيْنَ فِئَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ». قال البخاري: مات الحسن سنة إحدى وخمسين. انظر: الاستيعاب (ص: ١٧٩ ترجمة ٥٧٢)، والإصابة (٢/ ٦٨ ترجمة ١٧٢١).

(٥١٣) هو: حفيد رسول الله، الحسين الشهيد، الإمام الشريف الكامل، سبط رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وريحانته من الدنيا، ومحبوبه. أبو عبد الله الحسين ابن أمير المؤمنين أبي الحسن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي القرشي الهاشمي. مولده في خامس شعبان سنة أربع من الهجرة. كان فاضلا دينا كثير الصيام والصلاة والحج. قتل -رضي الله عنه- يوم الجمعة لعشر خلت من المحرم يوم عاشوراء سنة إحدى وستين، بموضع يقال له كربلاء من أرض العراق بناحية الكوفة. انظر: الاستيعاب (ص: ١٨٤ ترجمة ٥٧٣)، والإصابة (٢/ ٧٦ ترجمة ١٧٢٦).

(٥١٤) سورة البقرة: ٣٠.

(٥١٥) هو: الشيخ العلامة الفقيه بكر بن عبد الله أبو زيد بن محمد بن عبد الله بن بكر بن عثمان بن يحيى بن غيهب بن محمد. أبو عبد الله القضاعي النجدي الحنبلي. ولد بعالية نجد عام خمس وستين وثلاث مئة وألف. درس في الكتاب حتى السنة الثانية الابتدائية، ثم انتقل إلى الرياض، وفيها واصل دراسته الابتدائية، ثم المعهد العلمي، ثم كلية الشريعة، حتى تخرج فيها منتسبا، وكان ترتيبه الأول. تتلمذ على الشيخ ابن باز، وصاحَب الشنقيطي -صاحب التفسير- حتى وفاته. عُين إماما وخطيبا للمسجد النبوي، ثم اختير وكيلا لوزارة العدل، ثم عضوا في

(**سَفِينَةٌ يَرْوِيهِ مِنَ الصَّادِقِ الخَبَرْ**)، سَفِينَةُ مَوْلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَسُمِّيَ بِسَفِينَةَ؛ لِأَنَّهُ حَمَلَ شَيْئًا ثَقِيلًا كَثِيرًا فِي سَفَرٍ فَسُمِّيَ بِسَفِينَةَ، وَحَدِيثُهُ الْمُشَارُ إِلَيْهِ أَخْرَجَهُ الإِمَامُ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ: «**الخِلَافَةُ ثَلَاثُونَ سَنَةً، ثُمَّ يَكُونُ مُلْكًا**»(٥١٦).

وَإِذَا حَسِبْتَ فَتَرَاتِ خِلَافَةِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ تَجِدُهَا ثَلَاثِينَ سَنَةً.

الصِّدِّيقُ سَنَتَانِ، وَعُمَرُ عَشْرُ سِنِينَ، وَعُثْمَانُ اثْنَتَا عَشْرَةَ سَنَةً، وَعَلِيٌّ سِتُّ سَنَوَاتٍ. قَالُوا: إِذَا أَخَذْنَا الأَشْهُرَ وَجُبِرَتْ مَعَ بَعْضِهَا جُعِلَتْ سَنَةً، لَكِنِ الْمَجْمُوعُ ثَلَاثُونَ سَنَةً.

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ خِلَافَتَهُمْ بَلَغَتْ ثَلَاثِينَ سَنَةً إِلَّا أَشْهُرًا، وَكَانَتِ الأَشْهُرُ مِنْ حُكْمِ الحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ثُمَّ تَنَازَلَ الحَسَنُ لِمُعَاوِيَةَ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمْ فِي عَامٍ سُمِّيَ بِعَامِ الجَمَاعَةِ؛ لِأَنَّ اللهَ جَمَعَ فِيهِ الكَلِمَةَ.

وَبَعْضُ الأُدَبَاءِ الْمُعَاصِرِينَ يُذَمُّ هَذَا العَامِ، وَيَقُولُ: إِنَّهُ عَامُ الفُرْقَةِ وَالاِخْتِلَافِ! وَهَذَا مِنْ قُصُورِ النَّظَرِ، بَلْ مِنْ قِلَّةِ إِيمَانِهِمْ وَمَنْ ضَعْفِ اعْتِقَادِهِمْ، وَكَمَا قِيلَ: مَنْ تَكَلَّمَ فِي غَيْرِ فَنِّهِ أَتَى بِالعَجَائِبِ. وَلِهَذَا أَنْصَحُ نَفْسِي وَإِيَّاكُمْ أَنْ نَحُثَّ أَنْفُسَنَا وَمَنْ نُجَالِسُ مِنْ إِخْوَانِنَا أَنْ يَكُونَ مَنْهَجَنَا -وَنَحْنُ طَلَبَةُ عِلْمٍ- أَنْ نَرْجِعَ إِلَى مَصَادِرِ السَّلَفِ، فَفِيهَا الْقُوَّةُ وَالْمُكْنَةُ، وَإِذَا أَتْقَنَّا مَا فِيهَا وَعَرَفْنَا مَا فِيهَا تَبَيَّنَ الزَّيْفُ وَالخَطَلُ وَالغُرَرُ.

(**وَأُثْبِتُ أَنَّ الفَضْلَ بَعْدَ الَّذِي مَضَتْ *** رِوَايَاتُنَا فِيهِمْ لَفِي سِتَّةٍ أُخَرْ**

سَعِيدٌ(٥١٧) **وَسَعْدٌ**(٥١٨) **وَابْنُ عَوْفٍ**(٥١٩) **وَطَلْحَةٌ**(٥٢٠) ***** وَعَامِرُ فِهْرٍ وَالزُّبَيْرُ**(٥٢١) **الَّذِي نَصَرْ**)

لجنة الفتوى، وهيئة كبار العلماء، ثم عين ممثلا للمملكة في مجمع الفقه الإسلامي الدولي، ثم اختير رئيسا للمجمع. وله مؤلفات وتحقيقات جياد حسان؛ منها: «المدخل المفصل»، و«التأصيل لأصول التخريج وقواعد الجرح والتعديل»، و«فقه النوازل». توفي يوم الثلاثاء الثامن والعشرين من المحرم سنة ثمان وعشرين وأربع مئة وألف. انظر: مقدمة جامع فتاوى اللجنة الدائمة في طبعتها الجديدة؛ ففيها ترجمة بقلم ابنه عبد الله.

(٥١٦) أخرجه أحمد في «مسنده» (٥/ ٤٧)، وأبو داود في كتاب السنة- باب في الخلفاء (٤٦٤٧)، والترمذي في كتاب الفتن- باب ما جاء في الخلافة (٢٢٢٦)، من حديث سفينة رضي الله عنه، وحسنه الألباني في «مشكاة المصابيح» (٥٣٩٥).

(517) هو: الصحابي الجليل سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي، يكنى أبا الأعور، وقيل: أبا ثور، القرشي العدوي، هو ابن عم عمر بن الخطاب وصهره. كانت تحته فاطمة بنت الخطاب. وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة. توفي سنة خمسين، أو إحدى وخمسين. انظر: الاستيعاب (ص: ٢٦٩ ترجمة ٨٧٢)، وأسد الغابة (٢/ ٢٣٥ ترجمة ٢٠٧٥).

(٥١٨) هو: الصحابي الجليل سعد بن أبي وقاص مالك بن أهيب -ويقال: وهيب- بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب القرشي. أبو إسحاق الزهري. الأمير، فاتح العراق، ومدائن كسرى، وأحد الستة الذين عينهم عمر للخلافة، وأول من رمى بسهم في سبيل الله، وأحد العشرة المبشرين بالجنة، أسلم وهو ابن سبع عشرة سنة، وكان سابع سبعة. وشهد بدرا، وافتتح القادسية. مناقبه

(**وَأُثْبِتُ أَنَّ الفَضْلَ**) أَيْ: الفَضْلُ الشَّرْعِيُّ، وَهُوَ لَا يَثْبُتُ إِلَّا بِدَلِيلٍ -كَمَا عَرَفْنَا، فَالتَّفْضِيلُ الشَّرْعِيُّ لَا يَكُونُ إِلَّا بِدَلِيلٍ.

(**بَعْدَ الَّذِي مَضَتْ رِوَايَاتُنَا**) قَصْدُهُ الخُلَفَاءُ الأَرْبَعَةُ.

(**لَفِي سِتَّةٍ أُخَرْ**) أَيْ: أُثْبِتُ أَجْزِمُ وَلَا أَشُكُّ إِثْبَاتًا لَا إِشْكَالَ فِيهِ، أَنَّ الفَضْلَ القَطْعِيَّ فِي رِوَايَاتِنَا أَوْ بَعْدَ الَّذِي مَضَى فِي رِوَايَاتِنَا وَلَيْسَ بِتَخْمِينِ الأَخْبَارِ بَدَلَ الرِّوَايَاتِ، بَلْ مَبْدَأَ السَّلَفِ إِمَّا الكَلَامُ بِعِلْمٍ أَوِ الصَّمْتُ بِحِلْمٍ.

(**لَفِي سِتَّةٍ أُخَرْ**) فَالفَضْلُ بَعْدَ الأَرْبَعَةِ يَكُونُ فِي سِتَّةٍ، وَسَمَّاهُمْ: (**سَعِيدٌ وَسَعْدٌ**)، مِنْ بَابِ اسْتِقَامَةِ النَّظْمِ، قَالَ: (**سَعِيدٌ وَسَعْدٌ**). وَهُمَا: سَعِيدُ بْنُ زَيْدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ، وَهُوَ أَحَدُ العَشَرَةِ، كَانَ مُتَحَنِّثًا فِي الجَاهِلِيَّةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لَا يَأْكُلُ مِمَّا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ، وَكَانَ مُقِلًّا مِنْ رِوَايَةِ الحَدِيثِ؛ فَلَهُ حَدِيثَانِ فِي «الصَّحِيحَيْنِ»، وَحَدِيثٌ تَفَرَّدَ بِهِ البُخَارِيُّ.

أَمَّا سَعْدٌ، فَهُوَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ الزُّهْرِيُّ القُرَشِيُّ، وَهُوَ أَحَدُ العَشَرَةِ، مَشْهُورٌ بِكُنْيَةِ أَبِيهِ، أَيْ: يُنْسَبُ إِلَى أَبِيهِ، وَاسْمُ أَبِي وَقَّاصٍ: سَعْدُ بْنُ مَالِكٍ، وَكَانَ لَهُ مَنَاقِبُ كَثِيرَةٌ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فَقَدْ فَدَاهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَبَوَيْهِ

وفضائله كثيرة جدا، ذكر غير واحد من العلماء أنه مات في قصره بالعقيق على عشرة أميال من المدينة، وحُمل إلى المدينة على رقاب الرجال، ودفن بالبقيع، مات سنة خمس وخمسين على الأشهر. انظر: الاستيعاب (ص: ٢٧٥ ترجمة ٨٩١)، والإصابة (٣/ ٧٣ ترجمة ٣١٩٦).

(٥١٩) هو: الصحابي الجليل عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد بن الحارث بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي، أبو محمد. أحد العشرة، وأحد الستة أهل الشورى، وأحد السابقين البدريين، القرشي الزهري. وهو أحد الثمانية الذين بادروا إلى الإسلام. كان اسمه في الجاهلية عبد عمرو. ولد عبد الرحمن بعد عام الفيل بعشر سنين. كان رجلا طوالا، حسن الوجه، رقيق البشرة، فيه جنأ، أبيض، مشربا حمرة، لا يغير شيبه. توفي سنة اثنتين وثلاثين، وهو ابن خمس وسبعين سنة، ودفن بالبقيع. انظر: الاستيعاب (ص: ٤٤٢ ترجمة ١٥٣٠)، والإصابة (٤/ ٣٤٦ ترجمة ٥١٨٣).

(٥٢٠) هو: الصحابي الجليل طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب القرشي التيمي، أبو محمد. أحد العشرة، وأحد الثمانية الذين سبقوا إلى الإسلام، وأحد الخمسة الذين أسلموا على يد أبي بكر، وأحد الستة أصحاب الشورى. شهد المشاهد كلها. قُتل -رضي الله عنه- في وقعة الجمل لعشر خلون من جمادى الآخرة سنة ثلاث وستين. انظر: الاستيعاب (ص: ٣٥٩ ترجمة ١٢٥٥)، والإصابة (٣/ ٥٢٩ ترجمة ٤٢٧٠).

(٥٢١) هو: الصحابي الجليل الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزي بن قصي بن كلاب، أبو عبد الله القرشي الأسدي، حواري رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وابن عمته، وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وأحد الستة أصحاب الشورى. أسلم وله اثنتا عشرة سنة، وقتل يوم الجمل في جمادى الأولى سنة ست وثلاثين. انظر: الاستيعاب (ص: ٢٦١ ترجمة ٨٥٤)، والإصابة (٢/ ٥٥٣ ترجمة ٢٧٩١).

فَقَالُوا: مَا جَمَعَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَبَوَيْهِ لِأَحَدٍ إِلَّا لَهُ، قَالَ: «**فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي**»(٥٢٢). وَقِيلَ: إِنَّهُ أَوَّلُ مَنْ رَمَى بِسَهْمٍ فِي سَبِيلِ اللهِ. وَثَبَتَ أَنَّهُ مُجَابُ الدَّعْوَةِ، وَكُلُّكُمْ يَعْرِفُ الحَدِيثَ الَّذِي فِي «صَحِيحِ البُخَارِيِّ»: لَمَّا وَلَّى عُمَرُ سَعْدًا عَلَى الكُوفَةِ، ثُمَّ اشْتَكَاهُ أَهْلُ الكُوفَةِ فَعَزَلَهُ عَنْهُمْ، ثُمَّ أَرْسَلَ عُمَرُ وَفْدًا إِلَى الكُوفَةِ مَعَهُمْ عَمَّارٌ وَكَانَ سَعْدٌ مَعَهُمْ، يَسْأَلُونَ عَنْ سِيرَةِ سَعْدٍ، فَكُلُّهُمْ أَثْنَوْا خَيْرًا، إِلَّا مَسْجِدَ بَنِي عَبْسٍ، فَقَامَ رَجُلٌ مِنْ ذَلِكَ المَسْجِدِ اسْمُهُ أُسَامَةُ بْنُ قَتَادَةَ(٥٢٣)، فَقَالَ: أَمَّا إِذَا كُنْتُ سِائِلَنَا عَنْ سَعْدٍ، فَإِنَّ سَعْدًا كَانَ لَا يَسِيرُ بِالسَّرِيَّةِ، وَلَا يَقْسِمُ بِالسَّوِيَّةِ، وَلَا يَعْدِلُ فِي القَضِيَّةِ. فَرَفَعَ سَعِيدٌ يَدَيْهِ وَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ عَبْدُكَ هَذَا قَامَ رِيَاءً وَسُمْعَةً فَأَطِلْ عُمْرَهُ، وَأَطِلْ فَقْرَهُ، وَعَرِّضْهُ لِلْفِتَنِ. وَرَاوِي الحَدِيثِ هُوَ عَبْدُ المَلِكِ بْنُ عُمَيْرٍ(٥٢٤) يَقُولُ: فَرَأَيْتُ ذَلِكَ الرَّجُلَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ سَقَطَ حَاجِبَاهُ عَلَى عَيْنَيْهِ، يَتَتَبَّعُ الجَوَارِيَ فِي الطُّرُقَاتِ يَغْمِزُهُنَّ، فَإِذَا كُلِّمَ قَالَ: عَبْدٌ مَفْتُونٌ أَصَابَتْهُ دَعْوَةُ سَعْدٍ(٥٢٥).

وَكَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ شُجَاعًا، وَفِي مَعَارِكِ الإِسْلَامِ وَالقَادِسِيَّةِ وَفِي غَيْرِهَا كَانَ سَعْدٌ مِنْ فُحُولِ أَبْطَالِ الإِسْلَامِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ جَمِيعًا.

(**وَابْنُ عَوْفٍ**) عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ الزُّهْرِيُّ القُرَشِيُّ أَحَدُ العَشَرَةِ، وَمِمَّنْ جُعِلَ لَهُ السِّتَّةُ الأَمْرَ فِي الخِلَافَةِ، ثُمَّ تَرَكَ الأَمْرَ عَنْ نَفْسِهِ، ثُمَّ أَعْطَاهُ الأَمْرَ لِلصَّحَابَةِ الخَمْسَةِ البَاقِينَ، ثُمَّ جَمَعَ عَلِيًّا وَعُثْمَانَ كُلًّا عَلَى حِدَةٍ، فَقَالَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا: إِنْ أَعْطَيْتَ صَاحِبَكَ الأَمْرَ أَتَرْضَى؟ فَلَمَّا رَضِيَا، قَالَ: ابْسُطْ يَدَكَ يَا عُثْمَانُ. فَبَايَعَهُ، وَتَمَّ الأَمْرُ بِفَضْلِ اللهِ، ثُمَّ بِفَضْلِ الصَّحَابَةِ، وَبِخَاصَةٍ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ رَضِيَ اللهُ عَنِ الجَمِيعِ.

---

(٥٢٢) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير- باب المجن ومن يترس بترس صاحبه (٢٩٠٥)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة- باب في فضل سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه (٢٤١١)، من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

(٥٢٣) هو: أسامة بن قتادة، أبو سعدة العبسي. لم أجد له في كتب التراجم ذِكْرًا إلا في تلك الواقعة. وقع ذكره في الصحيح، وسماه البخاري في باب «وجوب القراءة للإمام والمأموم»؛ انظر: فتح الباري لا بن حجر (٢/ ٢٣٦). ودعا عليه سعد بن أبي وقاص بدعاء مشهور استجيب له فيه، حين شهد عليه زورا. وزعم ابن حجر أن له إدراكا، فذكره في الإصابة (١/ ١٩٥ ترجمة ٤٤٦).

(٥٢٤) هو: عبد الملك بن عمير بن سويد بن حارثة القرشي، ويقال: اللخمي أبو عمرو، ويقال: أبو عمر الكوفي الحافظ، ويعرف بالقبطي. رأى عليا وأبا موسى الأشعري -رضي الله عنهما-. قال ابن حجر في التقريب: ثقة فصيح عالم، تغير حفظه، وربما دلس. مات سنة ست وثلاثين، وله مئة وثلاث سنين. انظر: تهذيب الكمال (١٨/ ٣٧٠ ترجمة ٣٥٤٦)، وسير أعلام النبلاء (٥/ ٤٣٨ ترجمة ١٩٥).

(٥٢٥) أخرجه البخاري في كتاب الأذان- باب وجوب القراءة للإمام والمأموم في الصلوات (٧٥٥).

أَمَّا طَلْحَةُ، فَهُوَ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ القُرَشِيُّ التَّيْمِيُّ، أَحَدُ العَشَرَةِ، وَكَانَ يُلَقَّبُ بِالفَيَّاضِ؛ لِكَثْرَةِ كَرَمِهِ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ.

(**وَعَامِرُ فِهْرٍ**): هُوَ أَمِينُ الأُمَّةِ أَبُو عُبَيْدَةَ عَامِرُ بنُ الجَرَّاحِ التَّيْمِيُّ القُرَشِيُّ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ أَحَدُ الرَّجُلَيْنِ اللَّـذَيْنِ ارْتَضَاهُمَا الصِّدِّيقُ لِلْخِلَافَةِ. وَقَرَأْتُ فِي «تَارِيخِ البُخَارِيِّ»: أَنَّ عُمَرَ قَالَ لِمَنْ عِنْدَهُ: تَمَنَّوْا. فَكُلُّهُمْ قَـالَ: أَتَمَنَّـى كَـذَا وَكَذَا.. فَقَالَ عُمَرُ: أَتَمَنَّى مِلْءَ هَذَا البَيْتِ رِجَالًا كَأَبِي عُبَيْدَةَ عَامِرُ بنُ الجَرَّاحِ. لِفَضْلِهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، مَاتَ فِي طَاعُونِ عَمْوَاسَ فِي الشَّامِ فِي خِلَافَةِ عُمَرَ.

وَالزُّبَيْرُ بْنُ العَوَّامِ الأَسَدِيُّ القُرَشِيُّ، حَوَارِيُّ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَابْنُ عَمَّتِهِ، وَأُمُّهُ هِـيَ صَـفِيَّةُ بِنْـتُ عَبْـدِ المُطَّلِبِ[٥٢٦]، قُتِلَ شَهِيدًا، وَقَتَلَهُ ابْنُ جُرْمُوزٍ.

هَؤُلَاءِ السِّتَّةُ تَرَاجِمُهُمْ مَشْهُورَةٌ، وَالجَمِيعُ يَعْلَمُ وَقَرَأَ كَثِيرًا مِنْ سِيَرِهِمْ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمْ وَأَرْضَاهُمْ.

(وَأُثْبِتُ مِنْ بَعْدِ الخِلَافَةِ بَيْعَةً * لِخَالِ جَمِيعِ المُؤْمِنِينَ الَّذِي خَبَرْ**

مُعَاوِيَةَ المَنْعُوتِ بِالحِلْمِ وَالسَّخَا * أَمِينُ رَسُولِ اللهِ لِلْوَحْيِ وَالزُّبَرْ)**

(**وَأُثْبِتُ مِنْ بَعْدِ الخِلَافَةِ بَيْعَةً**) انْظُرْ لِتَعْبِيرَاتِ العَقِيدَةِ الرَّاسِخَةِ، شَرْعِيَّةٌ، رَدًّا وَدَحْرًا لِمَنْ شَكَّكَ فِيهَا.

ثُمَّ ذَكَرَ مُعَاوِيَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَعَنْ أُمِّهِ وَعَنْ أَبِيهِ- بِالأَوْصَافِ الطَّيِّبَةِ وَبِالأَوْصَافِ الَّتِي يَسْتَحِقُّهَا، فَقَـالَ: (**لِخَـالِ جَمِيعِ المُؤْمِنِينَ**)، وَ الخُؤُولَةُ هَذِهِ لِأَنَّ أُخْتَهُ هِيَ أُمُّ حَبِيبَةَ بِنْتُ أَبِي سُفْيَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا. قَالَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: وَأَنَا أَقُولُ: إِنَّ ابْنَ عُمَرَ خَالُ المُؤْمِنِينَ؛ لِأَنَّ حَفْصَةَ أُمُّ المُؤْمِنِينَ. وَقِسْ عَـلَى هَـذَا أَيْضًـا أَبْنَـاءَ الصِّـدِّيقِ؛ لِأَنَّ عَائِشَةَ أُمُّ المُؤْمِنِينَ.

فَهُنَا ابْنُ طَاهِرٍ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى أَجَادَ وَأَفَادَ، وَرَحِمَ اللهُ العُلَمَاءَ فِي تَقْرِيرَاتِهِمْ، فَتَرَى لُغَةَ العِلْمِ وَتَرَى قُـوَّةَ الشَّخْصِـيَّةِ العِلْمِيَّةِ فِي العِبَارَاتِ، فَكُلُّ عِبَارَةٍ لَهَا مَعْنًى، وَبِخَاصَّةٍ إِذَا كَانَ المَجَالُ مَجَالَ اعْتِقَادٍ، وَفِيهِ رَدٌّ عَلَى أَهْلِ الشُّبُهَاتِ.

---

(٥٢٦) هي: الصحابية الجليلة صفية بنت عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف. عمة رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وأمها هالة بنت وهيب بن عبد مناف بن زهرة. وهي شقيقة حمزة والمقوم وحجل بني عبد المطلب. كانت في الجاهلية تحت الحارث بن حرب بن أمية بن عبد شمس، ثم هلك عنها، وتزوجها العوام بن خويلد بن أسد، فولدت له الزبير والسائب وعبد الكعبة، وعاشت زمانا طويلاً، وتوفيت في خلافة عمر بن الخطاب سنة عشرين، ولها ثلاث وسبعون سنة، ودفنت بالبقيع بفناء دار المغيرة بن شعبة. انظر: الاستيعاب (ص: ٩١٦ ترجمة ٣٣٧١)، والإصابة (٧/ ٧٤٣ ترجمة ١١/ ٤٠٥).

(**وَأُثْبِتُ**) أَيْ: أَجْزِمُ ثُبُوتًا رَاسِخًا كَالجِبَالِ.

(**مِنْ بَعْدِ الخِلَافَةِ بَيْعَةً**)، حَتَّى لَا يَكُونَ هُنَاكَ مَكَانٌ شَاغِرٌ لِأَهْلِ البِدَعِ يَتْرُكُهُ لَهُمْ.

(**لِخَالِ جَمِيعِ المُؤْمِنِينَ**) لَيْسَ لِبَعْضِ المُؤْمِنِينَ، بَلْ خَالُ جَمِيعِ المُؤْمِنِينَ.

(**مُعَاوِيَةَ المَنْعُوتِ**) فَنَصَّ عَلَى تَسْمِيَتِهِ إِمْعَانًا فِي ثُبُوتِ مَنْهَجِ أَهْلِ السُّنَّةِ، وَالرَّدِّ عَلَى مَنْ خَالَفَ.

(**مُعَاوِيَةَ المَنْعُوتِ بِالحِلْمِ وَالسَّخَا**)، فَكَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ حَلِيمًا سَخِيًّا عَجِيبًا فِي حِلْمِهِ وَكَرَمِهِ وَسَخَائِهِ، وَمَنْ قَرَأَ تَرْجَمَتَهُ فِي المُطَوَّلَاتِ رَأَى مِنْ عَجَائِبِ كَرَمِهِ وَحِلْمِهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(**أَمِينُ رَسُولِ اللهِ لِلْوَحْيِ وَالزُّبَّرْ**)، يَقُولُ شَيْخُ الإِسْلَامِ: مُعَاوِيَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَرْتَضِيهِ الرَّسُولُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي كِتَابَةِ الوَحْيِ، وَعُمَرُ صَاحِبُ الفِرَاسَةِ يُوَلِّيهِ، وَعُمَرُ مِنْ أَخْبَرِ النَّاسِ بِالرِّجَالِ، فَيَكْفِي أَنَّ النَّبِيَّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ جَعَلَهُ كَاتِبًا لِلْوَحْيِ، ثُمَّ عُمَرُ فِي خِلَافَتِهِ أَقَرَّهُ عَلَى الشَّامِ. فَمَا أَقْبَحَ مَنْ طَعَنَ فِي مُعَاوِيَةَ؟! وَقُبِّحَ أُولَئِكَ الطَّاعِنُونَ.

فَابْنُ طَاهِرٍ النَّاظِمُ فِي كِتَابِهِ «تَذْكِرَةُ المَوْضُوعَاتِ» يَقُولُ: دَخَلْتُ جُرْجَانَ، وَقُرِئَ الحَدِيثُ الضَّعِيفُ: «**إِذَا رَأَيْتُمْ مُعَاوِيَةَ عَلَى مِنْبَرِي فَاقْتُلُوهُ**»[٥٢٧]. وَهَذَا الحَدِيثُ ضَعِيفٌ وَلَا يَصِحُّ، فَقَرَأَ القَارِئُ عَفَوِيًّا فَصَحَّفَ وَقَرَأَ: «**إِذَا رَأَيْتُمْ مُعَاوِيَةَ عَلَى مِنْبَرِي فَاقْبَلُوهُ**». وَكَانَ فِي مَجْلِسٍ رَافِضَةٍ فَثَارُوا. يَقُولُ ابْنُ طَاهِرٍ: لَمْ أَرَ تَصْحِيفًا أَحْسَنَ مِنْ هَذَا.

مَعَ أَنَّ العَقْلَ يَقْطَعُ بِهَذَا الشَّيْءِ، فَالصَّحَابَةُ رَأَوْا مُعَاوِيَةَ، بَلْ رَأَوْا مَنْ هُوَ أَدْنَى مِنْ مُعَاوِيَةَ عَلَى المِنْبَرِ النَّبَوِيِّ وَمَا قَتَلُوهُ، فَدَلَّ عَلَى أَنَّ لَفْظَ: «**فَاقْتُلُوهُ**». مَكْذُوبٌ حِسًّا وَعَقْلًا. وَكَذَلِكَ لَفْظُ: «**فَاقْبَلُوهُ**». لَا يَصِحُّ، لَكِنْ هَذَا مِنَ الرُّدُودِ عَلَى أُولَئِكَ القَوْمِ، وَالتَّصْحِيفُ تَارَةً يَكُونُ مَحْمُودًا وَتَارَةً يَكُونُ مَذْمُومًا، وَقَدْ أَلَّفَ العَسْكَرِيُّ[٥٢٨] كِتَابًا فِي تَصْحِيفَاتِ المُحَدِّثِينَ، وَكَذَلِكَ السُّيُوطِيُّ. وَيَذْكُرُونَ مِنْ بَابِ عَجَائِبِ المُصَحِّفِينَ أَنَّ بَعْضَهُمْ يُصَحِّفُ حَتَّى فِي

---

(٥٢٧) أخرجه العقيلي في «الضعفاء الكبير» (٦/ ٢٧٢)، وضعفه الألباني في «السلسلة الضعيفة» (٤٩٣٠)، وقال: «موضوع».

(٥٢٨) هو: الإمام المحدث الأديب العلامة، أبو أحمد، الحسن بن عبد الله بن سعيد العسكري، صاحب التصانيف. كان من الأئمة المذكورين بالتصرف في أنواع العلوم، والتبحر في فنون الفهوم، ومن المشهورين بجودة التأليف وحسن التصنيف، ألف كتاب «الحكم والأمثال»، وكتاب «التصحيف». مات يوم الجمعة لسبع خلون من ذي الحجة سنة اثنتين وثمانين وثلاث مئة. انظر: إنباه الرواة (١/ ٣٤٥ ترجمة ١٩٤)، وسير أعلام النبلاء (١٦/ ٤١٣ ترجمة ٣٠١).

القُرْآنِ، لَكِنْ أَذْكُرُ أَنَّ عَامِلًا مِنَ عُمَّالِ أَحَدِ الخُلَفَاءِ العَبَّاسِيِّينَ، أَرْسَلَ إِلَى الخَلِيفَةِ: إِنَّ المُخَنَّثِينَ -المُتَشَبِّهِينَ بِالنِّسَاءِ- قَدْ ظَهَرُوا وَكَثُرُوا فِي بِلَادِي. فَغَضِبَ الخَلِيفَةُ وَقَالَ لِلْكَاتِبِ: اكْتُبْ لَهُمْ:

أَمَّا بَعْدُ:

عَامِلِي فُلَانٌ، إِذَا جَاءَكَ كِتَابِي هَذَا فَأَحْصِهِمْ جَمِيعًا. فَالعَامِلُ المِسْكِينُ صَحَّفَهَا، وَوَضَعَ عَلَى الحَاءِ نُقْطَةً، وَقَرَأَهَا: فَأَخْصِهِمْ. فَخَصَى جَمِيعَ المُخَنَّثِينَ!

يَقُولُ النَّاظِمُ: (**أَمِينُ رَسُولِ اللهِ لِلْوَحْيِ وَالزُّبَرْ**)، وَحَسْبُكَ بِهَذِهِ المَنَاقِبِ الجَلِيلَةِ فِي مُعَاوِيَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ وَقَدْ أَلَّفَ أَبُو يَعْلَى كِتَابًا فِي مُعَاوِيَةَ خَالِ المُؤْمِنِينَ، وَرَدَّ الطُّعُونَ المُفْتَرَيَاتِ عَلَيْهِ، وَأَلَّفَ كَذَلِكَ بَعْضُ المُعَاصِرِينَ، وَوَقَفْتُ عَلَى كُتُبٍ ثَلَاثَةٍ كُلِّهَا فِي الدَّفْعِ وَالدِّفَاعِ عَنْ مَعَايَةَ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ. وَهَكَذَا قَيَّضَ اللهُ -وَالحَمْدُ للهِ- فِي المَاضِي وَالحَاضِرِ وَالمُسْتَقْبَلِ مَنْ يَدْفَعُ كُلَّ مَنْ طَعَنَ فِي الصَّحَابَةِ، فَقَامَتِ الرُّؤُوسُ وَارْتَفَعَتِ لِلدِّفَاعِ عَنْهُمْ.

(**بِإِجْمَاعِ أَهْلِ الحَلِّ وَالعَقْدِ مِنْهُمُ *** فَلَسْتُ بِقَوَّالٍ بِقَوْلِ الَّذِي نَفَرْ**)

يَقُولُ: (**بِإِجْمَاعِ أَهْلِ الحَلِّ وَالعَقْدِ**)، فَلَيْسَ بِإِجْمَاعِ بَعْضِهِمْ، بَلْ خَصَّ أَهْلَ الرَّأْيِ وَالسَّدَادِ فِي القَوْلِ وَالمَشُورَةِ فَبِإِجْمَاعِ الجَمِيعِ.

ثُمَّ قَالَ: (**فَلَسْتُ بِقَوَّالٍ بِقَوْلِ الَّذِي نَفَرْ**)، أَيْ: لَسْتُ أَنَا أَتَقَوَّلُ مِنْ نَفْسِي كَمَا قَالُوا، أَوْ أَشِذُّ فِي القَوْلِ كَمَنْ (**نَفَرَ**) عَنْهُمْ وَطَعَنَ فِيهِمْ.

(**وَقَوْلِيَ فِي صَحْبِ الرَّسُولِ بِأَسْرِهِمْ *** جَمِيلٌ خَلَافَ المَارِقِينَ ذَوِي الأَشَرْ**)

(**وَقَوْلِيَ**) أَيْ: اعْتِقَادِي وَقَوْلِي العَقَدِيُّ.

(**فِي صَحْبِ**) رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ.

(**الرَّسُولِ**) صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَمْ يَقُلْ: فِي بَعْضِ، بَلْ قَالَ: (**فِي صَحْبِ الرَّسُولِ**).

ثُمَّ أَكَّدَ فَقَالَ: (**بِأَسْرِهِمْ**) أَيْ: جَمِيعًا، فَالعُرْبُ تُؤَكِّدُ القَوْلَ بِأَسْرِهِمْ وَبِجَمِيعِهِمْ.

(**جَمِيلٌ**)، أَيْ: قَوْلُ حَقٍّ، وَقَوْلُ عَدْلٍ، وَقَوْلُ كَرِيمٍ، وَقَوْلُ سَلِيمٍ مِنَ الحِقْدِ.

(**خَلَافَ**) كُلُّ هَذِهِ تَأْكِيدَاتٌ؛ فَتَارَةً يُقَرِّرُ وَيُؤَكِّدُ الاعْتِقَادَ، ثُمَّ يَرُدُّ عَلَى المُخَالِفِينَ: (**خَلَافَ المَارِقِينَ ذَوِي الأَشَرْ**)، أَيْ: البَطَرُ وَالزُّورُ وَالكَذِبُ؛ وَلِهَذَا فَأَهْلُ السُّنَّةِ يُحِبُّونَ الصَّحَابَةَ كُلَّهُمْ، مَعَ اعْتِقَادِهِمْ أَنَّ بَعْضَهُمْ يَفْضُلُ بَعْضًا، لَكِنِ

الجَامِعُ أَنَّ المَحَبَّةَ تَشْمَلُ الجَمِيعَ، يَقُولُ الطَّحَاوِيُّ[٥٢٩] فِي مَعْنَى كَلَامِهِ: وَنُحِبُّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَا نَبْغَضُ أَحَدًا مِنْهُمْ، وَنَبْغَضُ مَنْ يَبْغَضُهُمْ، وَبِغَيْرِ الحَقِّ يَذْكُرُهُمْ، وَحُبُّهُمْ دِينٌ وَإِسْلَامٌ وَإِحْسَانٌ، وَبُغْضُهُمْ كُفْرٌ وَنِفَاقٌ وَطُغْيَانٌ.

فَالصَّحَابَةُ كُلُّهُمْ عُدُولٌ أَتْقِيَاءُ بَرَرَةٌ عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ، وَمَا وَقَعَ بَيْنَهُمْ؛ فَالْمُجْتَهِدُ الْمُصِيبُ لَهُ أَجْرَانِ، وَالْمُخْطِئُ لَهُ أَجْرٌ وَاحِدٌ، وَمَا نُقِلَ عَنْهُمْ مِنَ الأُمُورِ مِنَ الخِلَافِ؛ فَإِمَّا أَنْ تَكُونَ كَذِبًا عَلَيْهِمْ -كَمَا قَالَ أَهْلُ العِلْمِ، فَإِنْ كَانَ ثَابِتًا فَالْمُجْتَهِدُ لَهُ أَجْرٌ إِذَا أَخْطَأَ، وَإِذَا أَصَابَ لَهُ أَجْرَانِ.

(رَوَافِضُ أَعْدَاءِ الشَّرِيعَةِ وَصْفُهُمْ * عَنِ الصَّادِقِ الْمَبْعُوثِ فِي النَّاسِ مِنْ مُضَرْ)**

(**رَوَافِضُ**) الرَّافِضَةُ هُمُ الإِمَامِيَّةُ الاثْنَا عَشْرِيَّةِ، الطَّاعِنُونَ فِي الصَّحَابَةِ، أَكْذَبُ الخَلْقِ، كَفَّرُوا الصَّحَابَةَ وَطَعَنُوا فِيهِمْ وَشَوَّهُوا التَّارِيخَ، وَلَطَّخُوا عَدَالَةَ الصَّحَابَةِ، وَهَذَا مِنْ عَظِيمِ مَنْزِلَةِ الصَّحَابَةِ، إِذْ إِنَّهُ لَا يَتَغَيَّرُ مِنْ مَنْزِلَةِ أَحَدِهِمْ شَيْءٌ، وَلَا يُكَفِّرُهُمْ مَنْ يَسُبُّهُمْ إِلَّا إِذَا كَانَ مَارِقًا؛ وَلِهَذَا كَانَ الإِمَامُ مَالِكٌ يُحْتَجُّ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿**لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ**﴾[٥٣٠]. فَلَا يَتَغَيَّظُ عَلَى الصَّحَابَةِ مَنْ فِي قَلْبِهِ خَيْرٌ، وَلَا يَسُبُّ الصَّحَابَةَ وَيُكَفِّرُهُمْ مَنْ فِي قَلْبِهِ ذَرَّةٌ مِنْ إِيمَانٍ.

قَوْلُهُ: (**رَوَافِضُ أَعْدَاءِ الشَّرِيعَةِ**)، فَالرَّافِضَةُ رَفَضُوا إِمَامَةَ زَيْدِ بْنِ عَلِيٍّ[٥٣١]؛ لِأَنَّهُ كَانَ يُحِبُّ الشَّيْخَيْنِ، وَقِيلَ: رَفَضُوا خِلَافَةَ الشَّيْخَيْنِ، وَالْمُؤَدَّى وَاحِدٌ.

) هو: الإمام العلامة الحافظ الكبير، محدث الديار المصرية وفقيهها، أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن سلمة بن عبد 529(الملك، الأزدي الحجري المصري الطحاوي الحنفي، صاحب التصانيف، من أهل قرية طحا من أعمال مصر. مولده في سنة تسع وثلاثين ومئتين. بدأ حياته شافعيًا ثم تحول إلى الحنفية وانتهت إليه رئاسة أصحاب أبي حنيفة بمصر. برز في علم الحديث وفي الفقه، وتفقه بالقاضي أحمد بن أبي عمران الحنفي، وجمع وصنف. قال ابن يونس: كان ثقة ثبتا فقهيا عارفا لم يخلق مثله. له مؤلفات جياد؛ منها: «شرح مشكل الآثار»، و«شرح معاني الآثار». مات سنة إحدى وعشرين وثلاث مئة. انظر: سير أعلام النبلاء (١٥/ ٢٧ ترجمة ١٥)، والجواهر المضية (١/ ٢٧١ ترجمة ٢٠٤) ط: دار هجر.

(٥٣٠) سورة الفتح: ٢٩.

(٥٣١) هو: زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، أبو الحسين الهاشمي العلوي المدني. ولد سنة ثمانين. وهو أخو أبي جعفر الباقر، وعبد الله، وعمر، وعلي، وحسين، وأمه أم ولد. روى عن أبيه زين العابدين، وأخيه الباقر، وعروة بن الزبير. وعنه: ابن أخيه جعفر بن محمد، وشعبة، وفضيل بن مرزوق، والمطلب ابن زياد، وسعيد بن خثيم، وابن أبي الزناد. كان ذا علم وجلالة وصلاح. هفا، وخرج، فاستشهد. قال عيسى بن يونس: جاءت الرافضة زيدا، فقالوا: تبرأ من أبي بكر وعمر حتى ننصرك. قال: بل أتولاهما. قالوا: إذن نرفضك، فمن ثم قيل لهم: الرافضة. وأما الزيدية؛ فقالوا بقوله، وحاربوا معه، حتى قتل يوم ثاني صفر سنة اثنتين وعشرين ومئة. قال ابن حجر في التقريب: ثقة. انظر: تهذيب الكمال (١٠/ ٩٥ ترجمة ٢١٢٠)، وسير أعلام النبلاء (٥/ ٣٨٩ ترجمة ١٧٨).

(**أَعْدَاءِ الشَّرِيعَةِ**)، فَهُمْ أَعْدَاءُ الشَرِيعَةِ فِي الفُرُوعِ وَالأُصُولِ، فَمَنْ عَادَى الأُصُولَ فَالفُرُوعُ مِنْ بَابٍ أَوْلَى.

ثُمَّ قَالَ: (**عَنِ الصَّادِقِ المَبْعُوثِ فِي النَّاسِ مِنْ مُضَرْ**)، فَقَدْ كَذَبُوا عَلَى الصَّحَابَةِ وَافْتَرَوْا، وَزَوَّرُوا التَّارِيخَ، وَرَدَّ عَلَيْهِمْ أَهْلُ العِلْمِ، حَتَّى إِنَّ أَشْهَرَ مَا رُدَّ عَلَيْهِمْ فِي كِتَابِ «مِنْهَاجِ السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ»، مَا قَرَأْتُ فِي آخِرِ الكِتَابِ أَنْ رَئِيسَ المُصَحِّحِيْنَ وَاسْمُهُ طَهَ مَحْمُودُ قُطْرِيَّةٌ قَدْ أَثْنَى عَلَى شَيْخِ الإِسْلَامِ فِي هَذَا الرَّدِّ العَظِيمِ، وَبَيَّنَ أَنَّهُ كَشَفَ أَكَاذِيبَ الرَّافِضَةِ، وَقَالَ: كَأَنَّهُ كَاتِبُ الشِّمَالِ عَلَيْهِمْ، وَأَحْصَى بِيَدِ اللهِ مَخَازِيهِمْ وَضَلَالَاتِهِمْ، حَتَّى لَوْ رَأَى أَهْلُ الرَّفْضِ هَذَا الكِتَابَ لَقَالُوا: ﴿**يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا**﴾[٥٣٢]. وَهَذَا الكَلَامُ عَلَيْهِ تَحَفُّظٌ، لَكِنْ مِنْ بَابِ أَنَّ شَيْخَ الإِسْلَامِ فِي هَذَا الكِتَابِ دَافَعَ عَنِ الصَّحَابَةِ.

وَقَدْ قَرَأْتُ فِي تَرْجَمَةٍ لِأَحَدِ المَشَايِخِ، وَذَكَرَهَا الشَّيْخُ ابْنُ سَعْدِي -وَمَا أَدْرِي أَفِي تَرْجَمَةِ الشَّيْخِ ابْنِ جَاسِرٍ[٥٣٣] أَمْ غَيْرِهِ- قَالَ: كَانَ القَارِئُ يَقْرَأُ عَلَيْهِمْ فِي المِنْهَاجِ، فَفُوجِئَ بِأَنَّ الشَّيْخَ يَبْكِي. يَقُولُ الشَّيْخُ ابْنُ سَعْدِي: كَانَ شَيْخُنَا يَبْكِي، فَتَعَجَّبْنَا وَقُلْنَا: مَا الدَّاعِي؟ فَقَالَ: احْمَدُوا اللهَ، فَهَذِهِ الشُّبَهُ الَّتِي رَدَّهَا العُلَمَاءُ عَظِيمَةٌ، وَقَدْ تَقَعُ فِي النَّفْسِ عِنْدَ ضُعَفَاءِ العِلْمِ وَالإِيمَانِ، لَكِنِ اللهُ قَيَّضَ شَيْخَ الإِسْلَامِ فَفَنَّدَهَا وَرَدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا.

(**..... فِي كُتُبِ الشَّرِيعَةِ نَالَهُمْ *** مِنَ اللهِ خِزْيٌ بِالأَصَايِلِ وَالسَّحَرْ**)

فِي المَخْطُوطِ هُنَا يُوجَدُ نُقَطٌ، وَالأَقْرَبُ أَنْ تَكُونَ الكَلِمَةُ (**يَلْغُونَ**)، لَمْ يَظْهَرْ إِلَّا النُّونُ فِي آخِرِهَا، فَلَعَلَّهَا يَلْغَوْنَ، وَهَذَا وَصْفٌ قَرِيبٌ مِنْهُمْ بَلْ لَصِيقٌ بِهِمْ، وَالعَجِيبُ أَنَّ هَذَا البَيْتَ وَالَّذِي بَعْدَهُ سَاقِطَانِ مِنْ إِحْدَى النُّسْخَتَيْنِ، فَالنُسْخَةُ الظَّاهِرِيَّةُ مَوْجُودٌ فِيهَا، أَمَّا النُّسْخَةُ الأُخْرَى فَمُثْبَتٌ فِيهَا.

وَالتَّصَرُّفُ فِي النُّسَخِ الخَطِّيَّةِ لَيْسَ غَرِيبًا، فَابْنُ عَبْدِ الهَادِي[٥٣٤] فِي «العُقُودِ الدُّرِّيَّةِ» يُذْكَرُ أَنَّ بَعْضَ المُخَالِفِينَ لِشَيْخِ الإِسْلَامِ دَسَّ فِي كُتُبِهِ مَا لَيْسَ مِنْهُ، وَلَعَلَّكُمْ قَرَأْتُمْ فِي «الحُمَّوِيَّةِ» عِبَارَةَ: مَذْهَبُ السَّلَفِ أَعْلَمُ، وَمَذْهَبُ الخَلَفِ

---

(٥٣٢) سورة الكهف: ٤٩.

(٥٣٣) هو: عبد الله بن عبد الرحمن بن جاسر النجدي التميمي الوهيبي الأشيقري، ثم المكي السلفي. كما جاء على طرة كتابه: «مفيد الأنام ونور الظلام في تحرير الأحكام لحج بيت الله الحرام». ولم أعثر على ترجمة له.

(٥٣٤) هو: محمد بن أحمد بن عبد الهادي بن عبد الحميد بن عبد الهادي، أبو عبد الله، شمس الدين الجماعيلي الأصل، ثم الدمشقي الصالحي. تسميته بابن عبد الهادي نسبة إلى جده الأعلى. ولد سنة خمس وسبع مئة، وتوفي سنة أربع وأربعين وسبع مئة. انظر: الذيل على طبقات الحنابلة (٥/ ١١٥ ترجمة ٥٨٢)، والبدر الطالع (ص: ٦٦١ ترجمة ٤٠٠) ط: دار ابن كثير.

أَحْكَمُ. وَهَذِهِ العِبَارَةُ: الخَلَفُ أَحْكَمُ. مَدْسُوسَةٌ، فَمَذْهَبُ السَّلَفِ أَعْلَمُ وَأَحْكَمُ وَأَتْقَى وَأَوْرَعُ. فَالدَّسُّ فِي العِبَارَاتِ لَيْسَ بِغَرِيبٍ، بَلْ مَعَ الأَسَفِ الشَّدِيدِ حَتَّى فِي المَطْبُوعَاتِ الحَدِيثَةِ، تَرَى أَنَّ بَعْضَ أَصْحَابِ المَطَابِعِ يُتَصَرَّفُ فِي النُّسَخِ؛ إِمَّا اتِّبَاعًا لِهَوًى، أَوْ جَهَالَةً، وَقَدْ يُعْطَى بَعْضُ الأَمْوَالِ لِيُغَيِّرَ الكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ!

أَذْكُرُ فِي بَعْضِ كُتُبِ التَّارِيخِ وَفِي تَرَاجِمِ لِبَعْضِ المُصْلِحِينَ كَالشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الوَهَّابِ مِنَ المُتَأَخِّرِينَ، بَلَغَنِي مِنْ بَعْضِ المُحَقِّقِينَ أَنَّ بَعْضَ كُتُبِ التَّرَاجِمِ تَحْذِفُ بَعْضَ العِبَارَاتِ الَّتِي فِيهَا ثَنَاءٌ عَلَى بَعْضِ المُصْلِحِينَ مِنْ قِبَلِ المُؤَرِّخِينَ، فَيُطْبَعُ الكِتَابُ عَرِيًّا خَالِيًا مِنْ تِلْكَ العِبَارَاتِ؛ لِهَوًى فِي أَنْفُسِهِمْ.

وَأَكْذَبُ النَّاسِ هُمُ الرَّافِضَةُ، بَلْ مِمَّا قَرَأْتُ: أَنَّ المُسْتَشْرِقِينَ فِيهِمْ أُنَاسٌ مُنْصِفُونَ مُحَقِّقُونَ، وَعَلَى قَدْرٍ كَبِيرٍ مِنَ التَّحْقِيقِ وَالدِّرَايَةِ وَحُبِّ التَّارِيخِ وَالعِلْمِ، وَلَكِنَّ بَعْضَهُمْ قَدْ يَجْمَعُ بَيْنَ هَذَا وَبَيْنَ الكَذِبِ وَالدَّسِّ؛ إِمَّا بِالزِّيَادَةِ وَالنُّقْصَانِ.

(**يَلْغُونَ فِي كُتُبِ الشَّرِيعَةِ نَالَهُمْ مِنَ اللهِ خِزْيٌ**) وَبَالٌ وَدَمَارٌ.

(**بِالأَصَايِلِ وَالسَّحَرْ**). الأَصَايِلُ مَا بَعْدَ العَصْرِ إِلَى الغُرُوبِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿**بُكْرَةً وَأَصِيلًا**﴾[٥٣٥]. وَالسَّحَرُ تَقَدَّمَ أَنَّهُ: آخِرُ اللَّيْلِ قَبْلَ الصُّبْحِ.

(**لَهُمْ نَبْزٌ لَا دَرَّ يَا صَاحِ دِرِهُمْ *** وَلَا نَالَهُمْ خَيْرٌ وَلَا فَاتَهُمْ خَطَرْ**)

(**لَهُمْ نَبْزٌ**) لَقَبٌ.

(**لَا دَرَّ يَا صَاحِ دِرِهُمْ**)، يُقَالُ: إِنَّ رَجُلًا رَأَى رَجُلًا يَحْلُبُ نَاقَةً، فَقَالَ: لله دَرُّكَ. أَيْ: لله هَذَا العَمَلُ. أَيْ: هَذَا الحَلِيبُ كَثِيرٌ. فَكَانَ يُسْتَعْمَلُ فِي المَدْحِ، أَمَّا فِي الذَّمِّ فَيَقُولُونَ: لَا دَرَّ دَرُّكَ. ثُمَّ أَصْبَحَتْ مُسْتَعْمَلَةً فِي كُلِّ مَا يُتَعَجَّبُ مِنْهُ ذَمًّا أَوْ مَدْحًا، فَتَقُولُ: لله دَرُّكَ يَا فُلَانُ. أَوْ: لَا دَرَّ دَرُّكَ. أَيْ: لَا خَيْرَ فِيكَ وَلَا نَفْعَ.

(**لَهُمْ نَبْزٌ**) فَهُمْ يَنْبِزُونَ أَهْلَ السُّنَّةِ، وَهَكَذَا أَهْلُ البِدَعِ دَائِمًا يَنْبِزُونَ أَهْلَ السُّنَّةِ، يَقُولُونَ: إِنَّهُمْ مُشَبِّهَةٌ.. فَالمُعَطِّلَةُ يَرْمُونَ أَهْلَ السُّنَّةِ بِأَنَّهُمْ مُشَبِّهَةٌ؛ لِأَنَّهُمْ أَثْبَتُوا الصِّفَاتِ، وَيَرْمُونَهُمْ بِأَنَّهُمْ مُجَسِّمَةٌ، وَبِأَنَّهُمْ زَنَادِقَةٌ، وَبِأَنَّهُمْ حَشْوِيَّةٌ.. أَيْ: حَشْوٌ فِي الكَوْنِ، فَكَلَامُهُمْ حَشْوٌ، وَهُمْ فَضْلَةٌ وَحَشْوَةٌ فِي الوُجُودِ.. فَكُلُّ هَذِهِ الالقَابِ تُسْتَخْدَمُ لِتَشْوِيهِ السُّمْعَةِ، وَلِلتَّنْفِيرِ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ.

---

(٥٣٥) سورة الأحزاب: ٤٢.

يَذْكُرُ الأَلُوسِيُّ(٥٣٦) -مِنْ عُلَمَاءِ القَرْنِ الثَّانِي عَشَرَ- فِي كِتَابِهِ «المِسْكُ الأَذْفَرُ»، قَالَ: يَكْفِي وَصْمُ الرَّجُلِ لِجَلْبِ العَدَاوَةِ لَهُ عِنْدَ العَامَّةِ بِأَنَّهُ وَهَّابِيٌّ. وَفِي المُتَقَدِّمِينَ أَنْ يُقَالَ: إِنَّهُ سُنِّيٌّ! وَهَكَذَا أَعْدَاءُ الحَقِّ إِذَا أَعْيَتْهُمُ الحِيلَةُ عَنْ رَدِّ كَلَامِ أَهْلِ السُّنَّةِ سَعَوْا فِي كُلِّ سَبِيلٍ لِتَشْوِيهِ السُّمْعَةِ بِذِكْرِ التُّهَمِ! وَلِهَذَا تَقَدَّمَ أَنَّ ابْنَ كُلَّابٍ لَمَّا رَدَّ عَلَى الجَهْمِيَّةِ وَالمُعْتَزِلَةِ رَمَوْهُ بِأَنَّهُ نَصْرَانِيٌّ، وَتَبَيَّنَ لَنَا جَمِيعًا أَنَّ الحِكَايَةَ بَاطِلَةٌ -كَمَا قَالَ شَيْخُ الإِسْلَامِ وَغَيْرُهُ. وَأَنْ دَعْوَةَ التَّنَصُّرِ فِي حَقِّهِ كَذِبٌ وَضَعَتْهُ الجَهْمِيَّةُ وَالمُعْتَزِلَةُ؛ لِتَنْفِيرِ النَّاسِ مَنْ أَقْوَالِهِ. وَهَكَذَا الدَّسُّ فِي القَابِ أَهْلِ العِلْمِ.

فَلَا تَجْعَلْ أُذُنَكَ وِعَاءً لِكُلِّ مَنِ اتَّهَمَ مُسْلِمًا، بَلْ لِيَكُنْ مَنْهَجُنَا جَمِيعًا: ﴿**جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا**﴾(٥٣٧). وَمَعَ الأَسَفِ فِي هَذَا الوَقْتِ أَصْبَحَ بَعْضُ النَّاسِ يَجْعَلُ أُذُنَهُ وِعَاءً، وَيَجْعَلُ لِسَانَهُ بُوقًا فِي كُلِّ مَجْلِسٍ لِمُجَرَّدِ تُهَمٍ وَإِشَاعَاتٍ قَدْ تَحْرِمُهُ مِنْ خَيْرٍ كَثِيرٍ، وَمِنْ عِلْمٍ كَثِيرٍ، وَتَوْقِعُهُ فِي آثَامٍ كَثِيرَةٍ.

فَالنَّبْزُ بِالأَلْقَابِ لَا يَجُوزُ، وَإِذَا كَانَ النَّبْزُ وَالتَّعَصُّبُ القَبَلِيُّ لَا يَجُوزُ، وَالطَّعْنُ فِي أَنْسَابِ النَّاسِ وَالفَخْرُ عَلَى سَبِيلِ انْتِقَاصِ الآخَرِينَ لَا يَجُوزُ فِي دُنْيَا النَّاسِ، وَكَيْفَ فِي دِينِهِمْ؟! لَا شَكَّ أَنَّ الأَمْرَ أَجَلُّ وَأَخْطَرُ.

(**يَا صَاحِ**) مَعْنَاهَا: يَا صَاحِبِي، وَقَدْ تَقَدَّمَتْ مِرَارًا.

(**وَلَا نَالَهُمْ خَيْرٌ وَلَا فَاتَهُمْ خَطَرْ**)، فَهُمْ عَلَى خَطَرٍ، وَمَنْ عَادَى أَهْلَ السُّنَّةِ فَفِيهِ قُبْحٌ.

(**فَهَذَا اعْتِقَادُ المَقْدِسِيِّ مُحَمَّدٍ *** رَوَاهُ عَنِ الأَثْبَاتِ مِنْ نَاقِلِي السِّيَرْ**)

(**فَهَذَا اعْتِقَادُ المَقْدِسِيِّ مُحَمَّدٍ**) اعْتِقَادُهُ الَّذِي يَعْتَقِدُهُ وَيَدِينُ اللهَ تَعَالَى بِهِ.

(**رَوَاهُ عَنِ الأَثْبَاتِ**) فَلَمْ يَأْتِ بِهِ مِنْ نَفْسِهِ، وَكُلُّ أَهْلِ السُّنَّةِ هَكَذَا؛ فَعَقِيدَةُ الحَافِظِ عَبْدِ الغَنِيِّ(٥٣٨)، وَعَقِيدَةُ ابْنِ جَرِيرٍ الطَّبَرِيِّ(٥٣٩) كُلُّهُمْ هَكَذَا، فَإِذَا صَنَّفُوا فِي عَقَائِدِ أَنْفُسِهِمْ فَإِنَّمَا يَرْوُونَ عَنْ نَاقِلِي الأَخْبَارِ الصَّحِيحَةِ.

---

(٥٣٦) هو: الشيخ العلامة، المفسر الشهير محمود بن شكري بن عبد الله الألوسي. صاحب «روح البيان»، و«غاية الأماني في الرد على النبهاني». توفي سنة سبعين ومئتين وألف. انظر: كتاب «محمود شكري الألوسي سيرته ودراسته اللغوية» لمحمد بهجت الأثري، والسحب الوابلة (١/ ٣٥ ترجمة ١٠).

(٥٣٧) سورة الحجرات: ٦.

(٥٣٨) هو: الإمام العالم الحافظ الكبير الصادق القدوة العابد الأثري المتبع عالم الحفاظ تقي الدين أبو محمد عبد الغني بن عبد الواحد بن علي بن سرور بن رافع بن حسن بن جعفر المقدسي الجماعيلي، ثم الدمشقي المنشأ، الصالحي الحنبلي. ولد سنة إحدى وأربعين وخمس مئة بجماعيل. أخذ عن علماء الأقطار، ولم يزل يطلب ويسمع ويكتب، ويسهر، ويدأب، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويتقي الله، ويتعبد ويصوم،

(**مِنْ نَاقِلِي السِّيَرْ**)، أَيْ: نَاقِلِي الأَخْبَارِ.

وَهَذَا البَيْتُ هُوَ خَاتِمَةُ المَنْظُومَةِ، وَهُوَ البَيْتُ الثَّانِي وَالتِّسْعُونَ، وَكُنْتُ أَظُنُّهُ فِي المَخْطُوطَةِ بَقِيَّةَ كَلَامٍ نَثْرِيٍّ، لَكِنْ تَبَيَّنَ أَنَّهُ بَيْتٌ.

رَحِمَ اللهُ الإِمَامَ ابْنَ طَاهِرٍ، وَرَحِمَ اللهُ جَمِيعَ عُلَمَاءِ السُّنَّةِ، الَّذِينَ دَوَّنُوا هَذِهِ العَقَائِدَ اسْتِدْلَالًا مِنَ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

وَأَقُولُ لَكُمْ كَمَا كَانَ الشَّيْخُ عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدٍ الحُمَيْدِيُّ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى يَقُولُ لِلتَّلَامِيذِ فِي الدَّرْسِ إِذَا أَرَادَ إِيقَافَهُ، أَوْ أَرَادَ السَّفَرَ، كَانَ يَقُولُ رَحِمَهُ اللهُ كَلِمَةً لَا أَنْسَاهَا: إِذَا وَقَفَ الدَّرْسُ فَإِنَّ العِلْمَ لَا يَقِفُ، وَإِذَا سَافَرَ الشَّيْخُ فَإِنَّ العِلْمَ لَا يَنْتَهِي، فَطَالِبُ العِلْمِ يَطْلُبُ العِلْمَ دَائِمًا.

فَأُوصِيكُمْ بِطَلَبِ العِلْمِ، وَالاسْتِزَادَةِ مِنْهُ، وَطَلَبُ العِلْمِ مَعَ الإِخْلَاصِ، وَبِتَرْجَمَةِ العِلْمِ لِلْعَمَلِ وَالدَّعْوَةِ وَالصَّبْرِ، وَأَنْ نَنْفَعَ أَهْلَ بُيُوتِنَا وَأَوْلَادِنَا، وَأَنْ نَكُونَ قُدْوَةً، وَأَنْ نَتَقَبَّلَ النُّصْحَ، بَلْ نَطْلُبُ النُّصْحَ بِصَدْرٍ رَحِبٍ، وَأَنْ نَفْرَحَ بِالنَّصِيحَةِ، وَأَلَّا نَتْضَجِرَ ، وَأَنْ نَسْتَشْعِرَ مَسْئُولِيَّتَنَا، فَأَخْلِصُوا النِّيَّةَ للهِ، وَاطْلُبُوا العِلْمَ بِجِدٍّ، وَتَذَاكَرُوا العِلْمَ، وَسَتَرَوْنَ مِنَ اللهِ تَعَالَى مَا يَسُرُّكُمْ.

وَالآنَ مَعَ الأَسْئِلَةِ:

السُّؤَالُ الأَوَّلُ: اسْتَثْنَى بَعْضُ أَهْلِ العِلْمِ أُنَاسًا لَا يُسْأَلُونَ فِي قُبُورِهِمْ. اذْكُرْ ثَلَاثَةَ أَصْنَافٍ.

السُّؤَالُ الثَّانِيَ: اذْكُرْ دَلِيلًا مِنَ القُرْآنِ عَلَى عَذَابِ القَبْرِ.

السُّؤَالُ الثَّالِثُ: مَا الدَّلِيلُ عَلَى وَزْنِ العَامِلِ وَالعَمَلِ وَالصُّحُفِ يَوْمَ القِيَامَةِ؟

ويتهجد، وينشر العلم إلى أن مات سنة ست مئة. انظر: سير أعلام النبلاء (٢١/ ٤٤٣ ترجمة ٢٣٥)، والذيل على طبقات الحنابلة (٣/ ١ ترجمة ٢٣٨).

(٥٣٩) هو: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير، الإمام العلم المحتهد، عالم العصر، أبو جعفر الطبري، صاحب التصانيف البديعة، من أهل آمل طبرستان. مولده سنة أربع وعشرين ومئتين، وطلب العلم بعد الأربعين ومئتين، وأكثر الترحال، ولقي نبلاء الرجال، وكان من أفراد الدهر علما، وذكاء، وكثرة تصانيف. قل أن ترى العيون مثله. كان ثقة، صادقا، حافظا، رأسا في التفسير، إماما في الفقه والاجماع والاختلاف، علامة في التاريخ وأيام الناس، عارفا بالقراءات وباللغة، وغير ذلك. وكان ممن لا تأخذه في الله لومة لائم، مع عظيم ما يلحقه من الأذى والشناعات، من جاهل، وحاسد، وملحد، فأما أهل الدين والعلم؛ فغير منكرين علمه، وزهده في الدنيا، ورفضه لها، وقناعته. له مؤلفات جياد؛ منها: «جامع البيان»، و«تهذيب الآثار». مات سنة عشر وثلاث مئة. انظر: سير أعلام النبلاء (١٤/ ٢٦٧ ترجمة ١٧٥)، ووفيات الأعيان (٤/ ١٩١ ترجمة ٥٧٠).

السُّؤَالُ الرَّابِعُ: قَوْلُ اللهِ تَعَالَى: ﴿**كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ**﴾(٥٤٠). احْتَجَّ بِهَا نُفَاةُ الرُّؤَيَةِ عَلَى أَنَّ اللهَ لَا يُرَى، وَلَكِنَّ أَهْلَ السُّنَّةِ قَلَّبُوا الدَّلِيلَ عَلَيْهِمْ، كَيْفَ؟

السُّؤَالُ الخَامِسُ: مِنْ أَدِلَّةِ إِثْبَاتِ النُّبُوَّةِ، يَحْتَجُّ بَعْضُهُمْ بِالْمُعْجِزَاتِ فَقَطْ، وَذَكَرْتُ لَكُمْ أَكْثَرَ مِنَ بُرْهَانٍ عَلَى إِثْبَاتِ النُّبُوَّةِ، فَمَا هِيَ؟

السُّؤَالُ الأَخِيرُ: ذَكَرْتُ فِي عِبَارَةٍ عَنِ الذَّهَبِيِّ، قَالَ: بِشْرٌ بِشْرَانِ؛ بِشْرُ السُّنَّةِ وَ بِشْرُ البِدْعَةِ، فَمَنْ هُمَا؟

أَسْتَوْدِعُكُمُ اللهَ الَّذِي لَا تَضِيعُ وَدَائِعُهُ، وَأَسْأَلُ اللهَ أَنْ يَجْمَعَنَا فِي الدُّنْيَا عَلَى أَحْسَنِ حَالٍ، وَفِي الآخِرَةِ عَلَى أَحْسَنِ مَآلٍ، ﴿**فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ**﴾(٥٤١).

(٥٤٠) سورة المطففين: ١٥.

(٥٤١) سورة القمر: ٥٥.